الصراع في جبال النوبة

سراج الدين عبد الغفار



مركز البحوث والدراسات الإفريقية


زورنا في
الفيس بوك
المرتضى
لكتب السودانية
www.facebook.com/sh143a

الصراع في جبال النوبة

سراج الدين عبد الغفار



مركز البحوث والدراسات الإفريقية

لصراع في جبال النوبة

سراج الدين عبد الغفار



مركز البحوث والدراسات الإفريقية

تمهيد :

الدراسات عن منطقة جنوب كردفان وعلي الأخص حزام جبال النوبة ليست كثيرة ، ودارت معظم الدراسات في هذه المنطقة عن أصل النوبا وأصل لغتهم وخصائصها وصلة هذه اللغة بمجموعة اللغات السودانية . وفي السنوات الأخيرة - وربما وابتداءً من عام ١٩٨٤ أخذت تبرز نبرة جديدة في الإعلام العالمي : فحواها أن هناك اضطهاداً يقع علي أبناء الجبال ثم تطورت هذه النبرة من اضطهاد إلي مبالغات حول وجود سياسات إبادة وتطهير عرقي مسلط علي النوبا من إخوانهم الشماليين وأن النوبة كجنس أو عرق مهدد بالانقراض كمجموعة أو جماعة بشرية.

ويبدو أن المقصود من هذه الحملة ، إثارة إنتباه الغرب والكنيسة العالمية إلي إنتشار الثقافة الإسلامية العربية وسط النوبا وتلاشي الثقافات الانعزالية من وسطهم سواءً كانت من تخطيط الاستعمار أو الكنيسة أو من بقايا الموروثات التي كرست العزلة مثل حاجز اللغة أو الجغرافيا أو الأعراف أو غيرها .

وبدا إنتشار الثقافة الإسلامية وسط النوبا في أعين المتعصبين والمهوسين كأنّه يمثل انقراضاً ونهاية لجهود الكنيسة والاستعمار ونهاية لجرثومة التمدن الغربي ، وانكماش التمدن الغربي في أي مجتمع يعني بالنسبة لهم انقراض وتلاشي هذا المجتمع ، لأنّ أي مجتمع كي يكون موجودا حسب رؤية المركزية الغربية ، ينبغي أن يأخذ بأساليب الغرب وتراث الغرب وبهذه النظرة الضيقة فإنّ الثقافة الإسلامية ثقافة متخلفة وأنّ اتجاه النوبا نحو الإسلام يعني التلاشي والانحطاط بل والأنقراض .

ومهما يكن ، فإنّ التغيير الاجتماعي المنشود ، إنّما هو التغيير الذي يؤدي إلي تماسك المجتمع ، بتماسك أفراده وبتماسك تنظيماته ويؤدي كذلك إلي احداث النهضة وفق منظومة المقومات الروحية والفكرية التي توحد مجتمع النوبا مع المجتمع السوداني وظلت الثقافة الإسلامية هي أكبر آليات التغيير الحضاري والتقدم والنهضة - وظلت هذه الثقافة تعمل بقوتها ودفعها الذاتي في تغيير مجتمع النوبا وتغيير كل مجتمعات التداخل الحضاري في السودان وإفريقيا في اتجاه الكينونة الإسلامية ، واكتشف المعادون لحركة النهضة للمستضعفين والذين يريدون تسيير العالم وفق نمطية الحضارة الغربية أنّ خير السبل لتعطيل مد الثقافة الإسلامية هو سبيل الحرب ، فكانت حرب الجنوب وحرب النوبا وحرب الشرق.

وماليثت الحرب أن اصبحت غاية في حد ذاتها وأصبحت الحرب هي آلية التغيير المنشودة وسط بعض فصائل النوبا والجنوب . واعتماد الحرب كآلية للتغيير يكشف عن ضعف المواعين الثقافية والفكرية لهذه الجماعات . مما جعلهم يغطون عجزهم عن قيادة التطور الفكري والسياسي باللجوء إلي آلية الحرب ولكن قيام الحرب علي غير مقومات فكرية وروحية لايقود إلا إلي الخراب والدمار وضياع الأنفس والثمرات.

وبين يدي القاريء ، هذه الدراسة الجادة التي تكشف عن قصة الصراع في جبال النوبا وكيف تطور هذا الصراع وآثار هذا الصراع علي المنطقة وعلي البلاد والعباد .

ومهما يكن ، فإنّ هذه الدراسة اضافة هامة إلي حركة الدراسات السودانية - وتكشف هذه الدراسة ، أنّ بناء الأمة السودانية مايزال في اطواره الأولية وأنّه يحتاج لمزيد من الجهود علي كافة الأصعدة - الروحية والفكرية والاقتصادية والسياسية - ويبقي الصبر والمرابطة زاداً لمرحلة بناء الأمة وتظل هذه الرحلة محفوفة بالاخطار وتحتاج لمزيد من التضحية ومزيد من المجاهدات ومزيد من الصبر ولكن العاقبة للصابرين - كما جاء في سورة السجدة " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون " والسلام

د. حسن مكي

اكتوبر ١٩٩٧م / رجب ١٤١٨هـ

جــامعـة أفــريـقـيا الـعـالمية

مركز البحوث و الدراسات الافريقية

كـلـية الـدراســات الـعـليا

بحث مقدم لإستيفاء متطلبات درجة الماجستير

فى الدراسات الأفريقية

بعنوان

تاريخ الصراع فى جبال النوبا

الفترة من ١٩٨٤ - ١٩٩٦م

إعداد الطالب :

سراج الدين عبد الغفار عمر

إشراف :

د.حسن مكى محمد أحمد

١٩٩٦م



إهداء

إلى شهداء بلادى الذين تقدموا الصفوف ، و سطروا اروع الملاحم و البطولات .

إلى الشهداء العميد آدم أحمد آدم ، النيل سليمان عريس ، أحمد عبد ا لله محمود (الكلس) ، محمد تاوز ، أبو دجانة و عماد الدين الأمير الذين رووا بدمائهم الطاهرة ثرى جبال النوبا .

إلى أخى الشهيد موسى على سليمان الذى حمل هم القضية و سقط دون رايتها .

إليهم جميعاً أهدى هذا البحث .



شكر و تقدير

إن كان ثمة إضاءة فى هذا المقام ، فهى الاشارة إلى المؤسسات و الأشخاص الكثيرين الذين بذلوا جهداً مقدراً و كانوا عوناً بفضل الله سبحانه و تعالى فى إعداد هذا البحث ، و أخص بالذكر منهم الدكتور حسن مكى محمد أحمد و إدارة تنسيق الدفاع الشعبى و على رأسهم التوم الفاضل و مأمون بلو ، و الشكر أجزله للأخ الشهيد موسى على سليمان و الأخوة أحمد الشين الوالى محافظ سودرى و عاطف عبد القادر ضو البيت بمؤسسة السلام و التنمية و عبد الجبار حسين محافظ الدلنج و الزميل الصحفى محمد المصطفى المأمون الذين بذلوا جهداً مقدراً معى فى جمع وثائق البحث ، و إلى الأخ العقيد الركن محمد الطيب فضل محافظ كادقلى الأسبق و المقدم الركن الأمين عبد القادر محافظ رشاد الذين قدما لى كل عون ممكن ، و إلى أخى متوكل محمد أحمد (التوم) و أحمد حسن رمضان الذين قاما بجهد مقدر كلٌ على طريقته و إلى الأخت هويدة أحمد طه التى رافقتى فى رحلة البحث الطويلة ، و إلى الأخ محمد عوض الذى تولى الطباعة .

الشكر موصولٌ لهم و لجميع الأخوة الذين أسهموا فى هذا العمل بالرأي و النصيحة و الدعاء ، و أسأل الله تعالى لهم جميعاً حسن الجزاء و التوفيق و السداد و للسودان النهوض و الرفعة .

و الله مِن وراء القصد و هو يهدى السبيل ،،، ،،،



المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم خاتم الأنبياء و المرسلين .

تاريخ الصراع فى جبال النوبا فى الفترة من ١٩٨٤م - ١٩٩٦م

المقدمة :

منذ دخول الحركة الشعبية لتحرير السودان إلى منطقة جبال النوبة رمت بى الأقدار أن أكون مشاركاً لأحداث هذه المنطقة ، ففى البدء كنت مراسلاً حربياً (الراية) الناطقة باسم الجبهة الاسلامية القومية ، ثم مشاركاً فى عمليات الدفاع الشعبى التى إنتظمت المنطقة فيما بعد ، و عضواً فى وفد الحكومة السودانية الذى أجرى مفاوضات مع قادة الحركة بجبال النوبا ، إضافة إلى عملى فى منظمة البر الدولية مسئولاً عن إدارة الاعلام إذ حُل عمل المنظمة فى منطقة جنوب كردفان ، مما جعلنى أصوب إهتمامى لعمل بحث عن تاريخ الصراع فى المنطقة .

و ثمة أسباب و أهداف عديدة تم من أجلها القيام بهذا البحث و إختيار موضوع الصراع فى المنطقة خلال الفترة المعنية . نجملها فى الآتى :-

١. إطلاع الرأى العام المحلى و الإقليمى و العالمى من خلال سرد الأحداث و سبر غورها على الواقع الحقيقى لما دار من صراع فى هذه المنطقة .

٢. تسجيل واقع الصراع ، أى الملاحم العسكرية و السياسية التى دارت حتى لا تضيع و يطويها النسيان .

٣. دراسة الآثار التى ترتبت على نشوب الصراع فى المنطقة حتى لا تتكرر المأساة مرة أخرى .

٤. المساهمة فى حل المشكلة من خلال عرض وقائعها و دراسة آفاق المستقبل فى المنطقة .

فوق هذا و ذاك فإن دراسة تاريخ الصراع فى جبال النوبا تكتسب أهمية خاصة من خلال المكانة التى تحتلها المنطقة فى خارطة السودان ، فهى منطقة تلاقح و تمازج بين الأعراق المختلفة ، حيث تضم جبالها و سهولها المجموعات النوباوية ، المجموعات العربية و المجموعات الأفريقية الوافدة . و قد شكلت هذه المنظومة بوتقة تعايش بين أعراق و ثقافات مختلفة مما يعد نموذجاً للتمازج القبلى و التعايش بين بقية أنحاء السودان .

كما أن المنطقة تمثل قنطرة عبور للإسلام و الثقافة العربية بين الشمال و الجنوب فى السودان ، و من ثم إلى بقية أنحاء القارة الأفريقية .

كما قامت بالمنطقة مملكة تقلى أشهر الممالك الاسلامية فى السودان الأوسط ، و إحتضنت جبال النوبا الامام محمد أحمد المهدى الذى إختارها لبداية دعوته و تحركه العسكرى بعد الجزيرة أبا . و شهدت المنطقة أيضاً العديد من الثورات ضد المستعمر الانجليزى ، كثورة الملك دار جول و الملك عجبنا و الفكى على الميراوى .

جاء دخول الحركة الشعبية لجنوب كردفان ليضيف بعداً و تطوراً جديداً للصراع المسلح فى تاريخ السودان الحديث بعدما إنحصر فى السابق فى جنوب السودان .

إعتمدت هذه الدراسة على منهج المدخل التعددى الذى يجمع بين ثلاثة مناهج أو أكثر و هو المنهج الأمريكى الحديث الذى يطلق عليه مصطلح منهج التثليث (Trangulation) . وهو منهج يصلح لمثل هذه الدراسات المعقدة مثل دراسة تاريخ الصراع فى جبال النوبا و ذلك لتباين المشكلة و الجوانب العديدة المؤثرة فيها من حيث النواحى التاريخية و الجغرافية و الاجتماعية و السياسية و غيرها .

و لئن كان هذا البحث لا يحيط بتاريخ الصراع الذى دار فى المنطقة بكل جوانبه إلآ أنه يلقى الضوء على كثير من أوجه الصراع الذى ما تزال أحداثه حية و ماثلة للعيان .

كما أرجو ان يكون فاتحة خير للدارسين فى هذا المجال و أن يكملوا ما قصرت عنه هذه الدراسة .

تكون هذا البحث من خمسة أبواب :-

الباب الأول : دراسة تاريخية تتبعت بوادر الصراع فى المنطقة متمثلة فى الاسلام الذى تمثله الثورة المهدينة و مملكة تقلى الاسلامية و جهود الدعاة الاسلاميون فى جانب ، و المشروع التنصيرى فى الجانب الآخر و يقع هذا الباب فى ثلاثة فصول..

الباب الثانى : إشتمل على الاستقراء التاريخى للأحداث متناولاً سياسة الاستعمار و الدولة الوطنية تجاه مشكلة الجنوب ، و إنهيار التسوية و عودة الحرب الأهلية كما إستعرض الباب التنظيمات السياسية فى منطقة جبال النوبا و يقع هذا الباب فى ثلاثة فصول .

الباب الثالث : تناول الصراع المسلح فى جبال النوبا و الأسباب التى أدت لذلك و كيفية دخول الحركة الشعبية للمنطقة و محاور التصدى لها ، و يقع هذا ايضاً فى ثلاثة فصول .

الباب الرابع : تناول آثار الصراع المسلح فى المنطقة على التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية ، و تكون الباب من ثلاثة فصول .

الباب الخامس : تناول أُطروحات نظام الانقاذ الوطنى السياسية و الادارية تجاه جنوب كردفان و إشتمل الباب على ثلاثة فصول .

يتناول الفصل الأول من الباب الأول التمازج القبلى فى جبال النوبا و المكونات التى شكلت البنية الاجتماعية لمجتمع جنوب كردفان ، و التى أثرت إيجاباً و سلباً

فى تفاعل مجتمع المنطقة و شكلت بوادر الصراع فيما بعد . و المتمثلة فى القبيلة و الدين و الواقع الاجتماعى و السياسى و الاقتصادى و التركيبة السكانية ، حيث أوضحنا أن المنطقة تسكنها مجموعة من القبائل يتجاوز عددها أربعة و ستين قبيلة ، و هى متداخلة جغرافياً و اجتماعياً ، و رأينا كيف حدث التمازج بين المجموعات المختلفة التى ضمتها المنطقة و شكلت بوتقة تعايش و تمازج أعراق و ثقافات يمكن أن تشكل أُنموذجاً للوحدة الوطنية فى السودان ، إلى أن جاء التمرد فى مطلع الثمانينيات و أحدث إنشقاقاً فى جدار هذا التمازج القبلى .

و تناول الفصل الثانى من هذا الباب الاسلام فى جبال النوبا و بواكير الدعوة الاسلامية التى عرفت طريقها إلى المنطقة مع عرب البقارة المسلمين الذين دخلوا إقليم الجبال باحثين عن المراعى الخصبة ، ثم مجئ الثورة المهدية و قيام مملكة تقلى و دورها فى نشر الاسلام فى ربوع المنطقة ، بجانب الطُرق الصوفية و دورها البارز فى تشكيل الواقع الاسلامى للجبال ، و الدور المقدر الذى لعبه الأسرى و الرقيق و مجندوا الجيش و البوليس و التجار المسلمون فى جلب المؤثرات الاسلامية ، كما شهدت المنطقة وصول عدد من الدعاة الاسلاميين الذين كان لهم أثراً بارزاً فى تشكيل الكيان الاسلامى الذى قام فى جبال النوبا و من بين تلك الشخصيات ، الشيخ محمد الجعلى ، الشيخ إسماعيل الولى ، الشيخ بدوى أبو صفية ، الشيخ البرناوى ، الشيخ العالم ود بقوى ، الشيخ عبد الرحيم آدم رشاش ، ثم الدور الكبير الذى لعبه الداعية الاسلامى الشيخ محمد الأمين القرشى و مجموعته .

أما الفصل الثالث من الباب الأول فقد تناول المشروع التنصيرى فى جبال النوبا و الذى بدأه الأب دانيال كمبونى و جهوده المضنية لتأسيس عمل كنسى بالمنطقة ، كما تناول التبشير المسيحى بعد الاحتلال الإنجليزى للسودان و نشاط

الارساليات التبشيرية متمثلة فى نشاط إرسالية السودان المتحدة و جمعية التبشير الكنسى ، بجانب قانون المناطق المقفولة الذى صب فى إتجاه عزل النوبا عن محيطهم العربى إضافة للوضع الكنسى عشية دخول حركة التمرد فى عام ١٩٨٤م للمنطقة .

أما الفصول الثلاثة من الباب الثانى فقد تناولت سياسة الدولة الوطنية تجاه مشكلة الجنوب منذ مؤتمر جوبا ١٩٤٧م ، مروراً بالاستقلال و حكم الفريق إبراهيم عبود و ثورة اكتوبر ١٩٦٤م و حكم الأحزاب ثم مايو ١٩٦٩م و تزامن هذه الحقب مع حرب الجنوب الأولى التى قادتها انانيا(١) ، و بروز دور الكنيسة العالمية فى التاطير لحركة التمرد تحت ستار الإغاثة ، ثم قرار إبعاد المبشرين الأجانب من جنوب السودان ، و تفاقم الأوضاع فى الجنوب مما أدى للإطاحة بالحكومة ثم مؤتمر المائدة المستديرة فى رحاب حكومة مدنية ، و مجئ صغار الضباط فى الجيش السودانى للسلطة و توقيع إتفاقية أديس أبابا و عودة السلام إلى جنوب البلاد ، و تسليم قوات الأنانيا سلاحها للقوات المسلحة التى شرعت فى إستيعابهم .

و تناول الفصل الثانى على وجه الخصوص إنهيار التسوية السياسية و عودة الحرب الأهلية فى عام ١٩٨٣م ، عندما إنقسمت الصفوة الجنوبية عشية إتفاقية أديس أبابا إلى معسكرين ، هما معسكر الوحدويين و الانفصاليين و الذين ظل الصراع قائماً بينهما حول العلاقة مع الشمال حتى تحول إلى صراع قبلى بين الدينكا و المجموعات القبلية الأخرى بقيادة النوير و القبائل الاستوائية ، إضافة إلى المشاكل التى لازمت تطبيق إتفاقية أديس ابابا و إستيعاب العائدين ، حتى إنطلقت شرارة التمرد مرة أخرة فى عام ١٩٧٥م ، و الأحداث و الاضطرابات التى شهدتها تلك الفترة حتى تمرد جون قرنق و دخوله الغابة

فى ١٦ مايو ١٩٨٣م ، و بدء عمليات الحركة العسكرية و إتساع نطاق التمرد فى الجنوب و سقوط مدنه .

كما تناول الفصل مجئ نظام الانقاذ و أثره على المسرح العسكرى للحرب فى الجنوب و انطلاق عمليات صيف العبور فى مارس ١٩٩٢م ، عندما إستردت القوات المسلحة السودانية مدينة فشلا الحدودية و ما تبع ذلك من تحرير مدن الجنوب من قبضة الحركة الشعبية .

و فى الفصل الثالث تركز الحديث عن التنظيمات السياسية فى منطقة جبال النوبا و تطور الحركة السياسية بالمنطقة ، و قيام إتحاد عام جبال النوبا و حزب العمل و تنظيم الكتلة السوداء و تنظيم أبناء جبال النوبا ، و ظهور الحزب القومى السودانى برئاسة الأب فيليب غبوش على مسرح الأحداث إبان الديمقراطية الثالثة .

أما الفصول الثلاثة من الباب الثالث فقد تناولت الصراع المسلح فى جبال النوبا و الأسباب التى أدت لقيامها ، و التى تمثلت فى الظلم الاجتماعى ، السياسة الاستعمارية ، التركيبة السياسية و الممارسات الحزبية ، بجانب التجاوزات التى حدثت من البعض ، و الشعور بضياع الهوية ، و دور المنظمات الأجنبية و الكنيسة الذى لعبته فى الصراع .

كما تناول دخول الحركة الشعبية للمنطقة و إعلانها منطقة جنوب كردفان منطقة العمليات رقم (٢) ، و مجئ الكتيبة (حديد) التى مهدت الطريق لقوات الحركة بدخول الجبال فى هجومها الشهير على مناطق القردود و الأزرق فى يونيو ١٩٨٥م ، ثم إندفاع قوات الحركة و إحتلالها لإرياف و مدن المنطقة فى مطلع عام ١٩٨٩م ، فيما عرف بعمليات كتيبة (البركان) التى قادها يوسف كوة نفسه . إضافة إلى محاور التصدى للحركة و كسر شوكتها و بروز الدور الشعبى فى حركة التصدى بجانب القوات المسلحة و الشرطة ، ثم مجئ

نظام الانقاذ و إعلانه للجهاد فى ٨ نوفمبر ١٩٩١م ، و ما صاحب ذلك من تقنين للدفاع الشعبى الذى جعل الحركة تنتقل من دور المهاجم إلى دور المدافع و أخيراً عمليات صيف ١٩٩٤م ، التى تعتبر أكبر عمل تعبوى نفذته القوات السلحة فى المنطقة تحت مسمى (أمل كردفان) و الذى أدى إلى شل الحركة و كسر شوكتها .

كما تناول هذا الباب آليات التصدى و الدور الذى لعبته القوات المسلحة ، الشرطة الموحدة ، الدفاع الشعبى ، المجموعات الخاصة بجانب دور القيادة السياسية .

أما فصول الباب الرابع الثلاث فقد تناولت آثار الصراع المسلح فى جبال النوبا متمثلة فى آثار الحرب على التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية ، و التى شملت الخسائر البشرية ، آثار الحرب على النشاط الزراعى بنوعيه التقليدى و الحديث ، خسائر الثروة البرية و الحيوانية ، العقارات و المنقولات ، الصناعة الطرق و حركة المواصلات و أثر الحرب على قطاع الخدمات من تعليم و صحة . إضافة إلى ظاهرة النزوح داخل و خارج الإقليم و الآثار السياسية للحرب على علاقات السودان الداخلية و الخارجية و ما صاحب ذلك من تصعيد ضد السودان من قبل بعض الدوائر العالمية و الاتهام الموجه بممارسة الرق و التصفية العرقية ضد النوبا .

أما الفصل الأول و الثانى من الباب الخامس فقد تناولت أُطروحات نظام الانقاذ السياسية و الادارية تجاه جنوب كردفان متمثلة فى سياسة الدولة الوطنية تجاه المشكلة منذ ١٩٨٥م ، و مساعى السلام و الجهود التى بُزلت لحل القضية إبتداءاً من مبادرة رئيس الوزراء الانتقالى و مروزاً بمبادرات : ورشة عمل أمبو ، ندوة بيرجن بالنرويج ، إعلان كوكا دام ، مبادرة السلام السودانية ، مبادرة رئيس حزب الأمة القومى إضافة إلى مساعى السلام فى عهد الانقاذ و التى شملت لقاء

أديس أبابا ، مفاوضات فرانكفورت و عنتبى و أبوجا الأولى و الثانية ، و مبادرة الايقاد و إتفاقيات الاغاثة فى إطار شريان الحياة و جهود السلام من الداخل و التوقيع على الميثاق السياسى أبريل ١٩٩٦م . بجانب المبادرات و الاتصالات التى تمت فى إطار حل قضية جبال النوبا مثل مؤتمر أم سردبة و بلنجا و جهود اللجنة العليا للسلام برئاسة اللواء الزبير محمد صالح التى توجت جهودها بتوقيع فصيلين من أبناء النوبا على (إعلان مبادئ حل قضية جبال النوبا) بنيروبى فى ٣١ يوليو ١٩٩٦م . كما تناول أيضاً محاور العمل السياسى و الادارى لنظام الانقاذ بجنوب كردفان و المقاصد و الموجهات التى قامت عليها تلك السياسة ، و ما تمخض عنها .

أما الفصل الثالث من الباب الخامس فقد خصص لتناول المعالجات و الآفاق المستقبلية للمنطقة فى المجال السياسى ، التعايش السلمى ، التنمية الاقتصادية ، معالجة آثار النزوح ، المجال الأمنى و الهوية الحضارية حيث قُدمت مقترحات فى هذا المجال فى محاولة لوضع حل جزرى لمشكلة الصراع فى المنطقة .

لقد واجهتنى و أنا أتصدى للبحث فى هذا الموضوع مشكلة أساسية و هى وقوع معظم مناطق البحث فى أيدى حركة التمرد مما شكل عائقاً فى بادئ الأمر للوصول إليها بجانب قلة المكتوب عن هذه التجربة ذلك أن كثيراً من أحداثها ما زالت معاصرة ، و القليل الذى كُتب كان عبارة عن بحوث تناولت جوانب محددة من الموضوع ، فهنالك البحث الذى كتبه الأستاذ عطا محمد أحمد كتتول عن (الاسلام و التبشير المسيحى فى جبال النوبا ١٩٣٢م - ١٩٥٦م) و بحث الأستاذ صديق عطا المنان التوم عن (التعليم الدينى فى جبال النوبا) و التى افدت منها فى دراسة تاريخ المنطقة . أما البحوث التى تناولت مسألة التمرد على وجه الخصوص فتمثلت فى بحثين كتب أولهما ، اللواء (م) رمضان زايد

كوكو و الذى تناول أثر التمرد بجنوب كردفان على الأمن القومى ، و ثانيهما أعده العميد الركن مدنى عبد الوهاب عن (الأوضاع الأمنية فى جبال النوبا و أثرها على التنمية) . و قد أفدت من هذين البحثين كلٌ فى المجال الذى تناوله ، بجانب إفادتى من الأخبار و المقالات المنشورة فى الصحف السودانية .

كما واجهتنى سرعة تلاحق الأحداث كون الموضوع معاصر و أحداثه متجددة ، و قد شكل ذلك حافزاً لى و دافعاً أن أنقب وسط العديد من التقارير و الوثائق و التقى بعدد من المسئولين و شهود الأحداث و صانعيها فى هذا الجانب ، إضافة إلى الفرصة التى أتاحها لى وجودى فى قلب الأحداث و حضور كثير من مشاهدها ، فمن بين هذه و تلك خرج هذا البحث . و الذى آمل أن يكون إضافة حقيقية للقليل الذى كتب ، و عوناً للدارسين من بعدى .

(و الله من وراء القصد و هو يهدى السبيل) ، ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا و لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، و أعف عنا و أغفر لنا و ارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

الباب الاول

بوادر الصراع في منطقة جبال النوبا

الفصل الأول

التمازج القبلي في جبال النوبا

تغطي منطقة جبال النوبا حدود ولاية جنوب كردفان (مديرية جنوب كردفان سابقاً) و تقع بين خطي الطول (٢٩ - ٣١) و خطي العرض (١٠-١٢,٣٠) شمالاً ، أي ما يعادل مساحة اسكتلندا (١) وتحد في التقسيم الولائي الجديد للسودان بخمس ولايات ، من ناحية الشمال ولاية شمال كردفان و من ناحية الغرب ولاية غرب كردفان و من الجنوب ولاية الوحدة و من ناحية الشرق الحدود الغربية لولايتي اعالي النيل و النيل الابيض في مساحة تقدر بحوالي ثلاثين ألف ميل مربع. و هي ارض طينية تتخللها الجبال المتفرعة المكونة من الصخور الجرانيتية التي تشكل قمماً قبابية ملساء متأثرة بفعل التعرية و التآكل، مما جعل هذه القمم غير صالحة للزراعة اللهم الا زراعة الخضروات ، و تتخللها كثير من الينابيع بجانب السهول. و تغطى منحدرات الجبال باشجار السنط والعرديب و التبلدي التي تغوص جذورها عميقاً بين الصخور ، و في السهول نجد تربة تسمى القردود و هي تصلح لزراعة الذرة و الحبوب بانواعها. و اذا بعدنا عن الجبال نجد تربة سوداء تسمى (تربة القطن) و هي ارض شديدة الخصوبة تصلح لزراعة القطن و غيره من المحصولات .

و تقدر عدد جبالها بتسعة و تسعين جبلاً تمتد جنوباً و شرقاً الى النيل الابيض و غرباً الى دارفور و تأخذ شكل سلسلة عنقودية ذات قمم منفصلة و كتل جبلية منعزلة. و تعد جبال تقلى في اقصى الشمال الشرقي اطول سلاسلها الجبلية و تتناثر جبال النوبا في شكل سلاسل جبلية عظيمة متباينة الارتفاع بعضها اكثر من ثلاثة آلاف و خمسمائة قدم فوق سطح البحر. و يقدر ارتفاع جبل مندي بالقرب من رشاد بحوالي اربعة آلاف و سبعمائة و تسعة و ثمانين قدماً فوق سطح البحر .

اما مناخ المنطقة فهو السافانا الغنية الممطرة صيفاً و الحارة شتاءاً. و يأخذ فصل الربيع فيها شكلاً واضحاً (٢) .

و إدارياً تشمل ذات المنطقة الادراية التي اصطُلح على تسميتها بولاية جنوب كردفان بعد المرسوم الدستوري الرابع لعام ١٩٩١م ، في اطار النظام الفدرالي . و البعض يرى انه ذات الاقليم مضافاً اليه محافظة السلام او على الاقل الجزء الشرقي منها المتكون من ريفي لقاوة ، و عموماً فإن جبال النوبا تعني في هذه الدراسة ذات الاقليم الاداري الحالي المكون لولاية جنوب كردفان و يشمل محافظات كادقلي ، الدلنج ، الرشاد ، تلودي و أبوجبيهة زائداً الجزء الشرقي من محافظة السلام ريفي لقاوة للطبيعة الجبلية الممتدة لجبال النوبا و العنصر السكاني النوباوى في المنطقة و لامتداد حركة التمرد لتشمل هذا الجزء ايضاً من جنوب كردفان حيث دارت فيه اشهر العمليات العسكرية بين التمرد و القوات المسلحة (عمليات جبال تلشي و التى سنتعرض لها فى أبواب البحث المتقدمة) .

تتمتع المنطقة امطار غزيرة تتراوح كمياتها بين الستمائة و الثمانمائة ملمتر. و يستمر موسم الامطار من شهر مايو الى شهر اكتوبر و ترتفع درجة الحرارة في المناطق المحيطة بالجبال (٣) . وتتفاوت كميات الامطار في المنطقة ، إذ تزيد الى جهة الجنوب من تسع عشرة بوصة الى ما فوق تسع و عشرين بوصة لمسافة مائة ميل فقط الى جهة الجنوب ، و تتباين درجة هطول الامطار من الغرب الى الشرق و تزيد مرة اخرى فى اقصى الشرق .

اما موارد المياه بجبال النوبا فتتكون من المياه السطحية و المياه الجوفية و السطحية منها مايلي :

١) أحواض شرق الجبال : و تشمل عدة أحواض أهمها خور أبو حبل الذي تتجمع مياهه من مرتفعات جبال النوبا و يتجه شرقاً حتى مدينة تندلتي .

٢) أحواض جنوب غرب جبال النوبا : و تشمل أحواض خور ميري و وادي شلنقو و وادي القلة و في عام ١٩٦٨م ، تم تشييد خزان ميري على منتصف طول الخور لتخزين حوالي ٤,٥ مليون متر مكعب من المياه لشرب الانسان و سقي الحيوان و تقوية الآبار السطحية الواقعة جنوب منطقة ميري جوه و جنوب الجبال، و ينتشر خور ميري في شكل دلتا شرق بحيرة كيلك .

٣) خور الكدي : يعتبر الرافد الرئيسي لبداية خور ميري. و قد تم تشييد محطة الكدى الهادرومترية عام ١٩٧٣م ، لتحديد كمية المياه التي يشارك بها خور الكدى لتغذية خزان ميري برة ، وتم ايضاً تشييد محطة ام عدارة الهايدرومترية بالقرب من نهاية خور البطحة و قبل دخوله بحيرة كيلك لتحديد كميات المياه التي تشارك بها لتقوية البحيرة .

٤) حوض خور العباسية و خور ام برمبيطة : يبلغ ايراد المياه السنوي لحوض العباسية ما يقارب المليون متر مكعب، و خور أم برمبيطة يبلغ معدل إيراده السنوى لخمس سنوات نحو ٤٢ مليون متر مكعب .

٥) خور العواي : تكمن أهمية هذا الخور في كونه مورداً مائياً يمكن أن يساهم فى مد مدينة رشاد بالمياه و حل المشكلة الناجمة عن شحها. ومعدل ايراد الخور السنوي يقدر بخمسة ملايين متر مكعب. و قد تم تشييد خزان رشاد لتخزين ٤ ملايين متر مكعب .

٦) بحيرة كيلك : تعتبر بحيرة كيلك المنخفض النهائي لحوض كلى و تبلغ مساحتها ٢٢٠٠ كلم مربع. و عندما تبلغ مياه البحيرة بين ٥ ، ٧ و ٨ كيلومترات مربعة تنساب المياه لتغذية خور ميري لمسافة لا تقل عن ٧٠ متراً (٤) .

و بالرغم من ان الاقليم مشهور بكثرة خيرانه التي تنحدر من قمم الجبال كما اسلفنا و التي غالباً ما تتجمع من خور كبير مكونة في معظم الأحيان بركاً وبحيرات (كيلك و الابيض) ، بالرغم من ذلك لا توجد مصادر مياه ثابتة ودائمة في المناطق السهلية .

و ترتبط مناطق السكن في الجبال ارتباطاً وثيقاً بأماكن توزيع المياه التي توجد علي الخيران او الآبار غير العميقة التي تمتد بضعة اقدام في عمقها، و لكن أصبحت هذه السهول مناطق رعى لكثير من القبائل العربية التي ترتادها في فصل الصيف . و شهدت المنطقة اخيراً العديد من مضخات المياه الرافعة التي نفذتها منظمة " اليونسيف " (التي ساهمت أيضا في امداد التمرد بمصادر مياه ثابتة) .

ان اهمية معرفة جغرافية المنطقة و استعراضها في هذا البحث تكمن في ان طبيعة المنطقة و جغرافيتها اعطت حيزاً جغرافياً مناسباً للتمرد ، إذ ان التمرد وجد حصوناً جاهزة تتمثل في الجبال و السلاسل المغلقة و الكهوف الواسعة " الكراكير " الكثيرة و المسطحات المائية و الخيران و الامطار الغزيزة . كما ان السهول و الأراضي الزراعية الجيدة وفرت لهم الغذاء و منحتهم فرص الإنغلاق و الصبر على أي حصار محتمل ، كما ان وعورة الطرق و الغابات في المناطق السهلية و الطرق غير المطروقة هي الأخرى عوامل جغرافية و طبيعية وفرت بيئة صالحة للتمرد .

ظلت السياسة الادارية لهذه المنطقة تتقلب من وقت لآخر و تفرز التقسيمات الجغرافية و السياسية اسماء اخرى للمناطق ، فقد كانت المنطقة قبل الاحتلال

التركي للسودان سنة ١٨٢١م مقسمة الى مكوكيات و عموديات قبلية صغيرة ، فعملت الحكومة التركية على تجميع تلك المكوكيات في مديرية واحدة تدار من (تلودي) في الجزء الجنوبي الشرقي من المنطقة و ذلك في عام ١٩١٤م و في سنة ١٩٢٩م دُمجت في مديرية شمال كردفان و اصبحت بذلك جزءاً من مديرية كردفان و انتقلت العاصمة الى الابيض ، و اصبحت تلودي مركزاً يديره مفتش و مأمور ، ثم فُصلت منطقة جبال النوبا عن كردفان لتصبح مديرية قائمة بذاتها فى السبعينيات تحكم بمحافظة من كادقلي. و في سنة ١٩٨٠م اصبحت كردفان مرة اخرى اقليماً واحداً يضم محافظتي شمال و جنوب كردفان ، و قسم قانون الحكم الاقليمي لسنة ١٩٨٠م مديرية جنوب كردفان الى اربع مناطق هي المنطقة الجنوبية " كادقلي " و المنطقة الشمالية " الدلنج " و المنطقة الشرقية "رشاد " و المنطقة الغربية " الفولة " ثم قُسمت منطقة الفولة الى منطقتين هما : منطقة النوبا و منطقة أبيي (٥) . و مع مجئ نظام الانقاذ الوطنى أصبحت مديرية كردفان ولاية عاصمتها الأبيض ، و بعد تقسيم السودان إلى ست و عشرين ولاية أصبحت جنوب كردفان ولاية قائمة بذاتها و عاصمتها كادقلى، وتحقق بذلك حلم راود أبناء النوبا رمناً طويلاً بأن يكون لهم إقليمهم الخاص بهم .

سكان جبال النوبا :-

تسكن اقليم جبال النوبا مجموعة من القبائل يتجاوز عددها الأربع والستين قبيلة (٦) ، و هي قبائل متداخلة جغرافياً و اجتماعياً تشمل النوبا و عرب البقارة (المسيرية و الحوازمة) و مجموعات أخرى توافدت إلى المنطقة (كالداجو والبرنو) لتي قدمت من غرب افريقيا ، و رغم الانشقاق الذي حدث في جدار المنطقة من جراء دخول التمرد اليها في مطلع الثمانينيات الا انها شكلت بوتقة تعايش وتمازج

اعراق و ثقافات متباينة بين قبائلها تلك، و هي انموذج للوحدة الوطنية ، ومثال حي لإمكانية خلق أمة متجانسة رغم التباين الثقافي و العرقي .

بالنسبة لحجم سكان جبال النوبا اوضح "نعوم شقير" ان تعداد النوبا قبل فترة الثورة المهدية فاق الخمسين ألف نسمة، لكن تناقص ذلك العدد فى فترة المهدية حتى لم يبق الا نصفه تقريباً (٧) ، بينما قدره مستر جيلان (GILLAN) في سنة ١٩٢٩م و سنة ١٩٣٠م ، بحوالي المائتي ألف نسمة ، ثم قدره باربور (Barbour) سنة ١٩٤٦م بحوالى سبعمائة ألف نسمة، و كانت نسبة النوبا حوالي ٨٧ ٪ من هذا العدد (٨) ، بينما تذهب احصائيات عام ١٩٥٥م - ١٩٥٦م ، الى ان تعداد قاطني جبال النوبا خمسمائة واثنان وسبعون الفاً وتسعمائة وخمسة وثلاثون نسمة (٩) ، كما اسفرت النتائج الاولية لتعداد السكان في سنة ١٩٨٣م عن ان جملة سكان مديرية جنوب كردفان قد قفز الى الرقم ١,٢٨٧,٥٢٧ نسمة (١٠) ، و هذا رقم متواضع في تقديرنا نظراً لاعتبارات عدة، منها هجرة النوبا باعداد كبيرة الى المدن الرئيسية (الخرطوم بورسودان ، القضارف و مدن وسط السودان) كما ان طبيعة المنطقة من حيث ظروف الاتصال الى جانب المفاهيم السائدة وسط السكان بسبب الجهل لا تمكن من الاحصاء الدقيق. و نقدر ان احصاءا دقيقا سيسفر عن عدد أكبر، و حسب احصاء البطاقة التموينية الذي قامت به الحكومة الاقليمية جاء عدد سكان ولاية جنوب كردفان بمحافظاتها الخمس آنفة الذكر ٩٠٤,٠٧٩ نسمة .

لما كان النوبا و عرب البقارة هما اكبر الجماعات في الاقليم فاننا سنركز في دراستنا على هاتين المجموعتين و العلاقات التي نشأت بينهما طوال تواجدهما في المنطقة و ذلك في اطار دراستنا لسكان جبال النوبا بصفة عامة .. و غالباً ما نجد النوبا يسكنون قمم الجبال، بينما يسكن العرب و بعض المجموعات الاخرى السهول ، و قد ظل هذا التقسيم حتى عهد قريب ، و ان كنا نجد بعض

المجموعات النوباوية تفضل السكن على قمم الجبال حتى الآن . و ربما يعزى ذلك لالتماسهم الأمن في القمم التي كانت لهم بمثابة الملجأ الآمن الذي وقاهم الغارات التي تعرضوا لها في تاريخهم القديم من قبل ملوك الفونج والجيوش التركية و امراء المهدية، و اخيراً الحملات التأديبية التي كانت تشنها الحكومة البريطانية من حين لآخر على النوبا ، كما استخدمها المتمردون كدروع طبيعية و ملاجئ اعتصموا بها في كثير من الهجمات التي شنتها عليهم القوات المسلحة السودانية ، هذا فضلاً عن ان قمم الجبال توجد بها مصادر المياه الثابتة والدائمة على مدى شهور السنة .

و هناك عدة اسباب عملت على تشجيع النوبا و اجبارهم احياناً على النزول من قمم الجبال الى السهول ، من ذلك : ان الزراعة المتواصلة في مكان واحد على منحدرات الجبال أضعفت خصوبة التربة، مما اضطرهم الى النزول الى السهول للزراعة فيها ، كما ساهم وجود المجموعات العربية في السهول في تبديد عزلة النوبا ، اذ جلب اليهم الطمأنينة والأمن من مخاطر الحيوانات المفترسة التي كانت تلازم السهول ، كما شجعت الحكومة البريطانية النوبا على النزول من قمم الجبال بعد عام ١٩١٨م ، و ذلك بعد توفر الأمن و السلام في ربوع المنطقة لزراعة القطن التي أدخلها الانجليز حتى لا يهاجر النوبا الى الشمال . هذه وغيرها من العوامل ساهمت في التزاوج و التآخي بين تلك المجموعات المتباينة، فولدت ثقافة جديدة و أدخلت انماطاً جديدة من القيم و المعايير الاجتماعية، حيث مثل ذلك بداية الانصهار و الانسجام بين سكان المنطقة بعد ان كانوا يعيشون في تكتلات عرقية متناحرة (١١) .

ان تداول اصطلاح (النوبة) في البيئة السودانية يرجع الى زمن ضارب في القدم . و قد اختلف المحققون في اصل كلمة (نوبة) و أصل شعب (نوبة) وفي اطلاقها إيما اختلاف ، و يذهب الكثيرون الى القول بان نوبة كردفان هم اصلاً من شمال

السودان نزحوا الى هذا المناطق بسبب الحروب وانهيار الممالك، حيث دار الكثير من النقاش و الحوار في سبيل الوصول الى مسلمات واقعية ، و لم تستقر رؤى الباحثين و الدارسين الذين تناولوا ذلك الموضوع على رأي محدد ، فليس من السهولة ان تنفي بصفة قاطعة وجود صلة، كما لا نستطيع في ذات الوقت ان نؤكدها . و الموضوع ما زال موضع أخذ و رد (١٢) . ففي الوقت الذى يؤكدها البعض يستبعد بعض الباحثين وجود تشابه بين نوبا الجبال و نوبة الشمال من حيث التصنيف اللغوي، بل و ربطوا اللغة النوباوية في قواعد النحو بلغة الدينكا و الشلك أكثر مما ربطوها بلغة نوبة الشمال ، و استبعدوا ان يشير التشابه اللغوي الى وجود صلة بين الشعبين ، و رأوا ان مفردات اللغة النوبية لا تتفق مع أية لغة اخرى ، و ان اصول الكلمات النوبية ليس لها نظير في جميع اللغات التي قورنت بها ، اذ ان اللغات التي تشابه اللغة النوبية في مفرداتها أكثرها لغات حامية ، و في ذات الاطار ينفي البروفسور (سلجمان) الاصل المشترك لنوبا الجبال و نوبة الشمال ، و عارض بشدة اعتماد التشابه اللغوي اساساً لتقرير تلك العلاقة ، و قد أكد ذلك في وصفه لنوبا الجبال و نوبة الشمال ، اذ يرى ان النوباوي ممتلئ الجسم و العضلات و شديد السمرة الى درجة تبرر و صفه بأنه اسود البشرة ، و ان النوبي نحيل متوسط القامة و بشرته سمراء خفيفة في كثير من الاحيان ، و شعر سكان الجبال مفلفل و صفاتهم الزنجية واضحة ، و شعر النوبيين مموج و تقاطيعهم لا تشبه التقاطيع الزنجية . ويختلف الاثنان (النوبيون و النوباويون) في الناحية الثقافية و في الأنماط الاجتماعية ، حيث يستخدم النوبيون الشلوخ ويختنون الصبيان ويمارسون الختان الفرعوني للبنات ، بينما لا يعرف أهالي جبال النوبا تلك العادات ، ويمارسون عادات تختلف عن عادات نوبة الشمال مثل خلع القواطع و حرق الشفة السفلى للنساء (١٣) . ولا يتسع المجال هنا للخوض فيما يدور من جدال حول هذا الموضوع .

و يلفت استيفنسون (STEVENSON) النظر الى ضرورة التفرقة بين الجماعتين باستعمال اصطلاح (النوبيين) على سكان شمال السودان الى حدود مصر الجنوبية، (و نوباويين) على سكان الجبال في جنوب كردفان (١٤) .
وينحو ذات المنحى البروفسور يوسف فضل حسن عندما يستخدم اصطلاح (النوبة) للدلالة على المجموعة النيلية المعروفة، و(النوبا) للدلالة على ساكني الجبال في كردفان (١٥) . و نحن لأغراض البحث، و لتحديد المفاهيم، سنستخدم الاصطلاح (نوبا) (NUBA) و النسبة منها (نوباوي) للدلالة على سكان الجبال في جنوب كردفان الذين نحن بصدد الحديث عنهم في هذا البحث و اصطلاح (نوبة NUBIAN) و النسبة.(نوبي) على المجموعة النيلية في اقليم دنقلا منعا للخلط و اللبس .
و مما يجدر ذكره ان تعلق المجموعات النوباوية باسم نوبا كثيرا ما يحدث خارج منطقة الجبال ، اما في منطقة الجبال فقد ارتبطت كل مجموعة باسم منطقتها و قلاعها الصخرية ، مما يوحي بان اسم نوبا مصطلح مفروض على مجموعات الجبال، الامر الذي ينشر غيوماً من الشك حول الاصطلاح و محليته . حيث يتفرع النوبا الى جماعات عديدة تختلف ثقافةً و عرقاً و لغةً و ان كانت تجمعهم كلمة (نوبا) التي تشير الى ذلك التجمع الجغرافي او الاقليمي لاناس يعيشون في بيئة مشتركة كما سنعرف ، و لذلك يتعذر اطلاق تسمية قبيلة على هذا (التجمع) ، و يمكن القول ان الشعور القبلي، او بمعنى أدق الاحساس باسم قبلي او اسماء محددة واضحة تستخدمها هذه الجماعات لنفسها لا يوجد، اللهم الا من حيث اظهار هويتها و ذاتيتها بين القبائل الاخرى (١٦) .

و هناك مكونات اساسية شكلت البنية الاجتماعية لمجتمع جبال النوبا. و قد أثرت هذه المكونات ايجاباً و سلباً في تفاعل مجتمع المنطقة. كما شكلت بـوادر الصـراع فيما بعد. و تتمثل اهم هذه المكونات في الآتي :-

١) القبيلة .

٢) الدين .

٣) الواقع الاقتصادى .

٤) التركيبة السياسية .

و سوف نقوم بتناول هذه المكونات بصورة موجزة لنلقي الضـوء علـى دور كـل منها في تشكيل بوادر الصراع في المنطقة .

(١) القبيلة :

كما هو الحال في كل المجتمعات المتخلفـة اقتصاديـاً و ثقافيـاً تعتـبر القبيلـة احـدى ركائز البنية الاجتماعية ، و في منطقـة جبـال النوبـا علـى وجـه الخصـوص تـأخذ القبيلة طابعاً خاصاً و أبعاداً اخرى ، و ذلك للآتي :

أ. وجود انقسام اساسي بين السكان الى عناصر زنجية يمثلها (النوبا) واخرى عربية يمثلها عـرب (البقـارة والحوازمـة و المسيرية) حيث كـانت المنطقـة منـذ ما يناهز القرنين مقصدا لهجـرات قبـائل البقـارة الـتي انتشـرت في سـهول المنطقـة و ظلت تتعايش مع النوبا منذ ذلك الحي.ن و لقد ساعدت الطريقة التي دخل بهـا البقـارة الى المنطقـة علـى التمـازج و الانصهـار، ذلـك ان هـذه القبـائل، خاصـة الحوازمة، لم تعزل نفسها في جزء معين من المنطقة ككتلة واحدة، و إنمـا توزعـت على كل أجزاء المنطقة و جـاورت فروعهـا المختلفـة القبـائل النوباويـة الـتي تليهـا ونشأت بين الجانبين روابـط واتفـاق علـى المصـالح المشـتركة. ولذلـك قلمـا نجـد في الماضي نزاعات اتخذت طابعاً عنصرياً على اساس عرب و نوبا، بل ان التـاريخ يشهد بقيام احلاف نوباويـة عربيـة في مواجهـة احـلاف عربيـة نوباويـة اخـرى .

الا ان الامر لم يعد كذلك عند بدايات دخول التمرد المنطقة. فقد حاول بشتى السبل بذر بذور الفتنة و الشقاق بين ابناء المنطقة ليتسنى له الاستفادة من ابناء النوبا كوقود لحركة التمرد. و قد نجح - بادئ الأمر - في ذلك إيما نجاح وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل في الاجزاء القادمة من البحث .

ب. البعد الثاني للقبيلة في جبال النوبا يختص بالمجموعات النوباوية نفسها. ذلك ان النوبا كما اسلفنا ليسوا قبيلة واحدة كما هو اعتقاد الكثيرين، و انما هم مجموعات تتباين في كثير من العادات و التقاليد. و تقسم قبائل النوبا حسب أشهر الدراسات إلى عشر مجموعات رئيسية تضم كل مجموعة عدة قبائل تتشابه في لغاتها و عاداتها. و هذه المجموعات هي (١٧) :

١) مجموعة الكواليب - مورو : و تضم قبائل الكواليب ، مورو ، هيبان أطورو ، تيرا ، ليرا الى جانب قبائل صغيرة اخرى .

٢) مجموعة تلودي و المساكين : و تضم تلودي ، الليري ، المساكين احرون ، تجو و كلولو .

٣) مجموعة تقلي : و تضم تقلي ، رشاد ، كجكجا ، تفوى ، تومي الموراب و قبائل اخرى .

٤) مجموعة لفوفا : و تضم لفوفا و اميرا .

٥) مجموعة كادقلي : و تضم قبائل كادقلي ، كرنقو ، ميري ، تلشي وكاتشا .

٦) مجموعة تيمين : و تضم قبائل كيقا تيمين و تيسي .

٧) مجموعة كتلا : و تضم كتلا و جلد و تيما .

٨) مجموعة النيمانج : و تضم قبيلة النيمانج و افيتي (شرق جبل الداير) .

٩) مجموعة الاجانج : و تضم قبائل الجبال الست، الغلفان ، الكاركو الوالي ، فندا ، كاشا ، طبق ابوحنوك ، الدلنج ، الكدر، و قبائل صغيرة اخرى .

١٠) مجموعة الداجو : و تضم الداجو ، شات و لقوري .

بينما يقسم (نادل) النوبا الى اربع عشرة جماعة عرقية نتناولها لأهميتها بالدراسة فيما يلي (١٨) :

١) جماعة اوتورو (OTORO)

تعيش هذه الجماعة في المنطقة الواقعة جنوبي هيبان في الجبال الشرقية من جبال النوبا ، و ثمة وجه شبه و تقارب في اللغة بين جماعة هيبان و جماعة او تورو .

٢) التيرا (TERA)

يسكن التيرا في الجبال الواقعة شرق منطقة اوتورو، و تسمى تلك الجبال باسمهم - جبال التيرا - و لكنهم يتركزون بصفة غالبة حول (جبل تيرا الأخضر) وهي موطن رئاستهم و ينقسمون الى جماعات فرعية صغيرة هي : (ام دردو) و (الموند) و (اللموند) و هي اسماء للأماكن التي يعيشون فيها .

٣) المورو (MORO)

لهم صلة ثقافية و لغوية بالتيرا و لكن لم تكن توجد في الماضي روابط زواج ومصاهرة بينهما ، عدا التي كانت بين التيرا لموند و المورو .

ويسكن المورو ثلاث هضاب تقع شمال و شمال شرق تلودي و تفصل بينها ارض سهلية خصبة. و ينقسم المورو الى ثلاث بطون هي (ليبو) (LEBU) و هؤلاء نزح بعضهم بعيداً ناحية الشرق، و من ثم عرفوا لدى العرب باسم (ام دورين)، و البطن الثاني هم (كاين) (KAYIN) و هؤلاء يسكنون في الحافة الشمالية للهضبة، و البطن الثالث هم (اوريين) (Orayin) و هؤلاء

كانوا في الماضي يسكنون السلسلة المنخفضة - الجبال الجنوبية للهضبة - واسمهم هذه مستمد من اسم ذلك المكان .

و في بداية هـذا القـرن استقر المـورو في موطنهـم الحـالي في جبـال (ابـي ليلـي) و(ام راكوبة) و (ام جبر الله) و (كروراك) و هي -كما تبدو- اسمـاء عربيـة اطلقها عليهم العرب الذين اختلطو بهـم . (و المـورو شـكلوا فيمـا بعـد عصـب حركة التمرد كما سنوضح في ابوابنا القادمة) .

٤) كرنقو KARANGO

الى الجـنوب من جبال المورو و الى الشرق من تلودي تقع سلسلة جبال منخفضة نـسبيـاً هـي مـقـر جماعة الكرنقو و المساكين . و يتداخل الكرنقو و المساكين في مـنـطـقـة واحدة ، و يبدوا ان هناك وشائج عرقية بين الجماعتين . و قد اطلق الـعـرب عـليهم هذا الاسم (كرنقو) اشتقاقاً من اسم الجبل، و هم يسكنون هذا الجبل الذي يقع في منطقة المساكين .

٥) المساكين :

ينقسم المساكين الى مجموعتين هما : المساكين الطوال و المساكين القصار ، وهم كـغـيـرهـم من الجماعات النوباوية الاخرى ليست لديهم اسماء قبلية خاصة، أما اصـطلاح (المساكين) و فرعيها (القصار و الطوال) فقد اطلقه عليهم العرب. وواضـح انـها صـفات أكثر من كونها اسماء . و قد يتبادر الى الذهن من اشتراك الجماعتين في الاسم (القصار و الطوال) انهما مـن اصل واحد. و لكن الحقيقة ان كـل واحـدة منهما تتحدث لغة مختلفة عـن الاخرى وتنتمي الى اصل مختلف. لـكـن تـوجـد عـلاقـة رحميـة بين الطوال و جماعة الكرنقو وهما تنتميان الى بطن واحدة هي (الكلاقو) (KALAGO) .

٦) جماعة التلشي (TULLISHI)

تقع جبال تلشي على الحدود الغربية لجبال النوبا و يسكنها عدد قليل نسبياً من

السكان . و يعتقد التلشي ان هذه الجبال هي موطن اجدادهم الاصلي الذي كانوا يسكنونه منذ القدم. و لهذا نجدهم لا يبارحون هذا الجبل الا لماماً و ينكر التلشي أية علاقة دم تربطهم بالجماعات النوباوية الاخرى حتى اولئك الذين تربطهم بهم علاقات نسب و مصاهرة (كالكامدان) (Kamdan) و(الترجك)، و يعزون العلاقة الثقافية والتشابه في اللغة ورشائج المصاهرة للتداخل بينهم و بين تلك الجماعات في الماضي و الحاضر. و ان كانوا لا يعطون دليلاً يبرهن هذا الزعم. و قد دارت أشهر العمليات العسكرية في منطقة جبال النوبا في جبال تلشي. و سنتعرض لها بالتفصيل في الباب الثاني من البحث. كما ان واحدا من قادة التمرد الذين لعبوا دوراً في عملية الاتصالات من اجل السلام من ابناء هذه المنطقة و هو صالح الياس.

٧) الكواليب :

يسكن الكواليب و النيمانج و الدلنج في جوار جغرافي، الا انه لا تجمع بينهم علاقات و روابط ثقافية سوى بعض المسميات الرئيسية للنظم الدينية، و حتى عهد قريب لم تكن بينهم علاقات مصاهرة بالرغم من الجوار و التداخل بينهم . و ينقسم الكواليب الى جماعتين : المجموعة الجنوبية و تسكن جبال (تابيوكور) و (امبير) و (دلامى) و (ميل)، و المجموعة الشمالية و هي تتمركز حول (دلامي) .

٨) جماعة الدلنج :

تقع جبال الدلنج على بعد ستين ميلاً تقريباً غرب (دلامي)، و قد اختلط جماعة الدلنج مع الجماعات النوباوية الإخرى (كالغلفان) و غيرهم ممن استوطن بجوارهم .

و تطلق كلمة (اجنج) (AGANG) لتجمع بين جماعة (الدلنج) و جماعة (والي) و (ام سعيدة) و (والى ام كرم) و (الكجورية) و (الكاركو)

و (الغلفان) و (جماعة كرتالة) . و يقال ان هذه الجماعات الثماني من اصل واحد نزح من موطنه الاصلي في وادي حلفا الى منطقة الدلنج . و لعل ظاهرة التشابه اللغوي بين هذه الجماعات و (نوبة) وادي حلفا تنهض دليلاً على هذا الزعم .

٩) النيمانج :

تقع جبال النيمانج غرب الدلنج. مباشرة و يطلق جماعة النيمانج على انفسهم اسم (أما) (Ama) و يعني بلغتهم (ناس الجبال السبعة) .

١٠) جماعة الكدرو (Kadaro)

يسكن الكدرو في جبال تسمى باسمهم تقع على الحافة الشمالية من جبال النوبا الى الشرق من الدلنج و شمال غرب دلامي .

١١) جماعة الافيتي (AFFITTI)

١٢) جماعة الديتي (DITTI)

تسكن جماعتا الأفيتى و الديتى على جبل الداير الذى يقع على الناحية الشرقية من جبال النوبا . غير أننا لم نقف على أصل جماعة (الديتى)، خاصة و أن لغتهم لم تصنف بعد مع أي من لغات النوبا العشر آنفة الذكر . أما الأفيتى فقد ذهب بعضهم إلى أنهم فرع من فروع جماعة الدلنج .

١٣) الداجو (Dajo)

الداجو قوم ليسوا بعرب، كما انهم ليسوا من النوبا. و لكنهم أقرب فى الشبه الى النوبا ، لا سيما في سماتهم الفيزيقية. و هذا ما جعل (نادل) يصنفهم كواحدة من جماعات النوبا الاربع عشرة . كما ان الداجو لم يشاركوا في التمرد .

و يؤكد كبار السن انه كانت للداجو سلطة و سيادة في اواسط دارفور ولكنهم طُردوا و أُجلوا عنها بواسطة شعب (التنجور) في القرن السادس عشر الميلادي .. و استقروا حول لقاوة في مناطق (الدار الكبيرة) و (كدونج) و (ارنبة)

و (.السليك) و (التمانيك) و (جامانيوك) و (نايكري) و (جبل مهيلا)
و هي ما تسمى الآن بجبال الداجو.

و الداجو قوم مسلمون متمسكون بتعاليم الاسلام و ذوو أخلاق حميدة، وهم بمختلف جماعاتهم في كردفان و دارفور ما زالوا يحتفظون بحسن الولاء و الوفاء لسلطان (الدار الكبيرة) مكان رئاستهم و تمركزهم .

١٤) تقلى (TEGALI)

يطلق اسم تقلى على مساحة تضم قرى عريقة هي (كراته) و (الهوى) و(طاسى) و (جولية) و (السفادرة) حيث قامت مملكة تقلى الاسلامية التي كان لها دور في نشر الاسلام في جبال النوبا . و تقلى هي أقرب الى العرب حتى أضحى التقلاويون اليوم ينكرون أية صلة عرقية لهم بالنوبا .

خلاصة القول ان النوبا قد عاشوا شبه عزلة في الماضي، و لم يكن يجمعهم اصل واحد، و يتحدثون لغات عدة صنفت كما اسلفنا الى عشر مجموعات تتفرع الى لهجات قدرها البعض بحوالي الخمسين لهجة.

المجموعات العربية :-

من أهم المجموعات العربية التي استقرت في منطقة جبال النوبا كما اسلفنا مجموعة البقارة (الحوازمة ، المسيرية ، اولاد حميد) اضافة إلى الكواهلة ، بني هلبة و مجموعات صغيرة اخرى حول تقلى في محافظة الرشاد، بجانب البديرية والغريات في شمال الجبال .

وصول العناصر العربية الى منطقة جبال النوبا أدى الى علاقات كان طابعها عدائيا في البداية.لكن بمرور الزمن و بعد تركيز استقرار البقارة خفت حدة العداء الى حد كبير ، كما برز نشاط تجاري اسهم في تذويب ذلك العداء وغدا البقارة في حاجة الى الغلال و الحبوب, و النوبا في حاجة الى النقود ، حتى سادت روح المحبة و الوئام بين هذه المجموعات . لقد ترك البقارة بصمات واضحة في منطقة

جبال النوبا، لاسيما في مظاهر شعبها و انماط حياتهم. وسنتناول فيما يلي أبرز المجموعات التي كان لها أثر في منطقة جبال النوبا و هي :

أ - الحوازمة :

يشكل الحوازمة غالب الوجود العربي في منطقة جبال النوبا. حيث سكنوا في شرق و وسط الجبال، و ان لم تخل منطقة في الجبال من افراد قبيلتهم غير المناطق التي تنتشر فيها المجموعات العربية الاخرى لا سيما الحمر . و يقضي الحوازمة غالب و قتهم بين شعاب جبال النوبا و يندفعون في فترة الأمطار الى جهة الشمال . و لم يتقيد الحوازمة في رحلاتهم بقوانين موضوعة او سياسات مرسومة، الامر الذي اسهم في بلورة التعريب في المنطقة. و ينقسم الحوازمة الى (خشوم بيوت) رئيسية هي (عبد العال) و (الحلفا) بفتح الحاء واللام و(الرواوقة)، و هناك قسم من الرواوقة يسمى (اولاد النوبا)، و ذلك لاختلاطهم بالدم النوباوي . لقد درج الحوازمة كغيرهم من المجموعات العربية في منطقة جبال النوبا على ابرام الاتفاقيات مع النوبا التي اهتمت بتأطير العلاقات و تلطيف الجو، و اتاحت فرص التفاعل بين المؤثرات العربية و موروثات النوبا. و اهتمت المجموعات العربية بتشجيع المجموعات النوباوية التي تسكن وسطها على الانضمام الى مجموعاتها ، فنجد مجموعة الكواليب في منطقة ام برمبيطة اصبحت جزءاً لا يتجزأ من الحوازمة. و نظراً لاختلاط انسابهم و كثرة التزاوج معهم اصبح من الصعوبة التمييز بينهم و بين الحوازمة .

فاذا اخذنا الرواوقة كأحد أكبر خشوم البيوت التي أثرت في منطقة جبال النوبا من قبيلة الحوازمة من حيث تفاعلهم مع مجتمع النوبا و تصديهم فيما بعد للتمرد ، نجد الرواوقة استقروا في منطقة كادقلي حيث تتكون قبيلة الرواوقة من ست عموديات هي: عمودية دار جامع - عمودية اولاد نوبا - عمودية الفلاتة

– عمودية الديلمية – و عموديتا الشوابنة . و هذه العموديات تضم في داخلها عدة تفريعات اخرى .

لم تكن الرواوقة معزولة عن محيطها، بل أثرت و تأثرت بما حولها من قبائل واستطاعت ان تتعايش سلمياً منذ قدومها الى المنطقة و تقيم احلافاً مع المجموعات النوباوية الاخرى، و يبين الامير عثمان بلال، امير الرواوقة انهم قاتلوا فى أكثر من موقعة الى جانب حلفائهم من القبائل النوباوية، سواء كان ذلك في الحروبات القبلية القديمة، او ابان مناهضة الاستعمار، مما زاد الترابط والاخاء و المصاهرة و تبادل الثقافات، الشئ الذي ادى الى نشر الاسلام و اللغة العربية بين تلك المجموعات (١٩) .

و يمكننا ان نورد بشئ من التفصيل صوراً للتعايش السلمي الذي كان سائداً في المنطقة من خلال استعراضنا لتجربة قبيلة دار جامع، و هي احد عموديات الرواوقة، الفرع الرئيسي لقبيلة الحوازمة بجبال النوبا . حيث حطت دار جامع رحالها بجبال النوبا في منطقة الجبال الوسطى مركز كادقلي ، و بعد وصولها قامت بعقد تحالفات مع المجموعات النوباوية. و كان اول تحالف لها مع قبيلتي (كادقلي) و (ميري) كانت ثمرته المؤاخاة واصلاح ذات البين بين قبيلتى (كادقلى) و (ميرى). ثم امتد التحالف ليشمل (ام لوبة) و (كيقا ميروا) ثم حالفت دار جامع (كيقا الخيل) و (ابوسنون) و (كمدا) و (شاتات). ثم تطور الحلف ليتجاوز الجوانب الاقتصادية و اقتسام المرعى و التعايش السلمي ويصبح أعمق و أقوى، حيث امتد الى الجانب الاجتماعي بالمصاهرة و التزاوج فى حياة تكافلية عميقة تمثلت في عدة مظاهر مثل :

١) مشاركة قبيلة دار جامع و وقفتها الصلبة و سندها لثورة الفكي على الميراوي بتوفير الامداد و المعلومات و اخفاء تحركاته ضد المستعمر. و ذلك بتأثير تحالفها مع قبيلة ميري .

٢) مشاركة قبيلتي كادقلي و ميري لدار جامع في مبايعة الامام المهدي .

٣) عندما ترك كثير من ابناء قبيلة دار جامع الرعي واتجهوا الى الزراعة تقاسموا مع حلفائهم من المجموعات النوباوية الاراضي الزراعية وصولاً الى التآخي و الترابط في أسمى معانيه، لذلك عندما جاء التمرد الى المنطقة و أدى الى نزوح اعداد كبيرة من المواطنين، خاصة النوبا ، هبت قبيلة دار جامع لاستقبالهم و عملت على ايوائهم بالتعاون مع الجهات الرسمية و المنظمات الخيرية وشاركتهم لقمة العيش ، و كلل ذلك بمؤتمر جمع القبائل النازحة و دار جامع في كادقلى بتاريخ ١٩٨٦/٥/١م ، من اجل ذلك الغرض ، فكان بمثابة رد للجميل و صورة اخرى من صور التعايش بين قبائل المنطقة (٢٠) .

ب - المسيرية :

يعد المسيرية من قبائل البقارة الذين استوطنوا منطقة جبال النوبا بشقيهم (الحمر و الزرق)، فقد وفدوا الى المنطقة ضمن الهجرات العربية القديمة اليها، و ان كان تركز المسيرية الحمر في مناطق ولاية غرب كردفان .

لقد درج المسيرية الحمر و الزرق على حركة مد و جزر داخل جبال النوبا ، اذ يبدأون الترحال من شهر نوفمبر حتى مايو ثم يقفلون راجعين بسبب البعوض. و تتمثل مناطق مرعى المسيرية الحمر في منطقة ميري ، كرسي ، اب سنون كانقا ، بحيرة كيلك ، كوقا اللخوال ، ماسنقا ، ليما ، كيقا الخيل. و يظلون في تلك المناطق حتى بداية الخريف حين يرجعون الى كيلك فينشغلون بالزراعة

أما المسيرية الزرق فهم موجودون حول لقاوة و الفولة. و تشمل مناطق مرعاهم اوربا ، كمدا ، الداجو ، الدار الكبير ، سِلحّي ، ابوجنوك و دميك (٢١) .

كانت مشاركة المسيرية واسعةً و مقدرةً في عمليات صد التمرد عن منطقة جبال النوبا ، و ليس أدل على ذلك من ان ابرز قادة الدفاع الشعبي و مؤسسيه بالمنطقة

من ابناء المسيرية و على رأسهم الشهيد احمد عبد الله محمود الشهير (بالكلس) و الذي سيرد ذكره في أبواب البحث القادمة .

و المسيرية الزرق أكثر اختلاطاً بالقبائل النوباوية، حيث تزاوجوا و تصاهروا لذا نجد الدم النوباوي امتزج بدماء القبيلة و اصبحت بشرتهم سوداء، ويصعب تمييزهم عن النوبا . و لقاوة احدى مناطق النوبا بولاية غرب كردفان .

ج - الكواهلة :

كانت قبيلة الكواهلة ضمن مجموعات العرب التي استقرت في منطقة جبال النوبا. و قد تركز وجودها في المنطقة الشرقية من الجبال، لا سيما في مناطق كالوقي ، الليري ، بلولة ، الترتر و التبيرة . و الكواهلة كسائر المجموعات العربية درجوا على القيام بجولات رعوية داخل منطقة الجبال .

و قد امتد أثر الكواهلة الى كثير من المجموعات النوباوية لا سيما قبائل تيرا الليري ، لفوفا ، طلسة ، لمبيرة ، كرندي ، ليمابرة. و برز أثرهم بصورة واضحة في منطقة الليري، نظراً لما اسسوه من علاقة تزاوج و انصهار مع مجموعات منطقة الليري . و الوجود العربي الكاهلي في منطقة جبال النوبا شكل الارضية التي قام عليها نشاط الشيخ البرناوي في منطقة الجبال (٢٢) .

د - قبيلة اولاد حميد :

تعتبر ابوجبيهة مقر قبيلة اولاد حميد، و ينتشرون في مناطق النذارة ، الحلوف حديد و ملم الكور . و قد اعتادوا الرعى في جبل تركي في منطقة تقلى وانصهروا مع المجموعات النوباوية الموجودة و عقدوا تحالفاً مع العديد منها خاصةً قبائل كاونارو .

هـ- قبيلة كنانة :-

انتشرت قبيلة كنانة في الاجزاء الشرقية من جبال النوبا لاسيما مناطق الليري ابو جبيهة ، كالوقي ، الترتر و العباسية تقلى . و يمتد نشاطها الى داخل الجبال

عبر جولات الرعي الموسمية. أسسوا علاقات متينة مع مجموعات النوبا الاخرى خاصةً مع قبائل تقلى و رشاد (٢٣) .

و - الشوابنة :

هي المجموعة المنضوية الآن تحت اسم شيبون. و قد تكونت نتيجة لانصهار مجموعات كثيرة استقرت في جبل شيبون منذ وقت مبكر و في مراحل مختلفة حيث اختلطت بالمجموعات النوباوية التي كانت مستقرة في تلك المناطق . و قد وفدت غالبية تلك المجموعات من جهة تقلى و تمثلت في مجموعات: المسلمية الجلابة ، الحسبلاب ، الجميعاب و الجندياب بجانب الحوازمة و النوبا . والراجح ان الحوازمة يشكلون غالبية مجموعات الشوابنة. و قد اختلط بتلك المجموعات ذات الاصول العربية العنصر النوباوي الذي كان مستقراً في المنطقة (٢٤) .

لقد غدت السمة العربية هي الغالبة على مجموعات الشوابنة، لا سيما في السحنة و اللغة و الثقافة و التقاليد و ضروب النشاط المختلفة. اما السمة النوباوية فقد انحصرت الى حد كبير في الدماء ، و قد استقرت المجموعة اليوم بالقرب من كادقلي في منطقة السمَّة على بعد سبعة أميال تقريباً جنوب كادقلي نتيجة لشح المياه بجبل شيبون. والبعض الآخر استقر شمال تلودي في منطقة مندري. والذين استقروا في منطقة مندري يرجعون اصولهم الى الحسبلاب و العبدلاب والجميعاب . و حتى الذين آثروا البقاء في منطقة جبل شيبون ابتعدوا قليلاً عن الجبل فاستقر بعضهم في منطقة اندرافي (جنوب غرب ام برمبيطة على بعد ٤٥ ميلاً) و البعض الآخر في منطقة عقب (جنوب غرب اندارفى على بعد ١٠ أميال تقريباً) .

ل : مجموعات اخرى :

لقد وفدت الى المنطقة بجانب البقارة مجموعات اخرى، لا سيما رعاة الابل الذين كانت رحلاتهم الى جبال النوبا موسمية. و على رأس هؤلاء الشنابلة .

كذلك يوجد في الحافة الشمالية لجبال النوبا بعض جماعات البديرية و الغريات الذين اختلطوا بالنوبا . و قد نزح فرع البديرية هذا من شمال السودان في القرن الرابع عشر الميلادي و استقر في المنطقة الواقعة شمال الابيض اولاً، ثم جنوب كردفان . و لقد عاشت هذه المجموعات العربية و النوباوية متآلفة لعدد من السنين، و لم تحدث الا الاحتكاكات الطبيعية بين بعضها البعض، الا ان التعايش السلمي كان هو السمة الغالبة .

و إذا نظرنا الى التعايش بين المجموعات العربية و النوباوية في محافظة الرشاد فاننا نجد الصورة أكثر و ضوحاً حينما تتجلى مظاهر التآخي في اسمى معانيه فالمحافظة التي يبلغ عدد سكانها ٤٠٤,٢٧٢ نسمة نجد بها ثلاث مجموعات سكانية هي :

١ - المجموعة العربية و تشمل كنانة و الكواهلة و اولاد حميد و المسيرية والحوازمة و البلولاب و بني هلبة و بمجموعات صغيرة اخرى .

٢ - المجموعة النوباوية و تشمل الكواليب و كاونارو و لوقان، اضافة الى الشلك .

٣ - المجموعة النوباوية التي اختلطت بالدم العربي و هي مجموعة تقلى و نقوني و كحاكحة .

تعتبر محافظة الرشاد من المحافظات النموذجية عندما يأتي الحديث عن التمازج القبلي ، و مما ساعد على هذا التعايش و بلوغة هذه الدرجة النموذجية ان القبائل النوباوية قبائل مسلمة في اغلبها من قبل دخول المجموعات العربية هذه المنطقة، وذلك من جراء تاثير مملكة تقلى الاسلامية، خاصة القبائل التي تسكن المنطقة بين (رشاد) و (الفيض ام عبد الله) و ما حولهما .

لم يسجل التاريخ أي صدام أو حروب قبلية بين المجموعات الموجودة في المنطقة.

و هنالك تحالفات بينها تتمثل في :

١ - تحالف اولاد حميد وكاونارو .

٢- تحالف الكواليب والحوازمة .

٣- تحالف الكواهلة ولوقان .

٤- تحالف كنانة و تقلي و كنانة و رشاد .

و هي تحالفات متينة ما زالت موجودة الى يومنا هذا ، لم يستطع التمرد ان يفضها كما فعل في بعض مناطق الجبال الاخرى، اضافة إلى التمازج الثقافي المتمثل في العادات و التقاليد في الافراح و الأتراح، اذ نجد مظاهر ذلك متمثلة في :

١- رقصة (المردوم) و هي عربية تمارسها جميع قبائل المحافظة النوباوية .

٢- رقصة (الدوملي) النوباوية التي اصبحت تمارسها جميع القبائل العربية .

٣- المصارعة أو (الصُراع) الذي تمارسه المجموعات النوباوية و العربية معاً .

اضافة الى ذلك نجد مجموعات عربية تقع تحت عموديات نوباوية، و العكس صحيح . كما ان التمازج و الاختلاط لا يجعلك تفرق بين العربي والنوباوي(٢٥) .

من أجل ذلك نرى دراسة تاريخ القبائل العربية فى جبال النوبا أمرا ذا أهمية خاصة عند دراسة تاريخ النوبا، ذلك ان الاسلام قد انتشر كثقافة عربية عندما دخلت القبائل العربية المسلمة المنطقة .

ان مسألة التعايش السلمي بين المجموعات العربية و النوباوية قبل دخول التمرد المنطقة وان لم تكن مسألة خلاف، الا اننا نفسح المجال لبعض ابناء النوبا ليدلوا بدلوهم في هذه المسألة. فالاستاذ عبد الفتاح تية كافي (٢٦) يقول: "استوطنت العناصر العربية التي جاءت الى منطقة جبال النوبا في بادئ الامر اطراف الجبال و لم يتوغلوا داخل الجبال الا بعد فترة بعد ان تمت التحالفات بين زعمائهم وزعماء النوبا. و بعدها امتدت التحالفات الى خشوم البيوت الاخرى في شكل صداقات فردية. فالمسيرية الزرق استوطنوا منطقة لقاوة. و الحوازمة في الجزء الشمالي من محافظة الدلنج. و كنانة و الكواهلة و اولاد حميد في محافظة الرشاد.

و بعد هذه التحالفات تم التزاوج فيما بينهم و تم الاختلاط و الأنصهار ، اما العنصر العربي الموجود حالياً بمحافظة كادقلي فهم مجموعة من مختلف خشوم بيوت الحوازمة و يُسمون بالرواوقة. و لقد كانوا اصلاً يقيمون بمناطق الدلنج وحول مدينة الابيض، و كانوا يتبعون ادارياً لنظارة الحوازمة بالدلنج في جميع شؤونهم حتى المالية منها من ضرائب قطعان و خلافه الى عهد قريب ، أي في عهد ثورة الانقاذ الوطني التي أوجدت لهم امارة منفصلة . و لقد تم فصلهم من الناحية المالية عام ١٩٦٥م ، لأنهم كانوا يعاملون معاملة الرعاة . و كلمة الرواوقة تعني انهم كانوا يرقون اماكن للمرعي و المشرب لماشيتهم . و منذ مجئ العرب إلى هذه المنطقة – و الحديث للاستاذ عبد الفتاح تية – لم تحدث أية نزاعات بينهم و المجموعات النوباوية. و يشهد على ذلك تاريخ القضاء السوداني منذ ان كان المستعمر موجوداً. الا ان هنالك احتكاكات فردية بين المزارعين و الرعاة، و هو أمر طبيعي ، و يتم حل هذه المشاكل عرفياً دون ان تمس او تعكر صفو العلاقات . و ما يؤكد متانة هذه العلاقة ان النوبا اودعوا ماشيتهم لدى المجموعات العربية، لان النوبا بطبيعتهم و فطرتهم ينشدون الاستقرار و لا يحبون التجوال. و هم مزارعون. كما ان النوبا يحترمون العهود و لا يحبون الاعتداء على الغير، كما يحترمون الغريب الذي يعيش بينهم .

و في فترة الثورة المهدية استطاعت القبائل العربية التوغل داخل الجبال و تم الاختلاط الحقيقي و التعايش السلمي في حدود المصالح المشتركة ، و عندما جاء الاستعمار الانجليزي حاول بذر بذور الفتنة و الشقاق بين العرب و النوبا. لكنه فشل، و من ذلك تصريحه بحمل السلاح الناري للنوبا بحجة الدفاع عن انفسهم من غارات العرب. فكان ان صُوب هذا السلاح الى صدر المستعمر، بل كان يتبادله النوبا و العرب ضد الانجليز. و لم تشهد المنطقة طيلة وجود الاستعمار نزاعات مسلحة بين النوبا و العرب الى ان نال السودان استقلاله في العام ١٩٥٦م

واستمر الحال كذلك حتى عام ١٩٨٤م بداية دخول التمرد الى جبال النوبا .
و عندما انطلقت الثورات ضد المستعمر التي قادها زعماء النوبا واشهرها ثورة دارجول و السلطان عجبنا في جبال النيمانج و ثورة الفكى على الميراي في جبال ميرى و الملك القديل في تقلى و الملك كوبنقو بالليري، وقفت القبائل العربية موقف المناصر لهذه الثورات، لتتجلى بذلك اسمى صور التعايش بين ابناء الوطن الواحد، حيث وقفوا كلهم صفاً واحداً ضد المستعمر واساليبه".
و يضرب عبد السلام تية امثلة اخرى لصور التعايش الذي كان السمة الغالبة لأبناء الجبال من النوبا و العرب حيث يقول (٢٧) : "العزلة التي فرضت على انسان النوبا تمكن من الخروج منها جزئياً بفضل هجرة المجموعات العربية الى المنطقة، اذ بادرهم انسان المنطقة بحسن الاستقبال و الضيافة. فحدث التمازج والانصهار و التعايش السلمي حتى دخول التمرد منطقة الجبال ، و من صور ذلك : اذا نظرنا الى قبيلة الحوازمة عموماً و فروعها على وجه الخصوص من الديلمية ، دار حامع و اولاد نوبا و غيرهم، نجد أن أيا منهم لا يخلو من اصول نوباوية. و هذا ما يؤكده الكثير منهم. و يحضرني هنا عمدة منطقة (التيس) النوباوي الذى تزوج من فرع دار حامع قبل فترة التمرد و ما زالوا يعيشون هناك حتى بعد دخول التمرد وقيام المتمردين بذبح أهل زوجة العمدة داخل منطقة التيس في بداية التمرد عام ١٩٨٩م . و من الصور الاخرى ان اهلنا البقارة يأتون من بابنوسة و المجلد والفولة فرادى و جماعات بحثاً عن اطفال يقومون بمهمة الرعي مقابل أجر معين في نهاية كل عام، اذ يحضرون الى مناطق ريفي البرام فيستضيفهم الاهالي داخل بيوتهم في قمم الجبال أياما عدة يبحثون معهم خلالها عمن يرغب في ممارسة مهنة الرعي أو من يرغب في ارسال اولاده مع هؤلاء .
و يذهب هؤلاء بالراغبي، و قد يقضي الواحد منهم عدداً من السنين ، و عند عودته يأتي معه العرب الذين استأجروه و معه اجره عبارة عن عدد من الابقار

بعدد السنين التي قضاها. و يتم الاستقبال و التكريم. و في بعض الاحيان يفضل هؤلاء الاطفال البقاء هناك و العيش ومزاولة مهنة الرعي بعد ان يكبروا و يتزوجوا من القبائل العربية. و هناك العديد من هذه الحالات .
اضافة الى ذلك فان التجار الجلابة الذين كانوا يجوبون مناطق جبال النوبا كانت بداياتهم داخل بيوت النوبا. و قد يبقى الواحد منهم عدة شهور الى ان تزدهر تجارته و يتمكن من تشييد منزله و متجره في سفح الجبل .. فأى تعايش وتآخ أكثر من هذا ! " .

هكذا شهدت منطقة جبال النوبا تعايشاً حقيقياً أوجد احساساً بالأمن لدى المواطنين كنتاج طبيعي لوحدة الزرع و المرعى و المورد و المصير المشترك، تلك الوحدة التي أوجدها الرعيل الاول من الاجداد و الآباء عبر الاحلاف والاعراف التي سادت المنطقة . و جبال النوبا كانت و ما تزال - رغم الفتنة التي أحدثها التمرد في السنوات الاخيرة - بوتقة تعايش و تمازج اعراق و ثقافات متباينة. وهي انموذج للوحدة الوطنية و مثال حي لامكانية خلق أمة متجانسة .
و سنلقى في فصول و ابواب البحث التالية الضوء على بقية المكونات التي شكلت بوادر الصراع في منطقة جبال النوبا .

الفصل الثاني

الأسلام في جبال النوبا

تعتبر التركيبة الدينية المكون الأساسـي الثـاني للبنيـة الاجتماعيـة في منطقـة جبـال النوبا بعد القبيلة ، المكون الأول الذي تناولناه في الفصـل الاول مـن هـذا البـاب و سنتناول في هذه الصفحات أحد العوامـل المؤثـرة في تـاريخ الصـراع في المنطقـة والمتمثل في العامل الديني ، و على وجه الخصوص الاسلام و المسيحية .

بواكير الدعوة الاسلامية في جبال النوبا :

عرفت بواكير الدعوة طريقها الى جبال النوبا مـع عـرب البقـارة المسـلمين الذيـن دخلوا اقليم الجبال باحثين عن المراعي الخصبة، و ذلك بعد ان امضـوا ردحـاً مـن الزمان في سهول شمال كردفان و درافور . و كان النوبا في ذلك الحـين ينتشـرون في ربوع اقليمهم و يتجولون ببهائمهم في المناطق الرعوية ، و يزرعون في السهول التي تمتد بين الجبال ، و كان العرب قد دخلوا جنوب كردفان عن طريـق درافـور في شكل مجموعات تمثل تلاحم حاليات، بحثاً عن المراعي والسـكن. و كـان مقـر مملكة الداجو و الشات هي عتمور الدندور الحالي شرق المجلد و كانت عامرة. اذ رحب السلطان بوينقا أو دبنقا بـالضيوف الجـدد بحيوانـاتهم العربيـة (الجمـال). و كان حميدان ابوهزلـة قـد قـام بتقديم العـرب الى مملكـة الداجـو حتـى كـثرت و احتشدت قبائل العرب حول سلطة الداجو و اثاروا مخاوف السـكان الاصليـين لأنهم أقل انضباطاً وتمسكاً بالحياة المنظمة، و مثلما قضى اعراب جهينة غلى مملكة التنحر بدارفور قضوا ايضاً على مملكة الداجو والشات فهُزم الاخـيرون في معركـة الستيب - أربعين كيلومترا جنوب مدينة المجلـد - عـام ١٧٧٠م (٢٨) . و بعـد هزيمة مملكة الداجو دخل العرب ارض النوبـا و نشبت بينهـم و القبـائل النوباويـة عدة حروب تمكن العرب بعدها من التوغل داخل اراضي النوبا، ثم تفرق العـرب في شكل مجموعات قبلية استوطنت كل مجموعة منها منطقة مختلفة عـن الاخـرى.

و لم يجد عرب البقارة مشقة في دخول بلاد النوبا. وفر النوبا لائذين بالجبال، تاركين السهول للمهاجرين يرعون عليها ابقارهم و اغنامهم ويستقرون بها الى يومنا هذا ، و من ثم اصبح البقارة المهاجرون كأهل الجبال وطنيين تماماً فسكن الحوازمة شرق و وسط الجبال والحمر فى الغرب، و المسيرية في الجزء الشمالي و الغربي من الاقليم، و هكذا بقية القبائل على نحو ما ذكرنا في الفصل الأول .

على صعيد آخر نجد ان مجموعات عربية اخرى شقت طريقها الى اقليم كردفان في الوقت الذي كانت فيه المجموعات النوباوية تقطن معظم مناطق اقليم كردفان و من تلك المجموعات العربية البديرية ، الغريات ، الجوامعة و الجليدات، اذ استقرت هى الاخرى و تزاوجت مع قبائل النوبا حوالي القرن السادس عشر الميلادي (٢٩) . ثم تبع ذلك قيام مملكة الفونج و تحرك مجموعات صغيرة من المسلمين الجعليين و الغريات الى جهة الغرب وسط كردفان حيث نتج عن كل ذلك استقرار وتزاوج مع قاطني السهول و اطراف الجبال. و بدأ التفاعل على محورين: المحور اللغوي و الثقافي الذي عن طريقه اكتسبت المجموعات النوباوية اللغة العربية و قدراً من الثقافة الاسلامية، و المحورالعرقي الذي أدى الى امتزاج الدماء النوباوية بالدماء العربية .

و هكذا اصبح الدم العربي يجري في عروق المجموعات النوباوية، و غدا التعريب الثقافي لشعب النوبا أكثر وضوحاً ويمثل مظهراً من مظاهر أسلمة المجموعات النوباوية (٣٠). و رغم ذلك التدفق الهائل للمجموعات العربية لم تثبت قدم للاسلام في جبال النوبا حتى القرن السادس عشر الميلادي حين غدت كجزيرة وسط محيط من الدماء العربية، منعزلة و محتفظة بطابع السودان الأوسط ، ربما في قدسيات شعبها و مظاهر حياته .

و يمكن القول ان ذلك يرجع الى عدة عوامل يتصل بعضها بطبيعة المنطقة ذات البنية الصخرية التي يصعب التنقل عليها ، بجانب عدم توفر الأمن نظراً للغارات القبلية، و ربما بسبب التنوع اللغوي الذي عرفته المنطقة كما عرفنا في الفصل الأول . و قد شكل كل ذلك حاجزاً امام انتشار الاسلام في منطقة جبال النوبا بالسرعة المطلوبة، مضافا الى ذلك محدودية الوعي والالتزام الاسلامي عند قبائل البقارة نفسها .

و تعد منطقة جبال تقلى في أقصى الشمال الشرقي لجبال النوبا أولى مناطق الجبال تأثراً بالاسلام، و يعزى ذلك الى سهولة الوصول اليها. و لم تكن اسلمة المنطقة نتيجة للهجرة على نطاق واسع ، بقدر ما كانت عبر جهود احد الزهاد من رجال الدين وهو (محمد الجعلي) الذي استقر في منطقة تقلى حوالي سنة ١٥٤٠م (٣١) ، و بفضل جهود محمد الجعلي و من بعده ابنه (ابوجريدة) تم تأسيس مملكة تقلى الاسلامية التي مثلت اول كيان سياسي قام بنشر الاسلام في جبال ألنوبا، لا سيما في الاجزاء الشرقية منها . كما امتد تاثير مملكتي الفونج والفور الى جبال النوبا، الا أن أثر الفونج كان أعظم ، اذ ان جنوب كردفان ارتبطت بسنار أكثر من ارتباطها بدارفور ، لأن سنار كانت حتى عام ١٧٨٨م قوة مؤثرة في هذا الاقليم . ذلك ان نفوذ دارفور في اقليم جبال النوبا تضاءل منذ وفاة سليمان سولنج في عام ١٦٣٧م ، مما دفع (بادي ابا دقن) في منتصف القرن السابع عشر الى اخضاع مملكة تقلى و جعلها رافداً لسنار، فظلت على خضوعها لسنار حتى عام ١٧٨٨م (٣٢) .

اما عن انتشار الاسلام في فترة العهد التركي المصري فانه لم يأخذ مظهراً واضحاً، بل شهد انحساراً بتأثير جو الارهاب الذي ساد منطقة جبال النوبا في تلك الفترة وتمثل في تجريد الحملات العسكرية لجلب الرقيق. فقد ذُكر انه في سنة ١٨٢٤م ، أي بعد اربع سنوات من الاحتلال التركي المصري للسودان قُدِّر عدد

النوبا المأسورين بما يقارب الأربعين الفاً ، و أن العدد قفز إلى مائتى الف في عام ١٨٣٩م (٣٣) ، كما تعرضت بعض الجبال الشمالية الى ضروب من الابادة والتقتيل، بينما دفعت جبال أخرى مثل الدلنج و كادرو و غلفان جزية رقيق وأمدت الجيش بالجنود . وبالرغم من ان المبالغة ظاهرة في الارقام المذكورة آنفاً، الا ان ذلك ينهض دليلاً على الظروف القاسية التي عاشها النوبا جراء هذه التجارة، الامر الذي جعلهم ينفرون من الغير و لا يثقون في أي غريب ، و كان لذلك أثره السيئ المتمثل في تأخر نشر الدعوة الاسلاميّة .

الثورة المهدية و جبال النوبا :

باندلاع الثورة المهدية انزاح كابوس الحكم التركي الذي جثم على صدر البلاد لأكثر من نصف قرن من الزمان. ولكن مما يؤسف له ان نصيب جبال النوبا من انتشار الاسلام في فترة المهدية لم يكن بأحسن منه في ما مضى على الرغم من أن المهدي كانت له صلة قوية بالجبال، اذ قام بطواف في مديرية كردفان وجبال النوبا يسر بالدعوة الى من يثق به و بتأييده . و قد عاهده البعض، خاصة الملك آدم ام دبالو ملك جبال تقلى (٣٤) .

كان المهدي عندما تيقن من عزم الحكومة على تجهيز قوة كبيرة لحربه، و رأى ان الجزيرة أبا و تلك الجهات التي حولها لا تصلح لملاقاة قوات كبيرة ، قرّ رأيه على الهجرة الى جبال النوبا ، و عندما شارفوا حدود تقلى أذن الملك آدم ام دبالو للمهدي بدخول داره حسبما وعد به من قبل . و أول منهل نزلوه فى تقلى هو الزمزمية ، و أمدهم أرباب جهة (ام طلحة) بما هم في حاجة اليه من طعام و شراب ، و هناك بدأ سكان بعض الجبال و العربان النازلون في الأودية الإنضمام الى راية المهدي . و لم يكتف الملك آدم ام دبالو بذلك، بل كانت عيونه تتنسم الاخبار من جهة الحكومة، فعلمت بخروج محمد سعيد باشا مدير كردفان من الأبيض على رأس قوة كبيرة مقتفياً أثر المهدي. و اشار الملك على

المهدي بالارتحال الى مكان حصين يدعي (بطن أمك)، و هو ما يحتمي به أهل تقلى اذا ما اعلنوا عصيانهم على الحكومة فلا تنالهم جيوشها مهما حاولت .

و بالفعل ارتحل المهدي الى (بطن امك) و وجده مخضراً، و بعد اقامتهم في ذلك الموطن ثلاثة ايام وصل محمد سعيد باشا الى حدود تقلى، و تبين له ان الملك لن يسمح له بدخول منطقته، وكان قد وصل آنذاك الى المنهل الذي تركه المهدي و هو الزمزمية ، و علم سكان الجهة ان الملك لم يسمح للباشا بدخول تقلى ، فدبروا خطةً لارهابه بالليل. وصعد جماعة منهم و بأيديهم السلاح الناري الى رؤوس الجبال المحيطة بالمنهل ليلاً واطلقوا النار من بنادقهم، فكان لها دوي مروع تجاوبت اصداؤه بالجبال. فاستفهم محمد سعيد فقيل له انه المهدي وصحبه، و لكنه لا ينالك بسوء و انت في داخل دارنا . فطلب من (أرباب) الجهة (مندوب الملك في الجهات) ان يخرجه و جيشه من أقرب طريق، فخرج بعد ان دفع ألفي ريال بصفة (أدبة) للملك آدم لانه دخل داره دون اذنه (٣٥) بعدها توجه المهدي الى جبل قدير واتخذه مستقرا، لموقعه الاستراتيجي و لترحيب الملك ناصر الكتابي به ، و من هنا بدأ المهدي ينشر دعوته على نطاق واسع. فارسلت الحكومة التركية قوة من الشلك بقيادة مدير فاشودة، فنصب المهدي لها كميناً وقضى عليها تماماً. و على أثر هذه الحملة ارسلت الحكومة التركية حملة بقيادة الشلالي باشا عام ١٨٨٢م ، أبادها الثوار عن بكرة ابيها. و كان نبأ هذه الانتصارات المنطلقة من الجبال هو الشرارة التي اشعلت الثورة في ارجاء البلاد. فاندلعت في الشمال و الجزيرة و دارفور باسم المهدي . وبعد انتصاره على ود الشلالي و قبل ان يتوجه الى الأبيض مكث المهدي نحو شهر في جبال الكواليب عندما حبسته الامطار بها . و عندما غادرها ترك بها اسلحته النارية التي غنمها من المواقع الثلاثة (٣٦) .

اراد الامام المهدي منذ خروجه من قدير ان يوثق صلة جبال النوبا بالثورة المهدية و ان يبادلها نفس الشعور الطيب الذي وجده عند اهلها ، و لذلك جعلها عمالة و عين عليها محمود عبد القادر الذي كان كثير الاهتمام بجبال النوبا .

و عندما تحرك المهدي باتجاه الخرطوم كان جبل الداير ما يزال خارجاً عن طاعته، و ارتد بعض اهالي الجبال الآخرين و تخلفوا عن الجهاد و رجعوا الى اوطانهم باسلحتهم و معداتهم، بل اظهروا ارتدارهم عن المهدية، فأقلق ذلك المهدي وجعله يهتم بمنطقة كردفان وجبال النوبا باعتبارها المنطقة التي ولدت فيها المهدية و ترعرعت و اصبحت معقل أنصاره و مصدر قوته و دعمه. لذا أصدر أمره عقب سقوط الخرطوم مباشرة بتعيين حمدان ابي عنجة عاملاً على جبال النوبا، و ذلك في مارس ١٨٨٥م (٣٧) ، و هو احد ابنائها البارزين في ذلك الوقت من قبيلة المندل احدى قبائل جبال الدلنج الغربية وكان يعمل مع الزبير باشا رحمة. و عند ظهور المهدي انضم اليه وشارك في حصار الابيض وفي معركة شيكان. و اثناء حصار الخرطوم استولى على ام درمان.

و كانت استراتيجية المهدي في تعيينه هي ادخال النوبا في دولة المهدية و نشر مبادئها و تعاليمها واقامة شعائر الاسلام فيها، و ألا يتم نشر مبادئ المهدية الا بدخول النوبا في الاسلام، و عليه ان يجند هؤلاء السكان جنوداً في صفوف جيش المهدي دون اراقة دماء الا عند الضرورة القصوى، و ان يمنع الانصار من التعدي على السكان، وان يكون عادلاً عند تسليم الغنائم و توزيع الغلال . وقام حمدان ابوعنجة وهو في طريقه الى الجبال باجراء بعض التنظيمات المالية والادارية في المناطق التي مر بها و جعل القضاء تحت اشرافه، وذلك تأميناً لخط سيره و حفاظاً على النظام . و عندما توغل داخل مناطق جبال النوبا اصطدم بعدة مقاومات حتى فرض سيطرته على المنطقة و اخضع الجبال بالقوة. و جمع حمدان رؤساء و ملوك النوبا بدعوى التفاوض وعقد المعاهدات معهم، الا انه خدعهم

واعتقلهم و ارسلهم الى ام درمان، مما تسبب في خلو معظم الجبال من القيادات السياسية، وبالتالي ضعفت مقاومتهم و سهلت مهمة اخضاعهم لدولة المهدية (٣٨) .

و على الرغم من توجيهات الإمام المهدي الواضحة، الا انه لم تكن هنالك جهود موجهة لنشر الاسلام في منطقة جبال النوبا. اذ ظل الاسلام ينتشر عبر الوسائل التقليدية المألوفة ، اذ لم يعمل امراء المهدية على نشر الدعوة الاسلامية. بل بدت منهم الكثير من الممارسات الخاطئة ضد كثير من قبائل النوبا مثل (الغلفان) و(الكرنقو) و(ديري) و(كاتيل) و(الدلنج) و بعض اجزاء من (الكدرو)، إذ اخذوا أهل هذه المناطق اسرى الى ام درمان، بيد ان معظمهم عاد بعد واقعة ام درمان سنة ١٨٩٨م . أما جبال (النيمانج) و(جلود) و(كتلا) و(تيمين) و(الكواليب) و(جبال التولشي) فلم تستطع جيوش المهدية الوصول اليها و لم يفلح في هزيمتها. و ذلك لحصانة تلك الجبال ومناعتها . بل يذكر ان بعض هذه الجبال غنم الكثير من (بنادق) الأمراء أثناء محاولاتهم الفاشلة المتكررة للهجوم على هذه الجبال (٣٩) ان ممارسة امراء المهدية في جبال النوبا كانت بحق ذات آثار وخيمة في تاريخ المهدية. اذ قد اعتمد الامراء و اتباعهم - لجهل منهم بسماحة الاسلام - على القوة و السيف بدلاً من ان يأخذوا الناس بالتي هي أحسن . و كان لتلك المعاملة أثر واضح في سكان جبال النوبا، فانزووا مرة اخرى في قمم الجبال و عاشوا في عزلة عن المجموعات السكانية الأخرى . ولذلك تأخر المد الاسلامي في هذه المناطق كثيراً و لم يواكب ما كان يجري في شمال البلاد، هذا فضلاً عن ان الجبال قد مكنت النوبا من الاحتفاظ بثقافتهم وتسببت العزلة في بقاء الكثير من العادات و التقاليد و الديانات الوثنية رغم توغل بعض المؤثرات الاسلامية و رغم التداخل بين العرب و النوبا المتمثل في التزاوج عن طريق

المصاهرة خلال الفترة الطويلة التي اعقبت هجرة العرب المسلمين الى سهول كردفان في القرنين الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين(٤٠) .

أما فترة الحكم البريطاني، فبالرغم مما قامت به السلطات البريطانية من جهود لتطويق الخلايا الاسلامية و تصفية المؤثرات الاسلامية في منطقة جبال النوبا ودعم اتجاه تطوير النوبا على اساس وثني مسيحي، الا ان حالات الاستقرار التي نشأت منذ قدوم الحكم البريطاني قد زادت من درجة التعريب و عمقت اسلام النوبا (٤١)، بل و شكلت معولاً أجهض سياسة الحكومة البريطانية و ارغمها على تقرير حقيقة الواقع الاسلامي و تجسيد تطلعاته وتلبية رغباته، لا سيما في الحقل التعليمي ، و ذلك لأن الانجليز عندما احتلوا اقليم كردفان ١٨٩٦م لم يكن هناك موقع في الجبال يجد العربي نفسه غريباً فيه ، فقد انتشرت المجموعات العربية المسلمة في الجبال بمواشيها و خبرت دروبها جيداً. و قد كان من اهداف السياسة البريطانية في كل الدول التي استعمرتها - خاصة السودان و نيجيريا - تقسيمها الى مجموعات قبلية على ضوء العرقية و الثقافية و الديانة ، لتحكم قبضتها من خلال ذلك التفرق . و على هذا حاولت الحكومة البريطانية فصل المجموعات الزنجية السوداء كمناطق وثنية و عزلها بقدر الامكان عن بقية أجزاء السودان الشمالية المعربة المسلمة. و تضم هذه المنطقة الزنجية السوداء مديريات جنوب السودان الثلاث سابقاً (بحر الغزال و أعالي النيل و الاستوائية) و جبال النوبا في جنوب كردفان و منطقة الانقسنا في جنوب النيل الازرق، و كانت حكومة الاحتلال تهدف الى جعل هذه المناطق وحدات عرقية تعمل على تطويرها وفق العادات والتقاليد والمعتقدات الموروثة فيها، بل قد كانت تعمل لفصل هذه المنطقة الزنجية السوداء الوثنية عن شمال السودان (العربي المسلم) وضمها ادارياً الى احدى دول وسط افريقيا (٤٢).

سعت حكومة الاحتلال بالفعل الى عزل منطقة جبال النوبا عن القبائل العربية المسلمة التي دخلتها من الشمال، و وضعت لذلك سياسة ادارية خاصة سمتها (سياسة النوبا Nuba Policy)لحجب الاقليم عن تأثير العرب المسلمين في وقت كان فيه اقليم الجبال جزءاً من مديرية كردفان، تلك المساحة المعربة المسلمة كلية. و لهذا واجهت الحكومة البريطانية عنتاً كبيراً عند تطبيق هذه السياسة التي وضعتها، وقد عملت من حيث لا تدري على التمهيد لانتشار الاسلام بين النوبا ، و هذا ما سنتطرق اليه في الصفحات القادمة.

أما عن الوسائل التى عززت الوجود الاسلامي في منطقة جبال النوبا و أسهمت في استعراب المجموعات النوباوية، فقد تعددت اشكالها. و من تلك الوسائل انتشار المجموعات العربية فى سهول المنطقة و استقرار بعضها وسط المجموعات النوباوية على الرغم من ان البعض يرى أن أثرها كان ضئيلاً، و ذلك لمحدودية الوعي و الالتزام الاسلامي عند قبائل البقارة نفسها. الا انه يمكن القول ان دورها كان مقدراً، خاصة في مجال التعريب، الأمر الذي شكل أرضية صالحة قام عليها الاسلام في منطقة جبال النوبا. وتعد الطرق الصوفية أبرز الوسائل التي دعمت الوجود الاسلامي في منطقة جبال النوبا.

أما الوسائل الاخرى التي اسهمت في نشر الاسلام في منطقة جبال النوبا فتتمثل في الدعاة الاسلاميين و المجموعات الافريقية (الفلاتة ، البرقو ، البرنو ، الهوسا) و التجار و مجندى الجيش و البوليس و الأسرى و الرقيق. ثم كان للتواصل بين النوبا و غيرهم عن طريق الهجرة الى المدن الرئيسية في شمال البلاد، بجانب ما أدخل من زراعة القطن. وقد أتاحت كل تلك الوسائل للمؤثرات الاسلامية الانفتاح على الواقع الوثني المحلي. و منذ العشرينيات من هذا القرن اخذت الدعوة الاسلامية شكلاً شبه منتظم عن طريق رجال الطرق الصوفية المتمثل في دور الشيخ محمد الامين القرشي و غيره. ثم جاء دور التعليم النظامي ليصبح رافداً

مهما آخر للدعوة الاسلامية. كما كان لمنظمة الدعوة الاسلامية دور بارز في هذا المجال، خاصة قبل دخول التمرد الى المنطقة في منتصف الثمانينيات(٤٣).

أما عن درجة إسلام و استعراب المجموعـات النوباوية (أي قـدر انتمائهـا العربـي الاسلامى) فيمكن القول انهـا أعمـق مـن اسـلام و اسـتعراب المجموعـات النيليـة (قبائل جنوب السودان), و لعل ذلك يرتبط بعدة عوامل قد تتصل بنواح جغرافيـة وتاريخية وسياسية. وواقع الأمر ان انتشار الاسلام بين المجموعات النوباوية نفسـها غير متساو في درجته. اذ ان هنـاك مجموعـات اسـلامية خالصـة واخـرى تتخللهـا جيوب وثنية، وثالثة تجمع بين هذه و تلك. و بصفة عامة يشكل المسـلمون اليـوم حوالي ٧٥ ٪ من سكان جبال النوبا، و يتركز الاسلام في المنطقـة الشـرقية حـول العباسية تقلى، اذ تبلغ نسبة الاسلام ١٠٠ ٪. كما يتركز في احزاء واسـعة مـن المنطقة الشمالية و الغربية (الدلنج ، لقاوة) و الاجزاء الغربية مـن المنطقـة الجنوبيـة (ميري) و الجزء الشرقي من المنطقة الجنوبية (تلودي، كالوقي و الليري)(٤٤).

و هنالك ملاحظتان أساسيتان تجدر الاشارة اليهما عند الحديـث عـن الاسـلام في جبال النوبا و هما :

١. ضعـف الوعـي الاسـلامي عنـد المسـلمين و خلـط الاسـلام ببعـض التقـاليد والمعتقدات الوثنية .

٢.غياب البعد السياسي للدين بحيـث تعلـو الاعتبـارات العنصريـة و القبليـة علـى الاعتبارات الدينية في القضايا السياسية .

و يمكننـا ان نتنـاول بعـض الوسـائل و المؤثـرات الـتي شـكلت الواقـع الاسـلامي وساهمت في نشر اللغة العربية في جبال النوبا، و ان كنا قد تناولنا بعضـاً منهـا في ثنايا الصفحات السابقة، خاصة دور المجموعات العربية. وسـنتناول في الصفحـات التالية بعضاً من تلك المؤثرات تتمثل في الآتي :

١. مملكة تقلى و دورها في نشر الاسلام في جبال النوبا :

قامت مملكة تقلى في منطقة سهلية نسبياً و غير وعرة هي جبال تقلى الواقعة في أقصى الشمال الشرقي من جبال النوبا في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، وكان اسم (تقلى) يطلق على المنطقة الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من جبال النوبا والتي تمتد جنوباً حتى جبال (رشاد)، و شمالاً حتى خور (ابي حبل) و تلال كردفان، وشرقاً حتى جبل (ابي دوم) و تحدها غرباً جبال (الكجا كجة) و تضم قرى ذات ماض عريق هي (كراية) و(الهوى) و(طاسى) و(السنادرة) و(جولية)، ثم توسعت المملكة بعد دخول الاسلام اليها.

ارتبط تأسيس مملكة تقلى بأحد الدعاة الذين خرجوا ينشرون الاسلام في الجبال بعد توطيد مملكة الفونج التي شجعت العلماء و رجال التصوف على القدوم الى السودان، حيث وصل الداعية (محمد) الذي عرف فيما بعد بـ(الجعلي) الى تقلى إبان حكم ملكها الوثني (كبر كبر)، وذلك في مطلع القرن السادس عشر الميلادي حوالي سنة ١٥٣٠م، و سرعان ما ظفر محمد الجعلي بقلوب سكان تقلى بورعه و حسن اخلاقه و طيب معشره ، وتُوج ذلك بان زوجه سلطان تقلى (كبر كبر) من ابنته التى ولدت له ولداً سماه (أبا جريدة) ورث عن ابيه طيبته و ساعده في نشر الاسلام فيما جاوره (٤٥). و ذلك في نحو ١٥٤٠م، وسعى محمد الجعلي الى نشر الاسلام بين سكان تقلى ووجدت محاولته قبولاً طيباً بين اوساط الناس. و لما كبر ابنه (ابو جريدة) سار على هدى والده و أخذ يساعده في بث تعاليم الاسلام بين أهله، و بعد وفاة جده (كبر كبر) ورث ابو جريدة زعامة اهله منتفعاً بنظام الوراثة عن طريق الأم، وذلك فى نحو ١٥٧٠م، حين ولدت مملكة تقلى الاسلامية التي ظلت تسيطر على المنطقة حتى آخر القرن التاسع عشر (٤٦). و منذ ذلك الحين اصبح نظام الوراثة ابوياً على عادة العرب بعد ان كان أموياً على عادة تقلى و غيرها من القبائل الزنجية آنذاك.

كان لهذه المملكة أثر كبير في نشر الاسلام و الثقافة العربية في تلك المنطقة. فنشأتها لا شك مرحلة هامة من مراحل إنتقال النفوذ الاسلامي الذي بدأ بقيام امارة العمري في الصحراء الشرقية و زعامة بني الكنز في ارض المريس، ثم أخذ يمتد تدريجياً نحو الجنوب حتى آتى أكله بقيام ممالك الفونج و الفور و تقلي.

كان ابو جريدة ذا شخصية قوية و لم يدخر وسعاً في توطيد ملكه بتشجيع هجرة العرب المسلمين من السودان الشمالي. و عمل على توسيع مملكته باتباعه سياسة نشر الاسلام. فكان لهذه السياسة أثر كبير في بث الدعوة الاسلامية والثقافة العربية في تلك المنطقة. وعلى الرغم من قيام تقلي في منطقة وعرة نائية لا تقل وعورة عن منطقة السدود في جنوب السودان، و في بيئة جبلية لم يألف العرب الحياة فيها من قبل، استطاع العرب ان يتوغلوا و ان يتأقلموا، و من ثم صاروا رواداً لنشر الاسلام و الثقافة العربية في تلك المنطقة.

ان مملكة تقلي كانت بمثابة رأس الرمح لانتشار الثقافة العربية والاسلامية وبفضل جهود ملوكها صار سكانها الوثنيون وقبائلها المختلفة أمة واحدة تدين بالاسلام و تتمثل بعض مظاهر الثقافة العربية(٤٧). ويظهر ذلك جلياً لكل زائر حين يجد في كل قرية زاوية تجمع بين مدرسة و مسجد يكون قد أسسهما أحد الرجال المشهورين بجهودهم و باشر الاشراف عليهما أحد احفاده، و ظلت بعض هذه الزوايا تتمتع بشهرة كبيرة، مما يشهد بطبيعة الاهالي الدينية العميقة، و قد لجأ الامام المهدي الى احدى هذه الزوايا في قدير في احدى مراحل جهاده فلقي فيها كل ترحيب(٤٨).

حول ابو جريدة عاصمة مملكته من (تقل - أرو) الى (الهوى Hoi) التي تقع الى الشمال منها على مسافة تبعد نصف ميل تقريباً، و بنى فيها مسجداً و شيد (حوشه) من الحجارة و الطين و اتخذها مركزاً للدعوة الاسلامية حتى مات بها. و عندما مات ابوجريدة سنة ١٥٨٥م، كانت مملكة تقلي قد بسطت نفوذها على

معظم جبال النوبا الشرقية، وقد كان يساعده في ذلك ابنه (صابو). ودفن ابوجريدة في حوشه في الهوى و لايزال ضريحه باقيا بها. ثم حول (صابو) العاصمة الى (تودم Todim) غرب الهوى على مسافة ثلاثة اميال تقريباً . ومن ثم تعاقب عليها من بعده ابنه (جيلى عمارة) و احفاده (عمر أبو شعيره) و (جيلى عون الله) و جميعهم دفنوا في حوش جدهم ابى جريدة في الهوى هم و اقرباؤهم و وزراؤهم. و يرجع الى هؤلاء جميعاً الفضل في بناء مملكة عظيمة قوامها الإسلام(٤٩).

من الواضح ان نشر الاسلام لدى ملوك تقلى كان نهجاً سياسياً. اذ انهم اتخذوا سياسة مرسومة لنشر الاسلام و التعريب في تلك الجهات الوعرة. و تمثلت سمات تلك السياسة في تغيير المفاهيم السائدة في المنطقة واحلال الاسلام والثقافة العربية محلها عبر نشر السلام من جانب وايجاد عناصر تحمل المفاهيم الأسلامية من جانب آخر، و ذلك عن طريق التزاوج مع القبائل النوباوية. و لكن بعض الامراء رأوا ان هاتين الطريقتين لا تفيان وحدهما بالغرض بالسرعة المطلوبة. لذا اهتموا بتشجيع القبائل العربية على الهجرة والاستيطان في منطقة جبال النوبا(٥٠).

و لقد استجاب لذلك التشجيع الكثيرون من مجموعات الجعليين من الاقاليم الغربية بجانب جماعات من البديرية والجوامعة و بطون من قبيلتي الكواهلة و كنانة. و قد مُنحت كل مجموعة من تلك المجموعات العربية منطقة نفوذ لنشر الدين (٥١).

مملكة تقلي في عهد الحكم التركي :

يؤرخ الحكم التركي لبداية عهد جديد في مملكة تقلى الاسلامية يختلف فيه طابع الحكم عن العهد الاول الذي كان هم الملوك الأول فيه نشر الدعوة الاسلامية وبث التعليم. فقد نشبت الخلافات وسط العائلة المالكة في هذا العهد وبدأت الصراعات حول كرسي الملك.

فعندما غزا محمد علي باشا السودان ١٨٢١م ، كان ملك تقلي بيد الملك عمر بن ابكر (١٨١٤م - ١٨٢٧م)، و كان محمد علي قد قضي على ما تبقى من مملكة الفونج، غير ان هذا الامر لم يكن مروعاً لتقلي لما كانت تشعر به من قوة و منعة و حصانة، و لكن بعد موت الملك عمر نشبت نزاعات بين الاسرة المالكة في تقلي على تاج الملك. فاستنصر (ناصر) الابن الاكبر بالخديوي خورشيد باشا الحاكم العام في الخرطوم (١٨٢٦م - ١٨٣٧م) على عمه او اخيه - على خلاف في الروايات - (المريود) فوجد الخديوي بذلك مبرراً لغزو الجبال، و قد كان يتوق الى ذلك بغية الحصول على الرقيق. فأرسل الخديوي حملة قضت على (المريود) و نصبت (ناصر) ملكاً على تقلي و فرضت عليه ضريبة سنوية من العبيد و العاج. و عادت الحملة ادراجها بغنيمة كبيرة تقدر بحوالي اثني عشر ألفاً من الرقيق(٥٢). و قد بلغت المملكة في عهد ناصر (١٨٤٤م - ١٨٥٩م) أوج ازدهارها في النواحي السياسية. و قد اضاف ناصر اراضي جديدة الى المملكة و بسط نفوذه على القبائل الرعوية في المنطقة: الأحامدة في الشرق حول جبل ام طلحة، الكواهلة وكنانة. و في الغرب المسيرية و الحوازمة و الهبانية و اولاد حميد. و أصبح هؤلاء جميعاً يدفعون ضريبة سنوية لملك تقلي. اما الجوامعة و الجمع في اقصى الشمال و الشرق، فلم يدخلوا تحت نفوذ تقلي، و لكن كانت تربطهم بهم علاقات صداقة و جوار(٥٣).

أما الأزدهار الاقتصادي للملكة فكان في عهد الملك آدم ام دبالو بن عمر (١٨٥٩م - ١٨٨٤م) ، الذي اطاح بعمه و صهره الملك ناصر و استولى على الحكم. و بمجرد ان آل الامر اليه حول عاصمة المملكة من (طاسى) الى (كراية) و بنى فيها حوشه و شجع التجار على التحول اليها. فقامت عدة متاجر في (كراية)، و عمل على انعاش اقتصاد المملكة بشتى السبل، و لم تكن هنالك اتصالات مع الخرطوم الا لماماً. و لكن كانت العلاقات التجارية قائمة بين المملكة

و الابيض و مصر عن طريق الاربعين. و بازدهار التجارة أثرت المملكة و ارتفعت دخول الافراد. و يقال انه قد كان للملك آدم ام دبالو مخزن ضخم لسن الفيل في (كاليندة)، و تبع هذا الانتعاش الاقتصادي نمو في عدد السكان الى حد كبير. و تدل على ذلك الآثار و الأطلال الكثيرة التى ما زالت تقف شاهدة على ذلك في جبال (طاسى) و(كراية) و(السنادرة) و(مندرابة) و(ام طلحة) .... إلخ. و تبع هذا ايضاً التوسع في بناء دور العلم و العبادة من مساجد وخلاو، حتى قيل انه قد اصبح في كل قرية مسجد و خلوة لتحفيظ القرآن الكريم. و قد حاولت الحكومة التركية ان تأخذ من الملك آدم ام دبالو الضريبة السنوية التي كان يؤديها الملك ناصر، الا انه امتنع عن ذلك فأرسلت اليه تجريدة عسكرية اجبرته على ذلك، لكنه اوقفها بعد سنة او سنتي،ن و مما شجعه على ذلك التحدي البعد عن الخرطوم وحصانة الجبال. و استمر في الحكم حتى المهدية، فكانت السنوات العشر الاخيرة تعد بحق العصر الذهبي لمملكة تقلى، اذ وصلت حدود المملكة الى اقصى حد لها و توسعت الزراعة و نشطت التجارة وأثرت البلاد و تربع السلام على ربوعها فازداد عدد السكان تحت قيادة "ملك قوي عادل حكيم ......"(٥٤).

مملكة تقلي في عهد المهدية :

في السنة الثانية و العشرين من حكم الملك آدم أم دبالو سنة ١٨٨١م ، هاجر الامام محمد أحمد المهدي الى قدير ماراً بتقلى . و لما كان اتباع المهدي قليلي العدد آنذاك طلب المهدي مساعدة الملك آدم الذي كان معروفاً و مشهوراً لدى الحكومة التركية بقوته و حصانة مملكته ، و كان الملك آدم يتفق مع المهدي في هدفه الذي هو القضاء على التركية. لذا استقبله ايما استقبال، بل عندما ارتحل المهدي أرسل الملك آدم معه ابنه عمر الى قدير. و بعد سقوط الابيض في يد المهدي سنة ١٨٨٣م استدعى الملك آدم ام دبالو ومستشاريه الى الابيض ومعهم

ابناء الملك آدم ام دبالو (جيلي) و (الطاهر) و (ابو فلج). و عندما وصلوا الى الابيض وضع بعضهم في الحبس و قتل البعض الآخر. اما الملك آدم فقد كان نصيبه الحبس هو و ابناؤه، و ظلوا معتقلين في معسكر المهدي لبضعة شهور حتى مات آدم ام دبالو في (شبشة) عندما كان المهدي في طريقه الى الخرطوم . اما ابناؤه فقد ظلوا في الحبس حتى تمكنوا من الفرار و عادوا الى تقلى (٥٥) و ربما يعود تصرف الامام المهدي الى انه كان قد طلب من الملك آدم ام دبالو العون عندما كان في قدير و لكن الاخير رفض ذلك. و ربما كان الحبس لان المهدي يريد ان يفرض سيطرته على تقلى بافراغها من قيادتها التقليدية .

حينما هرب ابناء الملك آدم ام دبالو الذين كانوا في حبس المهدي لم تكن حينها الاحوال في المملكة تجري على مايرام . اذ تنازع ابناء الملك حول الملك وتقاسموا المملكة بينهم، فاصبح (الزيبق) يحكم (كراية) و اخذ (على زنتر) الجزء الغربي من المملكة و آلت (ام طلحة) الى (الطيب). و بذا ضعفت قوة المملكة و لم تقو على المقاومة فيما بعد .

و عندما توجه حمدان ابو عنجة الى جبال النوبا لاخضاعها على نحو ما ذكرنا توجه اولاً الى جبال تقلى في جيش قوامه خمسون ألف مقاتل، فأتى جبل (الدوري) احد جبال تقلى و دعا اهله الى الطاعة، و لما لم يجيبوه أشعل فيهم الحرب و فرقهم في بطون الاودية و الكهوف و غنم غلالهم و ماشيتهم، ثم تقدم الى جبل (كراية) كرسى مملكة تقلى فسلمت له لضعف قوتها ، و قصد جبال (تكم) ثم (الكحاكحة) و غيرها من الجبال .

تلك الغزوات المتلاحقة انهكت قوة حمدان و اضعفتها. و لذلك هُزمت التجريدة التي بعث بها حمدان الى جبل الداير بقيادة الأمير عبد الله ود ابراهيم في يوليو ١٨٨٦م . ومما اضعف قوة حمدان كذلك ثورات (الجهادية) المتلاحقة، و هم الذين كانوا جنوداً في الحكومة التركية ثم تفرقوا في الجبال . وكذلك تجمع العرب

البقارة من الحوازمة و المسيرية و اولاد حميد و الحمر وخليط من القبائل العربية المنتشرة في الجبال ، تجمعوا لمحاربة قوات المهدية
للتخلص من الضرائب الثقيلة التي فرضها عليهم الامراء . و قد واجه حمدان هذه القوى المتفرقة واحدة واحدة.. الحوازمة في (ام عضام) في سبتمبر ١٨٨٥م واولاد حميد في يناير ١٨٨٦م ، و المسيرية في يوليو ١٨٨٦م ، و الحمر في نوفمبر ١٨٨٦م . و كل هذا عمل على اضعاف قوة حمدان. و لهذا لم يستطع اخضاع كل الجبال للدعوة المهدية ، اللهم الا القليل منها و الى حين ، اذ سرعان ما تستجمع قواها فتتمرد و تشق عصا الطاعة .
فإذا عدنا الى الحديث عن تقلى و العائلة المالكة نجد ان عمر بن الملك آدم ام دبالو الذي صحب المهدي الى قدير عند اول مرور له عبر تقلى و لازم المهدى فى كل تحركاته، تبوأ عند المهدى مكانة عظيمة. و عند وفاة المهدي ارسله الخليفة عبد الله التعايشي من ام درمان الى تقلى لادارة اهله . و لكن اهله طردوه شر طردة و ردوه الى الخليفة بخطاب شديد اللهجة. فأثار ذلك حفيظة الخليفة و ارسل اليهم حملة بقيادة النور عنقرة و حمدان ابي عنجة فدارت بينهم معركة كبيرة يقال انه قتل فيها نحو سبعة آلاف رجل فى (السنادرة) وحدها واسر الاميران حوالي المائتين من تقلى فيهم بعض افراد العائلة المالكة . وعندما قفل الاميران (حمدان و عنقرة) راجعين الى ام درمان بأسراهما اعلن (على زنتر) بن آدم ام دبالو (١٨٨٥م - ١٨٩٢م) ، نفسه ملكاً على تقلى. فارسل اليه الخليفة حملة اخرى بقيادة (ابراهيم الخليل) و لكنها لم تقض عليه حيث لم تقصد قلب المملكة و انما اطرافها. و ظل على العرش حتى استولى اخوه جيلي بن آدم ام دبالو (١٨٩٢م - ١٩١٦م) على التاج منه و استمر في الحكم حتى الاحتلال الانجليزي لكردفان، و ظل ست عشرة سنة قبل ان يجد الانجليز فرصة للدخول الى قلب المملكة ، عندما وصلت في ديسمبر ١٨٩٩م اول حملة

عسكرية من الجيش الانجليزي الى كردفان بقيادة الكولونيل (ماهوت) واستطاعت ان تستولي على الابيض ، و في سنة ١٩٠٠م طاف الكولونيل في جبال النوبا و كتب تقريراً عن السياسة الادارية في المنطقة . و على ضوء ذلك عينت الحكومة الانجليزية مأموراً على (كراية) حاضرة (الملك جيلي)، فكتب جيلي مك تقلى الى الحكومة شاكراً لها ذلك، كسباً للانجليز الذين سمع بقوتهم وشدة بأسهم، و ظل جيلي يدير بلاده تحت وصاية المأمور الذي كان يكتب تقارير الى الأبيض و يشيد فيها بإدارة جيلي . حتى كان عام ١٩٠٢م ، عندما عينت الحكومة مفتشاً آخر (لكراية) فقضى على ما تبقى من سلطة جيلى . وأصبح جيلى بذلك واحداً من أعضاء مجلس الأعيان لا غير . و من ثم تفككت أجزاء مملكة تقلى و أصبحت تدار بواسطة الانجليز حتى توفى جيلى ١٩١٦م و خلفه إبنه (أبكر) الذى عاش حتى سنة ١٩٢١م ، ليخلفه (آدم النيل) الذى عاش حتى سنة ١٩٨٠م ، و الذي نقل عاصمة المملكة الاسمية من (كراية) الى العباسية تقلي في ١٩٢٩م ، و قد كانت تعرف من قبل (بقوز كتورية) و ظل هؤلاء جميعاً يحكمون حكماً اسمياً دون ان تكون لهم سلطة حقيقة او نفوذ . كما يجدر بالذكر ان الحكومة الانجليزية عمدت في السنوات الاخيرة لاتباع سياسة تجميع الاجزاء المنفصلة من مملكة تقلى و اعادة سلطة الملوك القدامى لمساعدتها في الادارة و جمع الضرائب . و بذا استمر احفاد ملوك تقلى يمثلون زعامات محلية إلى يومنا هذا .

خلاصة القول ان مملكة تقلى الاسلامية بالرغم من ان تاريخها قد اتسم مؤخراً بالصراعات حول تاج الملك بين احفاد العائلة المالكة ، و بالرغم من الغزوات التي شنتها الحكومة التركية و حملات امراء المهدية ، الا ان المملكة قد استطاعت ان تضرب بسهم وافر في نشر الدعوة الاسلامية في المنطقة و المناطق المجاورة . وشجعت العلماء و الدعاة و رجال الطرق الصوفية على بث التعاليم الدينية

واقامة الخلاوي لتحفيظ القرآن الكريم ، لا سيما و ان الاساس الذي قامت عليه المملكة و توسعت تحت رايته كان هو الاسلام و لعل هذا ما يفسر لنا ظاهرة انتشار الخلاوي و الطرق الصوفية و التي تقف في جميع احزاء المنطقة – الى يومنا هذا – شاهداً على ماذهبنا اليه (٥٦) .

(٢) الطرق الصوفية و نشر الاسلام في جبال النوبا :

لعب التصوف دوراً بارزاً في تشكيل الواقع الاسلامي في منطقة جبال النوبا كما هو الحال في بقية انحاء السودان . و قد ارتبط وصول التصوف الى المنطقة في غالب الاحيان بمجموعات التجار التي وفدت الى الجبال لا سيما اولئك الذين ينتمون الى الطريقة الختمية و الطريقة الاسماعيلية ، و اما عن وصول الطريقة التجانية الى جبال النوبا فقد ارتبط الى حد كبير بوصول المجموعات الافريقية ومجموعات (دار غرب). كما زار المنطقة بعض رموز التصوف مثل الشيخ تاج الدين البهاري مؤسس الطريقة القادرية في السودان ، و الشيخ اسماعيل الولي مؤسس الطريقة الاسماعيلية (٥٧). و تعد الطريقة القادرية من اوسع الطرق انتشاراً، اذ ارتبط انتشارها في غالب الاحيان بنشاط الشيخ (البرناوي) الذي قام بجولات كثيرة في معظم جبال النوبا ، و ركز جهده بصفة واضحة في الجبال الشرقية ، و عبر جهد الشيخ (البرناوي) انتشرت الطريقة القادرية في معظم مناطق جبال النوبا، إذ لا تخلو منطقة في الجبال من اتباع للطريقة القادرية، بل نافست الطرق الاخرى في دائرة نفوذها ، إذ نافست الطريقة الاسماعيلية في دائرة ميرى التي كانت لفترة طويلة مقفولة للطريقة الاسماعيلية .

أما عن ازدهار الطريقة الاسماعيلية في المنطقة فقد ارتبط الى حد كبير بوفود مجموعة من التجار الى الجبال ، هذا بجانب ما تمتعت به من سند سياسي من اسرة الفكي على الميراوي التي احتضنت الطريقة و وظفت امكانياتها لتوسيع دائرة نفوذها (٥٨) .

اما الطريقة التجانية فقد شهدت انتشاراً و ازدهاراً كبيراً تحت رعاية المجموعات الافريقية لا سيما بمجموعة البرداب (تقع المنطقة شمال كادقلي على بعد ٢٥ ميلاً تقريباً) التي قامت بدور ملموس أدى الى اثراء الوجود الاسلامي في منطقة جبال النوبا . كما اسهم الشيخ سوار الذهب في ازدهار الطريقة التجانية ايضاً لا سيما في منطقة كادقلي. و قد كان له اثر كبير في نشر الدعوة الاسلامية في جبال النوبا هو الآخر كغيره من الدعاة الاسلاميين الذين جابوا المنطقة . (٥٩) أما الطريقة الختمية فقد ارتبطت بالتجار الشماليين الذين وفدوا الى منطقة جبال النوبا لأغراض التجارة ، و تعد الطرق الاخرى أقل اثراً و تنتشر في الجبال الشرقية لا سيما منطقة العباسية تقلى .

(٣) الأسرى و الرقيق :

كان للأسر و الرق دور مقدر في جلب المؤثرات االأسلامية الى منطقة جبال النوبا، اذ اتيح للكثير من مجموعات الاسرى و الرقيق التعرض لمؤثرات كان معظمها ذا صبغة اسلامية مما ساهم في اعتناقهم الاسلام . فعندما رجعوا الى بلادهم اصبحوا عناصر عززت الوجود الاسلامي في المنطقة . و الراجح ان بعض سكان غلفان و دبري و كادرو الذين أخذوا الى ام درمان كانوا مسلمين عند رجوعهم الى جبال النوبا بعد معركة كررى (٦٠) . و النوبا انفسهم ساهموا في رواج تجارة الرقيق التى لم تكن وقفاً على العرب ، حيث كان النمانج يغيرون على سكان الجبال الاخرى و يطلبون فدية عن كل اسير، فاذا فشل اهله فى دفع الفدية يقوم النيمانج ببيعه الى تاجر الرقيق من العرب (٦١) . و لما كانت الجبال من مصادر الرقيق بل و احتلت الصدارة في تغذية الاسواق، فلا ينكر دور الرقيق في نقل المؤثرات ذات الطابع العربي الأسلامي الى منطقة جبال النوبا ، و يذهب ترمنجهام الى ان تجارة الرقيق و التجنيد في الجيش كانت من أهم العوامل التي ساعدت في انتشار الاسلام (٦٢) .

(٤) مجندو الجيش و البوليس :

نظراً لطبيعة تشكيل الجيش و البوليس في السودان التي تضم المسلم و الوثني والمسيحي ، لذا كان مجندو الجيش و البوليس من ابناء جبال النوبا عاملاً هاماً في نقل المؤثرات الاسلامية الى منطقة الجبال . و ذلك لما اتيح لهم من تعامل مع المجموعات الاسلامية اثناء وجودهم في بيئات اسلامية. و كان مجندو الجهادية مثالاً لذلك النمط. كما اسهم بعض المجندين من منطقة جبال النوبا الذين كان يعج بهم الجيش آنذاك في توسيع دائرة التفاعل مع المجموعات العربية عبر تبنيهم لحرف المجموعات العربية وامتلاكهم الأبقار. و يذهب تقدير سنة ١٩٤٧م الى ان قرابة الأربعة آلاف و مائة و اثنين و ثلاثين من مجندي الجيش و البوليس الذين رجعوا الى الجبال اهتموا بامتلاك الماشية ، كما ان الكسب المادي الذي ظفروا به اثناء وجودهم في المدن و في المؤسسات العسكرية كان دافعاً لشباب النوبا لطرق أبواب المدن تطلعاً الى تحقيق رغباتهم . و هكذا اسهم المجندون في حمل مجموعات النوبا، لا سيما الشباب، الى المدن و المراكز الحضرية حيث سيادة المؤثرات العربية و الاسلامية، الامر الذي دفع مجموعات كثيرة من النوبا الى اعتناق الاسلام (٦٣) .

(٥) التجار المسلمون :

تسرب الاسلام الى قبائل جبال النوبا عبر (الجلابة) الذين تعودوا ان يذهبوا الى قبائل النوبا للبيع و الشراء في اسواقهم . و قلما يقوم هؤلاء الجلابة بدعوة مباشرة إلى الاسلام . و لكن كثيراً ما يأتي ذلك بطريقة غير مباشرة عندما يبسط الجلابة حصيرهم في الاسواق العامة لاداء الصلاة امام المئات من افراد القبائل الوثنية و بالرغم من ان التجوال كان محظوراً عليهم في فترة العهد البريطاني الا انه كان من العسير ان يهتدي اليهم احد من رجال الادارة البريطانية، لان زعماء القبائل كانوا يؤونهم و يخفونهم عن الانظار (٦٤) . ويورد مستر استيفنسون احد

مظاهر تاثير التجار في منطقة جبال النوبا ويذكر انه قبل نهاية القرن الثامن عشر الميلادي استقر تجار من دنقلا في منطقة جبل شيبون و إهتموا باستغلال الذهب بالقرب من منطقة تيرا ، و اشار الى ان تاثيرهم في تلك المنطقة كان عبر الزواج .(٦٥)

عموماً، مثلما كان للتجار القدح المعلى في نشر الاسلام في مناطق مختلفة من القارة الافريقية، كان للتجار المسلمين دور في تصدير المؤثرات الاسلامية الى منطقة جبال النوبا .

(٦) الدعاة الاسلاميون :

قلنا عند الحديث عن مملكة تقلي ان منطقة جبال النوبا شهدت وصول عدد من الدعاة الاسلاميين الذين كان لبعضهم اثر بارز، اذ ان الكيان السياسي الاسلامي الذي قام في جبال النوبا متمثلا في مملكة تقلى الاسلامية تم تأسيسه بفضل جهود أحد هؤلاء الدعاة . و كان من بين تلك الشخصيات الشيخ اسماعيل الولي مؤسس الطريقة الاسماعيلية و الشيخ بدوي ابو صفية و الشيخ البرناوي و الشيخ العالم (ود بقوي). و من المشهود لهم بالدعوة و التعليم في المنطقة عائلة الشيخ (عبد الرحيم آدم رشاش) المدفون في (طاسي) غرب العباسية تقلى . وهنالك الدور الكبير الذي لعبه الداعية الاسلامي الشيخ محمد الامين القرشي في نشر العقيدة الاسلامية و توطيدها في المنطقة. و سنلقي اضاءة على دور كل واحد من هؤلاء .

كان لعائلة (بشارة الغرباوي) - و هم بديرية دهمشية هاجروا من دنقلا الى كردفان - دور عظيم و قيادى فى نشر الاسلام فى كردفان. و قد اشتهر من هذه العائلة الشيخ اسماعيل الولي (١٧٩٣م - ١٨٦٣م) الذي أسس الطريقة الاسماعيلية سنة ١٨٤٢م (٦٦). و من ثم عمل هو و مريدوه على نشر الدعوة الاسلامية و التعليم في جبال النوبا و كردفان بصفة عامة. ووصل نشاطه

التبشيري في فترة العهد التركي المصري الى جبال (كندكرو) و (كندكيري) التي تقع في الاجزاء الشمالية من جبال النوبا . و يذكر انه كان يأتي ببعض ابناء النوبا الى الابيض و يزودهم ببعض المعارف الاسلامية و يدفع بهم لينشروا الاسلام بين افراد قبائلهم بالجبال .

كذلك كان للشيخ بدوي ود ابوصفية - و هو ذو اصول بديرية - في القرن التاسع عشر الميلادي دور بارز في نشر االأسلام في الجبال بين الوثنيين، فقد ترحل بين الجبال في فترة الحكم التركي و كان يدافع عن عقيدته بنص القرآن و حد السيف، حتى انه فقد احد ابنائه في القتال دفاعاً عن ذلك الغرض النبيل ، كما انه كان يأتي ببعض ابناء النوبا الى الأبيض فيعلمهم القرآن و الضروري من الفقه و التوحيد ثم يعيدهم الى بلادهم ليتولوا نشر الاسلام بين مجموعاتهم .(٦٧)

و قد أدى الشيخ محمد عبد ا لله البرناوي في نهاية القرن التاسع عشر دوراً كبيراً في الدعوة الاسلامية في الجبال .. و البرناوي ينتسب الى الاسرة الحاكمة في بلاد برنو . و لعل ما حظي به الشيخ البرناوي من حفاوة و ترحيب من السودانيين اثناء عبوره الى الحج قد شجعه على الانضمام الى جماعات العمل الاسلامي في السودان . و لقد واصل الشيخ البرناوي سيره الى الحج حتى وصل مكة، فمكث فيها قرابة السنتين اتيح له خلالهما مقابلة الشيخ عبد الباقي المكاشفي راعي الطريقة القادرية في الجزيرة الذى دعاه الى زيارة السودان ، و كان أن لبى البرناوى الدعوة و حضر الى السودان حيث التقى بالشيخ المكاشفي في الجزيرة وتعلم منه الطريقة القادرية . و بعد مضى خمس سنوات من وصول الشيخ البرناوي الى الجزيرة اقترح عليه الشيخ المكاشفي ان يتوجه الى جبال النوبا للتبشير بالاسلام، ووجد الأمر قبولاً عند البرناوي . و عند ذلك اهتم المكاشفي بتزويد البرناوي بمستلزمات السفر بجانب خطاب الى (جامع البدري) تلميذ المكاشفي المستقر في منطقة كالوقي.

واستقر البرناوي فيما بعد في منطقة الليري و ادخل الطريقة القادرية. ولا يزال لـه (مسيد) كبير في الليري شرق يشرف عليه احفاده . و نجح البرناوي نجاحاً كبيراً في كسب اعداد كبيرة للاسلام و الطريقة القادريـة مـن اهـالي المنطقـة وكـان قـد وجد مضايقات كثيرة من السلطات الانجليزية الـتي فرضـت عليـه الاقامـة الجبريـة أحيانا و الاعتقال أحيانا اخرى. كما وجد معارضة من قبل المبشـرين المسـيحيين. و طاف الشيخ البرناوي معظم جبال النوبا مبشـراً بالاسـلام و الطريقـة القادريـة. فوصل من تالودي (التي تزوج فيها رغبة في ان يجد مسوغاً لصرف الانظـار عنـه من قبل السلطات) الى كدبر في عام ١٩٣٩م ، ثـم هيبـان ثـم اتجـه الى الشـواي و منها الى الهدرا التي مكث فيها قرابة الأربع سنوات استطاع فيها كسب الكثـير من المريدين . و توجه ايضاً الى الغلفان. وواصل الشيخ البرناوي نشاطه في جبـال النوبا حتى وصل الى الدلنج ، كادقلي ، الليري و كالوقي . ثم اتجه الى ام حيطـان حيث ركز نشاطه. فتجاوزت فترته الزمنية الثلاث عشرة سنة و منها وجه نشاطه الى انـدراني وعقـب و جبـال المـورو. و عندمـا ادرك الشيخ البرنـاوي ان صحتـه اخذت في التدهور انتقـل الى الـليري شـرق فاتخذهـا المقـر الدائـم لاقامتـه و ظـل مستقراً فيها حتى ادركته المنية في (٢١ يوليو ١٩٦٧م) عن عمر تجاوز المائة عام . و يمكن القول ان الاسلام في غالب مناطق جبال النوبـا مدين بـالفضل بشـكل أو بآخر لنشاط الشيخ البرناوي . (٦٨) و من الدعاة الذين كان لهم دور بارز في الدعوة الاسلامية و احياء نار القرآن الكريم في المنطقة الشيخ العالم (ود بقـوي) - و هو الشيخ دفع الله بن مضوي بن محمد بن بقوي - من قبيلة الجعليين . قـدم جده محمد من دار الجعليين المكابراب بشمال السودان واستقر في ابـى حـراز دار العركيين بـالجزيرة . و هـو و شـقيقه الاكـبر الشيخ (احمـد جبـل اللقمـة) مـن أم عركية وتعلما القرآن و علوم الفقـه مـن اخوالهمـا العركيـي. وقـد يمـم (جبـل اللقمة) شطر شمال كردفان حيث استقر به المقام في قرية السرحة شرق بارا وهي

التي سميت فيما بعد (بسرحة ود بقوي) و كان له دور مشهود في الدعوة و التعليم هناك، بينما قصد الشيخ دفع الله دار تقلى للدعوة وتعليم القرآن . و كان ذلك ايام الملك عمر بن ابكر (١٨٤٤م - ١٨٥٧م)، و تزوج من (الحرم بنت محمد ود ولدوم ود الملك اسماعيل) من العائلة المالكة. ومكن بذلك نفسه من الدعوة و الارشاد. و اجتمع في ذلك الحين (بالشيخ بدوي ود ابو صفية) في قرية (وكرة) الواقعة شرق العباسية تقلى و اصبحت تربطه به علاقات حميمة و صداقة و حب في الله .

و لما ذاع صيته على نطاق كردفان عرضت عليه سلطات الحكومة التركية في الابيض منصب القضاء، الا انه رفض هذا العرض مخافة ان يشغله ذلك المنصب عن غرضه الاساسي الذي قدم من اجله الى تقلى و هو الدعوة و التعليم والشفاعة للعامة لدى الحكام . و قد كان له دور عظيم في هذا المجال. و ظل احفاده يحملون المشعل من بعده حتى عهد قريب. ابرزهم الشيخ العالم (يوسف ابراهيم بقوي) شيخ الطريقة التجانية بام درمان و الجزيرة ، و منهم بقية يتولون مناصب الامامة و الافتاء في تقلى حتى الآن . (٩٦)

و من المشهود لهم بالدعوة و التعليم في المنطقة عائلة الشيخ (عبد الرحيم آدم رشاش) المدفون في (طاسي) غرب العباسية تقلى . وكان والده قد عاصر الملك (جيلي بن آدم ام دبالو) (١٨٩٢م - ١٩١٦م) . و درس القرآن في خلوة (اوريقية) غرب العباسية، ثم تتلمذ على الشيخ احمد الريح و الشيخ حمد النيل بام درمان . ثم عاد الى تقلى لتعليم اهله القرآن الكريم . اما ابن عبد الرحيم فقد تعلم القرآن على يد الشيخ عبد الباقي بطيبة و تفقه على يد الشيخ (التنقاري) ثم عاد الى وطنه سنة ١٩٢٧م للدعوة و التعليم . و صادف ذلك أيام فرض الانجليز لقانون المناطق المقفولة، فوجد فى ذلك الكثير من العنت و الصعاب . ورغم ذلك لم تفتر همته، بل واصل الدعوة و التعليم حتى وفاته في

عام ١٩٧٥م، ثم تولى ابناؤه العمل من بعده في الدعوة و التعليم و نشر الطريقة القادرية في المنطقة . (٧٠)

و في ختام الحديث عن الدعاة البارزين الذين كان لهم القدح المعلى في نشر الاسلام و الثقافة العربية في منطقة جبال النوبا لا بد ان نذكر الدور العظيم الذي لعبه الداعية الاسلامي الشيخ محمد الامين القرشي و المجموعة التي عملت معه في نشر العقيدة الاسلامية و توطيد أركانها بالمنطقة ، رغم القيود التي فرضها الانجليز على دخول الاسلام ابان سريان قانون المناطق المقفولة و ما بعده .

كان الشيخ محمد الامين القرشي قد زار المنطقة عام ١٩١٧م عندما كان يعمل بالقضاء، وقد جاء الى الدلنج لينظر فيها قضايا المجموعات العربية و تركاتهم ، ورأى أحوال النوبا وهم يخوضون في خضم من الجهل والوثنية، يسيرون عرايا ، ويدينون (بالكجور)، اضافة الى العمل التبشيري الذي يقوده القساوسة . وآلى على نفسه أن يعمل في مجال الدعوة بالمنطقة بعد تقاعده للمعاش .

و بالفعل عندما تقاعد للمعاش سنة ١٩٤٤م ، قرر ان يهب باقي عمره للدعوة الاسلامية في منطقة جبال النوبا ، فتقدم بطلب الى الحاكم العام الانجليزي في عام ١٩٤٧م للسماح له بالدعوة الاسلامية في جبال النوبا ، ورغم انه اوضح ان لا غرض له سوى هداية النوبا الى الصراط المستقيم، الا ان السكرتير الاداري تشكك في نواياه و رأى انها سياسية في المقام الاول و ان السماح له مؤد لا محالة الى اضطراب في المنطقة . و لم يعوز السكرتير الاداري الدليل فالشيخ محمد الامين هو حفيد الشيخ القرشي ود الزين الذي تتلمذ على يديه الامام المهدي، وثانياً فان الشيخ محمد الامين هاجم المسيحية في عطبرة في عام ١٩٣٤م ، وأنذر بعد ذلك ، كما هاجم مفتي القدس و عارض بيع المسيحيين للقرآن، مثيراً بذلك متاعب جمة . و اشار السكرتير الاداري الى ان سجل الشيخ محمد الامين يزخر

بحوادث مشابهة. و كاد ان يرفض طلبه لولا ضغوط (الجمعية التشريعية) التي ألحت على الحكومة بذلك حتى تم التصديق على الطلب .

شهدت أواخر عام ١٩٥٠م وصول الشيخ القرشي الى جبال النوبا، وكان قد دعي قبل ذلك بعام الى تكوين هيئة تأسيسية للتبشير الاسلامى برئاسة الشيخ القرشي للعمل بالجنوب و جبال النوبا ، و تكونت الهيئة وضمت في عضويتها كلا من على محمد صالح ، عبد الله شوقي الاسد ، محمد خير ، عوض عمر ، عثمان اورتشي ، حمزة حسين حمزة و غيرهم من رحالات ام درمان . و تمكنت بقيادته من جمع كثير من المال بعد رحلات مضنية الى بعض مدن السودان الكبري. و تبرع مواطنو كردفان وحدهم بما يزيد على الالفي جنيه . و استطاع بمعاونة بعض الحاديين من رحالات الابيض و الدلنج إنشاء معهد ديني بالدلنج لتعليم ابناء النوبا ليكونوا رسلاً لدى قومهم. كما فتح خلاوى فى جبال (نتل) و (كرمتى) و (تنديه) و (الكاركو) ... و غيرها من قرى منطقة الدلنج واسلم على يديه خلق كثير من ابناء النوبا .(٧١)

و يروي (الشيخ سعد حامد آدم) احد الذين عملوا بجهد مع الشيخ القرشي انه في يوليو ١٩٥٠م ، بعد ان تحصل الشيخ القرشي على التصديق كتابة قرأه في صلاة الجمعة بجامع ام درمان الكبير و دعا الى التبرع و انشاء الهيئة التبشيرية. وقال ان معظم اعضاء الهيئة بعد تكوينها كانوا يرون ان تكون البداية بالجنوب السوداني. و لكنهم تخلوا عن هذا الرأي امام اصرار الشيخ القرشي ووافقوا على ان تكون جبال النوبا نقطة الانطلاق. ذلك لانه سيشرف على التبشير بنفسه. وعزا الشيخ سعد اصرار القرشي الى العهد الذي قطعه على نفسه حين كان عاملاً قضائياً بالدلنج بالعودة بعد احالته للمعاش و التبشير بالاسلام وسط النوبا (٧٢) . و يذكر الشيخ سعد حامد ان القرشي وصل اليهم بعد ذلك من الدلنج في أحد ايام الجمعة و معه الشيخ محمد سوار الذهب القاضي الشرعي لمديرية

كردفان الذي كان في طريقه الى كادقلي لينظر بعض القضايا الشرعية . وكانت هذه أول رحلة للقرشي لبدء عمل التبشير الاسلامي. و قال انهم بدأوا العمل بجبال النيمانج و اصطحبهم في هذه المهمة من قبيلة النيمانج المرحوم الملك كندة كربوس و نصر الله صارمين و نقطة الضاوي و غيرهم من مسلمي القبيلة. و من التجار الشيخ ابراهيم احمد الكبيدة و الشيخ التحاني الصديق. فكانت بدايتهم في (كرمتي) و (النتل) و (ككر) و (فوسو) و كان الملك كندة كربوس يتولى الترجمة، وكان النوبا عندما يسمعون حديثه يأتون طائعين الى الاسلام . في كرمتي دخل الجميع الى الاسلام بما فيهم الكحور. وكان ذلك وقت صلاة الظهر، حيث اعتلى الشيخ التحاني الصديق العربة و أذن للظهر كأول آذان تشهده جبال المنطقة ، وقر اعتبر القرشي (كرمتى) المحطة الاولى للاسلام و أنشد فيها شعرا يقول (٧٣) :

كرمتى أهلاً و سهلا

كنت للاسلام أهلا

أسلم الشيخ الكبير

فيك و الطفل الصغير

فلهم أجر كبير

في جنان عاليات

و من كرمتي الى سلارا ثم جبال الكاركو. و كان في كل مكان يسلم فيه الناس تقام خلوة لتحفيظ القرآن الكريم ، و فى سلارا أسلم كل تلاميذ المدرسة الاولية التي كانت تابعة للكنيسة و يديرها قسيس لمدة ٢٥ عاماً، حيث فاجأه التلاميذ يوم الاحد عندما دعاهم الى الصلاة فى الكنيسة بأن أبوا عليه ذلك و أبلغوه باسلامهم، فتأزم الموقف وأرسل الحاكم العام مدير المعارف الإنجليزي و معه وزير المعارف عبد الرحمن على طه ليتحريا الامر و يقررا ما يريانه . و عند وصولهما

تأكدا من اسلام التلاميذ مما اضطر قس سلارا الى اغلاق كنيسته ومغادرة المنطقة. و أصبح منزله فيما بعد داراً لامام مسجد سلارا . (٧٤) و عُمم الأمر بتعليم الدين الاسلامي بعد ذلك في مدارس كاتشا و مدرسة عبرى بجبال الكواليب. و كان عدد تلاميذ مدرسة سلارا (١٤٩ تلميذاً). و عندما أمر وزير المعارف بأن يصطف المسلمون على جانب وقف ١٤٢ منهم و بقي ٧ مع القسيس، الا ان اخوانهم حدثوهم باللهجة المحلية فجاءوا معهم، ووقع القسيس مغشيا عليه . و فيما بعد أنشدهم الشيخ القرشي قصيدة سماها (سلارا الجميلة) تقول ابياتها :-

تقدم يا أخي و اسلم

و أهلك كلهم أعلِم

و قل انى فتى مسلم

دخلت الدين لم أحجم

جبال النوبة انشرحت

الى الاسلام و انفرحت

ترى سكانها خرجت

لدين الله و ابتهجت

لا اله الا الله محمد رسول الله

-جبالك كلها تشهد

بتوحيد العلي الأوحد

ولولا فضله تنهد

ولا يبقى بهن احد

لا اله الا الله محمد رسول الله .(٧٥)

و بعد سلارا توجه ركب التبشير الاسلامي بقيادة القرشي الى جبال الكواليب في مناطق كدبر ، دلامي ، عيري ، اقوز ، دري و ام حيطان ، إلا ان عمله في منطقة الكواليب لم يكن بمستوى عمله بالدلنج لضيق ذات اليد في ذلك الوقت .

و كان القرشي قد وجد مساعدات كبيرة و سنداً قوياً من رجالات كردفان وعلى رأسهم الفاتح النور الذي سانده إعلامياً عبر (صحيفة كردفان) اضافة الى محمد طه التجاني ، محمد النور و غيرهما. و في الدلنج وقف بجانبه السادة: سيد مكي ، محمد احمد الصديق ، التجاني الصديق ، ابراهيم الكبيدة امام مسجد الدلنج ، سعد حامد آدم امام مسجد كادقلي و الملك كندة كربوس، و الاخير اصبح بعدها يحارب العادات الضارة بين بني قومه . و منهم كذلك ابناء الفكي على الميراوي و الملك محمد رحال في منطقة كادقلي .

اقام الشيخ ثلاث سنوات بالجبال يدعو الى الاسلام، و أسلم على يديه عدد كبير قدرته هيئة التبشير الاسلامي في ام درمان مما يصلها من تقارير من الشيخ القرشي بما يزبو على العشرة آلاف نسمة، و قدره هو في مكان آخر بـ ١٠٨ آلاف، يدخل في ذلك تلاميذ مدرسة سلارا و بعض تلاميذ مدرستى كيجا ودلامي(٧٦). وكان من أبرز (الكجرة) الذين أسلموا على يديه الكجور إسماعيل، سلطان (الكجرة) في جبال الكاركو .

يمكننا القول ان الشيخ القرشي قام بدور كبير في نشر الاسلام بجبال النوبا. ولعل ذلك يرجع الى استعانته بعدد من ابناء المنطقة الذين ساعدوه في نشر الدعوة الاسلامية ، اضافة الى المؤسسات التعليمية التي اقاموها كالخلاوي و المعاهد الدينية التي كانوا يديرونها بأنفسهم ، وارتباطهم الوثيق بالمنطقة. و مما حببهم الى الناس فيهم بساطة دعوتهم وبعدهم عن التعنت و التشدد المخل بالغرض واستعمالهم الاساليب المحلية في الدعوة كضرب النوبة (أي الطبول) و استخدام الاناشيد في تقريب معاني الإسلام و بقاء العديد منهم بالمنطقة و ملازمة اهلها في جبالهم

وقراهم . فنحد شخصا مثل الشيخ سعد حامد بقي بالمنطقة متنقلا بأسرته بين الجبال حتى استقر به المقام اماماً لمسجد كادقلي الكبير الى يومنا هذا - أمد الله في عمره.

و على أثر نجاح الشيخ القرشي كون رحال طائفتى الختمية و الانصار وحدات للدعوة الاسلامية في المنطقة. فعملت طائفة الختمية في منطقة كادقلي، والانصار في منطقة الدلنج. و لكن عملهما اتسم بالطابع التنافسي السياسي أكثر من كونه دعوة الى الاسلام، و كان همهما كسب المؤيدين لحزبيهما، مما قلل من دورهما في الدعوة الاسلامية و بث تعاليم الدين الاسلامي في المنطقة، حتى ان القرشي يذكر انه ذهب الى السيد على الميرغني و قال له : ((انت و السيد عبد الرحمن المهدي أكبر مني سناً. لماذا لم تقوما بأمر التبشير من قبل؟ و عندما ذهبت أنا الى هنالك أصبحتما تعاكسانني، حتى أصبح في الجبل الواحد ثلاثة أديان: دين المهدية و دين الختمية ... إلخ)) . (٧٧) و في هذا ايضاً يقول الشيخ سعد حامد: ((في نهاية المطاف تكالبت علينا الاحزاب السياسية بعد ما علمت الطائفتان الكبيرتان المتناحرتان باسلام جبال الكاركو على يدينا، تسابقوا بكل قواهم و عملوا منهم رؤوس مئات و شباب انصار ووزعوا عليهم راتب الامام المهدي وعرضوا عليهم الانضمام الى حزب الأمة، و من ثم حضرت طائفة الختمية ووزعوا عليهم الكساء و المال و عملوا من نفس المجموعة خلفاء، حيث أتت كل طائفة بمن يعلم اتباعها من الذين ادخلناهم الاسلام. فكانت النتيجة ان تفرق الذين جمعناهم على الاسلام، فوزعوهم احزاباً بعد ما كانوا اخواناً على الوثنية و من بعدها على الاسلام، حيث جعلوهم أعداءا بعد الاسلام الذي يجمع و لا يفرق ...)) و يقول: ((اخبرني الشيخ محمد الامين عندما تأزمت الامور ان كلا من السيدين طلب منه ان ينضم ومن معه الى حزبه فأبى عليهم ذلك)).(٧٨)

(٧) الهجرة :

تعد الهجرة من الوسائل التي دعمت الوجود الاسلامي في منطقة جبال النوبا ، وزادت من درجة التعريب فيها ، و تم ذلك عبر المجموعات النوباوية التي هاجرت من المنطقة بحثاً عن ميادين جديدة للحياة. وكان غالب المهاجرين من قطاعات الشباب الذين لم يرضوا بمعطيات الواقع المحلي المحدود ، و ازدادت تلك الهجرات بعد اتساع حركة التعليم . و قد أُتيح للمجموعات النوباوية المهاجرة التعامل مع بيئات جديدة غالبها ذات طابع اسلامي ، الامر الذي اتاح فرص التفاعل بين موروثات المهاجرين التقليدية و الواقع الاسلامي الجديد .

و حاربت الادارة البريطانية الهجرة الى (الشمال) لتخوفها مما ستتركه من أثر اسلامي على من يستقرون هناك لفترة ، ومكمن الخطر عند الحكومة ان العائدين منهم ربما يؤثرون تأثيراً (سيئاً) علىٰ بقية الاهالي - على حد قول الادارة البريطانية. و سنت الحكومة البريطانية من اجل ذلك عدة قوانين فيما بين عامي (١٩٢٠م - ١٩٤٠م) الغرض منها الحد من الهجرة و الحفاظ على العادات والتقاليد النوباوية و دعمها . وتوجت ذلك كله في عام ١٩٣٢م باعلان جبال النوبا منطقة مقفولة لا يدخلها (شمالي) إلا باذن ، و استمرت المنطقة كذلك حتى عام ١٩٤٩م حين الغى قانون المناطق المقفولة .(٧٩)

(٨) زراعة القطن :

لقد أُدخلت زراعة القطن الى منطقة جبال النوبا في عام ١٩٢٥م ، و بالرغم من ان الدافع من ادخالها تمثل في كبح المؤثرات الاسلامية ومنعها من ان تشق طريقها الى المنطقة، بحمل النوبا على الاستقرار و ازالة دواعي الهجرة . الا ان ادخالها في واقع الأمر أسهم في نشر الاسلام في منطقة جبال النوبا ، و ذلك نظراً لما اتاحته من فرص اتصال بين العرب المسلمين و المجموعات النوباوية . بل و يمكن القول ان زراعة القطن دفعت النوبا الى النزول من الجبال و ارتياد المراكز الحضرية ، اذ

ان العائد المادي الذي جنته تلك المجموعات من زراعة القطـن مكنهـا مـن التنقـل بين مناطق السودان المختلفة ، و هكـذا غـدت زراعـة القطـن مـن الوسـائل الـتي أسهمت في نشر الاسلام في منطقة جبال النوبا، خلافا لمـا قالـه جيـلان السـكرتير القضائي عام ١٩٢٤م ، ((انني ارى ان القطن قد أكد دوره كمصدر للقوة أكثر من أي دور آخر في تقوية ثقافة النوبا ضد المؤثرات الخارجية)).(٨٠) وقد يكون صحيحاً أنها حدّت من هجرات النوبا الى الشمال، لكنهـا زادت مـن اختلاطهـم بالمجتمع المحلي، أي بالمجموعات العربية التي استوطنت المنطقة .

(٩) دور الحكومة الوطنية :

أما الحكومات الوطنية الـتي تلـت الاستعمار فلـم يكـن لهـا دور بـارز في الدعـوة الاسلامية في المناطق المذكورة، اذ كان الهم الأكبر آنذاك ارساء دعائم سياسـة مـا بعد خروج الانجليز من البلاد .

أمـا حكومـة الفريـق عبـود (١٩٥٨م - ١٩٦٤م) فقـد أولـت أمـر الدعـوة الاسـلامية في المنـاطق الوثنيـة اهتمامـاً كبـيراً . و أول عمـل قـامت بـه في هـذا المجال ، اعادة فرض المنشور رقم ٦ لسنة ١٩١٢م الخاص بتنظيم عملية الارتـداد من دين الى دين او اعتناق دين جديد . و كان هذا المنشـور قـد اصـدره الانجليز ومعه قانون المناطق المغلقة محاربة للاسلام في المناطق الوثنية تحت ستائر كثيفة ، ثم الغي هذا المنشور سنة ١٩٥٦م . ثم أعيد فرضه سنة ١٩٦٠م بتعديلات جوهريـة تؤمن انتشار الاسلام و تحد من الارتداد عنه . (٨١)

ثم اصدر مجلس الوزراء في حكومة عبود في ١٩٦٢/١/١٢م قرار سودنة الكنيسـة و طرد جميع المبشرين الاجانب من السودان. و عملت الحكومة على سـد الفـراغ الناجم عن ذلك بتكثيـف الدعـوة الاسـلامية و التعليـم في هـذه المنـاطق. و ذلـك بتعاون مصلحتي الشريعة و الشوون الدينيـة . و تبـع ذلـك صـدور لائحـة تنظيـم

الهيئات التبشيرية لسنة ١٩٦٢م . ثم قانون الهيئات التبشيرية لسنة ١٩٦٢م .
وتولت الحكومة مهمة الوعظ و الارشاد و نظمت العمل في ذلك بالآتي :

١) اعتبرت الحكومة انه لطبيعة اعمال الإرشاد الديني وصلتها بالأمن فانها تحتاج الى مزيد من التعاون حتى يمكن تعميق جذور اللغة العربية و نشر تعاليم الاسلام في جميع انحاء السودان .

٢) جعلت رئيس المجلس التنفيذي هو المسؤول الاول عن الناحيتين المالية والادارية للوعظ و الارشاد في مديريته ، و يمثله مفتشو الحكومات المحلية بالمناطق.

٣) على القاضي الشرعي للمحكمة العليا ان يتعاون مع المصلحة كعضو ومستشار فني للمديرية التي يعمل بها ، و يمثله القضاة في مديريته بمناطق الارشاد.

٤) يكون الواعظ او المرشد عضواً دائماً ممثلاً لمصلحة الشوون الدينية في اللجان المالية و الادارية و الفنية التي تُكون لتسيير العمل .

٥) ان يصبح الوعظ و الارشاد من اختصاص مصلحة الشؤون الدينية بمقتضى القرار الصادر في ١٢/٢/١٩٦٣م بموافقة قاضى القضاة و مدير مصلحة الشئون الدينية و وزير التربية و التعليم و وزير الاستعلامات و العمل .

هذا بجانب جهود الطرق الصوفية و بعض الافراد المتطوعين لهذا العمل الذين أوجد لهم هذه القانون السند و التشجيع (٨٢) .

و من الموسسات الحديثة و المنظمات الطوعية التي عملت في المنطقة في مجال الدعوة الاسلامية و نشر التعليم ، منظمة الدعوة الاسلامية ، هيئة احياء النشاط الاسلامي ، المركز الاسلامي الافريقي ، منظمة البر الدولية ، الوكالة الاسلامية الافريقية للإغاثة ، موسسة موفق الخيرية و غيرها من المنظمات الوطنية التى عملت بالمنطقة فى الآونة الآخيرة و كان لها دور بارز - خاصة الاولى - في نشر التعليم في جبال النوبا .

ان الوسائل السابقة و غيرها مثلت خلايـا أفـرزت الاسـلام و التعريـب في منطقـة جبال النوبا ، و ما يزال الكثير منهـا يواصـل عطـاءه و ان طـرأت تغـيرات علـى درجة فعاليتها .

بجانب تلك الوسائل كانت هنالك و سائل اخرى أقل أثراً ، منها فتـح الطـرق في منطقة جبال النوبا الذى أدى إلى إنسياب الحركة فـى داخـل جسـم الجبـال كمـا ساعد على تنقل و استقرار رجال الدين في المنطقة ، و نتيجة لفتـح الطـرق أمـت المنطقة بمجموعات كثيرة من التجار الذين ارتادوا المنطقة لاغراض التجارة .

هذه و غيرها تمثل بعض الوسائل التي عمقت الاسـتعراب والثقافـة الاسـلامية بـين المجموعات النوباوية و اسهمت في تشكيل الواقع الاسلامي و الملامح العامة لمسيرة الاسلام في منطقة جبال النوبا .

و قبل أن نختتم هذا الفصل من الدراسـة تـبرز إلينـا جملـة مـن الحقـائق لا بـد مـن ذكرها تتمثل فى : ان الاسلام و الثقافة العربية قد عرفا طريقهما الى هذه المنطقـة منذ فترة طويلة قبل قيام مملكة تقلى الاسلامية في القرن السادس عشـر الميـلادي . غير انهما تأصلا في النفوس وانتشرا على نطاق واسع في الجبال بقيام مملكـة تقلـي وبفضل جهود بعض الشخصيات الاسلامية .

و يبدو اليوم أثر الثقافة العربية و الاسلامية جلياً في ثقافة القوم ، فقـد أخـذ النوبـا الكثير من السمات الثقافية العربية و الاسلامية لعل اهمها استعمال ملابس العرب التقليدية. و اختفت أو كادت - الى حد كبير - تختفي ظاهرة العري مـن الجبـال بعد ان كانوا يتحولون عراة قبل نزولهم من اعالي الجبال و الى وقت قريـب، هـذا مـن ناحيـة. امـا الجـانب المعنـوي للثقافـة النوباويـة فقـد حـدث فيـه أيضـا تغـير كبير، ولعل أهم هذه التغيرات أخذهم لفكرة الختـان للذكـور والانـاث علـى انـه مطلب هام تقتضيه النظافة و الحيوية، و كذلك الامر فيما يتعلق بفكرة (البكارة) و ارتباطها بالعفة و الطهارة و الحياء.

تلك امور كانوا لا يهتمون بها كثيراً قبل وصول المد الاسلامي ، و كذلـك فيما يتعلق بامور الزواج من مهور و عقد قران و خلافه ، و الميراث و طقوس المـوت. و كذلك انحسرت تربية الخنازير بالصورة الواسعة التي كانت بالجبال. وقد قـامت حملات لقتلها و التخلص منها باعتبار ان الاسلام حرمها . و اختفت الكثير مـن العادات التي تعارض تعاليم الاسلام و نذكـر منهـا مـا يلـي علـى سـبيل المثـال لا الحصر (٨٣) :

١- كان من يطلق زوجته التي له منها ابناء يطلقها هي و اولادها. و من يتزوجها بعد ذلك يأتي بجميع الابقار التى دفعها الزوج الأول، هي و ما انتجت و ما مات منها عندهم ، و يصبح اولادها من زوجها الأول اولاداً لمـن تزوجهـا ودفـع المـال و بعد احراءات العوائد التي تسمى عندهم (بالسبر) يصـير اسـم ابيهـم الوالـد الى اسم ابيهم الاخير الذي تزوج امهم و دفع المال .

٢- كان من مات منهم و ترك مالاً ، يرثه ابنـاء اختـه و ليـس لاولاده فـي مالـه حق.

٣- كان من اراد الزواج لا بد ان يحضر خنزيراً كبيراً ليذبح في زواجه ولـو كـان عنده أكبر ثور من البقر .

٤- كانت قيمة المرأة مرهونة بالانجاب. و مـن مـاتت بـلا ذريـة فأهلهـا كفيلـون بدفع مال الرحل و لو مكثت عنده ستين عاماً .

٥- كانت المراة التي توفي زوجها لا يحق لها الزواج المتعارف عليه ، و لكـن كـان هناك ما يسمى برجل (البرمة)، و هذا تختاره هـي، و عندمـا تسـأم مـن عشـرته تطرده ، و اذا انجبت منه طفلاً يسمى باسم زوج أمه االاول ... و غـير ذلـك مـن العادات و التقاليد التي أصبحت اليوم من روايات الماضي بفضل الاسلام وجهـود الدعاة الذين جابوا تلك الجبال و الوديـان الوعـرة، حتـى صـار الراكـب اليـوم في

تلك الجبال لا يسير كثيراً إلا وجد مسجداً او مصليا او سمع أذانا يتردد صداه في اعالي الجبال .

و بالجملة فان تاثير الثقافة الاسلامية و العربية على الوثنية في الجبال اصبح واضحاً الى حد كبير ، غير اننا نجد أن إسلام البعض لا يزال يشوبه دخن ، فلا يزالون يخلطون الشعائر الاسلامية ببعض الممارسات الوثنية ، و ذلك ان بعض الوثنيين الذين قبلوا المفاهيم الاسلامية تنقصهم القدرة التامة على فهم هذا الدين فهماً و ادراكاً عميقين . و لذلك نجدهم يخلطون مفهوم (البركة) التي يدفعها المسلمون بمفهوم (القرابين) التي تذبح للآلهة . و لا يفرقون بين مفهوم (الفكي) و (الكرامة) و بين (الكجور) و (قداسته)، و كذلك الحال فيما يتعلق بالشعائر و الطقوس التقليدية المرتبطة بنزول المطر و دور الكجور فيها ، و بين صلاة الاستسقاء الشرعية لدى المسلمين .

اضافة الى ذلك ما زلنا نجد بعض الجيوب الوثنية بالرغم من دخول الاسلام المبكر الى المنطقة. و لعل السبب الاساسي في ذلك ناجم عن (سياسة النوبا Nuba Policy) التي ابتدعتها الادارة البريطانية لتعويق المد الاسلامي و محاربة الثقافة العربية تحت ستائر كثيفة تتظاهر (بتطوير النوبا و حماية ثقافتهم)، تلك السياسة التي دامت لأكثر من عشرين عاماً (١٩٢٠م - ١٩٤٥م) . و على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها الادارة البريطانية و القوانين التي وضعتها لتعزيز هذه السياسة (تطوير النوبا وفق اساس نوباوي ، افساح المجال للتبشير المسيحي و تعويق المد الاسلامي و العربي) الا انها لم تؤت ثمارها المرجوة في ابعادها الثلاثة بصورة متوازية، اللهم إلا تعويق المد الاسلامي الذي تعثر بعض الشيء نتيجة لتلك السياسة و ان كانت لم تستطع ايقافه ، إضافة الى ان دخول التمرد الى المنطقة أوقف حركة التعليم - التي شكلت رأس الرمح في مسألة الاسلمة و التعريب في كثير من مناطق جبال النوبا - كما سنرى فيما

بعد، بجانب ايقاف حركة الدعوة الاسلامية التي كانت تقودها المنظمات الطوعية وغير ذلك من الجهود ، حيث اصبح التحرك داخل المناطق التي يسيطر عليها التمرد حكراً على افراده، مع منع المواطنين من الانتقال الى المناطق التي تسيطر عليها الحكومة السودانية .

الى هنا يلزمنا القول ان هنالك دوراً كبيراً ينتظر الدعاة الاسلاميين و المنظمات الاسلامية و الجهد الرسمي لتنشيط حركة الدعوة و التبشير الاسلامي بعد سيطرة الحكومة على اجزاء واسعة من الاقليم، و الاستفادة من تجمعات العائدين من حركة التمرد المتواجدين الآن بقري السلام لنفض غبار الوثنية عنهم و تقديم الاسلام و نشره هو والثقافة العربية حتى تكتمل الحلقة التي بدأت منذ القرن السادس عشر الميلادي و يلحق اقليم جبال النوبا بغيره من مناطق السودان في الشمال و الشرق و الغرب و يكون بوابة انطلاقة لنشر الاسلام في الجنوب السوداني .

الفصل الثالث

المشروع التنصيري في جبال النوبا

تعتبر منطقة جنوب كردفان منطقة تركز للدعوة النصرانية ، و ذلك ألان اعداداً كبيرةً فيها ما تزال تدين بديانات الآباء و الاجداد و عبادة السلف و الكجور . كما ان واحداً من مخططات الكنيسة كان يرمي الى ربط حركة المسيحية في جنوب السودان بحركة المسيحية في جنوب كردفان لتطويق حركة انتشار الاسلام و حصره في الشمال . لذا عمدت القيادات النصرانية الى بسط حزام من الارساليات و الكنائس و المدارس التبشيرية، و نشطت في مجال الخدمات الصحية و الاجتماعية و الثقافية ، و للحقيقة فقد نجحت استراتيجيتها في تنصير اعداد كبيرة من الناس و حجبهم عن نور الاسلام، و لكنها فشلت في تطويق اللغة العربية، اذ فرضت الاخيرة و جودها و اصبحت لسان الجميع ، شعبياً و رسمياً .

بادر الكاثوليك باختراق منطقة جبال النوبا في العقد السابع من القرن التاسع عشر ، في محاولة لتطويق المد الاسلامي الذي شكلت مملكة تقلي رأس الرمح فيه كما ذكرنا ذلك في الفصل الثاني ، و لكن قبل ان تثبت و ترسخ جذور النصرانية في المنطقة جاءت الحركة المهدية فبددت جهود المبشرين ، و قد حاولت ارسالية الدلنج ان تعبيء النوبا وتسلحهم لمقاومة المهدية. و لكن قوات المهدي استطاعت ان تجتاح الحصن الرسالي في الدلنج و تستولي على اسلحتهم وتأسر المبشرين الاجانب الذين كان بعضهم من النمسا و ايطاليا .(٨٤)

بعد القضاء على دولة المهدية ترددت الادارة الاستعمارية في السماح للمبشرين الاوروبيين بمواصلة عملهم في جبال النوبا ، خوفاً من عاقبة ذلك ، اذ لا تزال لحركة الجهاد الاسلامي بقايا جذور في كردفان. و قد يؤدي مجيء المبشرين الى

انبعاث اسلامي . لذا اكتفت الادارة الاستعمارية بتكثيف جهودها في مجال الامن و احكام السيطرة و تهدئة القبائل .

و لكن أدت حركة التهدئة و الامن الذي ساد الى نزوح القبائل من اعالي الجبال الى السهول ، حيث ازدادت حركة التمازج و التداخل بين المجموعات الاسلامية و الوثنية ، مما ساعد على زيادة انتشار الاسلام وسط النوبا . (٨٥)

لقد أبدت الادارة البريطانية تخوفها وقلقها من ظاهرة انتشار الاسلام بالمنطقة، مما حدا بالمدير الإنجليزي لاقليم كردفان جيلان (J . W . Gillan) ان يلفت نظر السلطات في الخرطوم و يحثها على دفع الارساليات المسيحية لارتياد هذه المناطق.

و في بداية العشرينيات دعت الادارة الانجليزية الإرسالية المتحدة (S . United Mission) الى ان تباشر جهودها التنصيرية في مديرية الجبال ، مستخدمة في ذلك كل الوسائل بما في ذلك الخدمات الاجتماعية و التعليم ، كما خصصت الحكومة البريطانية منحة مالية قدرها مائة و خمسون جنيهاً دعماً لنشاط التنصير في جبال النوبا . و قامت الارسالية بانشاء مركزين للتنصير في هيبان و عبري. غير ان السلطات البريطانية لم ترض عن هذا الجهد الذي لم يرتفع في نظرها الى مستوى المواجهة الكافية للخطر الاسلامي ، كما رأت ان المركزين اللذين وقع عليهما اختيار الإرسالية لم يكونا ملائمين لصد حركة الدعوة الاسلامية ، لان مكانيهما منعزلان، و بالتالي سيشكل ذلك حاجزاً ضعيفاً ضد الاسلام . و في الحقيقة فان انشاء محطة عبري كان خطأ، لانها أُسست في اقصى الشمال في منطقة واقعة تحت التأثير الاسلامي .

و اقترحت الحكومة الانجليزية على الارسالية المتحدة ان تؤسس على الاقل ستة مراكز تبشيرية اضافية حددت اماكنها . و رأي جيلان انه يمكن الحصول على افضل النتائج العملية بالتركيز على حاجز متين ضد الاسلام في المديريات الجنوبية، و في رأيه ايضاً ان افضل منطقة للعمل التبشيري هي المنطقة التي تحد

شمالاً بخط يمتد من هيبان الى كيلك ، و جنوباً بمديرية بحر الغزال و شرقاً بخط يصل بين هيبان و تونجا و غرباً بحدود مديرية كردفان . هذه المنطقة في رأيه ذات محاسن ثلاث : فهي اولاً يمكن ضمها في النهاية الى منطقة بحر الغزال التي تكون لها اساساً . و انها ثانياً : تضم عدداً قليلاً نسبياً من المسلمين و ثالثاً : ان نسبة التعريب فيها منخفضة . و لم تتضمن خطة جيلان محطة عبرى التبشيرية. ورأى جيلان انه عندما تؤخذ هذه المنطقة في الاعتبار يمكن التخطيط لمناقشة حالة المجموعات المتأخرة القاطنة شمال الجبال مثل كتلا و جلود و كاركو المحاطة بالسكان العرب . و حينما عجزت الارسالية عن الوفاء بهذه المهمة استدعت الحكومة الجمعية المسيحية الانجلكانية (جمعية الكنيسة التبشيرية) في عام ١٩٣٣م ، لفتح عدد من المدارس و المراكز و المحطات التبشيرية بمساعدة الحكومة المالية ، و ذلك فى الجبال الغربية (٨٦) . هذه هى الخلفية التي قامت عليها حركة التنصير في جبال النوبا . و من هنا يتضح لنا ان الحكومة الاستعمارية و المؤسسات التنصيرية يمثلان وجهين لعملة واحدة ، و قد تم تمويل العمل التنصيري من اموال دافع الضرائب السوداني لتمكين المسيحية في مناطق الوثنية، لا سيما جنوب السودان و جبال النوبا و الأنقسنا .

دخول المسيحية في جبال النوبا :

تزامن انتشار المسيحية في منطقة جبال النوبا الى حد كبير مع التبشير المسيحي الذي قام به الاب (دانيال كمبوني) في بلاد السودان ، اذ امتد نشاطه التبشيري الى منطقة جبال النوبا حيث تم تأسيس مركز للتبشير المسيحي في الدلنج . ففي عام ١٨٥٨م ، قدم الى السودان جماعة من القساوسة فيهم المطران (دانيال كمبوني) و قصدوا جنوب السودان فى بادئ الامر حيث استقروا هناك لمدة عامين في مكان يعرف الان باسم (الكنيسة) يقع بالقرب من شامبي في بحر الغزال و درسوا لغة الدينكا ، ثم عادوا الى بلادهم هربا من الامراض التي كادت

ان تفتك بهم. (٨٧) و بعد رحيل الاب كمبوني من جنوب السودان لم ينقطع تفكيره في احياء التبشير المسيحي في بلاد السودان ، و ما لبث ان عاد في عام ١٨٦٤م الى السودان بخطة جديدة للعمل التبشيري (خطة لانقاذ افريقيا بالأفريقيين) في السودان بصفة عامة و في جبال النوبا على وجه الخصوص . وكانت خطته تهدف الى تدريب الشباب السوداني في الخارج على حرف وصناعات مختلفة ثم الرجوع بهم الى بلادهم لنشر تعاليم المسيحية بين اهليهم.(٨٨) و تحقيقاً لهذا الغرض انشأت الارساليات معهدين للتبشير المسيحي في (فيرونا) بايطاليا سنة ١٨٦٨م ، احدهما لتعليم و تدريب القساوسة السود على العمل التبشيري في افريقيا ، و الآخر (للامهات الصالحات لارض السود) و ذلك لتدريب الراهبات . كما اسس كمبوني معهدين آخرين للشباب السودانيين في القاهرة : احدهما للبنين و الآخر للبنات . (٨٩) و ارسل وفداً غادر القاهرة في ٢١ اكتوبر ١٨٧١م متوجها الى الخرطوم. و قد تمكن ذلك الوفد من زيارة سنار ، الابيض و تيرا الخدرا في جبال النوبا . و في عام ١٨٧٢م فوضت الكنيسة الاب كمبوني وحملته مسؤولية فتح ارسالية في السودان . و من ثم عين مطراناً للسودان و أفريقيا الوسطى كلها ، و توجه الى السودان مرة اخرى مع مجموعة من مساعديه الاجانب و السودانيين على السواء، و فتح مدرسة صناعية في الابيض تعد الاولى من نوعها في تاريخ القطر، إلتحق بها ما يقارب المائتي طالب و طالبة. (٩٠) ثم أسس الأب كبوني قرية زراعية نموذجية في (الملبس Mulbas) التي تقع بالقرب من الابيض في اتجاه الجنوب الغربي . اذ اشترى قطعة ارض في عام ١٨٧٦م تبلغ مساحتها ثلاثين ألفاً من الامتار المربعة وجمع فيها عدداً كبيراً من الأسر النوباوية (من الرقيق المعتوقين) و عمل على تدريبهم على أشغال الزراعة . و اقام كنيسة و منزلاً للاباء ، و ما يقرب من الثلاثين كوخاً لسكن تلك الاسر. و عين الاب (انطونيو دوبال) الاثيوبي

الجنسية مسؤولاً عن هذه القرية . (٩١) و استمرت تلك القرية تقوم بعملها في تأليف قلوب النوبا للمسيحية حتى عام ١٨٨٢م ، حين قضت عليها جيوش المهدية و هي في طريقها الى الابيض قادمة من شيكان .

أما أول محاولة جادة للتبشير المسيحي في الجبال على يد الاب كمبوني فكانت في عام ١٨٧١م ، أي قبل تركيزه على مدينة الابيض ، و ذلك عندما قام برحلة طاف فيها الجبال بمساعدة الجنرال غردون بهدف دراسة امكانية انشاء كنيسة افريقية (تجر الافريقيين الى المسيحية بأيد افريقية) غير ان تلك الزيارة الاولى لم تحقق هدفها بسبب الضغوط غير المباشرة التي صادفها غردون من قبل بعض المعربين ، مما اضطره الى الرجوع قبل اكمال طوافه على كل الجبال .

و لكن ذلك الفشل و الإخفاق في المحاولة الاولى لم يوهن من عزيمة كمبوني على مواصلة عمله في الجبال . بل اعطته تلك الرحلة مزيداً من الحماس و العزم على مواصلة نشاطه . فأعاد الكرة مرة اخرى في سنة ١٨٧٦م ، بعد انشائه لقرية الملبس الزراعية. و كان يرافقه هذه المرة بعض المبشرين من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تحت رعاية محمد رؤوف باشا حكمدار السودان آنذاك، مما مكنه والوفد المرافق له من مسح جبال النوبا جبلاً جبلاً و قرية قرية حسبما يذكر كمبوني في تقريره. و توضح ذلك الاخرطة التي رسمها عن جبال النوبا . (٩٢)

تجدر الاشارة الى ان كمبوني قد مهد لتلك الزيارة و هو في الابيض حتى لا تبوء بالفشل كسابقتها. فبدأ بالاعداد لها قبل ثلاث سنوات من تنفيذها ، فاستقبل في يونيو ١٨٧٣م (سعيد اغا) أحد زعماء النوبا بالدلنج استقبالاً حاراً في ارسالية الابيض ، ثم اعقب ذلك زيارة الكجور (كاكوم) الذي أمضى يوماً كاملاً في صحبة كمبوني في الابيض .(٩٣) و بذلك ضمن كمبوني السند (السياسي) و(الديني) للعمل في المنطقة و أمن جانبه لدعوة النوبا (الوثنيين) الى المسيحية

بواسطة كاهنهم و زعيمهم السياسي . حتى لا يواجهوا (الجديد) بالنفور والنكران .

هذا من حانب الأب كمبوني. اما (اغا) و (كاكوم) فكان كل منهما يريد من استجابته لدعوة الاب كمبوني ان يعزز مكانته بين قومه و يزيد من نفوذه فيهم. و بعد هذا التمهيد ارسل كمبوني فريقاً من المبشرين الى الدلنج لدراسة امكانية فتح محطة تبشيرية بها و تحديد المكان المناسب لذلك ، و على ضوء التقرير الذي أعده هذا الفريق ، أنشأ كمبوني محطة للتبشير في الدلنج سنة ١٨٧٤م بالقرب من منزل (سعيد اغا). ثم طُورت المحطة فيما بعد لتصبح مركزاً للتبشير المسيحي في جبال النوبا . و قد احتوى ذلك المركز على كنيسة صغيرة و مساكن للقساوسة.(٩٤)

رجع الأب كمبوني الى اوروبا عام ١٨٧٧م و عاد منها الى السودان مع مجموعة من المبشرين يقدر عددهم بأربعين مبشرا. و كانت قد واجهته بعض الصعوبات اضطرته الى تجميد نشاطه بالسودان بصفة عامة و جبال النوبا على وجه الخصوص. و تعد الازمة المالية أبرز تلك الصعوبات، و رجع كمبوني الى ايطاليا مرة اخرى فى مايو ١٨٧٩م ، ثم عاد الى السودان مرة اخرى فى مستهل عام ١٨٨١م. و عندما وصل الأب كمبونى إلى منطقة جبال النوبا طلب منه الحكمدار محمد رؤوف اعداد تقرير عن تجارة الرقيق في منطقة جبال النوبا . والراجح ان زيارة كمبوني الى الدلنج في مايو ١٨٨١م تعد آخر زياراته للجبال. وقد تمكن خلال تلك الزيارة من اختيار مركز للتبشير المسيحي في منطقة الغلفان. كما زار غالب الجبال في جنوب و غرب الدلنج، لا سيما جبال الكاركو و الغلفان و مورنج و كاميل.ا و لكن الثورة المهدية داهمته، و المنية عاجلته و لم تمهله حتى يحقق حلمه. و لعلها من غرائب الصدف ان يتوجه الى الفاتيكان د. كبشور كوكو وزير التربية والتعليم فى الحكومة الاتحادية (و هو مسلم من

ابناء النوبا - منطقة الدلنج) في منتصف مارس ١٩٩٦م مترئساً وفد السودان المشارك في احتفالات الفاتيكان بذكرى مرور قرن على وفاة دانيال كمبوني مؤسس مدارس كمبوني وواضع لبنة التبشير المسيحي في جبال النوبا التي ينتمي اليها الوزير، حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية قد نظمت هذا الاحتفال الذي عقد بروما في الفترة من ١٥ وحتى ٢٥ مارس ١٩٩٦م . و قد عُدّت مشاركة السودان في الاحتفال بذكرى كمبوني بوفد رفيع المستوى بمثابة تأكيد حقيقي لسماحة التعايش الديني في السودان.(٩٥) و لعل كمبوني كان يود في قرارة نفسه ان يحضر مثل هذا اليوم وزير من جبال النوبا - لكن على الديانة المسيحية - ليجني غرسه.

لقد كان المتوقع ان يزدهر التبشير المسيحي في منطقة جبال النوبا أكثر من ذلك لولا قيام الثورة المهدية التى أسهم اندلاعها في تطويق المد المسيحي في جبال النوبا. بيد ان التبشير المسيحي ازدهر في منطقة جبال النوبا مرة أخرى بعد اعادة فتح السودان في عام ١٨٩٨م، اذ استأنفت الكنيسة الكاثوليكية اعمالها في جبال النوبا في عام ١٩٠٦م، و تلى ذلك وصول ارساليتى السودان المتحدة وجمعية التبشير الكنسي اللتين أسهمتا في تعميق الوجود المسيحي في منطقة جبال النوبا.

و يجدر بنا هنا ان نذكر بعض الشخصيات التي أدخلها الأب كمبوني في المسيحية و تم تعميدها و تأهيلها. و يذكر التقرير الذي أُعد فى ديسمبر ١٩٧٣م بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس كنيسة الأبيض بعضاً منها ، و هي على سبيل المثال لا الحصر :

١- الأب دانيال دينق سرور :

و هو من أبناء الدينكا الذين يسكنون منطقة أبيي. و يذكر التقرير أنه كان أحد الأرقاء الذين أُخذوا من تلك المنطقة إلى مدينة الأبيض. و هناك استطاع الهرب واحتمى بالكنيسة! فاحتضنه الأب كمبونى و تولاه بالعناية. و بشره بالمسيحية

وتعهده حتى عمده بإسم (دانيال)، ثم أرسله إلى روما ليصبح أول قس من قبيلة الدينكا.

٢- الراهبة فورتوناتا قوشية :

و هى من بنات النوبا. و يذكر التقرير أنها أُخذت بواسطة أحد تجار الرقيق إلى الخرطوم! ثم استطاع (المرسلون) إدخالها المسيحية. ثم أُرسلت إلى أوروبا سنة ١٨٥٢م لتتعلم. وخلال أربع عشرة سنة تخرجت معلمة. ثم ذهبت إلى القاهرة سنة ١٨٦٧م . و أخيراً عادت إلى السودان. و فى عام ١٨٨٠م أصبحت راهبة على يد الأب كمبونى فى مدينة الأبيض . فكانت بذلك أول راهبة سودانية.

٣- الراهبة بخيتة :

و هى من قبيلة الداجو التي تسكن جنوب كردفان. و يذكر التقرير أنها قد جلبت من وطنها و بيعت فى سوق النخاسة فى الأبيض وكانت من نصيب القنصل الإيطالى الذى اشتراها و أدخلها الكنيسة فتنصرت على يد الأب كمبوني. وعندما زحف المهدى إلى الخرطوم فرَّ القنصل إلى بلده و بصحبته بخيتة. و هناك فى إيطالية ، و فى سنة ١٨٨٣م ، أصبحت بخيتة راهبة و عاشت فى الكنيسة حتى توفيت عام ١٨٤٧م .. و هكذا يمضى التقرير فى سرد الأحداث و الشخصيات بهذه الصورة التحاملية فيعلل دخول المواطنين فى المسيحية بأنه استجارة بالكنيسة من نير تجارة الرقيق. غير أن الواقع يكذب ذلك.

التبشير المسيحى بعد الاحتلال الإنجليزى

نشاط الإرساليات التبشيرية فى جبال النوبا :

تزامن احتياح المد التنصيرى للقارة الأفريقية مع موجة التوسع الأوروبى الذى أطلق عنانه مؤتمر برلين. و قد استعانت الكثير من الكيانات السياسية بالإرساليات التبشيرية و أُطلق لها العنان فى تنفيذ مشاريعها التنصيرية، حتى أصبح من الصعوبة وضع فواصل بين أهدافها الإمبريالية و مراميها التنصيرية . وعند مجئ الإستعمار

الإنجليزى المصرى الى السودان فى عام ١٨٩٨م ، عادت الجمعيات التبشيرية إلى البروز على مسرح الأحداث لتجعل من التبشير عملاً منظماً و علنياً، و تمكنت من كسب مواضع فى الكثير من مناطق السودان الوثنية، لا سيما فى جنوب السودان و جبال النوبا و الأنقسنا .

و تولت العمل التبشيرى فى السودان فى ذلك الوقت ست إرساليات هى:(٩٦)

١- الارسالية الكاثوليكية (Roman Catholic) التى إنحصر عملها فى الخرطوم ، و بحر الغزال ، و بحر الجبل ، و أعالى النيل ، رمبيك و مبوى الزاندى.

٢- جمعية الكنيسة التبشيرية (Church Missionary Society) التى عملت فى جوبا و رمبيك و كاتشا (جبال النوبا) .

٣- إرسالية السودان المتحدة (Sudan United Mission) التى إنحصر عملها فى جبال النوبا .

٤- الإرسالية الأمريكية (American Mission) التى عملت فى أعالى النيل .

٥- إرسالية أراضى أفريقيا (African Inland Mission) التى عملت فى شرق الاستوائية .

٦- إرسالية السودان الداخلية (Sudan Interior Mission) والأخيرة عملت فى جنوب مديرية النيل الأزرق و فى أعالى النيل .

(تدين الإرسالية الأولى بالمذهب الكاثوليكى بينما تدين الأخريات بالمذهب البروتستانتى).

دعت الحكومة الإنجليزية هذه الإرساليات و شجعتها على العمل فى السودان، وصادف ذلك قبولاً لدى المبشرين لا سيما بعد إستتباب الأمن . و كان من أهداف المبشرين اتخاذ السودان معبراً إلى أفريقيا الأخرى، لما للسودان من أهمية خاصة لموقعه فى ملتقى الطُرق المؤدية إلى غرب و جنوب و شرق أفريقيا .

بدأت الإرساليات التنصيرية عملها فى جبال النوبا ، وهو وإن كـان علنيـاً إلا أنـه كان بحذر شـديد خوفـاً مـن ردود الفعـل الاسـلامية. حيـث إستأنفت الكنيسـة الكاثوليكية عملها بجبال النوبا بـالدلنج عـام ١٩٠٦م . ولكـن لم يسـجل العمـل الكنسى فى الديار القريبة العهد بالمهدية أي نجاح. كما تم طرد القساوسـة الألمـان غـداة انـدلاع الحـرب العالميـة الأولى، و فـى عـام ١٩١٦م ، توقـف النشـاط الكاثوليكى بالدلنج بموت آخر قسيس كاثوليكى. و لم ترسل الكنيسة الكاثوليكية إلى تلك المنطقة قسيساً آخر. و يبدو أن فى الأمر تنسيقاً، فقـد أخلـى الكـاثوليك المنطقة لمصلحة الكنيسة الأسقفية البروتستانتية، اذ بدأت إرسالية السودان المتحـدة نشاطها في جبال النوبا في عام ١٩٢٠م بافتتاحها لمحطة تبشيرية في هيبـان. و بعـد ثلاث سنوات فى مارس ١٩٢٣م ، قـامت محطـة اخـرى في عـبرى وسـط قبـائل الكواليب. كما افتتحت في نوفمـبر ١٩٢٩م ، مركـزاً فـى تبانيـا لرعايـة النشـاط الكنسي وسط قبائل الكرنقو. و قد امتدت حدود مناطق نفوذ إرسـالية السـودان المتحدة الشمالية من هيبان الى كيلك، و حدودها الغربيـة مـن كيلـك الى الحـدود الشمالية لارسالية الكاثوليك الرومان. بينما امتدت حدودها الجنوبيـة الى الحـدود الشمالية لمناطق نفوذ ارسالية الكاثوليك الرومان .

لقد اهتزت ثقة الادارة البريطانية في إرسالية السـودان المتحـدة منـذ عـام ١٩٣٣م و ظلل الفتور العلاقة بينهما، مما دفع الحكومـة الى استدعاء كيـان تبشـيري آخـر لتعزيز الوجود التنصيري في منطقة جبال النوبا، فاستدعت جمعية التبشـير الكنسـي للعمل في جبال النوبا. و حددت الجبال الغربية ميدانا لنشاطها التبشيري .

توافقت صحوة العمل الكنسي في مديرية كردفان مع مجئ نيوبولد حاكماً لمديريـة كردفان فى عام ١٩٣٢م، اذ اسس سـت مـدارس حكوميـة بـالقرب مـن مراكـز التبشير المسيحي للاستفادة من المبشرين في التعليم و لربط حركة الشـباب المتعلـم بالكنيسة. كما باشرت في هذه الفترة الارسالية المتحدة العمل وسط قبيلة النيمانج

أهم و أكبر قبائل النوبا بالجبال . كما نشطت الكنيسة الاسقفية في منطقة الجبال حيث فتحت في عام ١٩٣٤م تسعة مراكز للتبشير و اشتمل كل مركز على كنيسة و مدرسة في سلارا ، كادقلي ، عبرى ، هيبان ، كاتشا كاودا ، مورو تالودي و تبانيا .

و لما كانت الارساليات التبشيرية تمثل رأس الرمح في حركة التبشير في جبال النوبا فسوف نستعرض جانباً من نشاطها المدعوم من قبل سلطات الاحتلال الانجليزي و ذلك على النحو التالي :

اولاً : ارسالية السودان المتحدة :- (Sudan United Mission)

تعد ارسالية السودان المتحدة احدى الارساليات التبشيرية التي عززت الوجود التنصيري في المحيط العالمي ، و قد اسسها كارل كم (Hermen Karl William Kum) في انجلترا في عام ١٩٠٤م ، بهدف حمل رسالة الكتاب المقدس الى قبائل السودان في افريقيا - أى المنطقة التي تمتد من النيجر الى النيل - و كارل كم ولد في المانيا في اكتوبر ١٨٧٤م ، و توفى عام ١٩٣٠م ، و قد كان كاتباً و مبشراً ، رأى خلال جولة له في تلك المناطق ان الاسلام يسير بخطى حثيثة. ولاجل ذلك قطع دراسته للدكتوراة، و قام بطواف شمل اقليم النيل. و قد وجد تشجيعاً على تأسيس ارسالية، لا سيما من كنائس إنجلترا و ايرلندا واسكتلندا. و شرع في تأسيسها و اطلق عليها ارسالية السودان المتحدة . و قد توجه أول مبشرى ارسالية السودان المتحدة الى نيجريا في عام ١٩٠٤م.(٩٧)

في بادئ الأمر ضمت المجموعة الرائدة لارسالية السودان المتحدة في بلاد السودان مستر مكدرميد (Mac Diarmid,P.A) و مستر ملز (Mr.Mills) و رون ترندنقر (Ron Trundinger) و مارتن ترندنقر (Martin Trundinger) و قد وصلوا الى ملوط فى شمال اعالي النيل في اكتوبر ١٩١٣م حيث رحبت بهم

السلطات الحكومية و اقترحت منطقة ملوط ميداناً لعمل الارسالية التبشيري. واشارت الى ان أي نجاح يتحقق في مليط سيكون دافعاً للحكومة لدعم مشاريع الارسالية المستقبلية . و فى عام ١٩١٨م خاطبت الارسالية الادارة البريطانية للسماح لها بالعمل في منطقة جبال النوبا. و قد وجد الطلب اهتماماً و تمت الموافقة للارسالية بالعمل في الجبال في عام ١٩١٩م .وكما ذكرنا من قبل فقد إستهلت الارسالية عملها الفعلى فى الجبال فى عام ١٩٢٠م بمحطة هيبان ثم عبرى فى عام ١٩٢٣م، و مركز تبانيا في نوفمبر ١٩٢٩م . و على الرغم من بروز قدر من الصعوبات في طريق ارسالية السودان المتحدة و اهتزاز ثقة الحكومة البريطانية فيها و فتور العلاقات بينهما، إلا ان ذلك لم يثنها عن مواصلة مشوارها التنصيري ، فافتتحت مركزاً تبشيرياً وسط قبائل المورو فى عام ١٩٣٣م و مركزاً آخر فى كاودا (فى جبال أطورو) فى عام ١٩٣٦م للتبشير بالمسيحية وسط قبيلتي اطورو و تيرا . كما أسست عدداً من المؤسسات التبشيرية كانت بعضها مؤسسات تعليمية مثل مدرسة الشواي التي افتتحت في عام ١٩٥١م و سميت مدرسة ملز التذكارية. و بعضها الآخر مؤسسات طبية مثل مستعمرة نياكاما للجذام التي تم افتتاحها فى مستهل عام ١٩٥٣م . وأتبع لها كذلك مركز سلارا التبشيري بعد تصفية جمعية التبشير الكنسي لاعمالها التبشيرية في منطقة النيمانج في الجبال الشرقية في عام ١٩٥٤م .

واصلت ارسالية السودان المتحدة رعايتها للعمل التنصيري في جبال النوبا حتى خروج المبشرين الاجانب من الجبال في عام ١٩٦٢م اثر صدور قانون الهيئات التبشيرية ، و انتقلت عند ذلك رعاية العمل الكنسي الى كنيسة المسيح السودانية التي تولى رعايتها صمويل حنقول احد ابناء الكواليب. (٩٨)

و من بين مراكز الارسالية كان مركز عبري التبشيري يمثل القلب النابض للتبشير فى جبال النوبا ، حيث كان مقراً للمبشرين الذين اشرفوا على اعمال

الإرسالية، لا سيما مستر مكدرميد و مستر ملز الذي غادر جبال النوبا في ٢٧ مايو ١٩٤٥م بعد ان مكث خمسة و عشرين عاماً في العمل التبشيري في جبال النوبا. ثم خلفه مستر لن (Mr.Lunn) الذى ظل يعمل في المنطقة حتى مغادرة المبشرين الآجانب جبال النوبا عام ١٩٦٢م . و قد اهتم مبشرو ارسالية السودان المتحدة بلهجات الكواليب و ترجموا بعضها الى اللغة الانجليزية ليسهل استيعاب مضامين الانجليزية. كما اشرفت زوجة مستر ملز على ادارة مدرسة عبرى التي بلغ عدد طلابها في عام ١٩٢٣م حوالي اربعة و خمسين طالباً و تسع طالبات. بينما قامت فلورنس لن (زوج مستر لن) على أمر آخر الترجمات التي قام بها المبشرون الاجانب في عبرى . عموماً فقد احتل مركز عبرى التبشيري مكانا متميزاً في مسيرة العمل التبشيري في جبال النوبا .

بجانب المراكز التبشيرية أقامت ارسالية السودان المتحدة مؤسسات تبشيرية، تعميقاً للنشاط الإرسالي في منطقة جبال النوبا. و تشمل ابرز تلك المؤسسات الآتى :

١.مدرسة ملز التذكارية : (Mills Memorial Bible School)

أسست هذه المدرسة على منوال مدرسة اللاهوت في مندرى التي أسستها جمعية التبشير الكنسى لتأهيل و تدريب الكوادر التبشيرية لرعاية التبشير المسيحي في جنوب السودان . و قد هدفت الارسالية من تأسيس المدرسة إلى تأهيل كوادر لرعاية أعمال الارسالية في منطقة جبال النوبا . و ترجع أول فكرة لتأسيسها الى عام ١٩٣٩م ، عندما اقترح مستر ملز المشرف الميداني لارسالية السودان المتحدة و زوجته تقديم قربان يكون شاهداً على جهدهما التبشيري في الجبال ، الا ان المشروع لم يكتب له النجاح في تلك الفترة إذ اصيب مستر ملز بمرض عند رجوعه الى نيوزلندا بعد انتهاء فترة عمله في الجبال ادى الى وفاته في عام ١٩٤٦م. وفيما بعد رأت الارسالية تخليد اسم ملز في منطقة جبال النوبا فأنشأت

المدرسة في عام ١٩٥١م ، و كان اختيار الطلاب لهذه المدرسة يقوم به كبار رجال الارسالية الذين يتوخون عند الاختيار الشخصيات التي تكون موضع ثقة الارسالية للاستفادة منها في رعاية التبشير المسيحي في جبال النوبا .

و بالرغم من التفاؤل الذي كان يحيط بمدرسة ملز التذكارية الا انها لم تستمر طويلاً. اذ لم تمض سنة ١٩٥٥م ، حتى فكرت الارسالية في تصفيتها و حولت طلابها الى منطقة هيبان . و عزت الإرسالية ذلك الى النقص في الكوادر التبشيرية. لكن سلطات الحكومة استبعدت أن يكون ذلك هو السبب فى تصفية الارسالية للمدرسة في منطقة الشواي، وهي ترى أن السبب الاساسي لتلك التصفية يرجع الى سيادة روح مناهضة للتبشير المسيحي في منطقة الشواى، اضافة إلى نشاط الشيخ محمد البرناوي شيخ الطريقة القادرية في المنطقة .

٢- مستعمرة نيكاما للجذام : (Nyakama lepprosy Settlement)

تمثل مستعمرة نيكاما للجذام احدى مؤسسات ارسالية السودان المتحدة الطبية في جبال النوبا . و قد أنشئت لدرء مخاطر مرض الجذام الذي انتشر في منطقة جبال النوبا في فترة العهد البريطاني .

نال مشروع مكافحة مرض الجذام الذي تبناه الفرع النيوزيلندي لارسالية السودان المتحدة في جبال النوبا عطف معظم الدوائر التنصيرية العاملة في المحيط العالمي، لا سيما الفرع الانجليزى للارسالية الذي دعم ذلك المشروع . كما وفدت مجموعة من المبشرين للمشاركة في رعاية المشروع .

فتحت مستعمرة نيكاما للجذام ابوابها لاستقبال مصابي الجذام في مستهل عام ١٩٥٣م ، وقدم اول مريض الى المستعمرة في مايو ١٩٥٣م . و قد بلغ نزلاء المستعمرة في عام ١٩٥٤م حوالي مائة مريض . و ارتفع العدد بعد ثلاث سنوات من نزوح المستعمر الى خمسمائة نزيل .. بجانب المستعمرة تم فتح عدد من عيادات

الجذام في عبرى و هيبان و كاودا و في منطقة المورو لتغذية مستعمرة نيكاما بالمجذومين .

عموماً تعد مستعمرة نيكاما للجذام أبرز مؤسسات ارسالية السودان المتحدة الطبية في منطقة جبال النوبا .

هذه صورة مجملة تمثل بعض المعالم الهامة في مسيرة ارسالية السودان المتحدة في منطقة جبال النوبا التي أسهمت في تركيز الوجود الكنسي و ترسيخ أقدامه في الجبال .

ثانياً : جمعية التبشير الكنسي (Church Missionary Society)

تعتبر جمعية التبشير الكنسي ضمن الارساليات التبشيرية الانجليزية التي تولت رعاية التبشير المسيحي في السودان. و يرجع تأسيسها الى ذات السنة التي دخلت فيها جيوش نابليون مصر . و قد أطلق عليها في البداية اسم جمعية التبشير الى افريقيا و الشرق . و قد صيغ الاسم حسبما تقصده الإرسالية من ساحات العمل. و استقر اسمها اخيراً على جمعية التبشير الكنسي (٩٩).

لقد وجهت جمعية التبشير الكنسي نشاطها التبشيري الى افريقيا بعد اكتمال تأسيسها في ابريل ١٧٩٩م . ووصل أول مبشريها الى سيراليون في الرابع من نوفمبر عام ١٧٩٩م ، و بذلك اصبحت سيراليون اول محطة للإرسالية على مستوى افريقيا ، و كان ذلك تحت مظلة الكشوف الجغرافية ، و كان أول نشاط لها فى السودان سنة ١٨٧١م ، عندما دعاها الجنرال غردون حاكم الاستوائية الى العمل فى مديريته، كما بدأت جمعية التبشير عملها في منطقة اعالي النيل في عام ١٩٠٦م ، ثم قامت بافتتاح مستشفى لها فى أم درمان في عام ١٩١٤م .

كما ذكرنا سابقاً طلبت الحكومة البريطانية من جمعية التبشير الكنسي اختيار منطقة عمل تبشيري في جبال النوبا. و قد رحب مبشرو الجمعية بتلك الدعوة

وكان ذلك في عـام ١٩٣٣م . و في ابريـل مـن عـام ١٩٣٤م زار أول وفـد مـن الجمعية منطقة جبال النوبا لتأسيس اتصال مع سلطات الحكومـة و تكويـن فكـرة عن المنطقة التي يتوقع ان يبدأ فيها العمل التبشيري. و قد قام بالرحلة مستر برترام (Mr. Bertram) و شملت رحلته الجبال الغربية و الجبال الشرقية. والراجح ان الرحلة شجعت جمعية التبشير الكنسي على بدء اعمالها في منطقة جبال النوبا .

المراكز التبشيرية للجمعية :

اهتمت جمعية التبشير الكنسي في مسيرتها الرامية الى تعزيـز الوجـود التنصيري في منطقة جبال النوبا بتأسيس عدة مراكز تبشيرية في الجبال الغربية تمثلت في الآتي:

١- مركز سلارا :

استقر رأي الإرسالية على اختيار منطقة سلارا مركزاً للتبشير المسيحي وسط قبيلة النيمانج التي تعد أكـبر قبـائل مجموعـة الدلنـج. حيـث وصلـت أول مجموعـة مـن مبشري جمعية التبشير الكنسـي الى الدلنـج في ينـاير ١٩٣٥م. و قـد تـألفت تلـك المجموعــة مــن دكتــور وايلــد بــرون (Dr.Whildbrone) و مســز قينينـــد (Miss.Ganiand) وهوبكـنز (E.var.Hopkins). و قـد اسـتقرت تلـك المجموعة في الدلنج للالمام باللغة العربية. ثم قاموا بجولات طبية بـدأت بجبـل تنديـة ثم وصلوا الى سلارا و شرعوا في تأسيس مركز للارسالية . و أصبح مركز سلارا التبشيري في عام ١٩٣٦م يتألف مـن عيـادة و معمـل و داخليـة للمرضى. كمـا كانت ترسل الحالات الخطيرة الى الدلنج . (١٠٠)

و لما كانت منطقة النيمانج ذات ثقل اسـلامي نظـراً لانفتاحهـا على المجموعـات العربية (عرب الحوازمة) و الاسلامية (تجار الدلنج)، فقد احهض ذلك مشاريع الارسالية التنصيرية في تلك الاصقاع، مما دفع جمعيـة التبشـير الكنسـي الى تصفيـة مركـز سـلارا التبشـيري، و اسـندت رعايتـه كمـا أسـلفنا الى ارسـالية السـودان المتحـدة . و قـد تمثـل ذلـك التحـدي الـذي افـرزه الوجـود الاسـلامي في منطقـة

النيمانج في اعراض طلاب مدرسة سلارا الابتدائية عن برامج الارسالية التنصيرية . و ذلك بمقاطعتهم للدروس الدينية المسيحية و امتناعهم عن زيارة الكنيسة في أيام الأحد كما فصلنا ذلك في الفصل الثاني . هذا بجانب انخراط مجموعات النيمانج في حركة التبشير الاسلامي التي قادها الشيخ محمد الامين القرشي في جبال النوبا. مما اضطر الارسالية الى تصفية مركز سلارا التبشيري في مستهل ١٩٥٤م .

٢- مركز كاتشا : (Catcha)

تم اختيار منطقة كاتشا مركزا للتبشير المسيحي وسط قبيلة كادقلي التي كانت في ذلك الوقت على درجة من الوثنية و لم يكسب الاسلام فيها ارضية معتبرة .

ألحقت بمركز كاتشا التبشيري مدرسة اولية و متوسطة. و كانت المدرسة المتوسطة قبلة طلاب النوبا. اذ أمَّها الطلاب من معظم مناطق جبال النوبا، بل وغذتها حتى المدارس التي كانت تحت ادارة ارسالية السودان المتحدة . و قد استمرت جمعية التبشير الكنسي في رعاية مدرسة كاتشا المتوسطة حتى عام ١٩٥٩م ، حين آلت ادارتها الى وزارة التربية و التعليم. و عندما اعلن قانون التبشير آلت رعاية مركز كاتشا التبشيري الى بطرس تيه الذي تزامن تأهيله الكنسي مع تأهيل صمويل جنقول راعي كنيسة المسيح السودانية .

هذه صورة اخرى لاحدى الارساليات التبشيرية التى عملت بجبال النوبا ووضعت اللبنات الاولى للمسيحية في المنطقة وان اتسمت بمحدودية النطاق والتأثير .

قانون المناطق المقفولة :

في عام ١٩٣٢م ، و هو العام الذي تولى فيه نيوبولد ادارة النوبا ، اعلنت الحكومة البريطانية جبال النوبا منطقة مقفولة يحرم دخولها على العرب و المسلمين و سكان شمال السودان قاطبة الا باذن خاص . و استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٤٩م ، حينما ألغى قانون المناطق المقفولة. (١٠١)

و صدرت التعليمات بموجب هذا القانون ، من السكرتير الاداري الى جميع مفتشي المنطقة باخلاء الموظفين الشماليين تدريجياً و استبدالهم بأبناء النوبا.
وبموجب هذا القانون فان أي شخص - بما في ذلك النوبا أنفسهم - يمكن ان يُعْزَل او يُطْرَد من المنطقة المقفولة . و كان لابد لكل من يود مزاولة التجارة - باستثناء الاهالي العاملين في التجارة في بلدهم - من حمل تصريح تجارة . وكانت عبارة (الاهالي العاملون في التجارة في بلدهم) تطبق بنوع خاص و شامل على كل مواطنى الجبال الشرقية و الغربية. و كان لا بد للتاجر العربي (الجلابي) من ان يتحصل على خطاب تقديم يحوي توصية من مفتش مركز منطقته الى مفتش مركز المنطقة التي ينوي التجارة فيها في جبال النوبا . (١٠٢)
كل هذه الاجراءات كما قلنا كان الهدف منها تعزيز سياسة الحكومة تجاه هذه المناطق ضد التأثير المتوقع و الحادث فعلاً من قبل المسلمين و العرب السودانيين والمصريين على حدٍ سواء. و قد صرح السكرتير الاداري (ماكمايكل) بذلك في احدى نشراته الدورية السرية ، حيث قال ((... لقد اصبح هدف الحكومة الآن تشجيع التجار المسيحيين من الاغريق و السوريين بقدر الامكان لدخول المنطقة بدلاً من الجلابة المسلمين و العرب من شمال السودان ... و على هذا يحظر على الجلابة الاتجار في المنطقة ، الا (خيارهم) فقط و المهتمين بالتجارة فحسب و الذين يسلكون سلوكاً قانونياً ... على ان تحصر تجارتهم في المدن والطرق الرئيسية ..)) (١٠٣) . و قد برر السكرتير الاداري هذا الامر بهدفين هما :
(١) الحفاظ على الامن العام .
(٢) حماية النوبا من التسخير والاستغلال، و ذلك لقصورهم عن حماية انفسهم.
غير أنه من الواضح ان الهدف الاساسي من كل هذا هو حماية النوبا من الاثر العربي الاسلامي و افساح المجال للتبشير المسيحي . كما رُفعت رسوم الرخص

التجارية السنوية في هذه المناطق الى خمسين حينهاً على الداخلين من غير اهل المنطقة والجلابة. و هو بالطبع مبلغ ضخم اذا ما قيس بزمانه .

غير ان هذا القانون يستثني المبشرين المسيحيين من تلك القيود ، بل و يعمل على تشجيعهم على العمل في المنطقة. و يقسم هذا القانون السودانيين الى قسمين : العرب (المسلمون) و غير العرب (الوثنيون). و ذلك لكي يتسنى للكنيسة التعامل مع القسم الاخير لتشكيله و صياغته وفق سياساتها الدينية و الادارية .

و لكن الوضع في الجبال قد تحدى الحكومة و أعجزها عن تنفيذ تلك السياسة. فلم تستطيع الحكومة استبدال الموظفين الشماليين العاملين في الجبال بأبناء النوبا لعدم وجود عد كاف من ابناء النوبا المتعلمين يمكن ان يحلوا محل الشماليين، رغم انها قد شرعت منذ اوائل الثلاثينيات في تدريب ابناء النوبا لتولي هذا العمل . ثم ان معاملة العرب الوطنيين المقيمين في الجبال كأجانب جعلتهم يستنكرون هذا القانون الجائر و يرفعون اصواتهم عالية بهذا الاستنكار. و مثالا لذلك فقد رفع تجار تلودي في ١٩٣٢/٥/٢٦م عريضة يستنكرون فيها فرض الضريبة التجارية السنوية عليهم و يطالبون باعفائهم منها . (١٠٤) ثم تواصلت الاحتجاجات حيث كتبت جريدة (النيل) اليومية في ١٩٣٦/٩/١٤م مقالاً انتقد القانون .. و فيما بعد رأي حاكم اقليم الجبال ألا محيص من الغاء هذا القانون ، بل قد وصل السكرتير الاداري نفسه الى هذه القناعة و تكشف له ان قانون المناطق المقفولة اصبح غير مجد و أنه لا يمكن الدفاع عنه و لابد من الغائه ، فأعلن ((... ان كل مواطن سوداني يسكن فى مديريةٍ ما لأكثر من خمس سنوات يعد مواطنا أصيلا فيها ...)) (١٠٥) .

و لكي تجد الحكومة تبريراً منطقياً لالغاء هذا القانون أعلن الحاكم العام ((... ان التبرير الثانوي لقانون المناطق المقفولة اصبح غير كاف بل و مقيداً

و حائراً اذا ما قورن بالتقدم الذي احرزه في كثير من المحالات في المناطق المختلفة منذ اعلانه ....)) و هذا يعني في نظر الحاكم العام ان النوبا قد اصبحوا قادرين على رعاية انفسهم . و بالتالي فلا توجس في مسألة الأمن العام . اذ ان تلك هي المبررات التي ساقتها الحكومة عند فرضها لهذا القانون .

و بذلك سُمح لجميع السودانيين بالدخول و الاتجار في أي من المديريات التي يرغبون دون قيد او شرط ، عدا مديريات جنوب السودان .

و تحت ضغوط المتعلمين من ابناء شمال السودان اضطرت الحكومة الى التخلى عن سياسة الفصل بين العرب و النوبا و العدول إلى سياسة الوحدة بينهما . وظهر ذلك في تجميع العرب و النوبا في وحدات ادارية واحدة في شمال وجنوب الجبال، كما تم انتخاب ممثلين للنوبا في البرلمان المركزى بالخرطوم ، ففي ١٩٣٦م كتب حاكم كردفان الى مفتش الجبال ((... ان سياسة الحكومة اقتضت بناء وحدات ادارية على اساس جغرافي و ليس على الاساس القبلي ...)) كما كان سائدا من قبل.

و كذلك لعبت الحرب العالمية الثانية التي انتهت في العام ١٩٤٥م ، دوراً كبيراً في تعديل سياسة الحكومة تجاه النوبا ، اذ قد جندت الحكومة البريطانية آلاف النوبا الذين اختلطوا بالعرب و اشتركوا في حرب (الاحلاف) في شمال افريقيا وفي ارتريا ، و تعرضوا بذلك لتأثير الحضارات الاخرى . و رُفع الحظر فيما بعد عن هجرة النوبا الى شمال السودان. كما فتحت وحدات النوبا العسكرية في الدلنج و كادقلى لتعيين العرب و من ثم اختلاطهم بهم .

السياسة التعليمية في منطقة جبال النوبا :

في عام ١٩٣٤م خاطب حاكم كردفان ، دوجلاس نيوبولد مؤتمراً تبشيرياً في جبال النوبا قائلاً : ((تقر الحكومة بان هدف الارسالية هو تغيير السكان والعمل على اقامة كنيسة محلية و ترقيتها ، بحيث تعتمد على ذاتها في ادارة شؤونها وتدبير

مواردها المالية و الانطلاق بعملها التنصيري . و لعل الارسالية تدرك ان تأسيس كنيسة قوية يتطلب بالضرورة توافر أُناس متعلمين. ومن ثم اصبح التعليم جزءاً ضرورياً من الدعوة التنصيرية ...)) كان هدف الحكومة و الارساليات في المناطق الوثنية و الجنوب يلتقي عند نقطتين كما ذكروا ((.. تكوين جبهة واحدة ضد الاسلام و " الجهل " ...)) (١٠٦) و بذا وضعت الحكومة التعليم في يد الارساليات في تلك المناطق لتشكله كيف شاءت و لتشرف عليه الاشراف الكامل ، فاصبحت هذه المناطق مجالاً للتجريب و الاختبار للمناهج التعليمية ولغة التعليم نفسها ، و اذا كانت الحركة التنصيرية قد اتخذت من التعليم والنشاط الصحي وسائل لنشر المسيحية كما ذكرنا سابقاً، فإن الرسالة التعليمية كان الهدف الاساسي منها هو تقديم الديانة المسيحية في القالب التعليمي. ويتجلى ذلك في حديث مدير المعارف الى مؤتمر ارسالية السودان المتحدة الذي عقد في عبرى في ٢٥ يناير ١٩٣٥م .. ((لقد قررت الحكومة انه يجب علينا على الأقل محاولة اعطاء هؤلاء الناس أحسن ما نقدمه، و هو مسيحية يبشر بها رجال من جنسنا)) . (١٠٧)

لم تكن هنالك سياسة تعليمية واحدة ومستقرة في جبال النوبا. فقد كانت الحكومة البريطانية تعيد قراءة افكارها تجاه التعليم في منطقة الجبال من وقت لآخر. فمثلاً نجد انه في ذلك الوقت كانت هنالك اربع مدارس اولية حكومية عدا مدارس الارساليات موجودة في الدلنج و كادقلي و تلودي و رشاد على التوالي . و لم يكن الدين المسيحي او الاسلامي يدرس فيها ، إذ أملت الحكومة ان يأتي اولاد النوبا الى هذه المدارس . و لكن الذي حدث ان معظم التلاميذ كانوا من المدن نفسها و لم يكن بد من ان يطالبوا بتدريسهم الدين الاسلامي . وكانت سياسة الحكومة الا يتلقى التلاميذ النوباويون تعليماً دينياً دون موافقة والديهم. ومفتش المركز هو السلطة الوحيدة التي تقرر في هذا الموضوع . ولم يكن توجيه

الحكومة ذا أثر فعال لأنه لم يؤكد ان المعنيين بالتعليم الديني هم التلاميذ المسلمون فقط. و اكتشفت الحكومة عام ١٩٣٠م ان هذه المدارس تدرس الدين الاسلامي للتلاميذ العرب والنوبا، المسلمين فيهم و الوثنيين، و انها اصبحت بذلك مراكز دعاية للاسلام . فصدر توجيه حكومي جديد ركز على أحقية تلقى التلاميذ المسلمين فقط حصص الدين الاسلامي . (١٠٨) و اقترح جيلان - لجعل السياسة أكثر نفاذاً - اعتبار مدارس الحكومة في المستقبل مدارس بالمدن في المقام الاول، و انه يجب اعتبار كل التلاميذ النوبا وثنيين، عدا اولئك الذين يشهد مفتش المركز بانهم آتون من جبال يسكنها مسلمون كليةً. فالتلاميذ النوباويون في نظره يحتاجون الى تعليم يختلف عن أي تعليم تعطيه مدارس الحكومة في المدن . و بما ان الحكومات كانت تود تطوير النوبا على اساس مسيحي، او بكلمات اخرى تعضيد ثقافة نوباوية متفردة بمعنى أنها واقعة تحت التأثير المسيحى، فانها - أي الحكومة - توجهت بانظارها الى ارسالية السودان المتحدة . و لكن كان لابد من حل مشكلة لغة التعليم قبل وضع التعليم في ايدي الارسالية .

اتخذ المبشرون في بادئ الامر الحروف الرومانية لتدريس اللغة العربية ، في محاولة لخلق حاجز ضد أية محاولة لدراسة الاسلام و تعلم القرآن ، و قد اخذ المنصرون هذه الطريقة عن المبشرين الكاثوليك الذين ادخلوها في مدارسهم في واو حتى عام ١٩٣٠م ، و قد ادركت الحكومة ان تجربة تعليم العربية بالحروف الرومانية باءت بالفشل للصعاب الفنية و العملية . كما ان حركة الاسلام بين النوبا قد تصاعدت بخطى متفوقة تفوقاً كبيراً على حركة التنصير.

و عندما عين نيوبولد مديراً لكردفان في عام ١٩٣٢م ، اتخذت السياسة نحو العربية المكتوبة بحروف رومانية اتجاهاً آخر . فمثل جيلان ، كان نيوبولد يرغب في تقدم النوبا على طريقته. و لكنه كان عملياً اكثر من جيلان . لم يكن نيوبولد ضد هذه التجربة لأنها برهنت انه لا يمكن تدريسها ، و لكن لأنها لا تؤدي في

النهاية الى شيء. فقد كانت في المقام الاول حلاً وسطاً . كـان نيوبولـد مقتنعـاً ان اللغة العربية المكتوبة بحروف عربية أكثر فائدة اذا كان للتعليم ان يسير يداً بيد مـع التقدم المادي فمن السهل تدريس اللغة العربية بحروفها. كما انه يمكن للنوبا الذين يتعلمونها الحصـول علـى وظـائف حكوميـة و تجاريـة ، اضافـة الى انهـا ستسـهل الاتصال بين النوبا و الآخرين . أما بالنسبة للمساوئ فانها - حسب رأي نيوبولد - يمكن اغفالها اذا وضعنا في الاعتبار الفرصة الواسعة المحسنة للنوبا و مستقبلهم اما خطـر انتشـار الاسـلام فسيكون في رأيـه طفيفـاً اذا دُرِسـت العربيـة المكتوبـة بحروف عربية في مدارس الارسـاليات، حيـث سيجعل التأثير المسيحي الميـل الى الاسلام غير ذي ضرر . وبما ان الحكومـة كـانت تنـوى فتـح مـدارس اوليـة و ان مسألة المدرسين و الكتـب كـانت ستثار، فـان نيوبولـد اتخـذ قـراره فيمـا يختـص باستعمال العربية المكتوبة بحروف رومانية قبل نهاية عام ١٩٣٥م ، و نتيجة لذلك عقد اجتماع في الاسبوع الاول مـن ديسـمبر مـن ذلـك العام بمكتـب السكرتير الاداري . و في ذلك الاجتماع قررت الحكومة تدريس لغـة عربيـة ادبيـة فصيحـة مبسطة و مكتوبة بحروف عربية و تعني عبارة ((ادبية فصيحة مبسطة)) هذه نوعـاً من العربية ذات مفـردات أقـرب الى العاميـة منهـا الى الفصحـى . فكـان السـبب الرئيسي لقرار الحكومة هو ان العربية الدارجة المكتوبة بـأحرف رومانيـة كاللغـة الانجليزية ((لن تفصل النوبا عن التقدم المادي فقط، ولكن عـن المنـاهل الرئيسـية لتقدمهم الروحى و الثقافي)) . (١٠٩) و عندما تصاعدت حـركة المـد الاسـلامي تفتق ذهن الادارة البريطانية الحاكمـة عـن نمـط جديـد مـن التعليـم وهـو مـدارس الكشافة للبنين التي تقوم على تعاليم الانجليزي (بادن باول) الشهيرة و تهـدف الى اقصاء التربية الدينية و احلال صفات الامانة و الانضباط مكانهـا. و ظلـت هـذه المـدارس قائمـة حتـى بدايـة الثلاثينيـات. و بـين عـامي (١٩٣٦م - ١٩٣٩م) وسعت الادارة الاستعمارية في فتح المـدارس العلمانيـة فانشـأت اربـع مـدارس في

سلارا و كوجا و كاتشا و عبرى. وعينت عدداً من الاقباط لادارتها . و لكن ابتداءاً من عام ١٩٣٩م توقف تدريس الديانة المسيحية في تلك المدارس امام ارهاصات الحرب العالمية الثانية . و منذ بداية الاربعينيات ادركت الحكومة البريطانية في السودان ان التعليم الكنسي بتركيزه على التنصير قد أدى الى زيادة التوتر الاجتماعي و نمو العقلية الانعزالية وسط المتنصرين . كما كان عائقاً امام التقدم الاجتماعي و الاقتصادي . لذا فقد سمحت الحكومة بتدريس الديانة الاسلامية في المدارس الحكومية التي كان نشاطها مكملاً لنشاط مدارس القرى الكنسية التي أنشأتها الإرسالية للتصدى للاسلام . و اصبح الطلاب احراراً في تلقي التعليم المسيحي او الاسلامي او الاعراض عن كليهما . و كان من نتيجة ذلك ما حدث في مدرسة سلارا على النحو الذي ذكرنا سابقاً إبان حملة التبشير الاسلامي التي قادها الداعية محمد الأمين القرشي . و فطنت الارساليات الى مغزى ما حدث في سلارا و دلالته على ضعف الاساس الذي قامت عليه الكنيسة في السودان . و لكن الكنائس لم تستطع ان تفعل شيئاً يومذاك في ظروف التهاب المشاعر الوطنية التي تعبر عن اشواق اسلامية مكبوتة، وفي وقت اقبل فيه النوبا على اعتناق الاسلام اقبالاً كبيراً. و لعل ما حدث هو الذي فوت الفرصة على الكنيسة و جعل جبال النوبا تفلت من حصار المخططات التنصيرية التي ما تزال تكبل جنوب السودان.

خلاصة القول ان الادارة البريطانية لم تعط الأولوية للتعليم في جبال النوبا و لم يجد منها العناية المطلوبة الا بعد مرور العشرين عاماً الاولى من عمر الحكم البريطاني في السودان. و قد أتاحت الحكومة البريطانية فرص فتح المدارس في مناطق التركيز النوباوي للارساليات التبشيرية متمثلة في ارسالية السودان المتحدة و جمعية التبشير الكنسي . أما في مناطق الثقل العربي فقد شجعت قيام المدارس الصغرى التي تقوم بالصرف عليها المجالس المحلية. و دعماً للنشاط الارسالي في الحقل التعليمي

لم تكتف الادارة البريطانية بوضع المدارس الحكومية بالقرب من المراكز التبشيرية، بل أبدت رغبتها في تحمل التكاليف المالية للمدارس التي تفتحها الارساليات التبشيرية في مناطق تركز نفوذها.(١١٠) و حاولت جاهدة خلق لغة جديدة للتعليم في منطقة جبال النوبا. فتبنت العربية المكتوبة بالأحرف الرومانية لغة للتعليم فى مدارس النوبا لتتسق مع سياستها الرامية الى تصفية المؤثرات الاسلامية في منطقة جبال النوبا وترسيخ ثقافة جديدة على أساس وثني مسيحي. غير ان تلك السياسة لم تجد الترحيب، كما قلنا. اذ منيت بانتقادات واسعة اضطرت معها الادارة البريطانية الى النكوص عن تلك السياسة و التقرير بحقيقة الواقع الاسلامي في منطقة جبال النوبا. و في مرحلة من مراحل سياستها التعليمية في جبال النوبا فصلت الادارة البريطانية نظاماً تعليمياً فريداً للنوبا عرف بنظام مدارس الغابة (Bush School) حيث اعتمدت اللهجات المحلية كوسيلة لغوية للتعليم (لا العربية و لا الانجليزية) . و قد علق احد المفتشين البريطانيين في العام ١٩٤٠م منتقداً هذه السياسة بدافع انساني أمين بقوله: ((الى اين ستقود هذه السياسة التعليمية النوبا؟ اذ هي عملياً ستفصلهم عن الشمال ذي اللسان العربي، وعن الجنوب الذي تستخدم فيه الانجليزية كوسيلة للتعليم)).(١١١) و قد كان ما قال ذلك الرجل. والشاهد أنه والى ان استقل السودان في العام ١٩٥٦م، لم يتخرج ولا شخص واحد من النوبا من كلية غردون التي كانت تمثل قمة مراحل التعليم في السودان آنذاك. كانت تلك السياسة هي المسؤولة عن التخلف النسبي للنوبا في فجر الاستقلال. (١١٢)

فيما بعد و في منتصف الاربعينيات و الخمسينيات من هذا القرن شهدت هذه الفترة بداية ضعف التعاون السلمي بين رجال السياسة في منطقة جبال النوبا وبين المبشرين . وبدأ بعض رجال الادارة يوجهون الانتقادات المريرة الى الارساليات بسبب قصورها عن النهوض بما أوكل اليها من مهام . و لكن بالرغم من كل

الدعم المادي و المعنوي الذي قدمته الحكومة الى الارساليات التي دُعيت الى العمل في منطقة جبال النوبا الا أنها لم تفلح في وضع ذلك الحاجز بين الاسلام و النوبا. مما اضطر الحكومة الى فرض قانون المناطق المقفولة كما أشرنا سابقاً .

و قد عزت الارساليات هذا القصور الى ضعف امكانياتها البشرية والمادية التي تعمل بها في منطقة تعتبرها صخور بارزة وسط ((بحر ممتد من الظلام المحمدي)) كما وصفتها ارسالية السودان المتحدة في نشراتها.(١١٣) وعزا ماكسويل (١١٤) احد الاداريين الانجليز ذلك الفشل و الصعوبات التي واجهت الارسالية الى تعدد اللهجات و العادات و التقاليد المتأصلة في نفوس السكان، و أثر الاسلام و اللغة العربية المتزايد، اضافة الى التطور السياسي في البلاد. و اضاف (نادل) الى ذلك (١١٥) طبيعة الدين المسيحي الذي تتطلب تغييراً جذرياً للمجتمع أو بعبارة أدق : تهدف الى خلق مجتمع جديد، مما يوجد خلافاً بينه وبين الديانات المحلية . و رأى (نادل) ان المبشرين قد فشلوا في خلق نوع من الوفاق و التقريب بين مبادئ المسيحية و الممارسات الوثنية، و لعله يقصد محاربة الكنيسة لنظام (الكجرة) و تحريمها شرب الخمر ، و عجز الكنيسة عن التبشير بمسيحية تقوم على أساس نوباوي .

فيما أرجع ترمنجهام (١١٦) ذلك الى تغير نظرة السياسة البريطانية تجاه الاسلام بعد ان اصبح ((شرا لا بد منه)) والى الاختلاف بين نظرة الساسة والمبشرين حول أيهما يأتي اولاً : التنصير أم التعليم؟ فبينما يقدم الساسة التعليم يقدم المبشرون التنصير، الأمر الذي جعل الحكومة تتولى امر التعليم بنفسها منذ عام ١٩٤٠م بعد ان كانت قد عهدت به الى الارساليات .

تلك بعض للمعاذير التي اوردها بعض الاداريين و الساسة الانجليز لتبرير فشل الارساليات التي عملت في منطقة جبال النوبا بدعوة من الحكومة في النهوض بعملها على الوجه الاكمل او المرجو.

غير أننا نرى ان فشل الارساليات يعود الى سببين رئيسيين هما :

١- حركة المد الاسلامي التي انتظمت معظم جبال النوبا و ادت بالتالي الى انتشار الثقافة الاسلامية و اللغة العربية كما ذكرنا من قبل .

٢- والتطور السياسي في البلاد. ففي ديسمبر ١٩٤٨م تمتع السودان بشئ من الحكم الذاتي و اضطلع بعض السودانيين بمناصب وزارية ، ثم كانت سودنة الوظائف بعد تكوين اول وزارة سودانية عقب الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٥٤م، و أصبح (عوض ساتي) اول مدير سوداني للتعليم في السودان ١٩٥٥م. ثم تبع ذلك سودنة ادارات المدارس الثانوية (١١٧)، ثم توجت تلك التطورات السياسية باستقلال السودان عن الاستعمار الانجليزي في عام ١٩٥٦م. و انطوت بذلك صفحة من صفحات التاريخ في كل البلاد.

قابلت الارساليات المسيحية التطور السياسي الذي حدث في السودان بشئ من الذعر و القلق و الخوف على مستقبل المسيحية و التبشير المسيحي في السودان . و كانت ترى ان سودنة الوظائف تمكن للاسلام على حساب المسيحية . اذ ان اضطلاع الشماليين بالمناصب الادارية الرئيسية منها والثانوية سيجعل للاسلام وزناً كبيراً. بمعنىً آخر ((بينما يتقلص النفوذ البريطاني يزداد نفوذ الاسلام بنسبة مساوية لاعداد الاداريين المسلمين، ليس في المناصب الدنيا و انما في المناصب القيادية. و ان ارسالياتنا لمواجهة بقضية حد عظيمة في خطرها)).(١١٨) و بلغ التشاؤم ببعض المبشرين درجة ظنوا معها ان السودان لن يسمح بالتبشير المسيحي بعد الاستقلال، و ان المسيحية ستختفى مرة اخرى كما اختفت بذهاب مملكتي علوة و المغرة.

و إزاء التطور السياسي الذي حدث في السودان لم تقف الارساليات مكتوفة الايدي. و انما رأت ضرورة العمل على تقوية التبشير المسيحي و دعمه (ما دامت الفرصة سانحة بوجود الاداريين البريطانيين) معتمدة على المصادر والامكانات

المسيحية. و كانت تعلم انها ((لا يمكن ان تطالب باحتكار تأييد الحكومة و اهتمامها في قطر معظم سكانه مسلمون)).(١١٩) و اتبعت في ذلك عدة وسائل :(١٢٠)

- فكرت الارساليات العاملة في جنوب السودان و جبال النوبا و الانقسنا في تكوين جبهة كنسية متحدة تكون قوية و قادرة على مقاومة وهزيمة أي تقدم للاسلام من الشمال. وذلك بالتعاون و التنسيق فيما بينها . و كان من بوادر هذا الاتجاه تأسيس مجلس تبشيري متداخل (Inter- missionary Council) بممثلين لكل الارساليات التبشيرية البروتستانتية العاملة في جنوب السودان وجبال النوبا .

- لجأت الارساليات الى سودنة الكنيسة. و لم تكن الفكرة جديدة. فقد كان هدف الأب كمبوني هو ((كسب افريقيا بالافريقيين)). ذلك لأن الكنيسة ترى ان المبشرين الوطنيين أكثر الناس معرفة بعقلية و عادات قومهم و أكثرهم قدرة على إقناعهم بقبول العقيدة الجديدة . فضلاً عن أنه لا يمكن ان توجه اليهم تهم سياسية تطعن في ولائهم للسودان.

- و لتكوين أكبر حاجز ضد تسرب الاسلام الى الجنوب رأت الكنيسة الكاثوليكية تدعيم العمل في المدارس الكاثوليكية لتخريج أكبر عدد من الجنوبيين ليشغلوا الوظائف الحكومية و ليمدوا الجمعية التشريعية باعضاء جدد، بجانب الممثلين القدامي للجنوب. كما رأت ضرورة مضاعفة المحطات التبشيرية بحيث لا تبقى قرية إلا يُبشر فيها بالمسيحية.

- عملت الارساليات على فتح النوادى و اقامة الجمعيات الاجتماعية والثقافية داخل الكنائس و المدارس في المدن الكبرى بالشمال (الخرطوم ، الابيض، كوستي الروصيرص ... إلخ) التي تجذب ابناء الجنوب و النوبا و غيرهم الى العمل و ذلك لابعادهم عن تأثير البيئة الاسلامية. و من تلك النوادي، النادي الذي اقامته

الارسالية الامريكية في الابيض عام ١٩٤٧م، و النادي الذي اقيم في ام درمان عام ١٩٤٩م لايواء الطلبة الذين ارسلتهم ارسالية السودان المتحدة من جبال النوبا الى أم درمان لتعلم فنون الزراعة ... و غيرهما من النوادي .

- قامت الحكومة الانجليزية بوضع مسودة قانون لتنظيم العمل التبشيري، بنوعيه الاسلامي و المسيحي، غير ان تلك المسودة وصفت من جانب رجال الدين المسلمين بأنها ((موضوعة في الاساس لتناسب العمل التبشيري و تعمل بطريقة غير مباشرة للحد من الدعوة الاسلامية))، و لهذا فقد وجدت معارضة شديدة من قبل علماء المسلمين و مؤتمر الخريجين و الجمعية التشريعية.(١٢١)

جملة القول ان سياسة الحكومة بدأت تجد مقاومة شديدة ومعارضة كبيرة من قبل المثقفين السودانيين في الفترة التي سبقت عام ١٩٥٦م. بل ان هذه المعارضة بدأت منذ قيام مؤتمر الخريجين في عام ١٩٣٦م.

ففي عام ١٩٤٢ رفع مؤتمر الخريجين مذكرة الى السكرتير الاداري طالب فيها بالغاء قوانين المناطق المقفولة الجائرة ووقف الاعانات الحكومية التي درجت على تقديمها الى الهيئات التبشيرية المسيحية و توحيد برامج التعليم في شمال السودان وجنوبه.(١٢٢)

و في يوليو ١٩٤٧م أقرت اللجنة التنفيذية لمؤتمر الخريجين ارسال هيئات للدعوة الاسلامية الى جنوب السودان و جبال النوبا. و كتب سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر الى السكرتير الاداري مشيراً الى مبدأ حرية الاديان و التبشير الذي تؤكده جميع القوانين و الدساتير ومبادئ الامم المتحدة . و طالب الحكومة بان تساعد هيئات الدعوة الاسلامية مثلما تساعد الارساليات مادياً و أدبياً. (١٢٣)

و كما هو متوقع رفضت الحكومة المذكرة جملةً و تفصيلاً بحجة ان مؤتمر الخريجين انما هو ((تنظيم سياسي و ليس هيئة دينية. وهو كتنظيم سياسي لا يمثل في رأيها غير افراده. و لا يحق له الحديث بلسان كل السودانيين)).(١٢٤)

هكذا اتسمت تلك الفترة بالصراع الحاد بين الادارة البريطانية و المثقفين السودانيين حول سياسة الحكومة تجاه الدعوة الاسلامية والتبشير المسيحي وسياسة التعليم . حتى توج ذلك الصراع بنيل السودان استقلاله في ١٩٥٦/١/١م.

غير ان موقف الحكومة من الارساليات لم يتغير كثيراً الا من حيث العون المادي الذي أوقف عنها . ذلك لانشغال الحكومة الوطنية في بادئ أمرها بوضع الاسس السياسية و الادارية للبلاد. فاستمرت الارساليات تحت ظل هذه الظروف تمارس نشاطها حتى قيام حكومة عبود ١٩٥٨م التي كان لها شأن مع الارساليات المسيحية في السودان .

شهدت الفترة ما بين (١٩٥٨م - ١٩٦٤م) محاولات جادة من قبل حكومة الفريق عبود لتغيير الواقع الذي فرضته الارساليات في فترة احتكارها ولمدة خمسين عاماً لشؤون التعليم في جبال النوبا وجنوب السودان.

فكانت أولى الخطوات في هذا السبيل الاوامر التي اصدرها مدير مديرية بحر الغزال و التي تنص على: (١٢٥)

١- لا يسمح بفتح أية محطة تبشيرية غير اسلامية في المناطق التي يكون معظم سكانها من المسلمين، و الغاء مناطق النفوذ التبشيرية فيها .

٢- غير مسموح للارساليات بممارسة نشاطها داخل المؤسسات الحكومية كالمدارس و المستشفيات.

ثم أصدرت الحكومة بعد ذلك اوامرها التي تمنع القساوسة من تبنى القُصّر عن طريق الملاجئ و المدارس. كما منعت الارساليات من فتح مدارس جديدة .

ثم كانت الخطوة الحاسمة في عام ١٩٦٠م حينما قررت الحكومة طرد المبشرين ((الفائضين عن الحاجة)) الذين كانوا يعملون في حقل التعليم ، و طرد جميع المبشرين الذين ((تغلب على تصرفاتهم العداوة للدولة و سياساتها)).(١٢٦)

ووحدت العطلة الاسبوعية في جنوب السودان و شماله لتكون في يوم الجمعة بدلاً عن يوم الاحد.

و في سنة ١٩٦٢م نفذت الحكومة قراراً بطرد جميع المبشرين الاجانب الذين دخلوا السودان تحت ستار التعليم وكان عددهم ١٤٣ من اصل ٤٦٠ مبشراً يعملون في انحاء السودان المختلفة. ووضع في ذات العام (١٩٦٢م) قانون ينظم عمل الهيئات التبشيرية. و بعد عامين من صدور هذا القانون (قانون الهيئات التبشيرية لعام ١٩٦٢م) و بالتحديد في فبراير ١٩٦٤م ، قرر مجلس الوزراء ما يلي : (١٢٧)

١- ابعاد جميع القساوسة و رجال الدين المسيحي الاجانب العاملين بالمديريات الجنوبية.

٢- ان تتولى وزارة الداخلية مساعدة الكنائس بدلاً عن الاجانب لتأدية رسالتها السماوية و تعمل على تأهيل القساوسة و الرهبان السودانيين لملء المناصب الدينية المختلفة .

و بعد سودنة الكنيسة اصدرت الحكومة اوامرها بحصر نشاط الكنائس في العمل الديني فقط. (١٢٨) فغادرت (ارسالية السودان المتحدة) السودان نهائياً وسلمت الى الحكومة مستعمرات الجذام في (نياكاما) في جبال النوبا الجنوبية. فنجم عن ذلك فراغ في النواحي الصحية. كما اصبح هناك فراغ ديني، الامر الذي اوجب ضرورة تعاون مصلحتى (الشريعة) و الشؤون الدينية لملئه . وارسلت مصلحة الشؤون الدينية المرشدين الدينيين الى تلك المناطق و فتحت معهد (هيبان العلمي) في عام ١٩٦٣م . (١٢٩) فكثفت الحكومة من نشاط الدعوة الاسلامية في المناطق المختلفة من جبال النوبا. و وجد ذلك ترحيباً من قبل الاداريين و تشجيعاً من المواطنين . فاقترح بعض مفتشي الحكومة المحلية انشاء وحدات دينية تتكون من جامع و خلوة ليتولى العمل في كل وحدة من هذه الوحدات

مرشد ديني و مساعد له و امام المسجد. و ان تشيّد لهم منازل في حرم الوحدة بحيث تكون هذه الوحدات الدينية نواة لمعاهد دينية في المستقبل.(١٣٠)

و وضع (مجلس تنفيذي كردفان) هذا الاقتراح موضع التنفيذ وحدد مناطق بعينها في جبال النوبا لتقوم فيها خمس وحدات دينية : وحدة في (النتل) ووحدتين في (أبيي) ، ووحدتين في منطقة تقلي. و وضعت التكلفة المالية لهذه الوحدات(١٣١). و لكن لم تر أي من هذه الوحدات النور. و ذلك للأسباب التالية :

- قبل ان تشرع الحكومة في تنفيذ هذه الخطة قامت ثورة اكتوبر ١٩٦٤م التي اطاحت بحكومة الفريق عبود . و انشغلت حكومة اكتوبر في بادئ امرها بارساء مبادئ الديمقراطية و تكوين الاحزاب . و سعت بعض الاحزاب الى كسب الاصوات و تكوين دوائر النفوذ بكل ما يمكن . و تسامحت في شؤون الدين و التبشير المسيحي فاستعادت الارساليات بذلك بعض مكاسبها القديمة. فتكون مجلس الكنائس السوداني في عام ١٩٦٥م من جميع الكنائس العاملة في السودان ، (١٣٢) و ذلك لتوحيد جهودها و نشاطاتها و ((لتقوية اواصر الصداقة و التعاون بين الكنائس)).

و نشطت الكنائس على أثر ذلك و كثفت من عملها في المناطق المختلفة في جبال النوبا . و قام مجمع كنسي في مدينة بابنوسة بالمنطقة الغربية لجنوب كردفان تحت ستار الاهداف التعليمية و التبشيرية ، و كذلك ظهرت في هيبان بعثة تبشيرية جديدة اسمها (البعثة النيجرية لمكافحة الجذام) . تحت ستار علاج و مكافحة مرض الجذام في حين انها كانت تصرف جل وقتها في العمل التبشيري .

الوضع الكنسي عشية دخول التمرد في عام ١٩٨٤م للمنطقة . (١٣٣).

قسمت الكنيسة منطقة جبال النوبا الى مثلث حيث بدأ العمل في ارياف سلارا ودلامى ثم انتقل الى منطقة المورو و التي تشمل ريفي ام دورين ثم منطقة هيبان و اجزاء واسعة من محافظة كادقلي ، كما ذكرنا ذلك من قبل . و لما كنا سنتناول الدور الذي لعبته الكنيسة في قيام حركة التمرد بجبال النوبا و التمهيد لذلك . فكان حرى بناء ان نرسم خرطة للوضع الكنسي عشية دخول حركة التمرد في عام ١٩٨٤م ، لجبال النوبا .

عند استقصائنا لتلك المرحلة من تاريخ العمل الكنسي كانت الاوضاع على النحو التالي :-

لا بد لنا قبل الدخول في تفاصيل العمل الكنسي ان نقسم المنطقة الى ثلاث اقسام هي :

اولاً : المنطقة الشمالية التي تتبع لها منطقة الدلنج و فيها رسخت اقدام العمل الاسلامي و اصبح معظم المواطنين مسلمين باستثناء المناطق التي سنتحدث عنها و تميزت بأنها منطقة صراع ثقافي عقائدي بين الاسلام و المسيحية من ناحية و بين العقائد التقليدية من ناحية اخرى ، و لم يحسم هذا الصراع الا في السنوات العشرين الاخيرة اذ صارت الغلبة للاسلام . (١٣٤) .

ثانياً : المنطقة الوسطى و هي متميزة عن المنطقة التي سبق ذكرها في بيئتها الطبيعية و الاجتماعية اذ نجد سهولها اوسع و تربتها اكثر خصوبة و مواشيها اكثر عدداً اما بيئتها الاجتماعية فهي ذات تاريخ مختلف خاصة في فترة الاستعمار اذ طُبق عليها قانون المناطق المغلقة ، مما جعلها معزولة الى حين من المجتمع الذي حولها و في هذه المنطقة نجد القبائل الكبيرة بالمقارنة الى جبال النوبا ، كأطورو البالغة تعدادها ٣٥ الف نسمة ، و تيرا البالغة ٣٨ الف نسمة . و لعل اكبر القبائل عدداً هي قبيلة المورو البالغ تعدادها (٤٨,٧٧٢) نسمة . و في تاريخها الثقافي

أُحْتُكِرت هذه المنطقة للتبشير المسيحي و مغلقة فى وجه أي نشاط تبشيري آخر لذلك أصبحت تشكل الحزام المسيحى ، و يتركز فيها ٩٠٪ من مسيحي الجبال (١٣٥) لذلك سنجد فيما بعد ان التمرد ركز عليها كثيراً و استفاد من كثرتها العددية و انتمائها المسيحي .

ثالثاً : المنطقة الجنوبية و التي تتاخم جنوب السودان و لعل اهم ما يميز هذه المنطقة انها على الرغم من بعدها عن المناطق العربية المسلمة الا ان الاسلام فيها أكثر ذيوعاً و أرسخ قدماً فيما سواها ، و هذا اثر من اثار مملكة تقلى الاسلامية .

المنطقة الشمالية

أ. العمل الكنسي في مدينة الدلنج :

مدينة الدلنج من المدن الرئيسية بجنوب كردفان و هى ثانى مدينة من ناحية الاهمية في منطقة جبال النوبا بعد كادقلي ، رنت أبصار الكنيسة اليها منذ عام ١٨٧٥م ، و لكن رغم ذلك ترسخت اقدام الاسلام في الدلنج و لا يعدو المسيحيون ان يكونوا اقلية ، و بالدلنج كنيستان الاولى كاثوليكية و الاخرى بروتستانتية .

١- الكنيسة الكاثوليكية :

تقع في حي المعاصر في مساحة قدرها (٢٧٥٠ متراً مربعاً) و مبني الكنيسة ضخم و فخم و يتكون من المعبد بالاضافة الى اربع غرف و منزل القسيس . و يسع المصلى اربعمائة كرسي اضافة لمناضد و مقاعد مريحة أخرى . و تمتلك الكنيسة سيارتين لاندروفر . كان يقوم بادارة الكنيسة في ذلك الوقت قسيس من ابناء الاقاليم الجنوبية تخرج من مدرسة اللاهوت بمدينة واو بعد ان قضى بها تسع سنوات . و يتركز نشاط الكنيسة في الاحياء الفقيرة مثل الحلة الجديدة ، الطرق ، صنفقت ، التومات و القوز . و بالكنيسة فصل لتعليم الكبار و آخر للخياطة و روضة اطفال و يدير العمل مع القسيس اربعة من الممرضات .

تمتلك الكنيسة ثلاثة جرارات زراعية و مشروعاً زراعياً كاملاً تعمل فيه الجرارات كما تقوم بحرث اراضي الاهالي . كما تقوم الكنيسة بتقديم مواد الاغاثة مستفيدة من علاقتها من منظمتي سودان ايد الكاثولكية و منظمة (African cross road) .

٢- الكنيسة البروتستانيية :-

تقع في حي الشرطة جوار مكتب الشباب و الرياضة ، و هو من احياء مدينة الدلنج الراقية ، تبلغ مساحة الكنيسة (٧٠٠ متراً مربعاً) و تتكون من سور كبير بالمواد المحلية و مصلى من المواد الثابتة و بيت للقسيس . و تهتم الكنيسة بالشباب و تركز على المداخل الناعمة حيث يوجد مثلاً فريق نسائي للكرة الطائرة مما يؤدي الى جذب الشباب و الشابات و اختلاطهم و هناك فصل تقوية للغة الانجليزية و آخر لمحو الامية و روضة اطفال ، و يقود هذه الانشطة قسيس من ابناء الجبال و للكنيسة عربة لاندروفر لتسهيل حركة القسيس .

<u>ب. العمل الكنسي في منطقة الدلنج :</u>

<u>**مجلس ريفي دلامي و عبري :**</u>

١. مدينة دلامى :

تمثل مدينة دلامى رئاسة قبيلة الكواليب و كانت فى ذلك الوقت مركزاً لانطلاق و ادارة العمل التبشيري في المنطقة الريفية الخلفية . و توجد في دلامى كنيستان انجيليتان ، هما كنيسة دلامى الانجيلية و كنيسة كدبر الانجيلية و الكنيستان مبنيتان من المواد المحلية (الطين و القش) . و لكل كنيسة مبشر متفرغ و في عام ١٩٨٣م ، اتخذت الكنيستان اسلوباً جديداً للدعوة المسيحية ، يتناسب مع بيئة الجبال اذ تجهز الكنيستان بعض المسيحيين المختارين للقيام بجولات ميدانية يحملون معهم الغذاء و النقارة للطواف بالقرى و الارياف فيلتف حولهم الناس و يسمعون كلمة المسيح كما يقولون .

تسجل الكنائس في هذه المنطقة الريفية تفوقاً و حضوراً على الوجود الاسلامي . اذ بينما يوجد في كل المنطقة مسجدان و معهد ديني اوسط هو (معهد كرتاله) نجد عدد الكنائس يصل الى اربعين كنيسة ريفية و لكل هذا العدد من الكنائس مبشر مزود بالكتب الدينية و الاناجيل المترجمة الى لهجة الكواليب .

٢. منطقة عبرى :

عبرى منطقة تابعة لريفي دلامي و بها مجلس شعبي ، سكانها معظمهم من الكواليب مع قليل من افراد القبائل الاخرى . يوجد في المنطقة خمس عشرة كنيسة كلها انجيلية مبنية من المواد المحلية و لكل كنيسة مبشر و يرأس هؤلاء المبشرين مبشر كنيسة عبرى . تقوم كنيسة عبرى بتجميع المبشرين و الدعاة سنوياً في عبرى و تعقد لهم دورات تدريبية تنشيطية يناقشون فيها مسار حركة التنصير و يجيزون خطط المستقبل .. و بعضهم يُرسل الى دورات طويلة حيث بُعث احد المبشرين في بعثة لاهوتية الى نيجيريا لمدة خمس سنوات . و الكنائس بالمنطقة تركز على تنصير المرأة و هؤلاء بدورهن اصبحن يشكلن جزءاً كبيراً من حركة الضغط على الشباب ليتنصروا و هنالك عدد من المسلمين المتزوجين بمسيحيات و عدد من المسيحيين المتزوجين بمسلمات و هناك حالات كثيرة لشباب تنصر في سبيل ارضاء زوجته او طمعاً في زواج من مسيحية . و المسيحيات في اغلب الحالات اكثر مالاً و تحضراً بلغة العصر و نظافة و تعليماً . كما ان نشاط الكنيسة الاقتصادي يجذب اليها المزارعين ، اذ تنظم مزارع تعاونية يباع محصولها و يستفاد منه جماعياً في الاعاشة ، كما يبيعون بعض المواد الغذائية كاللبن و غيره و التي تصل من هيئات الاغاثة و كنيسة الدلنج باسعار رمزية . و للكنيسة مبادرات ثقافية ، فلها ندوة كل يوم اربعاء و ترانيم و ابتهالات و سينما متجولة كل يوم احد مما يكسر من حدة روتين البيئة الريفية .

المنطقة الوسطى : (١٣٦)

أ. العمل الكنسي في مدينة كادقلي :

مدينة كادقلي هي عاصمة ولاية جنوب كردفان و مركز الثقل السياسي و الاداري ، من حيث النشاط الكنسي توجد بها كنيسة كاثوليكية على النحو التالي :

كنيسة كادقلي الكاثوليكية :

و هي من المراكز العتيقة التي لا تزال تلعب دوراً خطيراً في العمل التبشيري بمنطقة كادقلي ، و قد تأسست هذه الكنيسة عام ١٩٥٤م ، تلبية لرغبة المطران دانيال كمبوني ، و تحقيقاً لحلمه الذي لم يتحقق في حياته و هي مشيدة من المواد (الحرة) على الطراز الحديث و مجهزة باحدث المعدات و الوسائل الضرورية لاداء رسالتها . تقع الكنيسة شرق سوق كادقلي وسط مجموعة من المباني الحكومية و في مواجهة مركز البوليس ، مساحتها (١٥٠٠ متراً مربعاً) و تشمل المعبد و هو بناء ضخم يسع مائتي شخص ، بالاضافة إلى غرفة كبيرة متخذة روضة للاطفال و منزل للقسيس و آخر للراهبات . و بالكنيسة ثلاثة عربات لاندروفر و مولد كهربائي ، و الكنيسة محلاة بالصلبان و التماثيل و الصور في داخلها و بالزهور و الرياحين في الخارج .

بالكنيسة ثلاثة قساوسة ، اثنان منهم ايطاليان و الثالث سوداني من ابناء الجبال ، اضافة الى ثلاثة راهبات احداهن ايطالية قضت في السودان قرابة الاربعين عاماً ، و تتكلم العربية بطلاقه . هذا بالاضافة الى عدد من العمال و لجنة عمل مسيحية تطوعية يتكون مكتبها التنفيذي من اثنى عشر شخصاً من ابناء الجبال معظمهم ارسلته الكنيسة لدورات تبشيرية خارج السودان . و هؤلاء جزء من الجيل الذي بدأت الكنيسة في اعداده منذ الان لتولى العمل الكنسي في عام ٢٠٠٠م ، و يعمل هؤلاء الشباب بمختلف الوسائل لجذب ابناء الجبال للنصرانية

عن طريق الخطاب الفردي و الجماعي و الرحلات التبشيرية و الطواف بالمناطق النائية و المساعدات الاجتماعية و الثقافية . يلتقي الشباب من الجنسين حيث يتعارفون في اطار الكنيسة بالاضافة الى المنح الدراسية و البعثات الخارجية و الداخلية و هنالك الجرائد الحائطية و الافلام السينمائية و الاحتفالات في المناسبات الدينية .

للكنيسة لها صندوق خيري يساهم في اغاثة المحتاجين و توزيع المواد الغذائية و غيرها و يقوم بعلاج المرضى طبيب الكنيسة و توفر منظمة (sudan aid) الدواء ، و بالكنيسة ايضاً مدرسة لمحو الامية و فصل للتقوية و روضة للاطفال و فصل للخياطة ، و تتلقى الكنيسة دعماً من الفاتيكان عن طريق القاصدية الرسولية بالخرطوم من خلال التسلسل الهرمي لادارة الكنيسة الكاثوليكية السودانية .

ب- العمل الكنسي في جنوب كادقلي :

تعتبر مناطق (أم دورين ، البرام ، هيبان) عمق المنطقة الوسطى في جبال النوبا ، ركزت الادارة البريطانية و المنظمات التنصيرية على هذه المنطقة املاً في ربطها بحزام الكنائس في جنوب السودان . و جاء الاختيار المتبصر كما قلنا للادارة البريطانية و الكنائس و من بعدهم التمرد لهذه المنطقة نظراً الى انها تضم القبائل الاكثر عدداً (المورو ، التيرا ، أطورو) كما ان بهذه المنطقة تمازج حضاري بين شعوب جبال النوبا . و سنتناول النشاط الكنسي في تلك الفترة في قرى ام جبر ا لله ، بمجلس ريفي اندولو و ام دورين و بمجلس ريفي هيبان كأمثلة لتمدد الكنيسة في المنطقة :

١- العمل الكنسي في ام جبر ا لله :

تمثل ام جبر ا لله مجموعة من القرى المتراصة و تقع الى الجنوب الشرقي من كادقلي و تبعد عنها نحو اربعين ميلاً ، و عدد سكان ام جبر ا لله ما بين خمسة الى ثمانية

الاف نسمة معظمهم من المورو و تبلغ نسبة المسلمين حوالي ١٠٪ و الوثنيين حوالي ٤٥٪ و المسيحيين ٤٥٪ من جملة سكان المنطقة . بالقرية مدرسة ابتدائية حتى الصف الرابع و مضخة صغيرة ، هي كل ما يمثل الدولة بينما تدير الهيئات التبشيرية سبع كنائس و تباشر الكنائس السبع التي سلف ذكرها مناشط تعليمية و اجتماعية و دينية على النحو التالي :

١- الكنيسة الاسقفية : أُسست في اوائل السبعينات و يشرف عليها احد ابناء المنطقة و رئاستها في اندولو .

٢- كنيسة ام ضرام الاسقفية تتبع كنيسة العتمور مبنية من الطين و القش و بنيت في السبعينات .

٣- كنيسة اللبو الانجيلية مبنية من المواد المحلية و قسيسها من ابناء المورو و أُسست في الستينات .

٤- كنيسة ام الجبار الاسقفية انشئت في الثمانينات .

٥- كنيسة طبلانق الانجيلية .

٦- كنيسة شيخ الحمادي الانجيلية .

٧- كنيسة شيخ الحمادي الكاثوليكية .

و النشاط الكنيسي لا يختلف في اساليبه عما ذكرنا آنفاً .

<u>٢- العمل الكنسي في ام دورين :</u>

تتكون ام دورين من حوالي ستة و عشرين مجلساً و قرية و تقع بالقرب من ام حجر الله و يقارب سكان هذه القرى السبعين الف نسمة اغلبهم من المورو بالاضافة الى التيرا و العرب ، بالمنطقة ثلاثة مدارس ، يمثل المسيحيون اكثر من ٥٠٪ من المواطنين و رئيس المجلس الريفي انذاك مسيحي بينما تصل نسبة المسلمين ٢٠٪ ، و بالمنطقة سبع كنائس من بينها اثنتان بالقرية الام و خمس بالارياف .

٣- مجلس شعبي اندولو

احدى مناطق المورو ، تشتمل المنطقة على سبعة كنائس ثلاثة منها انجيلية و ثلاثة اسقفية و واحدة كاثوليكية ، و بها مسجد واحد و كلها مبنية بالمواد المحلية طابعها العام في ذلك الوقت كان كنسياً حيث يحي الناس بعضهم بعضاً بتحايا المسيحيين . لكل كنيسة مبشر متفرغ . كما تقوم بتقديم المساعدات و توزيع الاغذية على المواطنين .

٤- قرية الرقيفي

تقع بالقرب من اندولو سكانها في ذلك الوقت كان ثلاثمائة من بينهم اربعة مسلمون فقط . و طابع القرية كنسي بدءاً بمدخلها الذي يتمثل في بوابة على شكل صليب بالقرية اربع كنائس هي :

١- كنيسة الرقيفى مورو الإنجيلية .

٢- الكنيسة الكاثوليكية (مبنية بالطوب الاحمر) .

٣- الكنيسة الاسقفية .

٤- الكنيسة القبطية و هي مشيدة في اعلى الجبل .

و تخلو قرية الرقيفي من أي مسجد و تقوم الكنائس فيما بينها بتنسيق نشاطها اذ لكل كنيسة دائرة نفوذ .

٥- قرية الكركرايا (البير)

قرية صغيرة تابعة لمجلس اندولو و سكانها حوالي اربعمائة نسمة ٧٠٪ منهم مسيحيون و لا يتجاوز المسلمون ١٠٪ و البقية وثنيون و كغيرها من قرى حزام منطقة اندولو يوجد بها كنيستان و مسجد .

٦- قرية اللويا

و هي من ضمن حزام اندولو بالقرية مسجد و ثلاثة كنائس إنجيلية و اسقفية و بروتستانية مبنية من المواد المحلية و المسيحيون في هذه المنطقة هم الاكثر وعياً

و مالاً و غالباً ما يزورهم كبار القساوسة من الخرطوم . من ناحية عامة يتميز نفوذ الكنيسة و نشاطها في المنطقة الوسطى بالتنامي و الاتساع و قد اقامت الكنيسة و احاطت المنطقة بشبكة من الكنائس اما عدد الكنائس في المناطق الاخرى ضمن الريفي فقد بلغ ٣٢ كنيسة في مناطق تلودي و فرندله و طبولي و الرملة و دليبايا و سرف الجاموس و الترعة و كورراراق و القردود و طبانيا و طروجي و العتمور و ام سردبة ... إلخ .

٧- العمل الكنسي في هيبان :

مجلس ريفي هيبان يضم ثلاثة و ثلاثين قرية و هو واحد من مجالس اربعة تكون المنطقة الوسطى من جبال النوبا و هي : دلامى ، البرام ، هيبان و ام دورين و تقطن في منطقة هيبان اساساً قبيلة اللبرى بالاضافة الى قبيلتي المورو و التيرا و قد ركزت الادارة البريطانية اقدام التبشير المسيحي في هذه المنطقة و نفذت فيه قانون المناطق المغلقة كما تم طرد الداعية الاسلامي الشيخ محمد البرناوي من هيبان و طلب اليه عدم المرور او الاقامة بها . (١٣٧)

نجحت الادارة البريطانية و الارساليات في تثبيت دعائم النصرانية في منطقة هيبان ، و تعتبر الكنائس المنطقة واحدة من قلاعها التي لا تستطيع التفريط فيها . و المنطقة معتدلة في الصيف و ربيعية في بقية السنة و ذلك لارتفاعها كما انها محصنة بالجبال و مزينة بالاشجار و الحدائق فكانها وسط بساتين كما هو معلوم بنيت أول كنيسة في هيبان في عام ١٩١٩م ، و هي كنيسة هيبان الإنجيلية ثم تلى ذلك بناء اربع كنائس و هي :

١- كنيسة كبا ابل .

٢- كنيسة كودة .

٣- كنيسة ليرة .

٤- كنيسة كرندي .

و هذه تمثل اقدم و اعرق الكنائس في منطقة هيبان و قد استمرأت الكنائس غفلة العهد الوطني فتكاثرت بصورة فلكية حتى بلغ عددها سبعة و ثلاثين و مائة كنيسة " ١٣٧ " يشرف عليها عدد مماثل من المبشرين المتفرغين و المدرسين .
و يرأس كنيسة هيبان في ذلك الوقت القس المشهور ادم كوكو كافى الذي درس اللاهوت في نيجيريا لمدة سبع سنوات و يرأس كنائس جبال النوبا صمويل حنقول .

النشاط الكنسي :

تقوم العناصر الكنيسة هنا بمعارضة النشاط الاسلامي ان وجد بصرامة ، كما تقوم الفتيات المسيحيات باجتذاب ابناء المسلمين و اغرائهم بالزواج و غيره ، كما يقوم المسيحيون بالدخول على المسلمين في منازلهم و دعوتهم الى النصرانية .

هذا و تقوم الكنائس باداء الشعائر يوم الاحد و اقامة المهرجانات و تشجيع الانشطة التعاونية و المزارع الجماعية التي يعود جزء من دخلها للكنائس و في هيبان في ذلك الوقت كانت كل الانشطة بيد المسيحيين فمنهم طبقة التجار و ملاك الاراضي و اعضاء المجالس الشعبية و الهيئات الحكومية . و للكنائس تجمعات سنوية يسمونها (كورسات تنجيل) يأتي اليها الشباب و الشابات من مختلف بقاع الجبال ليدرسوا و يتشربوا الروح المسيحية و تعتبر فترة تدريبية و قد زاد النشاط المبيحي بعد توجهات الشريعة الاسلامية في سبتمبر ١٩٨٣م ، حيث حاولت الكنائس ان تشعر المسيحين بان الدولة تعمل ضدهم مما اوجد نوعاً من الترابط وسطهم و دفعهم الى رفض قانون الهيئات التبشيرية لعام ١٩٦٢م ، و تصريحهم بذلك في خطب و منشورات .

و بالرغم من تطور و تنامئ حركة الحياة في هيبان فان حركة الاسلام تبدو متقلصة . ففي القرية انذاك مسجد واحد يصلي فيه احياناً المؤذن بمفرده و لا يجد

اهل هيبان من يؤمهم في يوم الجمعة و الخلوة هجرها معلموهـا . و مجلس ريفي هيبان الذي قلنا انه يضم سبعة و ثلاثين و مائة كنيسـة ، ليست به سوى ست خلاوى .

في ذلك الوقت حاولت السلطات المحليـة ، حسم ظـاهرة الكنـائس العشـوائية في منطقة هيبان و السيطرة على عمـل الكنـائس الـذي لايحكمـه قـانون و لا لائحة و قد دخلت السلطات المحلية في صراع مع الكنائس حيث منعـت المسيحيين مـن اقتحام منازل المسلمين و التأثير على بناتهم و أزواجهم و اطفالهم بمقتضـى قـانون ١٩٦٢م ، للهيئات التبشيرية ، مما خلق نوعاً من الحقد و الرواسب على سـلطات المحافظة و فروعها .

و لجأت العناصر الكنسية لحرب المنشـورات و تهديـد الموظفـين حيـث نجحـوا في طرد بعضهم من المنطقة و تفاقمت المشكلة حينما قامت السـلطات بـاغلاق كـل الكنـائس العشـوائية . ادى ذلـك الى هـرج و رفـض لقـرار السـلطات و فتحـت الكنـائس بـالقوة ممـا ادى الى صـدام الشـرطة تم خلالـه القبـض علـى ٥٢ امـرأة و ١٧١ رجلاً - و لكن رفضت المحـاكم الشـعبية الـتي يسيطر عليهـا المسيحيون محاكمة المقبوض عليهم ، فاضطرت السلطات الى اطلاق سـراحهم و عـادوا شبه منتصرين . و قـد وصـل في تلـك الايـام المطـران مكـرم مـاكس مطـران الابيـض و وجه خطاباً لكل المسيحين بالمنطقة علمـاً بانـه كـاثوليكي و السيادة في هيبـان للكنائس الانجيلية - و نقتطف من رسالته مـا يلـي (انـا متفهـم لظروفكـم انكـم تتوقعون مني كلمة تشجيع كمطران ، كما و أعلم ايضاً بـان ظروفـاً صعبـة قـد مرت بكم و قد قاسيتم منها كأبيكم الروحي .. اؤكد لكم بأننـا ليـس فقـط فـى هذه الابرشية التي تضم كردفان و دارفور معكم بل ان الكنيسة في السودان معكم بصلواتها ..) .

و عندما اعلن عن محاكمة الاب فيلب غبوش في عام ١٩٨٤م ، بدأ الجو متوتراً في هيبان و ضواحيها و زادت الاحقاد للمسيحية ضد الاسلام و المسلمين .

حسب الاحصاءات الرسمية للسلطات المحلية نجد توزيع الكنائس التي ضمها مجلس ريفي هيبان كالتالي :

عدد ٦٥ كنيسة للمسيح السودانية (الانجيلية) .

عدد ٤٠ كنيسة ، الاسقفية (الكنيسة الانجليزية) .

عدد ٥ كنيسة ، الكاثوليكية .

عدد ٢٧ كنيسة غير مصنفة .

٨- العمل الكنسي في منطقة البرام :

و تشمل مناطق للمساكين الطوال و للمساكين القصار و المنطقة في غاية التخلف ، بها خمس كنائس اهمها كنيسة كاتشا و هي كنيسة جميلة من حيث المعمار ، مبنية على الطراز الحديث و يوحي شكلها على انها ذات امكانات مادية واسعة . و تقوم الهيئة التبشيرية فيها بطواف دوري على الكنائس الفرعية .

هكذا كان الوضع عشية اندلاع التمرد في جبال النوبا و إيقاد الشرارة الاولى له في عام ١٩٨٤م ، حيث نجد ان الكنيسة اقامت شبكة واسعة من الكنائس بل لم تترك قرية او منطقة في جبال النوبا الا و اقامت فيها كنيسة او اكثر و اهتمت بالقبائل ذات الثقل و الكثافة العددية . و استطاعت ان تخرج من صلبها قادة التمرد كما سنبين ذلك في الباب الثاني و نفصل الدور الذي لعبته الكنيسة في قيام التمرد و دعمه .

هوامش الباب الاول

١- Nadel, S.F. : The Nuba : an anthropologicl Study of the hill tribes in kordofan, oxford. U. London, 1947. P.I.

٢- عطا محمد احمد كنتول - الاسلام و التبشير المسيحي في جبال النوبا ١٩٣٢م - ١٩٥٦م رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ و الحضارة الاسلامية - جامعة ام درمان الاسلامية - كلية الاداب - ١٩٩١م - مودع لدى مكتبة جامعة افريقيا العالمية ، ص ٢ .

٣- تعليم اللغة العربية في جبال النوبا - المعهد الدولي للغة العربية - سلسلة الدراسات الميدانية (٢) - اعداد الدارسون بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية - ص ١٤ .

٤- لواء (ا .ح) رمضان زايد كوكو - التمرد فى جنوب كردفان و اثره على الامن القومي - الاكاديمية العسكرية العليا - كلية الدفاع الوطني - دورة رقم (٧) ١٩٩٠م ، مودع لدى مكتبة الاكاديمية العسكرية العليا ، ص ٤ .

٥- صديق عطا المنان التوم - التعليم الديني في جبال النوبا - بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير - جامعة ام درمان الاسلامية - مكتبة المركز الاسلامي الأفريقي - ص ٢٤ .

٦- احمد على سبيل - الهجرة من جبال النوبا الى العاصمة - المركز الاسلامي الافريقي في الخرطوم - إصدارات شعبة البحوث و النشر - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٣ .

٧- نعوم شقير - جغرافية و تاريخ السودان ، ط ٢ بيروت - ١٩٧٢م - ص ٥٦ .

٨- صديق عطا المنان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧ .

٩- عطا محمد كنتول ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤ .

١٠- أ. صديق عطا المنان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧ .

ب. السودان - الولايات - المحافظات - المحليات -. كتاب اصدرته رئاسة الجمهورية - ديوان الحكم الاتحادي - نوفمبر ١٩٩٥م - ص ٣٣ .

١١- صديق عطا المنان ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

١٢- عطا محمد كنتول - مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ .

١٣- محمد عوض : السودان الشمالي : سكانه و قبائله - القاهره ، ط ٢ ١٩٥٦م - ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

١٤- Stevenson, R,C., **The Nuba People of Kordofan Province,** 1965 P.5.

١٥- د. يوسف فضل حسن . مقدمة في تاريخ للممالك الاسلامية - في السودان الشرقي - (١٤٥٠ - ١٨٢١م) ، الدار السودانية للكتب - ط ٢ الخرطوم ، ص ٩٧ .

١٦- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢ .

١٧- استراتيجية العمل بجبال النوبا - مؤسسة السلام و التنمية ورقة عمل مارس ١٩٩٢م ، ص ٣ .

١٨- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤ .

١٩- لقاء مع الامير عثمان بلال - امير قبيلة الرواوقة - كادقلي اكتوبر ١٩٩٢م .

٢٠- مؤتمر ابناء ريفي ام دورين للسلام و التنمية - ورقة التعايش السلمي - قبيلة دار حامع - ١٩٩٤/١٢/١٢م .

٢١- عطا محمد احمد كنتول - مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥ .

٢٢- المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

٢٣- لقاء مع حماد علي احمد - امير قبائل كنانة و وزير الصحة بولاية جنوب كردفان ، الخرطوم ١٩٩٣م .
٢٤- عطا محمد احمد كنتول - مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧ .
٢٥- لقاء مع حماد علي احمد : مصدر سبق ذكره .
٢٦- لقاء مع الاستاذ عبد الفتاح تيه كافي - معلم سابق و احد مثقفي النوبا من منطقة ميري التى ينتمي اليها يوسف كوة قائد التمرد - كادقلي - يناير ١٩٩٤م .
٢٧- لقاء مع عبد السلام تيه - احد مثقفي و قادة العمل السياسي بريفي البرام - رئيس محلية البرام ، الخرطوم يناير ١٩٩٥م .
٢٨- العميد الركن مدني عبد الوهاب محمد - الاوضاع الامنية في جبال النوبا و اثرها على التنمية ، الاكاديمية العسكرية العليا كلية الدفاع الوطني ، دورة رقم (١١) (١٩٩٤- ١٩٩٥م) ، ص ٢٣ .
٢٩- عطا محمد كنتول ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣ .
٣٠- Stevenson, R.C " Some aspects of the Spread of Islam in the Nuba Monntain " P . 208 - 209
٣١- د. يوسف مقبل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩ .
٣٢- عطا محمد كنتول - مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥ .
٣٣- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧ .
٣٤- مكي شبيكة - السودان عبر القرون - دار الثقافة بيروت . لبنان - ص ٢٥٤ .
٣٥- المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .
٣٦- المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .

٣٧- لواء ركن رمضان زايد كوكو - مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ .

٣٨- المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

٣٩- Dr. Kamal- Din Osman Salih, The British Administration in the Nuba Mountain Region of the Sudan (1900-1956) PHD thesis (unpublished) U.K. (1980) P 88 - 89.

٤٠- د. يوسف فضل حسن - مقدمة تاريخ الممالك الاسلامية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٨ .

٤١- عطا محمد احمد كنتول ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

٤٢- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٠ .

٤٣- ورقة حول استراتيجية العمل بجبال النوبا ، مؤسسة الاسلام و التنمية ، ١٩٩٢م ، ص ٤ .

٤٤- المصدر نفسه ، ص ٥ .

٤٥- دكتور زاهر رياض ، السودان المعاصر (منذ الفتح المصري و حتى الاستقلال (١٨٢١ - ١٩٥٣م) مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦م ص ٣٤ - ٣٥ .

٤٦- د. يوسف فضل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

٤٧- المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

٤٨- دكتور زاهر رياض ، السودان المعاصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦ .

٤٩- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٤ .

٥٠- محمد عوض السودان الشمالي ، السودان الشمالي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٠ .

٥١- المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ .

٥٢- صديق عطا المنان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٨ .

٥٣- المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

٥٤- المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

٥٥- المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

٥٦- المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .

٥٧- لقاء مع الشيخ سعد حامد ادم محمد - امام مسجد كادقلي الكبير - الخرطوم - ١٩٩٤م .

٥٨- عطا محمد كنتول - مصدر سبق ذكره ، ص ٤١ .

٥٩- لقاء مع حافظ سوار الذهب ، ادارة السلام بجنوب كردفان ، كادقلي يناير ١٩٩٢م .

٦٠- عطا محمد كنتول مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤ .

٦١- عواطف طه عبد السيد - مقاومة جبال النوبا للحكم الثنائي . حركة الفكي على و السلطان عجبنا ١٩١٧م - دبلوم معهد الدراسات الافريقية و الاسيوية - ابريل ١٩٧٥م ، ص ٣٢ .

٦٢- عطا محمد كنتول - مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥ .

٦٣- المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

٦٤- عبد المجيد عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان - ط ٢ - ١٩٦٧م ص ١٤٤ .

٦٥- Stevenson - Some Aspect of this Spread of Islam in Nuba Mountain P 210 - 211

٦٦- ود ضيف الله - كتاب الطبقات - تحقيق يوسف فضل حسن (١٩٧١م) ، ص ١٣٠

٦٧- محمد عبد الرحيم - محاضرة عن العروبة في السودان - الطبعة الاولى بيروت ، ص ٨٥ .

٦٨- عطا محمد كنتول ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥ .

٦٩- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٠.

٧٠- المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

٧١- الدكتور احمد عبد الرحيم نصر - الادارة البريطانية و التبشير الاسلامي و المسيحي في السودان - دراسة اولية ، الخرطوم - وزارة التربية و التوجيهة (الشئون الدينية و الاوقاف) (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ، ص ٢٥ - ٢٦ .

٧٢- لقاء مع الشيخ سعد حامد ادم ، مصدر سبق ذكره .

٧٣- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧ .

٧٤- لقاء مع الشيخ سعد حامد ، مصدر سبق ذكره .

٧٥- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٤ - ٩٥ .

٧٦- المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

٧٧- المصدر نفسه ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

٧٨- لقاء مع الشيخ سعد حامد ، مصدر سبق ذكره .

٧٩- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ - ٢٧ .

٨٠- لواء ركن رمضان زايد - مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣ .

٨١- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٣ .

٨٢- المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

٨٣- لقاء مع الشيخ سعد حامد ، مصدر سبق ذكره .

٨٤- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١ .

٨٥- المصدر نفسه ، ص ١١ - ١٢ .

٨٦- اوراق غير مطبوعة ، مودعة لدى كنيسة كادقلى الكاثوليكية تحت عنوان ، ذكرى مرور ١٠٠ عام على تاسيس كنيسة الابيض ٢٨ ديسمبر ١٩٧٢م ، ص ٧ (و سنشير اليها فيما يلي بـ (ذكرى تأسيس كنيسة الابيض) .

٨٧- المصدر نفسه ، ص ٨ .

٨٨- المصدر نفسه ، ص ٨ .

٨٩- المصدر نفسه ، ص ٨ .

٩٠- المصدر نفسه ، ص ١٣ .

٩١- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣ .

٩٢- ذكرى تاسيس كنيسة الابيض ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١ .

٩٣- المصدر نفسه ، ص ١١ .

٩٤- صحيفة الانقاذ الوطني ، العدد رقم (٢٢٢٠) بتاريخ ١٩٩٦/٣/١٥م .

٩٥- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٦ .

٩٦- عطا محمد كنتول - الاسلام و التبشير المسيحي ، مصدر سبق ذكره ص ٨٠ .

٩٧- المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

٩٨- المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

٩٩- المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

١٠٠- احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧ .

١٠١- المصدر نفسه ، ص ١٧ .

١٠٢- صديق عطا المنان التوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٩ .

١٠٣- المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .

١٠٤- المصدر نفسه ، ص ١٣١ .

١٠٥- دار الوثائق المركزية ، كردفان ١/١٥/٧١/٢١٥ من نيوبولد الى المشرف الميداني لارسالية السودان المتحدة بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٣٣م .

١٠٦- دار الوثائق المركزية ، كردفان ١/١٥/٧١/١١٨ حديث لمدير المعارف في مؤتمر لارسالية السودان المتحدة عقد في عبري ٢٥ يناير ١٩٣٥م .

١٠٧- دار الوثائق المركزية كردفان ١/١٥/٧٤/٣ من سكرتير المعارف الى مدير كردفان ، ١ فبراير ١٩٢٠م .

١٠٨- دار الوثائق المركزية - كردفان ١/١٥/٧٢/ ٢٠٠ (تعليم اللغات في المدارس النوبية) ٧ ديسمبر ١٩٣٥م .

١٠٩- احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢ .

١١٠- العميد مدني عبد الوهاب ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١ .

١١١- المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

١١٢- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٤ .

١١٣- المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

١١٤- المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

١١٥- المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

١١٦- حسن مكي محمد احمد السياسة التعليمية و الثقافة العربية في جنوب السودان - الخرطوم - معامل التصوير الملون ١٩٨٣م ، ص ٢٦ .

١١٧- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٨ .

١١٨- دار الوثائق المركزية الملف ود - ش ج - سرى ٤٩ أ - ١ المجلد الثاني ص ٩٤٢ .

١١٩- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٠ - ٥١ .

١٢٠- دار الوثائق المركزية - من سكرتير مؤتمر الخريجين (على حامد) الى السكرتير الاداري (ج.و. روبرتسون) (J.w. Robertson) بتاريخ

١٩٤٧/٦/١٦م . الملف و د / ش ج / سـري ٤٦/أ / ١ المجلد الثاني وزارة الداخلية ٥٨٤ أ - ٥٨٤ ب .

١٢١- احمد خير - كفاح جيل - تاريخ حركة الخريجين و تطورها في السودان . الخرطوم بدون تاريخ ، ص ٩٥ ، ٢٢٠ .

١٢٢- د. احمد عبد الرحيم نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢ .

١٢٣- دار الوثائق المركزية من السكرتير الاداري (J.w. Robertwon) الى سكرتير مؤتمر الخريجين العام (علي حامد) خطاب رقم CS - SCR - 10 . C 7 . بتاريخ ٣ يونيو ١٩٤٧م ملف و د - ش ج / ١/١/٤٦ السياسة العامة للتبشير ، وزارة الداخلية ، ص ٥٨٤ .

١٢٤- حسن مكي محمد احمد السياسة التعليمية ، مصدر سبق ذكره ص ٣٠ .

١٢٥- المصدر نفسه ، ص ٣١ .

١٢٦- المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

١٢٧- أ- صديق عطا المنان - مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٥ .

ب- دار الوثائق المركزية - الملف TD/SCR/56.A (ارشيف رشاد) خطاب من وزير العدل و المعارف الى مدير مصلحة الشئون الدينية بالنمرة و ع /سري /١/٢٦ بتاريخ ١٩٦٢/١١/١م .

١٢٨- نفس الملف ، من رئيس مجلس تنفيذي كردفان (علي بلدو) الى قاضي قضاة السودان و صورة الى مدير مصلحة الشئون الدينية بتاريخ ١٩٦٣/٢/١٥م .

١٢٩- المصدر نفسه - الملف ارشيف رشاد .

١٣٠- المصدر نفسه - الملف ارشيف رشاد .

١٣١- Vantini. G. Christianty in the Sndan, Italy (1881) P. 255

١٣٢- د. حسن مكي محمد احمد - المشروع التنصيري في السودان (١٨٤٣ - ١٩٨٦) المركز الاسلامي الافريقي شعبة البحوث و النشر ، اصدارة رقم ١١ ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ٢٠٦ ، ٢١٠ .

١٣٣- احمد علي سبيل - الهجرة من جبال النوبا ، مصدر سبق ذكره ص ٨ .

١٣٤- المصدر نفسه ، ص ٨ - ٩ .

١٣٥- د. حسن مكي محمد احمد المشروع التنصيري مصدر سبق ذكره ص ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ .

١٣٦- احمد علي سبيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠ .

الباب الثاني

جذور الصراع المسلح في السودان

الفصل الاول

سياسات الاستعمار و الدولة الوطنية تجاه مشكلة الجنوب

بدأت ملامح السياسة البريطانية الرامية الى فصل جنوب السودان عن الشمال تتضح في العشرينيات من هذا القرن . و في سبيل الوصول الى هذه الغاية انتهجت الحكومة الاستعمارية سياسات و برامج لاقامة وحدات فعلية تعتمد في تنظيمها الاداري على العرف و التقاليد و التراث الثقافي المحلي ، و في سبيل ذلك اصدرت السلطات البريطانية قانون المناطق المقفولة في عام ١٩٢٢م ، و اعتبرت بمقتضاه المديريات الجنوبية الثلاث في ذلك الوقت و بعض المناطق في مديريات دارفور و جنوب كردفان و النيل الازرق (الانقسنا) مناطق مقفولة لا يجوز الدخول اليها من قبل الشماليين الا بتأشيرة من السكرتير الاداري أو مدير المديرية المختص ، و قد تبع ذلك اصدار عدد من اللوائح و القواعد المنظمة للاتصالات الانسانية بين سكان الشمال و سكان المناطق المغلقة آنفة الذكر، كذلك تم اخراج التاجر الشمالي من السوق الجنوبية نهائياً .. و تم انشاء عدد من المشروعات الزراعية و مشروعات الخدمات في اطار تصور اقتصادي منفصل لتلك المناطق عن شمال السودان ... إلخ. على نحو ما فصلنا في الباب الاول .

معنى ما سبق هو ان مؤسسات و اجهزة الاندماج والتكامل الوطني قد عُطل وجودها و تأثيرها في الحاضر و المستقبل المرئي ، و لهذا ساد في الكتابات التاريخية و السياسية ان سياسات الحكومة البريطانية كانت هي الاتجاه نحو فصل الجنوب في صورة دولة مستقلة او في صورة اندماج و وحدة مع اوغندا و شرق افريقيا ، و يعتبر قانون المناطق المقفولة - او بالاحرى السياسة البريطانية في ذلك الوقت - الإسفين الاول الذي اندق في اعماق السياسة السودانية، و ان كنا سنحاول في استعراضنا التاريخي لجذور المشكلة أن نذكر وقائع ربما تنطبق على

الجنوب بمديرياته الثلاث سابقاً. الا إن مشكلة جبال النوبا التي نحن بصدد دراستها في هذا البحث لا تنفك مرتبطة بالجنوب. بل هي تطور تاريخي لما حدث هناك واصبحت فيما بعد منطقة العمليات رقم اثنين باعتبار ان الجنوب هو منطقة العمليات رقم واحد، اضافة الىٰ انتماء حركة التمرد بجبال النوبا الى الحركة الشعبية لتحرير السودان التي نبعت من الجنوب، كما ان السياسة البريطانية قد ألقت بظلالها الكثيفة على هذه المشكلة. و سوف نرى ان الرقعة الجغرافية التي طبقت فيها قانون المناطق المقفولة بجبال النوبا كانت الأكثر مساهمة في حركة التمرد، بل هي قاعدته الصلبة التي انطلق منها وتزود منها بكوادره على نحو ما سنرى في هذا الباب من البحث.

إستمرت السياسة البريطانية على هذا النهج - أي فصل الجنوب عن الشمال - في الاربعينيات. و قد قام المجلس الاستشاري لشمال السودان في اطار ذلك، اذ ضم اعضاء من شمال السودان دون جنوبه. و قد وجدت هذه السياسة انتقاداً شديداً من الرعيل الاول من قادة الحركة الوطنية بعد قيام مؤتمر الخريجين ، وتمثل ذلك في المذكرة التي رفعها المؤتمر الى الحاكم العام عام ١٩٤٢م ، و التي طالبت بالغاء سياسة فصل الجنوب ، كما طالبت بتطوير طرق المواصلات لربط الطرفين و تشجيع حركة النقل و المواصلات بينهما (١) .

مؤتمر جوبا عام ١٩٤٧م :

أخذت السياسة البريطانية في التحول من نهجها السابق بعد منتصف الأربعينيات، و بدأت تميل الى إبقاء السودان بلداً واحداً. حيث انه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قامت حكومة حزب العمال في بريطانيا بتطبيق سياساتها الخاصة بتصفية و تحويل الامبراطورية الى كومنولث يجمع شعوباً و دولاً مستقلة .
و في نفس الفترة كانت الحركة الوطنية السودانية في الشمال قد صعدت من نشاطها و ضغوطها ضد السياسات الانجليزية في البلاد، وخاصة في مناسبة قيام

الادارة البريطانية بانشاء المجلس الاستشاري ثم الجمعية التشريعية في شمال السودان.

و على الجانب الآخر من الصورة كانت البعثات التبشيرية و حلفاؤها من الاداريين في حكومة السودان و فى اجهزة الحكم في لندن يضغطون من احل السير قدماً نحو فصل جنوب السودان عن الشمال. وفي هـذا الجو العام وفي اطار متغيرات الساحة الاقليمية و الدولية و تصاعد قوة الحركة الوطنية المصرية، قررت الحكومة البريطانية مناقشة الموقف واتخاذ قرار بشأن بدائل المستقبل في الجنوب .

و في اطار ذلك عقد مؤتمر إداري بالجنوب عام ١٩٤٦م ، لمناقشة تمثيل الجنوبيين في الجمعية التشريعية التي كانت تحت الانشاء في ذلك الحين. و قد اوصى ذلك المؤتمر بتمثيلهم في هذه الجمعية، لأن رفاهية السودان تعتمد كلياً على ذلك . ونادى هذا المؤتمر أيضاً بتوحيد السياسة التعليمية في شطري البلاد و غير ذلك من اسباب الوحدة.

و بدون دخول في التفاصيل - اذ هي موثقة في المصادر المتنوعة عن هذه الفترة - تقرر عقد مؤتمر في مدينة جوبا في الفترة من ١٢ الى ١٣ يونيو عام ١٩٤٧ م برئاسة السكرتير الاداري. و حضر المؤتمر عدد من الاداريين الانجليز وسبعة عشر زعيماً من رؤساء القبائل و نظارها في الجنوب ، و ستة من ابناء شمال السودان(٢). و تشرح الدراسات التاريخية و السياسة السودانية تفاصيل عقد المؤتمر و مناقشاته و قراراته. و في هذا المؤتمر تأكدت رغبة ابناء الجنوب في بقاء جنوب السودان في وحدة سياسية مع الشمال ورفض افكار و دعوات الانفصال او الوحدة مع اوغندا وشرق افريقيا. كما أكد المؤتمر ان الانفصال يلحق ضرراً أكيداً بكل من الشمال و الجنوب سياسياً و اقتصادياً. و اعترف المؤتمر بالواقع المتخلف للجنوبيين.

شرعت الحكومة في تنفيذ توصيات المؤتمر. و في اطـار ذلـك تم دفـع مبلـغ مليـون جنيه من الميزانية العامة للبـلاد عـام ١٩٤٧م لسـد النقـص في ايـرادات المديريـات الجنوبية و تمويل مشاريع التنمية بالجنوب. و بالرغم من انتهاج السياسة البريطانيـة هذا النهج التوحيدي، الا ان كثيراً مـن الاداريـين البريطـانيين بالمديريـات الجنوبيـة ظلوا يعـارضون هـذه السياسـة و يكرسـون جهودهـم لترسيخ سياسـة الفصـل السابقة. كما ظلت البعثات التبشيرية المهيمنة على التعليم تستخدم كـل الوسـائل لترسيخ الانفصال في نفوس الجنوبيين.

وفي اطار مؤتمر جوبا نشير الى الملاحظات التالية :

١ - بصدور قرار مؤتمر جوبا تنتهي فترة الانفصال الاولى بين الشمال و الجنوب. اذ صدرت عقب ذلك قرارات عدة تفتـح الحـدود و تبيـح الانتقـال بـين الشـمال والجنوب في البلاد.

٢ - طرح بعض ابناء الجنوب خلال المناقشات عـن انفسـهم الشـكوك و الريـب والمخاوف تجاه ابناء الشمال. و تأسيساً علـى ذلـك ظهـر مطلـب الفيدراليـة مـن الجنوب و الشمال الـذي أوضـح انـه ينبغـي ان تكـون للجنـوب أوضـاع متميـزة او خاصة في مجال الحكم الذاتي لضمان المستقبل الـذى سـوف يجمـع بينهمـا فـى إطار السودان الموحد. و هذه الآراء ظلت موجودة بعـد ذلـك في كـل الحـوارات والمناقشات التي جمعت الجانبين الى يومنا هذا .

٣ - لماذا تغيرت السياسة الانجليزية؟! او لماذا حسمت السياسة الانجليزيـة موقفهـا تجاه إبقاء الجنوب في اطار السودان الموحد بدون الاتجاه نحو الانفصال؟.

هناك مجموعة من التفسيرات ترد في المصادر المتعددة عـن هـذه الفـترة (٣)، ومـن بينهـا وجـود مصـاعب و عقبـات عملية على طريـق ضـم الجنوب الى اوغنـدا (البـاجندا) لان الضـم معنـاه تغيـير موازيـن القـوى الاجتماعيـة و القبليـة داخـل اوغندا، اذ ان القبائل الشـمالية في اوغنـدا هـي امتـدادات و قرابـات إثنيـة لقبـائل

جنوب السودان، و يرى السيد ابل الير - أحد السياسين السودانيين - ان بريطانيا باعت الجنوب مقابل تأيد الشماليين لها و لسياساتها، و لولا هذا الاجزاء لانعقد لواء الفوز للعناصر الموالية لمصر و لازداد المناصرون لمصر في ذلك الوقت التصاقاً بشعار وحدة وادي النيل .

هذا، بينما يرجح البعض ان السياسة البريطانية في تلك الفترة كانت ترى ان المصالح البريطانية المستقبلية تتحقق بمنح المستعمرات استقلالها باسلوب جديد هو " وحّد تسد " بدلا من الاسلوب القديم " فرّق تسد " . و يساند هذا الرأي ان تلك الفترة التاريخية شهدت عديداً من المشروعات البريطانية لانشاء اتحادات سياسية في مستعمراتها استعداداً و تمهيداً لاستقلالها، مثل اتحاد وسط افريقيا واتحاد شرق افريقيا، و اتحاد ولايات الملايو، و اتحاد إمارات الخليج، واتحاد عدن والمحميات، و إتحاد نيجيريا الفيدرالي. و قد نجحت هذه المشروعات في بعض الحالات وفشلت في البعض الآخر. ويضيف السيد أبل الير في هذا الشأن قائلاً : ((إن الوضع الجغرافي و الاقتصادي في ذلك الوقت في الجنوب يجعل مستقبل تطوره مرتبطاً بصورة لا فكاك منها بالشمال المستعرب المنتمي الى الشرق الاوسط)).

و على الرغم من أهمية الاعلان القانوني الذي ترتب على قرار مؤتمر جوبا، الا انه يجب تقييم رد الفعل في الجنوب عند المؤسسات التبشيرية و التعليمية و الاجهزة الادارية. كما نبحث عن الاجراءات التطبيقية التي قامت الحكومة الانجليزية بتنفيذها تطبيقاً لهذه السياسة الجديدة بعد مؤتمر جوبا ١٩٤٧م. لقد قاومت البعثات التبشيرية و التعليمية هذه السياسة الجديدة بالرفض العلني وبالكلمة المكتوبة و بحشد الرأي العام بين النخبة الجديدة في الجنوب، و مع تطور الاحداث - خاصة بعد عقد اتفاقية ١٩٥٣م بين بريطانيا و مصر - ظهرت تفاعلات و آثار هذه الاتجاهات بين اقسام النخبة المدنية والعسكرية الجنوبية. ومن

الناحية الثانية فان الحكومة الانجليزية لم تقم باجراءات او تغيرات او تطبيق سياسات جديدة على مستوى الادارة او التنظيم في مديريات الجنوب، او في ما يتعلق بتنمية الوظائف او الدور الذي تقوم به مؤسسات الاندماج الوطني داخل السودان بوجه عام. و يشير بعض الدارسين السودانيين الى ان تمثيل الجنوبيين في الجمعية التشريعية ظل ضعيفاً بصورة رمزية للدلالة على وجودهم فقط.

في خضم تلك الاحداث جاءت ثورة ١٩٥٢م في مصر لتغير مفاهيم و تركيبة النخبة الحاكمة في مصر. و ظهر تحالف النخبة العسكرية المدنية المصرية الجديد و نما معه مفهوم سياسي جديد تجاه نظام الحكم في مصر و تجاه النظرة المصرية الى السودان. و تحولت السياسة المصرية عن التمسك التقليدي بحق الفتح ووحدة وادي النيل تحت التاج المصري الى اعلان مبدأ حق تقرير المصير و ضرورة تطبيقه في السودان لتقرير مستقبله بشأن الوحدة مع مصر او الاستقلال. و ذروة هذا التحول الفكري تجلت في التوصل الى عقد اتفاقية السودان بين مصر و بريطانيا عام ١٩٥٣م. و في هذا المقام تبرز الحقائق التالية :

أ - عدم مشاركة الجنوبيين مع الاحزاب الشمالية في المفاوضات التي جرت بالقاهرة في مستهل عام ١٩٥٣م وأدت الى اتفاقية الحكم الذاتي الموقعة في ١٢ فبراير من ذلك العام بين مصر و بريطانيا معناه في نظر القيادات الجنوبية ان الامور قد أُبرمت و ان المستقبل قد خُطط و حُددت مساراته دون حضور او بدون علم ابناء جنوب السودان. و يضاف الى هذا القول انه لم يكن ضمن القيادات العليا او التنظيمات العليا للاحزاب السياسية الكبرى في شمال السودان أي مواطن من ابناء جنوب السودان حتى يقال انهم شاركوا - و لو رمزياً - في اتخاذ و صناعة القرارات الكبرى الخاصة بمستقبل السودان الموحد.

بل رأى البعض من ابناء الجنوب ضرورة تأخير اعلان تقرير المصير حتى ينال الجنوب المزيد من التطور تحت الادارة البريطانية، و ذلك بإيحاً من البعثات التبشيرية و الاداريين البريطانيين المناوئين للوحدة(٤).

ب - في عام ١٩٥٣م تمت الانتخابات النيابية في جميع مديريات السودان، و لم تكن هناك احزاب سياسية منظمة تمثل ابناء الجنوب او تعبر عن آرائهم واتجاهاتهم. كذلك لم تكن هناك قواعد سياسية شعبية بالمعنى السياسي الحزبي في الجنوب تتبع و تؤيد الاحزاب السياسية الكبرى في شمال البلاد. و معنى هذا انه خارج المدن الصغيرة و القليلة العدد في الجنوب، أُبرمت الاتفاقيات وأجريت المساومات الانتخابية في اطار الأوضاع القبلية و الادارية القائمة في الجنوب. وبجوار هذا تبادلت الاحزاب السياسية السودانية الاتهامات و توغلت في العداوات أمام الرأي العام الجنوبي وامام النخبة الجديدة الجنوبية بشأن اوضاع السودان بصورة عامة و الجنوب على وجه الخصوص، مما أثار الشكوك والارتباك وسط الجنوبيين، الأمر الذي هز هيبة الحكم وزعزع الثقة الوليدة في مستقبل الدولة الوطنية المستقلة. و فضلاً عن هذا فهناك اتهامات متداولة في المطبوعات المنشورة بشأن الوعود الكاذبة و الضغوط الادارية و الرشاوى المالية ... إلخ .

ج - لم يتضمن قانون الحكم الذاتي - في المرحلة الانتقالية قبل اعلان الاستقلال - اية ضمانات او ترتيبات خاصة بأوضاع الجنوب. و هي المطالب التي طالب بها ممثلو الجنوب في مؤتمر جوبا ١٩٤٧م، و التي سوف تثار علناً و رسمياً في مؤسسات الدولة الوطنية بعد اعلان الاستقلال.

د - في الفترة الانتقالية بعد انتخابات ١٩٥٣م، و بينما البلاد تستعد لمرحلة الاستقلال ، تفجرت عدة قضايا خطيرة الأثر و المفعول و هي ما يلي:

١ - صدرت قرارات لجنة السودان عام ١٩٥٤م وتركت نتائج عاجلة وسيئة وأثارت الشكوك و المخاوف. فقد رأى الجنوبيون انهم لم يستفيدوا من نتائج

عمل لجنة السودنة، اذ انه لم يعين غير اربعة من ابناء الجنوب في وظيفة مساعد مفتش و اثنين في وظيفة مأمور، في حين كانت هناك وعود مبذولة لهم من الاحزاب الشمالية بان يكون لهم حظهم المقدر من وظائف السودنة، في الوقت الذي قامت فيه لجنة السودنة - وفقاً لأفضل التقارير التي ارسلتها الادارة الانجليزية الى الخدمة المدنية - بالتعيين و بالترقيات تبعاً للخبرة و المؤهلات. ولكن لما كانت الوظائف التي تولاها الجنوبيون في ذلك الوقت أدنى بكثير مما كان يتولاه ابناء الشمال، فذلك لأنهم كانت تعوزهم و تنقصهم الخبرة و المؤهل العلمي. فنتائج السودنة بالنسبة للمتعلمين الجنوبيين لم تكن مخيبة للآمال فحسب، بل و اعتبروا الأمر كما لوكان استبدال سيد بسيد، بل استعماراً جديداً من الشمال. كما وقعت عدة اخطاء في المجالين السياسي و الاداري عقب تمام السودنة. و لعلنا لا نجافي الحقيقة اذا ذكرنا ان تصرفات بعض الموظفين الشماليين لم تحالفها الحكمة او الصبر.

ب - لم يخل مسلك التجار الشماليين (الجلابة) دائماً من الانحراف والتجاوزات، ذلك ان بعضاً منهم - وخاصة مَن بالاستوائية - كان يتدخل في شؤون الادارة.

ج - تمرد الفرقة الاستوائية في ١٧ أغسطس ١٩٥٥م و ما ترتب على التمرد والقتال ضد القوات الحكومية من مقتل ٢٦١ من الشماليين و٧٥ من الجنوبيين مدنيين و عسكريين. و هذا التمرد هو البداية الفعلية للحرب الاهلية الممتدة الى يومنا هذا.

كان التمرد الاول الذي نمت بذرته و ترعرعت قوامه الفرقة الاستوائية، متخذة من عملية السودنة ذريعة لها.. نجد ان تكوين الفرقة نفسه تم على يد الجنرال ونجت الحاكم العام للسودان منذ عام ١٩١٠م، و قد جاء بناء الفرقة الاستوائية على أساس ديني من العناصر الافريقية التي تم تنصيرها حتى تكون اساساً لجيش

يمكن استعماله ضد أي انبعاث يحمل توجهات الاسلام الجهادية في الشمال، وحتى تكون ترياقاً مضاداً لحركة الاسلام والوحدة، حيث قصر التجنيد بها على العناصر المسيحية، مبعداً عنها كل من يدين بالاسلام او يتحدث لغة العروبة. وتشبعت الفرقة بالروح الكنسية و اتخذت عادات واسماء لا تمت الى واقع السودان بصلة، وغُذيت أدمغة أفرادها بالعداء ضد اعوانهم في الشمال، و حاطوا الرجل الابيض بولائهم. و قد صور لهم انه انما جاء لحمايتهم و انتشالهم من هجمة تاجر الرقيق الشمالي. وكان طبيعياً ان يكونوا على استعداد لمواجهة الشمال يوم يغادر البلاد حماتهم البريطانيون.

و هكذا مثلت الفرقة الاستوائية اول تحد يجابه السودان قبل اعلان استقلاله باربعة أشهر، حيث فسرت الفرقة الاستوائية جهود السودنة و الاستقلال بأنها توجه نحو الاسلام و محاولة لاستعباد الجنوب. ولا زالت الاسباب المباشرة لذلك التمرد مجهولة. فقد ربطها البعض بوصول برقية زائفة تكلمت عن إبادة منتظرة للجنوبيين. وربطها آخرون بالانتقال المفاجئ لقيادة الفرقة من الضباط الانجليز الى الضباط السودانيين. و عزاها آخرون الى روح السخط و الاثارة و التعبئة التي وجهتها اذاعة القاهرة الى الجنوبيين، انتقاماً من الازهري الذي نكص عن وعده بالوحدة مع مصر (٥).

كان معظم المتمردين في الفرقة البالغ عددها ١٨٠٠ مجند من المنصّرين المعمدين المنتمين الى قبائل الفرتيت. وكان من بينهم مائة مجند ينتمون الى قبيلة الدينكا. وانتمى معظم قادة التمرد الى المذهب الكاثوليكي. و كان من ابرز المنتمين الى هذا المذهب الملازم رينالدو لويلا - القائد الميداني و المنظم لعملية ساترينو اوليو - و شاركهم في ذلك امين حزب الاحرار في جوبا ماركو روم، و هو كاثوليكي، و دانيال جومي المذيع الذي كان يذيع من راديو القاهرة و يلهب حماس الجنوبيين ويوجهه نحو الثورة على الشمال(٦).

نجحت حكومة الازهري في انهاء التمرد و فرض النظام. ولكن عشيرات من أعضاء الفرقة المتمردة دخلوا الغابة او تسللوا الى اوغندا مكونين نواة لحركة مسيحية مناوئة اخذت تعمل فيما بعد بأسلوب حرب العصابات. كما تم حل فرقة الاستوائية. وكان هذا التمرد نقطة تحول في تاريخ العلاقات الشمالية - الجنوبية. كما ان القوة المعادية للسودان اعطت التمرد مفهوماً وطنياً كان بمثابة زاد لحركات التمرد ومحفزا للخروج على السلطة في المستقبل.

هذه القضايا الثلاث هزت النظام السياسي و الاداري و العسكري في السودان وتركت آثاراً مروعة في العاصمة و في الجنوب.. و قد ترتب على هذه القضايا قيام الحكومة السودانية باعلان اجراءات ادارية و وظيفية منوعة لتوسيع قاعدة توزيع مغانم الحكم على المواطنين في الجنوب. و ذلك من خلال قرارات اصدرها مجلس الوزراء. ولعل هذه الاجراءات كانت من اسباب احساس الجنوبيين بقوتهم و قدرتهم على انتزاع حقوقهم من ابناء الشمال.

و جاء منعطف آخر في علاقة الشمال بالجنوب عندما بُدىء في صياغة الدستور ونشبت الأزمة داخل السلطة التشريعية. فقد طالب النواب الجنوبيون بتطبيق النظام الفدرالي عند صياغة الدستور وتوزيع السلطة على هذا الاساس. و نظراً الى أن السودان كان يخطط لاعلان الإستقلال في اول يناير ١٩٥٦م، فقد تم الاتفاق على تشكيل لجنة قومية لوضع المبادئ الدستورية تضم اعضاءَ ممثلين لكل اقاليم السودان. كما صدر قرار بأن يؤخذ في الاعتبار اقتراح النظام الفيدرالي عند صياغة الدستور الدائم.

و لاحظ الجنوبيون انهم اقلية ضئيلة العدد في لجنة اعداد مشروع الدستور. ثم ان اللجنة رفضت مقترح الفيدرالية كأساس للدستور السوداني. لذلك انسحب الاعضاء الجنوبيون من عضوية اللجنة قبل اعلان تقريرها الرسمي، و تضامن معهم

باقي النواب الممثلين للجنوب في البرلمان وقدموا استقالاتهم من عضويته عام ١٩٥٨م .

هذه التطورات - على مستوى المؤسسة التشريعية في الدولة المستقلة - تركت آثارها في الرأي العام الجنوبي، و من بين هذه الآثار التوسع في انشاء الاحزاب السياسية الجنوبية على اساس اقليمي. و من اهم الأحزاب الاقليمية التي تشكلت عام ١٩٥٨م، الحزب الفيدرالي الجنوبي، و قد اعلن وثيقة المبادئ و الاهداف التي يطالب فيها بوضع نظام فيدرالي لحكم السودان، و وضع نظام خدمة مدنية خاصة بالجنوب، و وضع نظام تعليمي خاص، ونظام خاص لتجنيد الجنوبيين في الجيش، و يدعو الى وضع الدين الاسلامي والدين المسيحي والديانات الافريقية على قدم المساواة، و كذلك جعل اللغة العربية و اللغة الانجليزية على قدم المساواة في التعامل الاداري و التعليمي و الثقافي في البلاد. و معنى هذه الخطوة هو نشوء حزب سياسي على قاعدة اقليمية او جهوية او إثنية، وهو أمر يمثل خطورة على النظام الليبرالي السياسي الوطني. و من ناحية ثانية فان نشوء الحزب و اعلان مبادئه و تجنيد انصاره حدث بعد مرور ثلاث سنوات على بداية التمرد العسكري عام ١٩٥٥م. و من ناحية ثالثة فان الحزب خاض الانتخابات في دوائر الجنوب و فاز في ٤٠ دائرة من اجمالي عدد الدوائر الانتخابية البالغ ٤٦ دائرة.

و نقول ان هذا كله حدث وتفاعل في ظل سياسات حكومة الاحزاب السياسية وبعد اتخاذها لقرارات توسيع دائرة التوظيف والترقي الخاصة بالجنوبيين، و أُيد الرأي القائل ان من بين اسباب هذه الاتجاهات الجنوبية اعلان سياسات الحكم الوطني في ميدان التعليم بالسودان، اذ بدأت الحكومة السودانية منذ الفترة الانتقالية، ثم في ظل الاستقلال، في تغيير اوضاع و مناهج و مقررات و لغة التعليم في الجنوب، مع توحيد السلم و النظام التعليمي في البلاد. و قد لقيت هذه السياسات التعليمية رفضاً من البعثات التبشيرية و في مقدمتها البعثات

الكاثوليكية(٧)، حيث بدأ الكاثوليك في عـام ١٩٥٧م حملة صحفية و سياسية على حكومة السودان بزعم ان الحكومة تعمل على الحد من نشاط الكنيسة. كما امتنـع الكـاثوليك عـن مباركـة توحيـد منـاهج التعليـم بـين الشـمال والجنوب، وعارضوا تأميم مـدارس الارسـاليات. ومنـذ عـام ١٩٥٩م، و بعـد ان استولت القـوات المسـلحة على السـلطة في السـودان، بـدأت الحركـة السياسـية الجنوبية في المنفى تنتهج حرب العصابات في مواجهة الحكومة. و لجأت السلطات السودانية بالمثل الى تقييد حركة المبشرين الاجانب و الحد من التسهيلات الممنوحة لهم، بما في ذلك منحهم تأشيرات الدخول الى البلاد، استناداً الى أن عددهـم يزيـد عن الحاجة بعد تأميم مدارسهم في الجنوب(٨).

حكم الفريق عبود ١٩٥٨م :

واجهت الحكومة العسكرية بقيادة الفريق ابراهيم عبود الموقف السياسـي العـام في السودان باجراءات عديدة. وفيما يتعلق بسياساتها تجاه قضية الجنوب يمكـن ايـراد الآتـي :

١ – بوجـه عـام تمتـع التيـار الفكـري و الاداري الـذي كـان يدعـو الى مواجهـة الجنوبيين بالعنف و الحسـم الشـديد بحريـة أكـبر و بصـوت أعلـى في ظـل الحكـم العسكري. و كان هذا متوافقاً مع أفكـار الاغلبيـة مـن القيـادات العسـكرية الـتي رأت في القضية مؤامرة اجنبية سياسية ودينية. و هذا الموقف دعا قسماً من النخبـة الجنوبية الى تصوير عملية تسليم السلطة الى الجيش عـام ١٩٥٨م وكأنهـا مؤامـرة شمالية عربية للسيطرة على الجنوب مـن خـلال أسـاليب القمـع و العنـف. وعلـى الرغم من خطأ هذا التفسـير و بسـاطته، الا ان هـذا التصـور سيطر علـى تفكـير و عقول قسم هام من النخبة الجنوبية.

٢- تبنت الحكومة العسكرية سياسة التذويب و الدمج باصدار القوانـين و فـرض التطبيق بالقوة، فأصدرت قوانين تعديل نظام التعليـم في الجنـوب، و اعتبـار اللغـة

العربية لغة التدريس، و تدريس الدين الاسلامي في المدارس، و انشاء الخلاوي لتحفيظ القرآن الكريم، و عينت العديد من الوعاظ الدينيين بالمديريات الجنوبية، و أنشأت معهداً دينياً بجوبا. و في مواجهة ازدياد مقاومة الارساليات التبشيرية لسياسات الحكومة، قررت طرد جميع اعضاء البعثات التبشيرية نهائياً من الجنوب عام ١٩٦٤م. و قد ترتب على سياسة الحكومة عدة نتائج:

- انتقال ساحة المعركة بين الحكومة و الجنوبيين من داخل البلاد الى خارجها في مناطق المنافي و اللجوء السياسي بالدول الافريقية و في اوربا و امريكا.
- توالي عمليات الهجرة و الهروب الواسعة نحو الخارج من جانب المتعلمين والنخبة من بين ابناء القبائل الجنوبية الى دول الجوار الافريقي يوغندا - زائير - افريقيا الوسطى و الانضمام الى حركة التمرد.
- دخول اطراف اجنبية في المعركة بهدف تسخين و تعقيد المواقف و تقديم الدعم و العون الى لمعارضة الجنوبية في الداخل والخارج..
- زيادة انشغال الجيش السوداني بالقتال وازدياد الانفاق الحكومي و توسع مناطق النزاع و الصدام المسلح و امتدادها الى الريف و الغابات، وتهديد حياة المدنيين و العسكريين من خلال العنف و العنف المضاد.

و اخيراً ظهر تحول في المواقف الجنوبية، وذلك بانشاء تنظيمات سياسية وعسكرية منوعة، ثم ظهور تنظيم سياسي موحد هو الاتحاد السوداني الافريقي الوطني لجنوب السودان (سانو) ، و هو الجناح السياسي لمنظمة عسكرية هي منظمة انيانيا . و قد شهدت هذه الفترة التغير العام الذي بدأ يظهر في اوضاع الجنوبيين من حيث التدريب العسكري للمنظمة، و الاصول الاجتماعية للاعضاء و القيادات، و نمو دور النخبة العسكرية على حساب النخبة السياسية و المدنية و من جانب آخر ازداد انغماس الاطراف الاقليمية و الدولية في الصراع السياسي و العسكري، مع ظهور محاولات لتدويل القضية وان لم تنجح في ذلك الوقت.

ثورة اكتوبر ١٩٦٤م ، و حكم الاحزاب السياسية حتى ١٩٦٩م .

عاد الجيش الى الثكنات و تولى المدنيون حكم البلاد من خلال الاحزاب والتحالفات السياسية ، وبدأت الحكومة في مواجهة قضية الحرب الاهلية وجرت اتصالات مع القيادات الجنوبية خارج البلاد و مع عدد من الموجودين داخل البلاد .

تلكأت حركة التمرد الجنوبية التي كانت منقسمة على نفسها في الاعتراف بالوضع الجديد في السودان. وقد عزا البعض ذلك الى انتقال السلطة السياسية الى المدنيين بشكل مفاجئ و سريع في وقت دخلت فيه الكنيسة في حوار مع السلطات العسكرية بمساعدة حكومة لبنان الكاثوليكية.

ابتداءاً من فبراير ١٩٦٥م أخذت الاحوال السياسية في التبدل، اذ قامت الملكة اليزابيث بزيارة السودان في ١٠ فبراير ١٩٦٥م في ظروف صراع حزبي و عدم استقرار داخلي ، بينما كانت حركة التمرد تعاني من التمزق والتفكك والصراع بين العسكريين و المدنيين من ناحية، وبين الكاثوليك وغيرهم من ناحية اخرى. زد على ذلك الصراع العرقي و القبلي، بالاضافة الى تاثيرات الواقع و القوى الضالعة في حرب جنوب السودان ومحاولاتها بناء محاور للولاء وسط الحركة كاسرائيل و فرنسا و ايطاليا و بلجيكا و دول اسكندنافيا(٩).

و من تطورات ثورة اكتوبر على المسرح الجنوبي تكوّن حزب جبهة الجنوب في الخرطوم تحت قيادة كلمنت امبورو، و هو كاثوليكي من البلاندا اصبح فيما بعد وزيراً للداخلية. و تتلخص مجمل السياسات في تلك المرحلة في ما يلي :(١٠)

أ- كان هناك خلاف داخل قيادات النظام السياسي و الاحزاب السياسية في العاصمة حول اسلوب معالجة القضية. و مع وجود تيار يدعو الى الحل السلمي السياسي من خلال التفاوض، كان هناك تيار التشدد و الحسم بأسلوب القوة العسكرية تجاه مطالب الجنوبيين. و على الجانب الآخر بين قيادات الجنوبيين

تجدث تيار عن الانفصال و تكوين دولة جنوبية مستقلة باسماء مختلفة، و دعا تيار آخر الى تطبيق الفيدرالية في ظل دولة سودانية موحدة. كما ظهرت تيارات تدعو الى تطبيق اللامركزية السياسية و الادارية في جميع اقاليم جمهورية السودان.

و في تلك الفترة ظهرت اتصالات حول تشكيل جبهة بين الجنوبيين و ابناء شعوب و قبائل جبال النوبا و دارفور في غرب السودان و قبائل البجا في شرق السودان و منطقة جبال الانقسنا في جنوب النيل الازرق.

ب - على الرغم من استمرار القتال و التوسع في العنف والعنف المضاد نجحت الدعوة الى عقد (مؤتمر المائدة المستديرة) في ١٦ مارس ١٩٦٤م لتلمّس سبل السلام في الجنوب. و شارك في المؤتمر جناحان من حزب اتحاد السودان الافريقي الوطني (سانو) وجبهة الجنوب، بالاضافة الى الاحزاب الشمالية. والملاحظ انه قد شارك في الاجتماع من الجنوبيين ٢٧ عضواً ومن الشماليين ١٨ عضواً . كما ان وفود الاحزاب الشمالية الكبرى لم يكن من بين اعضائها جنوبي واحد، كما حضر الاجتماعات بصفة مراقب ممثلون لدول افريقية هي اوغندا و كينيا و تنزانيا و غانا و نيجيريا و الجزائر و مصر.

و بعد مداولات طويلة انتهى المؤتمر الى صيغة نظام للحكم الاقليمي لكل السودان، لكنه لم ينجح في التوصل الى حل نهائي. بالطبع قاطعت المؤتمر الجماعة الكاثوليكية بقيادة جوزيف اودهو و ساترينو لوهوري و جورجي لاكوني و بانكرياس اوجنج و ماركو روما، و لم يعرفوا بقرلراته، وقد قام هؤلاء النفر بتكوين حركة انانيا. أما وليم دينق وجناحه في حزب سانو فقد مالوا الى طرح الحكم الاقليمي و انخرطوا في (مؤتمر القوى الحديثة) فيما بعد، وهو الذي ضم حزب الامة جناح الصادق المهدي و جبهة الميثاق الاسلامي بقيادة الدكتور الترابي. و رحب وليم دينق بالبرنامج الانتخابي للمؤتمر الذي يقوم على مبدأ دستور اسلامي للسودان مع استثناء الجنوب من احكام الشريعة الاسلامية.

ولكن وليم دينق اغتيل في الخامس من مايو ١٩٦٨م مع ستة من اعوانه أثناء طواف انتخابي على طريق رمبيك - واو. ثم حدث تصعيد في الحرب على الجانبين. وهنا نشير الى الاحداث المأساوية التي حدثت في جوبا وواو عام ١٩٦٥م .

ج - تجمع المصادر - عن احداث تلك الفترة - على القول ان قضية الجنوب كانت قد تعقدت وامتدت تأثيراتها الضارة الى كل البنية القانونية و الادارية والاقتصادية و الاجتماعية في حياة المجتمع السوداني، وان تيارات الخلاف و لشك و الكراهية قد انتشرت في الجسد الاجتماعي و الثقافي السوداني، وان النظم الاجتماعية و التعليمية أصابها الوهن و التفكك و الانهيار الداخلي نتيجة لاستمرار الحرب الاهلية و النزاع المسلح بين الجانبين. كما شهدت تلك الفترة صراعات حزبية و انقسامات. إضافة الى أنه في ٢٢ فبراير ١٩٦٨م توفي السيد علي الميرغني، الأب الروحي لطائفة الختمية وأحد ركائز الاستقرار في السياسة الوطنية .

الانقلاب العسكري في مايو ١٩٦٩م :

في هذا الجو من الصراع استولى صغار الضباط في الجيش السوداني على السلطة في ٢٥ مايو ١٩٦٩م، و اصبح العقيد جعفر محمد نميري حينها رئيساً لمجلس الثورة الذي تكون هو ومجلس الوزراء أساساً من الشيوعيين و اليساريين.

واجهت الحكومة الجديدة موقفاً صعباً داخل البلاد، اذ كان يتهددها شبح التقسيم او الدخول في فترة طويلة من الفوضى السياسية و الاجتماعية جراء استمرار الحرب الاهلية، و بجوار هذا كانت الاعباء المالية والاقتصادية نتيجة الانفاق الحربي اليومي تتزايد، و كانت هناك تحركات من الاحزاب والجماعات السياسية في الغرب و الشرق تدعو الى الانفصال مثل مؤتمر البجة و جبهة الاحزاب و التجمعات النوباوية بزعامة فيليب غبوش في الغرب ، و بجوار هذا استمرت

الحرب الاهلية في الجنوب مع نجاح جوزيف لاقو في فرض وإحكام سيطرته على منظمة الانانيا و حزب سانو، و ما تبع ذلك من بناء قيادة موحدة وجيش منظم مرتفع الكفاءة و العدة الحربية. و يعود الفضل في توحيد فصائل الانانيا الى المرتزق الاوربي الشهير رولف اشتاينر الذي استعانت به القوة الكنسية صاحبة المصلحة الحقيقية في استمرار التمرد الذي كان قبيل توحيد فصائله تحت قيادة جوزيف لاقو قد شهد تدنياً واضحاً وأعيت حركة الانانيا الانقسامات و الصراع الديني.

وقد استفاد اشتاينر من الاموال التي جمعتها الجمعية الكنسية التي تخصصت في دعم حركات التمرد الافريقية ذات الطبيعة الكاثوليكية، وهي جمعية ترأسها الاب كايفن في فرانكفورت، وظلت تجمع اموالاً طائلةً لدعم حرب بيافرا. و عندما انتهت حرب بيافرا ارادت ان تحول هذه الاموال الى دعم الحرب في جنوب السودان. وقد كانت ودائعها في البنوك تنمو بمعدل مليون مارك سنويا.

أكمل اشتاينر صفقته مع الاب كايفن الذي قام بنفسه باجراءات الحجز لاشتاينر في أول رحلة الى كمبالا، و من ثم سافر الى جنوب السودان بطائرة صغيرة هبطت في مكان معد لذلك وسط الاحراش، حيث كان في استقباله خمسون من افرادْ عصابات التمرد، ثم ذهب لمقابلة قائدهم اللواء تافنج.

خلال مدة وجيزة تعرف اشتاينر على جهود اسرائيل وسط المتمردين، وقد تمثل ذلك في تدريبهم وإمدادهم بالاسلحة الحديثة. كما تعرف على جهود الاستخبارات البريطانية التي قدمت قرضاً لاقامة معسكر حربي للمتمردين.

كات أبرز إنجازات اشتاينر انه وحد فصائل الانانيا تحت قيادة جوزيف لاقو. وقد تم ذلك بعد مؤتمر عام ضم جميع الفصائل، وانعقد في كمبالا تحت رعاية الجنرال عيدي امين رئيس جمهورية يوغندا فيما بعد. و الانجاز الثاني لاشتاينر يتمثل في نجاحه في اقامة حزام عسكري خاضع للمتمردين. ولكن يبدو ان توجهات اشتاينر الكاثوليكية ازعجت ملتون ابوتي رئيس وزراء يوغندا الذي يعتمد على تأييد

البروتستانت و المسلمين. مما حدا به الى إلقاء القبض عليه وتسليمه الى السودان.. فكانت ضربة لحركة التمرد والمنظمات الكنسية التي تقف وراءه(١١).

على الصعيد السياسي شكلت الحكومة الجديدة في مايو ١٩٦٩م لجنة لوضع تصور شامل لحل قضية الجنوب. و في يونيو ١٩٦٩م صدر بيان حكومي هام يعترف بوجود فوارق تاريخية وثقافية و دينية بين الشمال و الجنوب، و يقترح البيان منح الحكم الذاتي الاقليمي لمديريات الجنوب. و قد صدر البيان ومقترحاته في صورة مبادئ عامة بدون تفصيل لسلطات الحكم الذاتي. على الجانب الآخر فوجئت القيادات الجنوبية مفاجأة مذهلة، اذ لأول مرة تعترف الحكومة السودانية في الخرطوم علناً ورسمياً بمواقف و حقائق وسياسات لم يسبق لاي حكومة سودانية ان اعترفت بها وبهذه الصورة. و كان المقترح المعلن يمثل تغييراً جذرياً للتوجه السياسي نحو حل قضية الجنوب. و في هذا المنعطف زار السودان وفد مشترك من مجلس عموم كنائس افريقيا ومجلس الكنائس العالمي في مايو ١٩٧١م وقابل المسؤولين السودانيين وتفقد الاوضاع في الجنوب و الشمال ووجد من الحكومة ترحيباً وقبولا للحوار مع المتمردين. بعد ذلك قام وفد الكنائس بزيارة عدد من الدول الأفريقية وشرح لرؤسائها اطروحاته لتحقيق السلام في الجنوب وحث قادة فصائل التمرد على الاستجابة لأية دعوة يقدمها اليهم مجلس الكنائس. وجرت العديد من الاتصالات بين الحكومة و القيادات الجنوبية خارج السودان في افريقيا ودول اوربا. هذا، اضافة الى التغييرات السياسية التي تمت بعد محاولة الانقلاب العسكري في يوليو ١٩٧١م وما ترتب عليها من نتائج وتغيرات جذرية في التوجه السياسي نحو حل قضية الجنوب. و في اغسطس ١٩٧١م وقع الاختيار على العاصمة الأثيوبية اديس ابابا لاجراء اللقاءات التمهيدية، حيث مثّل السودان وفد برئاسة السيد ابل ألير و اللواء محمد الباقر، و مثّل حركة التمرد كل من مادينق قرنق و لورنس وول و أليزابانا مولا، و مثّل مجلس الكنائس العالمي

و الافريقي كل من د. ليو لدو نيلوس والقس كلو وانكراه وكانون بورجيس، بينما مثّل مجلس الكنائس السوداني صمويل بوقو. ثم بدأت المحادثات النهائية في ٢٠ يناير ١٩٧٢م ، تحت رعاية الامبراطور هيلاسلاسى، وحينها اختار جوزيف لاقو ثمانية من قادة الانانيا للمشاركة في الاجتماعات، وكان وفد السودان يضم أبيل ألير و اللواء محمد الباقر و منصور خالد وجعفر محمد علي بخيت. كما حضر الاجتماعات الامين العام لمجلس عموم الكنائس الافريقية.

و بعد مداولات استمرت اسبوعين توصل المؤتمرون الى صيغة الاتفاقية المعروفة باتفاقية اديس ابابا و التي تم التوقيع عليها في ١٩٧٢/٢/٢٨م وتمخضت عن الحكم الاقليمي لجمهورية السودان. و بناءاً على الاتفاقية صدر قانون الحكم الذاتي الإقليمى للاقليم الجنوبي في اطار السودان الموحد. ثم صدر في عام ١٩٧٣م الدستور السوداني الدائم الذي ينص على الحكم الذاتي الاقليمي للاقليم الجنوبي.

أثارت الاتفاقية كثيراً من الجدل في الاوساط السودانية، إذ وصفها البعض بأنها قايضت السيادة الشرعية بالتنازلات التي منحتها للتمرد. كما دار الجدل حول النص القائل بان اللغة العربية هى اللغة الرسمية لجمهورية السودان وأن الانجليزية هي اللغة الرئيسية في جنوب السودان. و طارت شائعات حول نص غير مكتوب يحرم التبشير الاسلامي في الجنوب... ومهما يكن من أمر فقد حققت الاتفاقية السلام. وسلم معظم المتمردين سلاحهم الى القوات المسلحة التي شرعت في استيعاب خمسة آلاف منهم في صفوفها.

لم يؤيد الكاثوليك اتفاق اديس ابابا. اذ انهم أحسوا بأنهم خدعوا من قبل رفاقهم الجنوبيين غير الكاثوليك الذين وقعوا على الاتفاق متجاهلين وزن الكاثوليك في حركة المقاومة. اذ قاد وفد الحكومة ابل الير و هو انجليكانى مثل جوزيف لاقو رئيس وفد المتمردين الذي ينتمي الى قبيلة اللاتوكا الصغيرة في شرق الاستوائية.

اما ضحايا الاتفاقية فقد كانوا من العناصر الوحدوية مثل الحرس الوطني والسلاطين المسلمين و رعاياهم من المسلمين الذين تم تجريدهم من السلاح وحرموا من الوظائف الحكومية، فقد كانوا يُنظر اليهم باعتبارهم خونة و عملاء للشمال، كما تم هدم بعض المساجد و تحويل بعضها الى نقاط بوليس و بعضها الى حانات لشرب الخمور المحلية. كذلك تم تحويل مباني عدد من المعاهد الاسلامية الى وزارة التعليم الاقليمية، واستخدم بعضها كثكنات للجيش. و لم تخل الاتفاقية من ردود فعل عالمية، إذ نظرت اليها مصر و ليبيا باعتبارها محاولة لبيع السيادة الوطنية. اما في يوغندا فقد قام الرئيس اللواء عيدي امين بطرد سبعمائة من الاسرائيليين، اذ شعر بانتهاء الدور الاسرائيلي بعد صلح الجنوب ورأى ان الموقف يتطلب اصلاح علاقاته مع السودان خاصة والعالم العربي عامةً. و قد ذكرت ذلك جريدة (التايمز) الصادرة بتاريخ ١٩٧٢/٤/٤م في كلمتها الافتتاحية، واشارت الى ان سلام جنوب السودان اصاب اسرائيل بنكسة في افريقيا.(١٢)

بصورة عامة تخلت الحكومة في سبيل حصولها على السلام عن كل مسوولياتها تجاه الجنوب و سلمته الى السياسيين الجنوبيين من خريجي مدارس التبشير والكنيسة الذين رأوا في السلطة مجرد غنيمة يتقاسمونها مع ذويهم. ونتيجة لذلك الفهم شاع الفساد بصورة لا مثيل لها، و بُددت الاموال و الاغاثات التي تدفقت من الهيئات الدولية والمنظمات و الحكومات، و لم يعد المال العام يخضع لرقابة الحكومة.

و على الطرف الآخر استفادت الحركة الاسلامية من ظلال الانفراج الذي صاحب المصالحة الوطنية، فنمت الحركة في اطار الصحوة الاسلامية العامة وظهرت المؤسسات الاسلامية المالية من شركات و بنوك، الى جانب ازدهار مؤسسات الدعوة الذي تجلى في حركة بناء المساجد و معاهد التعليم. كما طغي

الصوت الاسلامي وسط حركة الطلبة. و منذ ١٩٧٩م امتد النشاط الاسلامي من الشمال الى الجنوب. فشهدت مدارس الجنوب بعض جوانب هذا النشاط، وأُقيم معسكر اسلامي للطلاب الجنوبيين المسلمين بالخرطوم. وكان طبيعياً ان تتبرم الصفوة الجنوبية - ومن ورائها الكنيسة - من الشرعية الجديدة ومن بوادر النشاط الاسلامي، فانتهزت فرصة انعقاد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي وهاجموا الحركة الاسلامية متهمين اياها بمحاولة تخريب السلام و التغرير بالطلاب الصغار، مشيرين الى المعسكر الذي اقيم للطلاب الجنوبيين الذين دخلوا الاسلام حديثاً. و تمثلت مقاومة الكنيسة لهذه الصحوة الاسلامية في محاولتها تعزيز ودعم المسيحية في الجنوب بخلق روابط للطلاب المسيحيين ومنافسة التيار الاسلامي في اوساط الطلاب. كذلك اسرعت الكنيسة الكاثوليكية الخطى في حركة السودنة. فألحقت الاب غبريال الزبير باسقفية الخرطوم ابتداءاً من عام ١٩٧٩م. و في سبتمبر ١٩٨١م عُين خلفا لرئيس الاساقفة المحنك الاب الايطالي باروني. فكان بذلك أول رئيس سوداني للاساقفة. وكان هذا يعني تطوراً جديداً.

الفصل الثاني

إنهيار التسوية السياسية و عودة الحرب الأهلية سنة ١٩٨٣م

بدأت فترة التطبيق للتسوية السياسية، و تشكلت المجالس التشريعية والتنفيذية والاجهزة الادارية في داخل الاقليم الجنوبي، و بدأ تطبيق مشروعات و خطط التنمية، و اصبح جوزيف لاقو قائد الانيانيا السابق نائباً ثانياً لرئيس جمهورية السودان. و على الرغم من النجاح النسبي في التطبيق، فانه بدأت تظهر خلافات وجو من الشك و سوء النية وفقدان للثقة بين الحكومة في العاصمة و بين القيادات الجنوبية المدنية و العسكرية. و نجمل مظاهر الخلاف وأسبابها فيما يلي: (١٣)

١ - تدخلات رئيس الجمهورية في الترشيح لرئاسة المجلس التنفيذي العالي للاقليم الجنوبي ابتداءًا من عام ١٩٧٣م، إذ لأكثر من مرة يتدخل الرئيس ويرشح أشخاصا. وقد رأى الجنوبيون انه بتصرفه هذا وضع سابقة دستورية جعلته يبدو طرفاً في المباراة السياسية بين القيادات والقوى السياسية الجنوبية داخل المجلس التشريعي للجنوب. و من ناحية ثانية قام الرئيس بحل المجلس التنفيذى العالى وعين لجنة إدارية حكومية للإشراف على إنتخابات المجلس التشريعى. و هناك العديد من الروايات و التفسيرات المتضاربة حول اجراءات و تصرفات رئيس الجمهورية. كما أن هناك روايات واحداثا تروى من كل جانب لتبرير موقفه وادانة الموقف الآخر. و لكن هناك نقطة يجب ان تؤخذ في الاعتبار عند التفسير. و هي ان الاقليم الجنوبي كان يشهد حياة سياسية تنافسية تقوم على التعدد الحزبي. اما باقي الدولة السودانية فكانت تعيش في ظل الحزب الواحد ولا تعرف المباراة السياسية التنافسية من خلال صناديق الاقتراع.

٢ - إنحاز رئيس الجمهورية الى طرف دون الآخر فى خلاف سياسي دار بين الجنوبيين حول خياري تقسيم الاقليم الجنوبي او بقاء الاوضاع على ما هي عليه

طبقاً لاتفاقية ١٩٧٢م. و قد ازدادت الازمة في الجنوب وبين الجنوب و العاصمة عندما أصدر رئيس الجمهورية قراره باعادة تقسيم الجنوب الى ثلاثة اقاليم عام ١٩٨٣م. و هناك العديد من الآراء و التفسيرات وردت في هذا الشأن... بعضها يرى ان المشكلة كانت بين القيادات المنتمية الى قبيلة الدينكا و القيادات المنتمية إلى القبائل الأخرى، و بعضها يرى أن رئيس الجمهورية و القيادات السياسية في العاصمة الخرطوم قبلت مرغمة - بموجب اتفاقية اديس ابابا ١٩٧٢م - وحدة اقليم الجنوب، وانها كانت تعمل من احل اعادة تقسيم الجنوب الى اقاليم، وتحديدا منذ دستور ١٩٧٣م وصدور قانون الحكم الاقليمي للسودان عام ١٩٨٠م الذي بمقتضاه تم تقسيم السودان الى خمسة اقاليم بالاضافة الى الاقليم الجنوبي. و التعليق المتداول في هذا الشأن هو انه لم يكن ممكنا ادارة دولة واحدة بتطبيق نظامين اقليميين مختلفين أو الابقاء على وضعين اداريين غير متماثلين، ذلك لأن الفارق القانوني و التنظيمي كبير بين نظام الحكم الاقليمي و نظام الحكم الذاتي الاقليمي في الجنوب.

٣ - طالب الاقليم الجنوبي بتعديل حدوده مع شمال السودان بما يقتضي اعادة الحاق بعض المناطق مثل (حفرة النحاس) و(أبيي) الى الجنوب، و كان رأي الجنوبيين ان يتم هذا عن طريق الاستفتاء لمعرفة رأي السكان و ليس بقرارات ادارية.

٤ - تعقدت المشكلات الاقتصادية والتنموية وانتشر الفساد، اذ أدت المجاعة والفقر و التخلف والمديونية الخارجية ودمار الحرب الاهلية الى ظهور و تراكم اوضاع سيئة في السودان عامةً و في الجنوب خاصةً.

٥ - اتفاقية قناة جونقلي مع مصر وتكليف شركة فرنسية بالتنفيذ والملابسات التي حدثت في هذا الشأن واعتراضات بعض القيادات الجنوبية على اتفاقيات إنشاء القناة التي يعتقدون انها أبرمت مع الخرطوم دون مشاركتهم أو استطلاع

رأيهم، والتعديلات الخاصة بالبيئة التي طالب البعض بادخالها على الاتفاقية. ثم تداخل موضوع القناة مع عقد اتفاقية عسكرية مع مصر ثم توقيع اتفاقية التكامل بين مصر و السودان.

٦ - التنقيب عن النفط في منطقة بانتيو والعثور عليه بكميات تجارية و توقيع الاتفاق مع شركة شيفرون وصدور قرار الحكومة المركزية باعتبار المنطقة خارج الاقليم الجنوبي وتسميتها بحقل الوحدة ومديرية الوحدة، مما أثار ثائرة الجنوبيين، و بدأ الخلاف حول من يمتلك النفط و لمن تدفع العوائد و كيف توزع؟ ثم ثارت مشاكل اخرى ترتبت على قرار الحكومة باقامة معمل التكرير (المصفاة) في كوستي خارج الاقليم الجنوبي، او نقل البترول عبر الانابيب الى بورتسودان على ساحل البحر الاحمر. و على الرغم من وجاهة رأي الحكومة والصعوبات العملية التي أملت عليها التفكير في الخيارات آنفة الذكر في مسألة تكرير البترول، الا ان كل هذه الموضوعات أثارت الخلافات، فتناثرت الاتهامات وازدادت الريب و الشكوك وتعمقت الخلافات.

٧ - هناك مجموعة من الشكاوى في الشق العسكري من الاتفاقية تتعلق بموضوعات التجنيد في الجيش و قبول الطلاب الجنوبيين بالكلية العسكرية واجراءات الترقيات و الاحالة الى الاستيداع و المعاش للضباط والجنود، المستوعبين من الجنوبيين في صفوف القوات المسلحة، اضافة الى قرار قيادة الجيش المركزية بنقل فرق القوات الجنوبية الى الشمال.

كل هذه الاسباب و غيرها ساهمت بطريقة ما في انهيار التسوية و نشوب الحرب مرة اخرى في الجنوب. و سوف نتناول في هذا الجزء من البحث التفصيلات و الملابسات التي رافقت هذه العملية.

عشية اتفاقية اديس أبابا انقسمت الصفوة الجنوبية الى قسمين او معسكرين: هما معسكر الوحدويين ومعسكر الانفصاليين .

اما المعسكر الاول فقد ضم عدداً من المثقفين القوميين الوحدويين بقيادة أبل الير. وهذه الفئة كانت قد اقتنعت بالاتفاقية اطاراً سياسياً يحكم شكل العلاقة بين الشمال و الجنوب. و صدقوا في تعاملهم الجاد لتنفيذ بنود الاتفاقية. اما المعسكر الثاني فانقسم هو نفسه الى فئتين: الاولى ضمت الانفصاليين الذين لم تكن الاتفاقية لترضي طموحهم مهما تضمنت من صيغ، فهم لا يرضون بغير الانفصال بديلاً. و لكنهم ارغموا على قبول الاتفاقية فقرروا وضع استراتيجية جديدة لمرحلة جديدة، بادوات جديدة، لبلوغ هدفهم النهائي، بعد ان اجبروا على وضع السلاح. و كان على رأس هؤلاء اكوات اتيم و جوزيف ادوهو و صمويل قايتوت ووليم عبد الله شول و دول اشويل و ماثيو ابور. و هي نفس المجموعة التي فجرت الاحداث في عام ١٩٨٣م واعلنت استئناف العمل العسكري المسلح مرة اخرى لتحقيق الانفصال.

اما الفئة الثانية فهي الفئة المتطرفة من الانفصاليين الذين رفضوا الاذعان للامر الواقع والانحناء للعاصفة و قرروا مواصلة النضال من الخارج، و على رأسهم اقري جادين و قوردون مرتاد واقولنق و غيرهم. والفئتان متفقتان في الهدف وان اختلفتا في اسلوب المعالجة. فهي في الاصل مجموعة واحدة، جناح منها بالداخل وآخر بالخارج.

استؤنفت المرحلة الجديدة من النزاع في الجنوب بالتقنين لوجود المعسكرين في اطار سياسي يحكم الصراع بينهما ويحدد القواعد و القنوات. و يمكننا أن نلخص الأمر فى أن الصراع الدائر في الجنوب يومذاك، هو في الاصل صراع بين الجنوب و الجنوب حول العلاقة مع الشمال. و هو صراع بين دعاة الوحدة و دعاة

الانفصال. و قد كان طبيعياً ان يقرب النميري المعسكر الاول ويوليه ادارة شؤون الجنوب في ظل المجلس التنفيذي الانتقالي العالي في الفترة من ١٩٧٢م وحتى ١٩٧٨م. و على الفور شكل معسكر الانفصاليين معارضة قوية ضد هذه الحكومة. و قد تبلورت هذه المعارضة في جملة من المواقف و الاحداث هزت حكومة أبل الير عدة مرات حتى قادت الى حلها في ١٩٧٨م و اجراء انتخابات برلمانية جديدة ، و كانت حكومة أبل الير دائماً محل اتهام بالضعف و التخاذل و التآمر و التبعية للشمال و انها اضاعت حقوق الجنوبيين بتنازلاتها للشمال. كما زاد من التوتر احساس افراد القبائل الجنوبية من غير الدينكا بأن قسمة مغانم السلام لم تكن عادلة وأن أبناء الدينكا استأثروا بكل شيء، الأمر الذي دفع قيادة القبائل الاستوائية فيما بعد الى المطالبة باعادة تقسيم الجنوب الى ثلاث مديريات، خاصة و ان حكومة ابل الير كانت محسوبة على الدينكا. واخذت اجواء السلام تتكدر في جنوب السودان منذ النصف الثاني لعقد السبعينيات، خاصة بعد تدهور الوضع الاقتصادي و تخبط القرارات السياسية بشأن جملة من القضايا التي تتعلق بالشأن الجنوبي بصفة خاصة والسودان بصفة عامة ، و لم تدع المعارضة الجنوبية موقفاً لحكومة ابل الير إلا وفسرته لخدمة اغراضها و اظهار هذه المجموعة بانها خائنة باعت حقوق الجنوبيين للشماليين.

و في هذا السياق جاءت تظاهرات الطلاب بجوبا في ١٥ اكتوبر ١٩٧٤م في ما عرف باحداث قناة جونقلي ، إذ تمت تعبئة الطلاب و المثقفين ضد حكومة ابل الير لاثبات عمالة المجلس التنفيذي للشمال، فقيل لهم ان حفر جونقلي الذي وافقت عليه حكومة المجلس هو عمل قُصد به تدمير البيئة و تغييرها في الجنوب، فالقناة ستسحب كل الثروة السمكية من الجنوب و تدفع بها الى الشمال و مصر، ثم ان حفر القناة سيقلل البحر ويؤدي الى تغير المناخ فيتصحر الجنوب. وفوق ذلك فإن المجلس وافق كما قيل لهم على توطين مليوني مواطن

مصري حول القناة و تلك مؤامرة استعمارية جديدة للعرب قصد منها تغيير الخارطة السكانية في الجنوب.

و في الثاني من مارس ١٩٧٥م ، ابان تواجد الرئيس السابق نميري بواو هو وضيفيه معمر القذافي الرئيس الليبي و الرئيس اليوغندي السابق عيدي امين لحضور اعياد الوحدة الوطنية، تمردت الكتيبة ١٠٤ الموجودة في اكوبو و قتل قائدها ابل كول آرثر الذي ينتمي الى قبيلة الدينكا، وكان يعرف عنه انه من القوميين الوحدويين، و هو - بالتالي - من مؤيدي المجلس التنفيذي العالي الانتقالي ، اضافة الى قتل ١٢ آخرين من القوات القديمة المنصهرة مع الكتيبة. وفر الباقون الى بلفام باثيوبيا. و بذلك عاد التمرد مرة ثانية - أو قل شرارته - في عام ١٩٧٥م. و في هذه المرة من قبيلة النوير او دعاة الانفصال بقيادة ضابط من النوير هو الملازم بنسون كواج، و كتيبته كانت فصيلة من القوات القديمة وجلهم من الشماليين. الا ان التمرد كان موجهاً في الاساس ضد حكومة الاقليم التي يهيمن عليها الدينكا. و نستطيع ان نستنتج اهداف التمرد من كلمات بنسون كواج التي قالها وهو يتأهب للخروج عبر الحدود السودانية الاثيوبية ليستقر في معسكر بلفام. فقد قال: ((ان الاتفاقية لم تحقق اهداف النوير بأن يحكموا ارضهم و يقوموا بتطويرها، لقد شددت الاتفاقية قبضة الجانقي على النوير و ارض النوير ليمارسوا احقادهم القديمة وهيمنتهم على القبائل الصغرى)). و هو يقصد بالجانقي ابناء قبيلة الدينكا. ثم جاءت احداث واو في فبراير ١٩٧٦م عندما تمرد النقيب ألفريد اقوين ، و اعلن أن سبب تمرده هو إضاعة حكومة المجلس الانتقالي لحقوق الجنوبيين بضعفها و تساهلها و تواطئها مع الشماليين. فقاد سريته و دخل الغابة، وتحرك العقيد امانويل ابور قائد حامية واو حينها و معه المقدم جبريل عبد الله ماتوك و بعض مرافقيهم، تحركوا بغرض اقناع المتمرد ألفريد بالعودة و العدول عن الفكرة، و لكن المتمرد لم يراع حق الزمالة فنعتهم بالعمالة وأطلق

عليهم النار من سلاحه الشخصي وأرداهم قتلى. و قد تحدث المتمرد قرنق عن هذه الحادثة بكل الفخر واصفا اياها بأنها كانت تمثل احد مواقفهم اثناء نشاطهم المعارض بالداخل كمجموعة رافضة للاتفاقية.

و اجريت الانتخابات في الجنوب و اسفرت عن فوز المعارضين. وتولى الفريق (م) جوزيف لاقو رئاسة المجلس. و هكذا صعدت المعارضة الى مركز السلطة في الجنوب. و لأن معسكر المعارضة كان تحالفاً غير متجانس، فانها استمرت في السلطة لأقل من عامين، وحُلت هذه الحكومة في عام ١٩٨٠م. و كان التحالف قد ضم الى صفوفه حزب سانو و مجموعة انانيا الأولى التي كانت تشعر بان نضالها قد سرق منها واستفادت منه جهات لم تشارك في الحرب. و كان اخطر اعضاء هذا التحالف هم الانفصاليون بقيادة اكوات اتيم وجوزيف ادهو والمقدم صمويل قايتوت و جون كونق ووليم عبد الله شول. وضم هذا التحالف ايضاً الاستوائيين و بعض الانتهازيين المتطلعين الى السلطة. هذا التحالف لم يكن قادرا على البقاء متماسكاً أثناء التجربة العملية لممارسة السلطة، فقد دبت الخلافات وتبودلت الاتهامات بالفساد و التلاعب بالمال العام .. ثم وجد التحالف نفسه امام مؤسسات حكومة أبل الير القوية التي ارتبطت بها مصالح كبيرة، علاوة على ان مجموعة الوحدة شكلت معارضة قوية للحكومة الجديدة التي لم تصمد امام المعارضة المنظمة. ازاء هذا التدهور السريع في معسكر الانفصاليين بدأ الانفصاليون يعدون العدة للاستمرار في السلطة بالقوة. فبدأوا في تنظيم صفوفهم و تجميع السلاح ووضع الخطط للقيام باغتيالات جماعية وسط السياسيين الجنوبيين الموالين لمعسكر أبل الير. و قد تم توجيه القوات الموالية لهم بالتحرك فوراً الى مناطق الحشد فور سماعهم نبأ حل المجلس التنفيذي العالي الذي بات اعلانه وشيكاً من الخرطوم. و لكن الترتيبات التي وضعتها الحكومة المركزية احبطت ذلك المخطط. فعندما أعلن عن حل المجلس تحرك الانفصالي المقدم صمويل

قايتوت الى مخازن الاسلحة لتنفيذ المخطط، و لكـن كـانت تنتظرهـم مفاجـأة. إذ وجدوا جميع مخازن الاسلحة و الذخائر تحت حراسة مشددة بالقوات الخاصة الـتي تم نقلها من الخرطوم الى جوبا سراً. فما كان مـن صمويـل قـايتوت الا ان صـرخ و ارتمى على الارض باكيا. و ما كـانت احـداث كـبري توريـت مـن قبـل ذلـك و التي القى فيها القبض على جون كونق و هـو يحمـل اسـلحة في عربـة صمويـل قايتوت وزير الصيد و السياحة آنذاك الا جزءاً من مخططهم للبقـاء بقـوة السـلاح في السلطة و اعلان استقلال الجنوب.

هكذا وصل الصراع الى نقطة اللاعودة. إذ اعقـب حـل المجلـس حكومـة انتقاليـة برئاسة بيـتر جـات كـوث كـانت مهمتهـا إجـراء الانتخابـات، و اسـفرت تلـك الانتخابات عن عودة مجموعة الوحدة بقيادة أبـل الـير الى قيـادة المجلـس التنفيـذي العالي في الجنوب. وجاءت هذه المجموعة بخطة لاحكام السيطرة و تأكيد هيمنتهم الكاملة على الجنوب. و سخرت كل مؤسسات الدولة و ميزانيتها وطاقاتهـا لهـذا الغرض. فحولت ميزانيات التنمية الى الفصل الاول. في هذا المناخ السياسي المتوتر صيغت معايير الولاء السياسي علـى اسـس قبليـة و عشـائرية. وفتحـت الابـواب واسعة امام الطموحات الكبيرة التي فاقت قدرات الافراد والمجموعات و الحكومـة الاقليمية.

بـدأ الصـراع بعـد ذلـك يـأخذ طابعاً قبلياً محضـاً. واخـذت الصفـوف تتمـايز قبلياً ، وقادت المعارضة هذه الموجـة تحـت سـتار التخلـص مـن سـيطرة الدينكـا. و كان على رأس هذه المجموعات القبلية قبيلة النوير و القبائل الاسـتوائية و بعـض الاقليات القبلية في اعالي النيل و بحر الغزال. و في هذا السياق برزت فكرة تقسـيم الجنـوب الى ثـلاث مديريـات لانهـاء سـيطرة الدينكـا علـى الجنـوب. و دارت مواجهات ساخنة بين الدينكا و بقية المجموعـات، ووقـف المتمـرد د. حسـن يـاج عضو مجلس الشعب الاقليمي في جوبا حينها وخاطب المجلس قائلاً: ((لقـد نـاضل

السودانيون خمسين عاماً لإنهاء الاستعمار البريطانى، و ناضل الجنوبيون سبعة عشر عاماً للتحرر من سيطرة الشماليين. وسيتعين على القبائل في جنوب السودان ان تناضل مائة عام للتخلص من سيطرة الدينكا)).

و قبل ان نسترسل في سرد تطورات الاحداث يجب ان نقف عند جانب آخر من جوانب الاتفاقية كان له ايضاً القدح المعلى في اشعال نار التمرد مرة اخرى وهو موضوع الاستيعاب. فقد حددت إتفاقية اديس ابابا اسلوب الحكم و مصير قوات الانانيا ، كما اشتملت على تكوين قوة القيادة الجنوبية من ١٢ ألف جندي نصفهم من القوات المسلحة و النصف الآخر من قوات الانانيا ، وشكلت لجنة لاستيعاب العائدين في القوات المسلحة ، و قد تقدم الى هذه اللجنة من يبلغ عددهم (١٥٨٤٢) من العائدين ، استوعب منهم (٥٩٧٩) بالقوات المسلحة (٢٠٠ ضابط و ٧٦٧ ضابط صف و ٥٠١٢ جنديا) ، كما استوعب نحو ١٧٦٠ في القوات النظامية الاخرى، و ٥٤٨٩ استوعبوا بالخدمة المدنية. ووجد أن ٢٤٢٤ آخرين غير لائقين طبياً.

و لم يرض من استوعب في الخدمة المدنية بوضعه الجديد. فهو يرى انه الاحق ، اذ ان معظمهم ممن قامت على اكتافهم الحركة وهم الذين ضحوا و عانوا. ثم انهم في نفس الوقت غير مؤهلين لهذا العمل الجديد، وهم استوعبوا على بند شبيه ببند البطالة، هذا غير اولئك الذين سيتركون بلا عمل. وقد كان لهذه الفئة الأثر الفاعل في تدهور الاحوال الامنية لاحقاً.

كما ان عملية الاستيعاب لم تكن موفقة. فلقد أثرت عليها النزاعات القبلية والمحسوبية. فاستوعب من لم يرـ الغابة و لم يعمل مع الانانيا، و ابعد المحاربون الاصليون. كما منحت الرتب العالية في القوات المسلحة الى من يفتقرون الى الكفاءة و لم يشفع لهم سوى وضعهم القبلي. و جند الطلبة و الموظفون في مواقع هامة. و قد ساد الكثير من اللغط حول هذه العملية.

لقد كان من المقرر ان تنتهي عملية دمج القوات المستوعبة من المناطق المختلفة بعد عامين، و ان يكتمل انصهار القوات المستوعبة في القوات القديمة خلال خمس سنوات من تاريخ بدء تنفيذ وقف اطلاق النار. و لكن تعثرت هذه العملية في جميع مراحلها و اكتنفتها حوادث مؤسفة بسبب عدم توفر الثقة بين الاطراف المنصهرة وبتأثير سنّي الحرب على سلوكيات الناس، اضافة الى رواج الشائعات الضارة التي تدعو الى سوء الظن في أي قرار او امر يصدر، و التي كان مبعثها تلك المجموعات التي لم تجد حظاً من الاستيعاب بالقوات المسلحة، و انتهت الفترة المقدرة للانصهار و لم يتحقق منه على أفضل التقديرات سوي نسبة ٣٠٪. وقد كانت تكتنف عملية تحريك القوات من منطقة الى اخرى صعوبات كثيرة قد تستوجب تدخل رئيس المجلس التنفيذي العالي ناهيك عن التحرك الى المناطق الشمالية. (١٥)

و قد لازم الوضع السياسي الذي ذكرناه انفراط للنظام في قوات الفرقة الاولى نتجت عنه احداث مؤسفة كانت دليلاً و مؤشراً على ماسيجيء بعدها رغم غفلة المسؤولين عنها او تجاهلهم لها، و سنسوق امثلةً لها :

ففي التاسع من سبتمبر عام ١٩٧٤ تمردت الكتيبة ١١٦ المكونة من سرايا من بحر الغزال كأغلبية و الباقي من شرق الاستوائية، تمردت هذه الكتيبة و اعتقلت قائدها بيتر شرلو وآخرين و لم يحسم امرها باسلوب عسكري أو وفق القانون العسكري، و انما تدخلت الوساطات لفض النزاع و اكتفى بذلك ..

بجانب حوادث اكوبو وولو آنفة الذكر تمردت في الخامس من فبراير عام ١٩٧٧م سرية الدفاع الجوي بجوبا. و في عام ١٩٨١م هجم خمسة من الفارين من سجن ابي كواج على سوق مانكن و قتلوا التجار الشماليين. و في الرابع والعشرين من ابريل عام ١٩٨٢م هجمت مجموعة على نقطة كوت كير على الحدود الاثيوبية.

و في الخامس عشر من مارس ١٩٨٣م تمردت فصيلة وانكاي - التابعة لسرية معاونة الكتيبة ١٠٥ - على قائدها الملازم محمد احمد فضل و قتلته و جميع الشماليين بالسوق. (١٦) .

عموماً لم تكن الفترة التي اعقبت اتفاقية اديس ابابا فترة هدوء و استقرار شامل كما يحسبها الكثيرون. بل كانت مليئة بالاحداث و المشاكل. و لكن ضُرب عليها تعتيم اعلامى مقصود ، و لم تصل الى مسامع الشعب السوداني الا من خلال مداولات مؤتمر الحكم اللامركزي الذي عقد بمجلس الشعب في الفترة من العاشر الى الخامس عشر من فبراير ١٩٨٤م ، بعد ان طفح الكيل و توترت الاحوال بعد قرار التقسيم فى ٢٣ مايو ١٩٨٣م ، وهو القرار الذي لجأ اليه النميري بعد ان اعلن أهل الاستوائية عن عزمهم دخول الغابة إن لم يتم إعلان تقسيم الجنوب. و لكن المدهش حقاً ان اول من وقف ضد التقسيم عندما اصبح واقعاً هي مجموعة الانفصاليين التي دعت اليه. وقد عبأت القبائل في مواجهة التقسيم فأعلنت التمرد المسلح و غادرت السودان الى اثيوبيا و تجمعوا في معسكرات انانيا (٢) التي كانت قد سبقت الجميع الى التمرد للمرة الثانية وكان قوامها قبيلة النوير بقيادة الملازم بنسون كواج و الملازم فنسيت كوانى. و هكذا عجزت تلك المجموعة عن فصل الجنوب و اختارت طريق الحرب الطويل.

و لنعد مرة اخرى الى سياق الاحداث العسكرية و تطور الاوضاع على الجبهة العسكرية. ففي اجراء عادي و على ضوء قرارات مؤتمر قادة الألوية بالفرقة الاولى عام ١٩٨١م تقدم رئيس اركان الفرقة الى لقيادة العامة بورقة عمل لاجراء تغيير لقوات الفرقة، و على ضوء ذلك اصدر السيد رئيس هيئة العمليات اوامره بتغيير وحدات الفرقة الاولى حسبما ورد بورقة العمل المقدمة والتي عُرضت على مؤتمر القادة و اجازها.

صدرت اوامر رئيس هيئة العمليات بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٨٢م، وكانت الاسباب التي قدمت وجيهة، الا ان تزامن تغيير القوات مع قرار التقسيم و ما أثاره من جدل سياسي جعل الباب مفتوحاً امام السياسيين للتغلغل وسط الوحدات واثارتها وحثها على التمرد كآخر صك يمكن ان يدفع به الساسة الجنوبيون من انصار الوحدة في وجه السلطة، و لقد كانت الكتيبة ١٠٥ المتمركزة في بور أنسب وحدة لاطلاق الشرارة الأولى، وذلك للاسباب الآتية : (١٧)

١ - لم تنل هذه الكتيبة أي حظ من التدريب او العناية بشؤونها الادارية لبعدها من رئاسة اللواء بملكال مما اضطر القيادة اخيراً الى الحاقها برئاسة الفرقة ادارياً.

٢ - لم تتجاوز نسبة التغيير في هذه الكتيبة أكثر من ٨٪ فقط، أي لم يتجاوز عدد القوات القديمة فيها أكثر من ٨٦ فرداً من جملة ٧٧٢ جندياً موزعين على محطات لا تربطها ببعضها البعض أية وسيلة نسبة لبعد المسافات. فقد كانت سراياها موزعة في كل من اكوبو ، بانتيو ، ادوك ، ادوك البحر و وانكاي .

٣ - كل عساكر هذه الكتيبة من أبناء دينكا بور. ومعظم الذين نقلوا الى محطات اخرى تسللوا و عادوا اليها مرة اخرى، بالاضافة الى اعداد هائلة من الملحقين من مختلف الوحدات الذين كانوا يلحقون انفسهم بعد انتهاء فترة الاجازة مما سبب عبئاً ادارياً اضافياً.

٤ - لا يوجد معسكر لسكن هذه القوات. و الكل يسكن بطريقته داخل المدينة او خارجها، علماً بأن ما بني كمقر لها لا يتجاوز عدداً من المكاتب و المخازن تقع على بعد ستة كيلومترات من المدينة مما يتعذر معه الاشراف على القوة بواسطة قادتها الذين يسكنون بالمدينة.

و لقد ظهرت روح التمرد ايضاً في الكتيبة ١١٦ أويل ، و الكتيبة ١١٧ كبويتا و الكتيبة ١٠٤ أيود ، و الكتيبة ١١٦ بجوبا، و كان أغلب افراد هذه الكتائب من أبناء الدينكا او النوير، و تحسباً لأية احتمالات فقد جرى تجريد ابناء الدينكا

في كل من الكتيبة ١٠١ مريدي و ١١٦ جوبا و ١٢٢ ياي و ١٢٠ بملكال و١١٥ توريت و ١١٢ بواو من أسلحتهم بعد ان ظهرت فيهم روح التمرد، و لم يشارك في ذلك أبناء الاستوائية و بعض القبائل الاخرى كابناء المورلي و الشلك و ابناء الجور. (١٨) ذلك لان الدينكا كانوا ضد التقسيم، خلافا للقبائل الاستوائية التي كانت تطالب به .

لقد كان جلياً عدم توفيق الساسة او العسكريين في اختيار الزمن المناسب لعملية تغيير القوات في ظروف سياسية ملتهبة بهذه الصورة، رغم منطقية و حتمية العملية و رغم كل الاعتبارات الانسانية و الاجتماعية التي روعيت عند التنفيذ.

كانت اول شرارة للتمرد قد بدأت عندما فصل ثلاثة من كبار ضباط الكتيبة ١٠٥ ببور بواسطة رئاسة الفرقة لاسباب تتعلق بالضبط و الربط، و لم يؤخذ رأي قائد اللواء فى ذلك. و فى أوائل عام ١٩٨٣م عندما إحتدم الموقف بين رئاسة الفرقة و رئاسة الكتيبة ١٠٥ بعد اكتشاف تلاعب كبير في الاموال العامة أُتهم فيه قائد الكتيبة بالانابة و الرقيب ادارة يوسف كير بدأت القطيعة بين الطرفين و تبودلت اشارات في غاية الوقاحة و عدم الانضباط. مما اضطر قائد الفرقة الى ارسال لجنة برئاسة السيد أشويل نائب رئيس المجلس التنفيذي وعضوية اللواء جيمس لورو و العميد مساعد النويري و صمويل قايتوت وآخرين الى بور لمعالجة الموقف. و لكن لم توفق اللجنة في مهمتها نتيجة لنشاط ملازم من الغربية يدعى (لير) كان هو المحرض الاول لهذه القوة. و قد تعدى على عامل اللاسلكي الشمالي و ضربه في موضع حساس. كما تعدى على سائق العربة الشمالي أيضاً، مما جعل بقية افراد القوة القديمة يتجمعون ويرفعون الامر الى اللواء جيمس لورو الذي لم يتخذ أي موقف تجاه هذا الضابط.

حتى ١٩٨٣/٣/٢٨م، لم يكن لكاربينو او وليم نون او جون قرنق وجود على الساحة. بل كان كاربينو يقوم بعمليات نشطة ضد الخوارج في منطقة

اولانق، وقد دخل في مشكلة لاستيلائه على ابقار من اهل المنطقة. أما وليم نون فقد كان مريضاً و لم يكن يباشر أي اعمال. و قد ذهب الى ايود لأن لديه اعمالا تجارية بالمنطقة هناك. و قد سحب قبل الحادث بيوم مبلغ ٨٠ ألف جنيه وارسلها مع قريب له ليضعها له بالبنك. اما جون قرنق فكان غير موجود بالمنطقة حتى تلك اللحظة. ولظروف خارجة عن اطار العمل سافر كاربينو من محطة فشلا الى جوبا، ووصل جون قرنق الى ملكال ثم جوبا ثم بور في يوم ١٩٨٣/٥/١٢م و قد كان الرائد سلفاكير مشغولا في عمليات نشطة مع قائد اللواء بمنطقة بانتيو حتى منتصف ابريل. اما الرائد اروك طون اروك فهو مقيم بجوبا بوصفه رئيس لجنة الامن بالمجلس التنفيذي العالي في تلك الفترة.. هذه بايجاز تحركات قادة الحركة في تلك الايام و التي تنم عن قدر من الذكاء و الحذر و الحيطة وترمي في نفس الوقت الى الامساك بزمام الامور كما سنرى في الاسطر التالية .

في هذه الفترة كانت الاجراءات تجري لاكمال عملية التغيير لكل من الكتيبة ١١٧ بكبويتا و الكتيبة ١١٠ باويل و الكتيبة ١٠٥ ببور ، و قد تحركت بالفعل سريتان من الكتيبة ١١٧ الى كسلا و سرية رئاسة الكتيبة ١٠٥ زائدا فصيلتين من اكوبو الى شندي، و نصف سرية معاونة من الكتيبة ١٠٥ من بانتيو الى شندي و سرية من الكتيبة ١١٠ ملوط الى الفاشر .

و قد جرت عدة لقاءات حاسمة في كل من بور و البيبور و فشلا و اكوبو لاقناع الجنود بالانصياع للاوامر بالتغيير، و لكنهم رفضوا، بل هددوا بقتل قائد اللواء ١٣ و قائد الفرقة و قائد ثاني الفرقة في كل من البيبور و اكوبو . و كان الموقف أشد توتراً في فشلا. و الغريب ان الرائد كاربينو حتى ذلك التاريخ، و هو ابريل ١٩٨٣م ، (ربما بذكاء و ربما بغير ذلك) عند وصول الوفد الذي كلف باقناع الجنود بتنفيذ التغيير كان في فشلا و كان متحمساً لقرار التغيير و كان يصر على معاقبة سريته لرفضهم الانصياع لهذه الاوامر و يصفهم بالمتمردين ، (و معلوم انه

كان بينه و بينهم خلاف حول استحقاقاتهم عن شهر سبتمبر ١٩٨٢م ، و يناير وفبراير و مارس ١٩٨٣م). المهم ان الجنود في كل من بور و البيبور و فشلا رفضوا كل وساطة لتنفيذ امر التغيير. اما سرية الكتيبة ١٠٤ ببور تحت قيادة وليم نون فلم تكن ضمن القوة المطلوب تغييرها ، بل كانت خليطا من عدد من الوحدات وليست - أصلاً - من الكتيبة ١٠٤، و ذلك يدحض الزعم الذى أطلق لاحقاً بأنها كانت ضمن قوة الكتيبة .

في هذا الجو الساخن المتوتر و الاشارات و الاتهامات المتبادلة بين رئاسة الفرقة و رئاسة الكتيبة ١٠٥ يصل كاربينو الى جوبا و يجد امامه العقيد جون قرنق و الرائد اروك طون اروك و يسافر قرنق الى بور بعد ان احس بأن تحركات كاربينو ربما تكشف سر وصوله و ما وراءه من مخطط . فيسافر قرنق الى بور للسيطرة على الموقف ، لكن يبدو ان الامور كانت تسير باسرع مما كان يتوقع اذ وصل الرائد كاربينو في ١٥/٥/١٩٨٣م ، ليبلغه بنية قيادة الفرقة بالهجوم على بور لاخضاع الكتيبة ١٠٥ للسلطة العسكرية .

و لقد كان مقدراً لمخطط التمرد ان ينفذ في اغسطس ١٩٨٣م ، و هو يهدف الى اشعال التمرد في جميع انحاء الجنوب، مستغلين في ذلك فترة تحرك القوات المراد تغييرها (١٩) . و بالفعل في يوم ٦/٥/١٩٨٣م تم الهجوم على بور لاخضاع الكتيبة و اختفى جون قرنق الذي كان يقضي اجازة (بريئة) بصحبة زوجته و اطفاله، حيث اخذته سيارة لاندروفر من احدى المنظمات الاجنبية التي تعمل بالمنطقة ، وفر الى الغابة. و قاتل كاربينو مع الكتيبة و تمكن هو و من بقي على قيد الحياة معه من الفرار الى داخل الحدود الاثيوبية .

و في نفس التاريخ هوجمت البيبور. و كان الهجوم مفاجئاً. و فر من نجا الى البر الشرقي . و في يوم ٢٤/٥/١٩٨٣م هوجمت فشلا، و كانت جملة من فروا الى

البر الأثيوبي تقدر بحوالي الستمائة من الضباط والرتب الاخرى و بعض الاداريين وافراد الشرطة و من لحق بهم .

اما ايود فقد شهدت مذبحة لا اخلاقية قام بها الرائد وليم نون الذي دبر كميناً لطوف المرتبات بقيادة كل من الرائد عبد الرحمن عبد الحميد و النقيب يوسف عبد الله ، و قد استعمل وليم نون و ضباط المجلس الفؤوس والمعاول لقتل ضحاياهم. ومن لم يموتوا ألقوا بهم في بئر مهجورة و هم احياء، و فروا ببعض العربات و الذخائر ، ثم لحقت بهم باقي القوة. و من بعده صمويل قايتوت الذي سبق له ان وقف خطيبا في افراد قوة بور عقب اطلاق سراحه بعد تهمة تهريب وبيع اسلحة، سبق ان قال هو الآخر للجنود: ((ان مسالة العلاقة بين الشمال والجنوب لا تحددها بندقيتكم و انما نحددها نحن السياسيين. و عليكم الانصياع لاوامر التغيير))، و هو ذات الشخص الذي ابلغ الجهات المسؤولة يومها عن هروب وليم عبد الله شول امعاناً في تمويه نشاطه. ثم لحق بهم الشيخ اكوات اتيم، وهو المحرض السياسي لوليم نون رغم انه ايضاً كان في لجنة الوساطة ببور . تجمع هؤلاء كلهم بيلفام بأثيوبيا مع من سبقهم من قوات الانانيا بزعامة بتسون كواج الذي بدأ نجمه يأفل منذ ذلك الحين و استبدل بنائبه. احتمع هؤلاء و انضم اليهم سلفاكير و فرانسيس انقور .

ولنعد قليلاً الى الوراء حيث عام ١٩٧٥م، عندما وصلت طلائع المتمردين الجدد الى بلفام، حيث تم استقبالهم و قدمت اليهم كافة التسهيلات من معسكرات تدريب وتسليح و امداد ، الا ان الاحداث في اثيوبيا سارت في اتجاه آخر في تلك الفترة. فقد تزامنت مع الانشقاقات في جبهة التحرير الارترية و بدءِ التقارب بين نميري ومنقستو املاً في القضاء على الثورة الارترية من قبل منقستو. ازاء انفراج العلاقات بين الرحلين ، بادر منقستو الى جمع قوات انانيا الثانية في معسكر ايتانق

و حاصر المعسكر بوحدات من الجيش الاثيوبي وجردهم من السلاح و تم حل الحركة تماماً و سمح لهم فقط بالبقاء كلاجئين.

لكن الثورة الارترية اثبتت انها أقوى من أي وقت مضى، اذ استطاعت تحرير ٧٥٪ من المدن الارترية ، و كان ذلك بداية تدهور العلاقات بين نميري و منقستو مرة اخرى ، فأعلن للمرة الثانية عن مولد حركة أنانيا الثانية في فبراير ١٩٧٧م و بالرغم من ان الحركة كان قوامها ابناء النوير و بعض القبائل الصغيرة، الا انهم حاولوا ان يكسبوا الحركة بعداً قومياً اكبر في الجنوب. و تم انتخاب غوردون مرتاد - غيابياً - كقائد للحركة. (وهو من ابناء دينكا بحر الغزال و كان يشغل منصب نائب رئيس جبهة الجنوب التي كان يرأسها آنذاك كلمنت امبورو، الا انه لم يرض عودة وليم دينق فتمرد في عام ١٩٦٥م. و ما يزال الرجل متمرداً و لاجئاً في بريطانيا). و لكن اختيار مرتاد كان وبالاً على حركة أنانيا الثانية. فقد قام بتوكيل اثيوبيا للتعامل مع الدول و القوى الاجنبية لاستقطاب الدعم لحركة التمرد. و هذا ما لم تكن تقبل به الحركة من قبل ، و بعدها تم ترتيب زيارة له الى طرابلس في نفس عام ١٩٧٧م ، و حينها كان العداء سافراً بين طرابلس و الخرطوم، و هناك تسلم مرتاد مبلغاً كبيراً من الدولارات... و عادر ليبيا الى بريطانيا. و ذلك كان آخر عهده بقيادة الحركة. و هو الآن من كبار رجال الاعمال و اصحاب الاموال في عاصمة الضباب. (٢٠)

فيما بعد خلصت الحركة لأبناء النوير. واشتعلت فيها الصراعات الداخلية بين نوير الناصر و نوير بانتيو و نوير فنجاك. و هكذا وصل الى اثيوبيا صمويل قايتوت و رفاقه الذين عملوا على توحيد النوير داخل انانيا الثانية. و كان لهم ما ارادوا .

قبل ذلك زاد منقستو من اهتمامه بالحركة. و بعد التدريب دخلت عناصرها الى منطقة شرق النوير في مطلع عام ١٩٨١م ، و كانت العمليات تستهدف القرى

لنهب الابقار و التجار. ثم امتد نشاطهم في آخر العام الى منطقة غرب النوير حيث هجموا على نقطة شرطة ابي كواج و استولوا على بعض الاسلحة و الذخائر، وكان موقع النقطة بعيداً عن المحطات العسكرية. و في عام ١٩٨٢م مع بداية حملة النجم الاحمر التي قادها منقستو للقضاء على الثورة الارترية، زاد نشاط حركة أنانيا الثانية ، و شمل الهجوم على القرى التي بها شماليون و قضوا عليهم تماماً بمن فيهم من عمال معسكرات صيد الاسماك في المنطقة ، و من ثم تمكنوا من الهجوم على معظم نقاط شرطة اعالي النيل و نهبوا ما يقرب من المليون راس من الابقار و دخلوا بها الى إثيوبيا و بيعت لكوبا مقابل بعض الاسلحة. (٢١)

بعد ذلك تمكن الخوارج من الهجوم على اول محطة عسكرية بقوة فصيلة في قرية حدودية تدعى (كوت كبر). و كان عدد من هجم عليها يقدر بسرية و استمرت العمليات تتصاعد يوماً بعد يوم. و تدهور الموقف الامني في اعالي النيل في مطلع عام ١٩٨٣م ، و تمكنت الحركة من استقطاب اعداد من المواطنين مدنيين و عسكريين.

بعد وصول جون قرنق الى اثيوبيا اجتمعت الحركة في معسكر ايتانق في يونيو ١٩٨٣م لاختيار قيادتها الجديدة. و قدم المقدم (م) صمويل قايتوت اقتراحا بأن يتولى رئاسة الحركة الاب اكوات اتيم بحكم سنه و منصبه السابق في انانيا الأولى كوزير للدفاع، و ان يتولى هو – أي قايتوت – وزارة الدفاع بحكم اسبقيته في الحركة، و ان يصبح جون قرنق قائداً للجيش. و استقر راي المجتمعين على هذا الاقتراح. و لكن هذا الاختيار جاء ضد رغبة اثيوبيا، كما لم يلب طموحات جون قرنق، فبدا الجو متوتراً، خاصة و ان توجه الحركة الانفصالي ورفضها لتبني شعار الماركسية حال دون سيطرة منقستو التامة عليها او توجيهها الوجهة التي يريد، حتى وجد ضالته بقدوم جون قرنق .

فقد ارسل الاثيوبيون الى المؤتمرين معلنين رفضهم لنتيجة الانتخابات و اعترافهم بجون قرنق رئيساً و قائداً للحركة . وطغت النزعة القبلية على الموقف ، وتحركت وحدات من الجيش الأثيوبي باتجاه ايتانق ، مما جعل الحركة تنسحب الى بلفام قاعدة انانيا الثانية. و تم الاعلان عن حلف منقستو و قرنق ، و جردت الحملات العسكرية ، فقام ابناء الدينكا - بعون من اثيوبيا - بتصفية ابناء النوير المتواجدين ببلفام. و هرب صمويل قايتوت و اكوات اتيم وآخرون من ابناء النوير و توجهوا نحو الحدود السودانية. و قبل دخولهم هجموا على معسكر (سيرحاك) الذي كان يضم جنودا تحت التدريب من ابناء الدينكا بقيادة وليم نون. و استولوا على كميات كبيرة من الاسلحة و دخلوا السودان .

و قد مات إثر تلك المعارك صمويل قايتوت قائد الحركة متأثراً بجراحه. و تولى اكوات اتيم القيادة. لكن وليم عبد الله شول ثار عليه و قتله متهماً اياه بالتآمر مع قرنق بحجة انه من دينكا بور. و اصبح عبد الله شول قائداً للحركة التي سميت بأنانيا الثانية، الى ان وصل عبد الله شول الى موقع بالقرب من واط و استقر هناك بعد ان اجري عدة اتصالات بالحكومة لاجراء حوار لحل المشكلة بدلاً من النزاع المسلح، خاصة و انه وجد نفسه بين مطرقة الحكومة و سندان جون قرنق و من خلفه اثيوبيا.

استجابت الحكومة السودانية الى المساعي السلمية. و استمرت تلك المساعي السلمية بواسطة لجنة مفاوضات ضمت في عضويتها كلاً من :

١ - اللواء مصطفي محمود رئيساً
٢ - اللواء مساعد النويري احمد عضواً
٣ - السفير الفاتح عبد الله يوسف عضواً
٤ - العقيد (أ - ح) محمد [illegible] الله آدم عضواً
٥ - المقدم حقوقي عبد الله محمد الحسن عضواً

٦ – السيد صمويل اتبى يوقو عضواً

٧ – السيد اندرو بوث ديو عضواً

٨ – السيد برتابا دول دينق عضواً

قلنا انه عندما بادرت الحكومة في عام ١٩٨٤م باعلان العفو العام عن المتمردين ودعتهم الى الحوار استجابت حركة انانيا الثانية التي تلقفت الدعوة و كانت في امس الحاجة اليها. و بعد سلسلة من المفاوضات تم التوصل الى اتفاق مبدئي بتاريخ ١٨/١٠/١٩٨٤م ، اصبح فيما بعد ساري المفعول و تضمن الآتي : (٢٢)

أ- الموافقة على حل مشاكل السودان بالطرق السلمية في اطار السودان الموحد .

ب- وقف اطلاق النار بين الطرفين .

ج – القيام بعمليات مشتركة للقضاء على قوات جون قرنق داخل السودان .

د – بدء المحادثات السياسية فوراً و تحديد مصير جيش منظمة تحرير السودان (أنانيا الثانية).

هـ – توقيع الاتفاقية النهائية بالقرب من واط بحضور بعض المنظمات والدول المتفق عليها من قبل الطرفين.

فيما بعد استمرت معارك انانيا الثانية مع حركة قرنق داخل السودان و قتل وليم عبد الله شول في فنجاك عام ١٩٨٥م ، و تولى بعده اللواء (قوات صديقة) غوردون كونق قيادة انانيا الثانية. و تواصل القتال حتى انضم هو الآخر الى حركة التمرد في الناصر في الانشقاق الشهير عام ١٩٨٨م . ثم جاء من بعده فاولينو ماتيب الذي ظل يقاتل حركة التمرد حتى عهد الانقاذ الوطني. و اعلن هو الآخر عن تمرده وانضمامه مرة أخرى الى الحركة جناح الناصر في عام ١٩٩٢م (ثم دخل في عملية السلام من الداخل ضمن مجموعة رياك مشار فيما بعد) .

و لنعد مرة اخرى الى اثيوبيا و الى بلفام حيث تم تنصيب العقيد جون قرنق دي مبيور قائداً لحركة التمرد الجديدة عبر فوهة مدفعية منقستو لانه سارع منذ البداية الى تلبية طموحات الأخير من قبل ان يتولى قيادة الحركة و ادارتها باجندة اثيوبيا. سافر جون قرنق الى موسكو، وهناك طُلب منه تحرير السودان كله بدلاً من الجنوب. و عقب ذلك سافر جوزيف أدوهو و مارتن ماجير الى كل من المانيا الشرقية و ليبيا داعيين الى مساعدة الحركة و معلنين اهدافها. ثم قام جون قرنق برحلة الى كوبا و ليبيا و المانيا الشرقية. و على ضوء هذه الاتصالات تمت تسمية الحركة التي حملت لواء الاشتراكية كمنهج بـ(الحركة الشعبية لتحرير السودان) كتنظيم سياسي و التنظم العسكري بـ (الجيش الشعبي لتحرير السودان) (SPLM/ SPLA) على التوالى ، كان ذلك في مطلع عام ١٩٨٤م ، و قد صدر مانفستو الحركة في ٣١ يوليو من نفس العام .

و من ثم تم تشكيل القيادة السياسية في ذلك الوقت على النحو التالي :

(أ) المجلس القيادي السياسي :

١ - عقيد جون قرنق دي مبيور — رئيساً

٢ - السيد جوزيف ادوهو — نائباً للرئيس

٣ - السيد مارتن ماجير — عضواً و مسؤولاً عن الشؤون القضائية

٤ - السيد لوال دينج — عضواً و مسؤولاً عن الاتصال الداخلي

٥ - السيد ملوال البنق — عضواً و مسؤولاً عن الشؤون المالية

٦ - السيد بنجامين بول اكوت — ناطقاً رسمياً باسم الحركة

٧ - السيد دينق مجانق — عضواً و مسؤولاً عن شبكة الاستخبارات

٨ - عضو آخر لم يحدد اسمه

ب - و تشكل المجلس العسكري في الخارج من الآتي :

١ - العقيد جون قرنق دى مبيور — رئيساً

٢ - الرائد كاربينو كوانين بول عضواً

٣ - الرائد وليم نون عضواً

٤ - الرائد اروك طون اروك عضواً

٥ - النقيب سلفاكير عضواً

و بهذا اكتمل الشكل الهرمي للحركة في ذلك الوقت . و هكذا بين عشية و ضحاها تحولت حركة التمرد من حركة انفصالية الى حركة تحرر ماركسية تدعو الى تحرير السودان من نمولي الى حلفا و من بورتسودان الى الجنينة مقابل ان يرضي جون قرنق تطلعاته و طموحاته الغارقة في جنون العظمة.

اعتمدت الحركة في تغذية قواتها على المجندين الذين يتم تجنيدهم بواسطة المجموعة الداخلية للسياسيين و العسكريين. و بدأ العمل على تحريض افراد القوات المسلحة و الضباط المستوعبين على الهروب ، لانهم لا يحتاجون الى وقت طويل للتدريب و الاشتراك في العمليات. و من لم ينفذ اوامرهم فمصيره القتل. و قد حدث ذلك لكثيرين من امثال المقدم بنجامين من سلاح الصيانة بجوبا ثم المجموعات المطرودة من الخرطوم عقب عمليات (الكشة)، و اخيراً فتحت مراكز التجنيد بالمناطق المختلفة ، و كان على كل سلطان او شيخ دفع عدد من ابناء منطقته الى مناطق التجمع. و من ثم يؤخذون الى بلفام للتدرب، الى ان وصل العدد في اوائل عام ١٩٨٤م ، الى ما يقدر بنحو اربعين ألفا من المقاتلي.ن و اصبح للحركة اربعة معسكرات للتدريب :

١ - معسكر بنقو الذي يعتبر المعسكر الرئيسي للتدريب .

٢ - معسكر بلفام و يسع ألفي مجند .

٣ - معسكر ايتانق لاستقبال اللاجئين .

٤ - معسكر زنك زهور ، و هو للتدريب السياسي و الايدليوجي و به اهم المستودعات .

و قد ركز ميثاق الحركة على ما أسماه بأزمة الهوية في السـودان. و تبنت الحركة اطروحـات الفكـر الماركسـي الشـيوعي و دعوتـه الى قيـام سـودان اشـتراكي - علماني وتحرير السودان من حكم الاقلية الخرطومية، كناية عن تحرير السودان مما يسـمونه بطغيـان الثقافـة الاسـلامية العربيـة و طبعهـا بميسـمها علـى حركـة البلاد.(٢٣)

بعـد ذلـك سـارع العقـائديون الشـيوعيون الى الانضمـام الى الحركـة و تبـني اطروحاتها. و تبعتهم مجموعات من القوميين المتعاطفين مـع المعسـكر الاشـتراكي داخلياً وخارجياً ، ثم انضم اليهم الغاضبون على نظام نميري، و لحـق بهـم اعـداء الشريعة الاسلامية بعـد اعلانهـا ، كمـا وجـدت بعـض الدوائـر الكنسـية الغربيـة ضالتها في حركة التمرد لإستخدامها كأداة للضغط على نميرى لإيقـاف الشـريعة و التراجع عنهـا، فدعموهـا بالمـال و الرجـال .. كـان هنـالك أيضـاً الإنتهـازيون و الوصوليون الذين كانوا يحسبون التسوية قريبة و لا بـد أن يصيبهـم منهـا شئ. و منهم كذلك عملاء المخابرات المحلية و العالميـة، و فـوق هـؤلاء و أولئـك كـان الإنفصاليون أصحاب الحركة الحقيقيون .. هذه هي حركة التمرد.. مجموعـة مـن الافكار والاجندة و البرامج و التوجهات المتنافرة المتشاكسة المتعاكسة .

عمليات الحركة العسكرية :

الفترة الاولى : من منتصف نوفمبر ٨٣ الى ابريل ١٩٨٤م (٢٤)

كان الهدف من عمليات الفترة الاولى اعلانيا أكثر من أي شئ آخر و ذلك :

أ - لاقناع القادة و الساسة الجنوبيين بالاقاليم الجنوبية بمقدرة الحركة علـى تحقيـق جزء من اهدافها السياسية المعلن عنها في تلك الفترة ، و في مقدمتها تعطيـل قـرار التقسيم و شل العمل في مناطق التنقيب عن البترول و ايقاف حفر قناة جونقلي .

ب - احتلال مواقع داخل الاراضي السودانية .

ج – لفت انتباه العالم الى قيام ثورة مسلحة تهدف الى اسقاط السلطة في الخرطوم .

و من ثم تسارعت الاحداث.. ففي ٢٨ يونيو ١٩٨٣م حدثت واقعة جبل بوما عندما هاجمت وحدة من المتمردين جبل بوما و قامت باحتجاز عدد من الاوروبيين العاملين مع منظمة (الغوث المسيحي) وهي منظمة تنطلق من كينيا وتتخذ من جبل بوما قاعدة لعملياتها، وقد اصبح لهذه المنظمة نظام اتصال جوي و طائرات ومطار. حررت القوات السودانية الاوروبيين المحتجزين و قضت على وحدة التمرد، و عقب ذلك اعتبرت حركة التمرد كل جنوب السودان منطقة عمليات، وطالبت الخبراء الاجانب باخلاء جنوب السودان. و هكذا جاء قرار ابعاد المبشرين من قبل الحركة التي تغذت من قبل في مدارسهم المسيحية . ففي ١٦ نوفمبر ١٩٨٣م ، هجم الخوارج على معسكرات الشركة الفرنسية المنفذة لمشروع قناة جونقلي على الكيلو (٢١٥) و اختطفوا أحد عشر خبير اجنبياً (تسعة اوربيين فرنسيين و باكستانيان) من العاملين بالشركة، مما جعل الشركة توقف عملياتها . و بدأت الحركة تكثف هجومها على النقاط الحدودية و نهر السوباط، و نقلت قوات كبيرة اليها. و بدأ اول هجوم لها على سرية ملوال في يوم ١٩٨٣/١١/١٧م ، بقوة تقدر بحوالي الفى مقاتل. و قد نجم عن هذا الهجوم استشهاد سبعة جنود فيهم النقيب محمد صالح و الملازم احمد عثمان.

و في يوم ١٩٨٣/١٢/١٢م ، اشتبك طوف من قوة الناصر مع الخوارج. و قد تكبدت قوة الخوارج خسائر فادحة. الا ان القوات المسلحة السودانية تكبدت ايضا خسائر كبيرة وخسرت طائرتين من طراز (هل) أسقطتا بواسطة صواريخ سام ٧ التي استخدمت لاول مرة، و من بعدها ضرب الحصار على الناصر، لكنها صمدت الى ان وصلها الدعم في ١٩٨٣/١٢/١٥م من ملكال عن طريق نهر السوباط .

استمر الخوارج في انتصاراتهم بعد اسقاط الطائرتين و تمكنوا من تهديد الاسناد الجوي للقوات المسلحة، و كانت مناطق التنقيب هي الأكثر تعرضاً لهجماتهم ، فقد كان اغراء البترول معززاً لرؤيتهم امكانية استغناء الجنوب عن الشمال، كما جاء اعلان الحكومة عن اختيار مدينة كوستي موقعاً لاقامة مصفاة البترول بمثابة صب الزيت على النار المشتعلة منذ نهاية ١٩٧٢م .

ففي يوم ٢٨ يناير ١٩٨٤م ، هجم الخوارج على معسكر شيفرون بثيانق ريال بالقرب من ملوط ، و في الثالث من فبراير هجموا على معسكر الشركة نفسها بربكونا بالقرب من بانتيو مما حدا بالشركة الامريكية ان تعلن في ذلك الشهر توقف عمليات التنقيب عن البترول في جنوب السودان .

كما استهدفت عمليات الحركة في تلك الايام وسائل المواصلات. و تمثل ذلك في الهجوم الشهير على الباخرة - هجيليجة - التي كانت تحمل اعدادا كبيرة من مواطني الاقليم الجنوبي الى حيث سيقضون اجازاتهم السنوية مع أهليهم، ووقع الحادث يوم ١٩٨٤/٢/١٣م بالقرب من ميناء واسكيج و راح ضحيته اعداد كبيرة من المواطنين حرقاً أو غرقاً. و كان للحادث رد فعل سلبي على الحركة و الامن بالمنطقة. وبهذا الحادث انتهت عمليات المرحلة الاولى. و بعدها تم استدعاء قوات الحركة الى البر الاثيوبي و تركت بمجموعات صغيرة لازعاج القوات المسلحة والمحافظة على عامل المبادأة مستعينة بزرع الالغام على الطرقات و التعرض لوسائل النقل ما امكن بقصد تعطيل امداد القوات المسلحة خلال هذه الفترة.

و كانت النتيجة ان اعلنت الحكومة السودانية في ٢٩ ابريل ١٩٨٤م حالة الطوارئ في كل الاقاليم الجنوبية. و كان هذا اعترافا من جانبها بتدهور الحالة الامنية.

و لكن اذا ما تعرضنا لنتائج هذه المرحلة بالتحليل نجد ان الخوارج نجحوا في مفاجأة القوات المسلحة السودانية و انتزعوا منها زمام المبادرة و حدوا من تحركاتها نوعاً ما. كما تمكنوا من تحقيق اهدافهم السياسية في تلك المرحلة، خاصة مواطنو بحر الغزال و اعالي النيل. كما عرف العالم ان هنالك حركة تمرد بدأت نشاطها في جنوب السودان. و دُفعت الفدية لاطلاق سراح الأسرى الأجانب. و بالرغم من انتصاراتهم، الا ان الخوارج فشلوا في احتلال أية مدينة او موقع حيوي داخل السودان. و لم يستطيعوا دحر أية قوة من القوات المسلحة او ارغامها على الانسحاب ، بجانب ذلك تكبدوا خسائر تفوق المعدلات المتوقعة المتعارف عليها في حرب العصابات ضد القوات النظامية .

الفترة الثانية : يونيو ١٩٨٤م – ابريل ١٩٨٥ :

في تلك الفترة تسارعت الاحداث و شهدت البلاد ضائقة اقتصادية وضربتها موجة من الجفاف و التصحر. كما شهدت هذه الفترة زيارة جورج بوش نائب الرئيس الامريكي للسودان في مارس ١٩٨٥م وسط هذه الظروف القاسية التي كانت تمر بها البلاد. وقد زار معسكرات النازحين و اللاجئين في مختلف اصقاع البلاد و قابل الرئيس نميري و المسؤولين في الحكومة و عدداً من رموز العلمانية في السودان. وبعد ايام من مغادرته البلاد بدأت حركة اعتقالات واسعة ضد قادة الاتجاه الاسلامي في البلاد شملت د.حسن عبد الله الترابي و عثمان خالد مضوى و احمد عبد الرحمن و عشرات من القيادات، وسط حملة من التشهير بهم و بالمؤسسات الاسلامية ، وأدت اجراءات النميري ضد الاسلاميين الى عزله تماماً، لأن العلمانيين كانوا قد يئسوا منه، خاصة بعد إقدامه على قتل محمود محمد طه .

ثم غادر النميري البلاد في زيارة لامريكا في ظروف سخط و مظاهرات شعبية بدأها اتحاد طلاب جامعة ام درمان الاسلامية ضد النظام، مما هيأ الظروف لثورة

شعبية عارمة حدت بقيادة الجيش الى تسلم السلطة و القضاء على حكم نميري فيما عرف بثورة رجب - ابريل ١٩٨٥م، و اصبح الفريق عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب في ١٥ ابريل ١٩٨٥م رئيساً للدولة لفترة انتقالية بين سقوط نميري و بداية الديمقراطية الثالثة .

و على الجانب الآخر حيث حركة التمرد، كان جون قرنق - كما أسلفنا - قد أصدر اوامره بانسحاب القوات الى البر الاثيوبي في ١٥ مارس ١٩٨٤م قصد اعادة تجميعها و تنظيمها و اعدادها للمرحلة الثانية التي حدد موعدها بموعد هطول الامطار لمعاودة الهجوم على الشريط الحدودي، اى على الناصر و اكوبو و فشلا اولاً، ثم الجكو و ملوال و البيبور بقصد فتح ثغرات للتسلل الى الداخل، ثم الاستيلاء على الناصر تحت مظلة العون الاثيوبي . و أوكل امر قيادة هذه القوات الى كبار ضباط الحركة الذين ضمن لهم قرنق مساعدة القوات الاثيوبية بتقديم خدمات الايواء و الاخلاء عند بداية المعركة. و اتفق على ان يبدأ الهجوم على جميع المحطات في آن واحد .

شهدت ايضاً هذه الفترة البث الاذاعي لحركة التمرد عبر ما عُرف بـ(راديو الجيش الشعبي لتحرير السودان) الذي كان يبث برامجه من اذاعة صوت الانجيل من اثيوبيا بدءا من ١٢ اكتوبر ١٩٨٤م بصوت المتمرد (فتيروايك كواتيج). (٢٥)

وقد تم بالفعل تنفيذ الهجوم، و هوجمت الناصر عدة مرات و تعرضت لسيل وابل من القصف بمدافع الهاون من البر الاثيوبي لنهر السوباط، و اشتركت أربع طائرات هيليوكبتر (هل) في عملية الاسناد. و لكن قرنق لم يحقق ما يصبو اليه من احتلال الناصر، فركز هجومه بعدها على جبل بوما و حشد قوات كبيرة لاحتلاله. و عند بداية العملية انسحب قائد السرية المرابطة بالجبل بعد ان نفدت المؤن و تأخر وصول طوف الامداد من جوبا .. و دخل قرنق و احتل الموقع في نهاية مارس ١٩٨٥م بعد ان قامت قواته في الحدود بمحاصرة فشلا و ملوال

والبيبور و استمرت في قصفها لعدة ايام . عقب احتلال جبل بوما امتد نشاط الخوارج الى الضفة الشرقية ، فهاجموا كبويتا و توريت و اكتوس. و عبرت مفارز منها الى غرب الاستوائية و إلى منطقة البحيرات وجنوب بحر الغزال حيث مدن يرول و رمبيك والتونج، ثم شمالاً حتى قوقريال و اطراف واو . و كانت هذه نهاية الفترة الثانية .

الفترة الثالثة : مايو ١٩٨٥م - ٣٠ يونيو ١٩٨٩م :

لم تمهل الحركة الشعبية الحكومة الانتقالية الجديدة حتى تتعرف على سياستها حيال مشكلة الجنوب. و انما سارعت الى إدانتها، دامغة إياها بأنها امتداد لنظام نميري و ان لا سبيل لأي سلام معها. ومع أن العمليات العسكرية هدأت خلال الشهرين الاولين عقب الانتفاضة، الا ان ذلك لم يدم طويلاً. و عاد الخوارج الى قصف الحدود بتركيز على مدينة الناصر التي تعرضت فيما بعد قوات الحكومة المرابطة بها لخديعة حربية كانت نتائجها محاصرة المدينة بعد ان اقتربت كتيبتا (وولف) و (نايل) بقيادة د.رياك مشار من المدينة لتسليم رسالة الى قائد المحطة موجهة الى رئيس الوزارء د. الجزولي دفع الله، و رفضت الكتيبتان العودة، بل تم دعمهما بقوات اخرى من الضفة الغربية لنهر السوباط بقيادة الرائد وليم نون الذي اعتاد ان يعسكر بتلك المنطقة الى ان تم احلاؤه بواسطة قوة من القوات المسلحة (ابطال السوباط) إثر عمليات ضارية تجلت فيها الكثير من التضحيات و البطولات للقوات المسلحة السودانية .

ثم هاجمت قوات الحركة الكرمك ، القيقر ، القردود ، مشاريع الرنك و الطيارة. و ضرب الجفاف منطقة البحيرات و هوجمت يرول و رمبيك و التونج، و دارت معارك ضارية أجبرت فيها القوات المسلحة السودانية على الانسحاب،حيث سقطت مدينة يرول في ٣٠ ديسمبر ١٩٨٥م ، و مدينة رمبيك في ٥ مارس ١٩٨٦م. وهذه تعتبر بداية سقوط المدن في ايدي الحركة، مما شجع الحركة على

المضي قدماً في إحكام قبضتها، و قد وصل العمل العدائي ذروته بعد ضرب الطائرة (البفلو) في سماء بور في الثاني من ابريل ١٩٨٦م ، و عُزلت بور تماماً عن أي امدادات متوقعة .

أعقب ذلك انخفاض في حدة العمليات من قبل الحركة و ضعفت فعاليتها بعد استعادة القوات المسلحة لمدينة رمبيك و العمليات النشطة في اعالي النيل و شرق الاستوائية. و يعزى ذلك ايضاً الى انقطاع الدعم الليبي و شح الامدادات. و بدخول القوات المسلحة الى مدينة بور و فك الحصار عنها في يناير ١٩٨٧م انحسر نشاط الخوارج على الحدود عدا ما تعرضت له منطقة الجكو من قصف منذ فبراير ١٩٨٧م، مما دعا قادة الكنائس في السودان الى مطالبة الغرب بايقاف مد السودان بالسلاح، ففي عام ١٩٨٧م جدد الاسقف الكاثوليكي تابادور دعوته الادارة الامريكية الى الامتناع عن تزويد السودان بالسلاح، و قد ادى توقف العون العسكري الامريكي و الغربي الى شل حركة الامداد العسكري للمقاتلين في الجنوب، كما احتجزت امريكا بعض الطائرات السودانية التي ارسلت الى هناك للصيانة.

و في منتصف عام ١٩٨٦ سلمت الحكومة الانتقالية مقاليد الحكم الى الاحزاب واصبح الصادق المهدي رئيساً للوزراء ، و من ثم بدأت الحكومة تواجه الضغوط من الدول الغربية و الكنسية من اجل اجراء المصالحة و الرضوخ لشروط التمرد ، و قام وفد الكنيسة السودانية بالطواف على عدة اقطار افريقية طالباً من رؤسائها ممارسة مختلف الضغوط على حكومة السودان حتى ترضخ لمحادثات سلام وفق صيغة كوكادام التي وقعتها الاحزاب السياسية السودانية و القوى العلمانية مع قرنق والتي نصت على الغاء قوانين الشريعة الاسلامية و رفع حالة الطوارئ .

اتساع حركة التمرد و سقوط المدن الجنوبية :

تعتبر الفترة الحزبية الثالثة من أسوأ الفترات التي مرت على السودان من حيث تصاعد العنف و العنف المضاد، و في المقابل شهدت حركة التمرد انتعاشاً حقيقياً بعد الركود الذي ذكرناه . فقد أصبحت تواجه الجيش السوداني وحده دون عتاد او سند. و اصبح همّ رجالات الاحزاب الركض خلف كراسي السلطة و الانحناء للضغوط الدولية .

و عجزوا عن تسليح الجيش و اصبح الناس يصحون و ينامون على أخبار انسحاب الجيش من مدينة تلو الاخرى نتيجة لنفاد الذخيرة، فاحتلت قوات التمرد مدينة الجكو في ٣١ مايو ١٩٨٧م. وقد أشرف قرنق شخصيا على الهجوم الذي قاده وليم نون ، كما احتلت القوات المتمردة الكرمك في ١١ اكتوبر ١٩٨٧م ، وقاد الهجوم سلفاكير (٢٦)، ثم سقطت مدينة البيبور في ٥ مارس ١٩٨٨م على يد جون قرنق نفسه (٢٧) الذي لم يقد معركة بعدها، عدا معركة الدفاع عن توريت. و في خضم سلسلة الهزائم تلك و بوساطة من الحكومة المصرية وقع السيد محمد عثمان الميرغني زعيم الحزب الاتحادي اتفاقية مع جون قرنق في مساء السادس عشر من نوفمبر ١٩٨٨م باديس ابابا وسميت (اتفاقية السلام السودانية) وسماها البعض (اتفاق الميرغني - قرنق). و لم تختلف الاتفاقية في شروطها كثيراً عن كوكادام التي كان الحزب الاتحادي قد رفضها، حيث جاء ضمن شروطها تجميد قوانين الشريعة الاسلامية ووقف اطلاق النار ورفع حالة الطوارئ و الغاء كل المعاهدات العسكرية مع الدول الأخرى، وفي حال حدوث اتفاق في مجلس الوزراء على البنود آنفة الذكر، يحدد يوم ١٩٨٨/١٢/٣١م موعدا لانعقاد المؤتمر الدستوري.

شهدت البلاد جدلاً واسعاً حول الاتفاقية، وقد عارضتها الجبهة الاسلامية القومية، و اصدر حزب الامة بياناً غامضا بشأنها في بادئ الامر. و عند عودته

من اديس ابابا يوم ١٩٨٨/١١/١٧م في الخامسة مساءاً كانت جماهير غفيرة في استقبال محمد عثمان الميرغني قوامها الحزب الاتحادي و الشيوعيون و البعثيون و القبيلة (العلمانية) و بعض رجال الكنيسة. (٢٨)

و لكن حركة التمرد كعادتها لم تدع الميرغني يهنأ بهذا الانجاز، إذ اطلقت صاروخ سام(٧) على طائرة عسكرية من طراز (C 130) وهي في سماء مطار واو على ارتفاع ٨٥٠٠ قدم كانت تقل الفريق (م) عبد الماجد حامد خليل وزير الدفاع والفريق فتحي احمد علي القائد العام و العميد احمد عثمان مالك الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة آنذاك و عددا من قادة الافرع و الاركان، و ذلك في نفس يوم وصول الميرغني . و قد اصاب الصاروخ احد اجنحة الطائرة و خزان الوقود وعطل محركها الرئيسي. و بعون من الله وبفضل براعة قائدها استطاعت ان تنزل في المطار بسلام. وقد أصيبت الطائرة في الساعة الخامسة والدقيقة الخمسين. وعدّ المراقبون ذلك بمثابة اطلاق رصاصة على الاتفاقية . و استنكرت كل الدوائر هذا العمل و اعتبرته مؤشراً الى عدم جدية الحركة في الوصول الى السلام حتى و ان كانت الاتفاقية قد استجيب فيها لكل شروط التمرد.

أصدر السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء بياناً يوم ١٩٨٨/١١/٢٠م ادان فيه حادث اطلاق الصاروخ من قبل المتمردين و قال ان حركة التمرد لا ترغب في السلام وأنه لا ارادة لها وأن قوى اجنبية تحركها .

و في يوم ١٩٨٨/١١/٢٢م خرجت مسيرة امان السودان الثانية التي وقفت خلفها الجبهة الاسلامية القومية ، تنديداً بقوات التمرد و دعماً للقوات المسلحة و تأييداً للشريعة الاسلامية و ادانة لإتفاقية (السلام السودانية). و قد كان الحشد كبيراً قدر بنصف مليون مواطن كان عنصر الشباب هو الغالب فيهم، و قد تعرضت للمسيرة عناصر من بعض الأحزاب الشمالية الداعمة لحركة التمرد و أعوانها بالداخل من الجنوبيين وقاموا بإطلاق النار ورمى الحجارة على الموكب. و لكن

الجماهير تصدت لهم و جرح البعض بالرصاص و الحجارة. و استشهد يومها الجندي عبد الودود عثمان من الامن الداخلي متأثراً بجراحه في السابعة من صباح الاربعاء ١٩٨٨/١١/٢٣م. و في النصف الثاني من ديسمبر ١٩٨٨م ، بدأت الجمعية التأسيسية في مناقشة الاتفاقية. و ارسل جون قرنق تحذيراً عبر اذاعة غانا هدد فيه الحكومة و اعطاها مهلة ثلاثة ايام لاصدار رأيها النهائي حول مبادرة السلام التي وقعت بينه و الحزب الاتحادي، و قال انه في حالة رفض الحكومة سيكثف من عملياته العسكرية . (٢٩)

و في مقال له، يبرز الصحفي المصري عادل حسين جانباً آخر من ضعف الحكومة السودانية تجاه التمرد في ذلك الوقت، فقد كتب يقول في ذلك المقال: ((توسطت الحكومة المصرية أيامها و ساعدت الحزب الاتحادي الديمقراطي في الوصول الى اتفاقية مهينة مع جارانج (اكتوبر / نوفمبر ١٩٨٨م) ، و اذكر انني دعيت بعدها مع عدد من السياسيين و الصحفيين المصريين الى بيت السفير السوداني في القاهرة، حيث اجتمعنا مع وفد من ممثلي الاحزاب السودانية - عدا الجبهة الاسلامية - و ممثلي النقابات ، و كانوا يطلبون من اهل الحكم عندنا ان يتدخلوا من جديد و بسرعة لكي يتفضل جارنج و يقبل تطبيق الاتفاقية المهينة .. قالوا يومها بفزع شديد: الاتفاقية خطيرة ، و لكن أخطر منها ان يماطل جارنج في التنفيذ و يصر على مواصلة القتال، و نحن لا نستطيع ان نوقفه و بوسعه ان يدخل الخرطوم عنوة فيقتل من يشاء و يسبي النساء ..)). (٣٠)

وبالفعل كانت الفكرة تراود قرنق. و كان يود ان يدخل الخرطوم على ظهر دبابة.. ففي حوار مع قرنق اجرته صحيفة (الايام) و نشرته هي وصحيفة (سودان تايمز) في نفس الوقت - و هو حوار مطول استمر عدة حلقات - قال قرنق فى الحلقة الثانية من ذلك الحوار فى إجابته على سؤال عن أسباب عدم إيقافهم الحرب و العودة الي البلاد عقب الإنتفاضة، قال قرنق : ((أنا لا استطيع

ان أحضر للخرطوم كفرد ، و اذا كان لي ان احضر للخرطوم فيجب ان تصحبني فرقة عسكرية او فرقتان او ثلاث، و ذلك بالطبع يحول ميزان القوى)) .. هذا الحوار نشر يوم ١٩٨٧/٩/٤م .

و اصبح الشارع السوداني يتساءل: أما من قوة توقف التدهور على الجبهة العسكرية؟ ومتى يقف قرنق عند حده؟ مثلما تساءلت الجماهير الفرنسية يوماً:((متى تنتهي الحرب يا بيار؟))،فهناك حكاية فرنسية شائعة تقول : انه كان للقائد الفرنسي " فوش " سائق اسمه بيار ، و كان السائق كلما عاد الى منزله، سأله الجيران :

متى تنتهي الحرب يابيار؟

فيجيب : المارشال لم يقل شيئاً .

و ذات مساء أقبل الجيران يسألونه كعادتهم :

هل تكلم المارشال؟

فقال بيار : نعم تكلم.. و لكن ليسألني: متى تنتهي الحرب يابيار؟!

و بالفعل كان رجال الحكم عندنا عاجزين عن الرد على الجماهير. و كانت الاجابة عند حركة التمرد التي صعدت من عملياتها و احتلالها للمدن. و اصبحت القوات المسلحة تقاتل دون ذخيرة و تنسحب من جراء ذلك من المدينة تلو الاخرى، فسقطت مدينة كبويتا في ايدي التمرد في ١٢ يناير ١٩٨٩م ، ثم اعقبتها مدينة الناصر في ١٩٨٩/١/٢٦م ، و توريت في ١٩٨٩/٢/٢٦م ، ثم كايا في مطلع مارس ١٩٨٩م ، و نمولي في الثالث منه، و بعدها جميزة في ٥ مارس ١٩٨٩م ، ومنقلا في ١٧ مارس ١٩٨٩م ، ثم مدينة بور ١٧ ابريل ١٩٨٩م ، و اكوبو في نفس ذلك اليوم و اخيراً كاجوكاجي في ٣ مايو ١٩٨٩م .

هكذا نجد ان الفترة من شهر يناير و حتى نهاية مايو ١٩٨٩م شهدت سقوط اكثر من عشر مدن رئيسية و حاميات اساسية للجيش السوداني في ايدي قوات الحركة المتمردة، مما حدا بقرنق ان يعلن انه سوف يدخل الخرطوم ممتطياً دبابة و انه يريد ((ان يشرب الشاي في الباوقة، و القهوة فى المتمة، و ان ترقص له عائشة بنت الشايقية)).

و اصبح رجال الاحزاب يخطبون ود قرنق. و كانت البلاد مقبلة في صبيحة الثلاثين من يونيو ١٩٨٩م، على اجتماع لمجلس الوزراء يجيز فيه اتفاقية (السلام السودانية) بصورة نهائية و يوقع على تجميد قوانين الشريعة الاسلامية و القبول بشروط التمرد .

نظام الانقاذ و أثره على المسرح العسكري في الجنوب :

يتضح من البيان الاول صبيحة الثلاثين من يونيو ١٩٨٩م و ما تلاه من اعلانات واجراءات ان قضية الجنوب تقع على رأس قائمة الأولويات، خاصة وانها ترتبط بأزمة القوات المسلحة في الحرب و ما ترتب عليها من خسائر مادية و بشرية ، وافتقاد القوات المسلحة للمساندة السياسية من اجهزة الحكم في الدولة قبل مجيء الانقاذ .

و لذلك اكدت حكومة الانقاذ على مبدأ السعي الى السلام الدائم باسلوب المفاوضات مع الحركة الشعبية بدون شروط مسبقة. كما اعلنت العفو العام عن كل من رفع السلاح ضد الدولة منذ عام ١٩٨٣م ، و مددت وقف اطلاق النار من جانب الجيش السوداني و اجرت اتصالات بأساليب منوعة مع قيادات المتمردين الجنوبيي،ن الأمر الذي ادى الى عقد محادثات بين الجانبين في اديس ابابا في اغسطس ١٩٨٩م .(٣١)

و لما كنا بصدد تناول مجيء نظام الانقاذ الوطني و اثره على مسرح العمليات ووضع الحركة العسكري ، فاننا بالنسبة لهذا الجانب نجد ان الحكومة أخذت في

الاستعداد العسكري لشن هجوم واسع النطاق على المتمردين في الجنوب. و هذا ما حدث في عام ١٩٩٢م فيما عرف بعمليات صيف العبور و نتج عنه تغير في الميزان العسكري في الحرب الى يومنا هذا. و قد سارت خطوات الانقاذ الوطني فى هذا الجانب على النحو التالي : (٣٢)

بدايات المواجهة العسكرية :

امتلكت القوات المسلحة السودانية زمام المبادرة من حركة التمرد منذ العام الاول للانقاذ الوطني ، و اصبحت الحركة في موقع المدافع المنسحب من موقع الى آخر ، و أضحت القوات المسلحة اكثر قوة و منعة و ازدادت شموخاً و عزةً و تتابعت انتصاراتها في كل المناطق ، و اتسعت مساحات الانتصار في السودان ، و كان الجيش السوداني قبل الانقاذ قد واجه نقصاً حاداً في العدة و العتاد و الدعم المعنوي ، و لم يبق له الا الصبر و الايمان بالله و قوة العزيمة وشجاعة أهل السودان. كما جاء الدفاع الشعبي كأكبر مشروع للنهضة في البلاد ليصبح سنداً قوياً للقوات المسلحة في مسارح العمليات .

كانت الانطلاقة المباركة في شهري مارس و ابريل من عام ١٩٩٠م، عندما الحقت القوات المسلحة خسائر كبيرة بالمتمردين فى بحر الغزال بالقرب من مدينة واو وفى مدينة ياي بغرب الاستوائية. ثم كبدت قوات (وفاء الرجال) الخوارج خسائر كبيرة بعد معركة رمبيك. و في مطلع عام ١٩٩١م دخلت قوات (أمة الأمجاد) مدينة ياي نفسها، و فى ذلك العام كانت حصيلة القوات المسلحة تدمير ٣٠ معسكراً للخوارج ، ١٥ منها بجنوب كردفان و ٧ معسكرات بالاستوائية و ٨ ببحر الغزال .

و فى عملياتها البطولية استطاعت القوات المسلحة السودانية بمساندة الدفاع الشعبي و الشرطة الموحدة تدمير المعسكر الرئيسي للخوارج في منطقة الجبال الغربية بجبال تلشي بجنوب كردفان .

عمليات صيف العبور : (٣٣)

بدأت عمليات صيف العبور المباركة عندما اعلنت القيادة العامة لقوات الشعب المسلحة مساء الاثنين السادس من رمضان ١٤١٤هـ الموافق للتاسع من مارس ١٩٩٢م ، استرداد مدينة فشلا من أيدي التمرد ، بعد خطة محكمة اشتركت فيها قوات برية و قوات محمولة جواً وقوات من الدفاع الشعبي. وقد كان لسياسة السودان الخارجية دور في هذه المعركة، حيث يبرز الدور الاثيوبي من خلال عبور القوة المهاجمة للمدينة للحدود الاثيوبية.. استولت هذه القوات يومها على مؤن وذخائر تكفي لمدة عام كامل . و كانت فشلا بداية التحرير الشامل لمدن الجنوب بعد ان ظلت المدينة في ايدي الخوارج منذ عام ١٩٨٥م، أي منذ الايام الاولى للتمرد، لما تشكله من اهمية حيوية و لوجستية، فالمدينة تقع بأعالي النيل على الحدود الاثيوبية وكانت تمثل نقطة الانطلاق لكافة العمليات ابان وجود التمرد داخل الحبشة. و عندما خرج التمرد شكلت اهمية كبرى و اصبحت مستودعاً للمخزون الغذائي و الحربي ، كما كانت مرتعاً خصباً للقوى الاجنبية الداعمة للخوارج. حيث غدت بؤرة لتجمع المنظمات التي تعمل في دعم التمرد تحت ستار (الانسانية)، و عشية دخول القوات المسلحة اليها تم القبض على خمسة من افراد الصليب الاحمر. و ما ذلك الا دلالة صادقة على ما ذكرناه. اذ لم يكن يدور في خلد هذه المنظمات و لا خلد المتمردين ان تصل اليهم يد القوات المسلحة. وبقدر ما كان تحرير فشلا مفاجأة للخوارج كان أيضاً مفاجأة للعالم الخارجي، كما كان رداً على التدخل المفاجيء لقوات الحركة فى دارفور (و التي اصبحت هى الاخرى مقبرة لهم).

و مع خواتيم شهر رمضان المبارك من ذلك العام دخلت القوات المسلحة السودانية مدينة بور معقل و مسقط رأس قائد التمرد جون قرنق. ففي الثالث من ابريل ١٩٩٢م، و بعد ارتهان دام اربع سنوات حررت مدينة بور. و كان

استرداد المدينة، التي شهدت انطلاقة التمرد عندما توجه منها قائده الى الغابة، تعني بداية النهاية له، إضافة الى موقعها الاستراتيجي، فهي ملتقى طرق جوية و برية و نهرية. كما انها قنطرة وصل بين ولايتي أعالى النيل و الاستوائية.

و من ثم توالت برقيات القوات المسلحة مهللة مكبرة تبشر بانتصارات جديدة. ففي الحادي من ابريل ١٩٩٢م ابرقت القوات المسلحة بمسارح العمليات القيادة العامة بنصرها المؤزر بدخول مدينة بور. و فيما يلي نص البرقية :

((الله اكبر الله اكبر و لله الحمد (.) الله اكبر و جموع الشعب السوداني تخرج مهللة و مكبرة و شاكرة لله العزيز القدير على النصر المبين (.) الله اكبر حين قال تعالى (و كان حقاً علينا نصر المؤمنين) (.) الله أكبر و الحمد لله لقد تضرعنا شكراً لله في صلاتنا فاستجاب المولى عزّ و جلّ بنصر عزيز و فتح مبين (.) استعادت قواتكم المسلحة صباح اليوم الساعة السابعة و عشرين دقيقة مدينة بور (.) الله اكبر جدودنا زمان وصونا على الوطن (.) الله اكبر و سنظل حافظين لهذه الوصية (.) و ستظل العقيدة و الوطن في حدقات العيون (.) الله اكبر و العزة لله ولرسوله و للمؤمنين و للوطن العزيز الغالي و لشعبه الابي و قواتكم المسلحة المنتصرة ابداً باذن الله (و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى) صدق الله العظيم)).

كما دخلت القوات المسلحة السودانية في تلك الايام مدن كنقر و بابديت و ننقلا ومقري و اكون .

تقع مدينة بور في ولاية بحر الغزال ، و قد ظلت تحت سيطرة المتمردين منذ ٣٠ ديسمبر ١٩٨٥م ، و تعتبر مركز امداد رئيسيا لمدينة واو عن طريق ميناء شامي على بحر الجبل و تبعد عن ولو ٢٠٥ أميال في الاتجاه الجنوبي الشرقي و تبعد عن شامبي ٧٥ ميلاً. و يسكن منطقة بور دينكا اقاد و هي قبيلة تمارس الرعي والزراعة و ترحل في موسم الصيف الى بحيرة شامي لاصطياد الاسماك.

كانت يرول مـن اهـم مراكـز امـداد المتمردين، إذ يوجـد بهـا مطـار استخدمته منظمات الاغاثة الداعمة للتمرد في امداده و تشوين المناطق المحاورة ليرول .

أما مدينة كنقر التي حررتها القوات المسلحة و الدفاع الشعبي (قبل دخولهـا مدينـة بور) فتقع على بعد ٢٦١ ميـلاً جنـوب ملكـال و ١١٩ ميـلاً شمـال بـور. وهـي منطقة تسيطر على الطريق البري الذي يربط بين ملكـال و جوبـا ، كمـا تسـيطر على الطريق النهري بين ملكال و بور. و هي من المدن الهامة في محافظة جونقلي.

اما مدينة اكون .. فهي ايضاً من المواقع الاسـتراتيجية الهامـة لمجموعـة قرنـق وبهـا مطار حربي كان يستعمل لامداد قواته، و تقع المدينة الى الشمال مـن مدينـة بـور بولاية اعالي النيل ، اما مدينتـا مقـري و ننقـلا اللتـان دخلتهمـا القـوات المسـلحة السودانية يوم الجمعة العاشر من ابريل ١٩٩٢م، فالاخيرة تقع على بعد ٥٠ ميـلاً جنـوب جوبـا علـى طريـق توريـت. و قـد دافـع عنهـا الخـوارج دفاعـاً مسـتميتاً و حاولوا عبثاً منع القوات المسلحة و الدفاع الشعبي من السيطرة عليها لمنع التقدم شرقاً، اما مقري فهي معبر هام يربـط بـين بـور و جوبـا. كمـا تربـط بـين شـرق الاستوائية وغربها و تقع على بعـد ٣٥ ميـلاً شـرق جوبـا، و تعتـبر منطقـة انـذار مبكر للخوارج وحلقة اتصال بـ (الطابور الخامس) للتمرد .

اما مدينة بابديت التي تقع على بعد ٣٦ ميـلاً الى الشـمال مـن مدينـة بـور فتعتـبر منطقة حاكمة على الطريق بين كنقر و بور ، فهي تسيطر على المجرى النهري بين شامبي و بور و تعتبر مركزا لاصلاح و صيانة مركبات و معدات المتمردين.

واصلت القوات المسلحة زحفها المقدس و حـررت في ٢٣ ابريـل ١٩٩٢م مدينـة البيبور حاضرة محافظة البيبور بأعالي النيل. و كان الخوارج قد احتلوها في الخامس من مارس ١٩٨٨م ، و هي ايضاً من المواقع الاستراتيجية للتمرد، حيث تربط بـين بور و فشلا ، و كـان الخـوارج ينطلقـون منهـا شمـالاً تجـاه ملكـال و شـرقاً تجـاه فشلا . و قبل ذلـك في ١٤ ابريـل ١٩٩٢م تم تحريـر ميـناء شـامبى علـى الضفـة

الغربية لبحر الجبل شمال شرق يرول ببحر الغزال. و كانت قوات التمرد تتعرض من خلال هذا الميناء لحركة الملاحة النهرية بين ملكال و بور و جوبا. و قد حررته قوات (لواء الشهيد مختار محمدين). و بتحريره استطاعت الجرارات ان تتقدم صوب مدينة جوبا بعد ان تم تأمين ظهرها من هذه الناحية.

و في ١٢ مايو ١٩٩٢م طرقت القوات المسلحة السودانية ابواب توريت عندما استردت قوات (اسود الله) مدينة ليريا في طريقها الى توريت، كما عززت القوات المسلحة السودانية في مدينة (تالي) مركز قبيلة المنداري يوم ٢٧ مايو ١٩٩٢م، وتعتبر المدينة مركزاً تجارياً هاماً وتتحكم في الطريق الى يرول. و بذلك اصبحت المنطقة من شرق بحر الغزال و حتى حدود الاستوائية آمنة.

إسترداد مدينة كبويتا :

استطاعت قوات (الفتح المبين) استعادة مدينة كبويتا في ٢٨ مايو ١٩٩٢م، وتم تنظيف ربوع التبوسا النقية من دنس الخوارج. وجاء تحرير كبويتا ابان محادثات السلام المنعقدة بأبوجا لتشكل سنداً قوياً للمفاوضين من قبل الحكومة السودانية، وكانت بذلك اشد هزيمة نفسية يتلقاها مفاوضو الحركة. فقد كانت المدينة مقر قيادة وليم نون رئيس وفد المفاوضات من جانب حركة التمرد.

و تعتبر كبويتا مدينة الحدود الاستراتيجية لجنوب شرق السودان. و هي معقل قبيلة التبوسا و العاصمة الاستراتيجية للخوارج و من أخطر مواقعهم التي كانوا يتحصنون بها ، و هي بموقعها الاستراتيجي تسيطر على كافة الطرق التي تعود الى مدن شرق الاستوائية و اعالي النيل بما في ذلك توريت و البيبور و فشلا غرباً وبور شمالاً، و جنوباً على طريق كينيا الرئيسي الذي يربط كينيا بكبويتا وتوريت و جوبا ، وتحريرها اعتبر أكبر ضربة تلقاها الخوارج في ذلك الوقت .

و في لقائه الدوري بقادة العمل الاعلامي يوم ٣ يونيو ١٩٩٢م ، اعلن الرئيس السوداني الفريق عمر حسن احمد البشير ان القوات المسلحة و قوات الدفاع

الشعبي قد حققتا نجاحات باهرة و كبيرة في عمليات صيف العبور، و قال ان القوات استطاعت الدخول الى بور معقل الخوارج دون مقاومة. و فاقت انتصاراتها كل التوقعات قبل بداية العمليات. و اشار الى ان القوات فاجأت المتمردين في كبويتا ، إذ تحركت بسرية تامة من البيبور الى كبويتا و لم تسلك الطرق المعروفة ، و قد هرب المتمردون تاركين خلفهم كميات ضخمة من الذخائر ومستودعات الغذاء و المون بالاضافة الى العربات و المدرعات .

و اشار الفريق البشير الى ان قوات تركاكا بقيادة العقيد كلمنت قد تمكنت من تأمين مساحات واسعة وأن منطقة شمال غرب جوبا قد اصبحت آمنة تماماً .

فتح المجرى النهري بين كوستي و جوبا :(٣٥)

تمكنت قوات (الشهيد اسماعيل) من قيادة الجرارات والدخول بها الى مدينة جوبا في واحدة من اعظم ملاحم صيف العبور في الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة من مساء يوم الاربعاء ١٧ يونيو ١٩٩٢م بقيادة العميد عبد العال محمود – الامين العام السابق لمجلس قيادة ثورة الانقاذ – لتفي بالوعد الذي قطعه الفريق عمر بتطهير المجرى النهري حتى جوبا قبل حلول موعد الاحتفال باعياد الثورة ، علماً بأن قائد التمرد قرنق كان قد اعلن في نوفمبر ١٩٩١م، بأنه سيحتل جوبا قبل وصول الجرارات اليها. و خرجت جماهير مدينة جوبا في كرنفالات فرح ضخمة وسط استعراضات رائعة لسلاح الجو السوداني بالطائرات المقاتلة. و استقبل مواطنو جوبا الجرارات بالدموع و الهتافات و الرقصات الشعبية و الاناشيد الوطنية التي استمرت حتى ساعة متأخرة من ليل ذلك اليوم، ذلك ان مواطني المدينة ظلوا لسبع سنين لا يسمعون (صفارة) الباخرة. و رغم ان الجرارات لم تكن قد أفرغت حمولتها بعد، إلا ان اسعار السلع يومها هبطت في الاسواق .

و خاطب الاحتفال الذي اقيم بميدان الحرية المقدم ابراهيم شمس الدين عضو مجلس قيادة الثورة ، و قـال :((ان القـوات المسـلحة لقنـت المتمرديـن درسـاً لـن ينسوه، حيث اختلـط عـرق و دمـاء القـوات المسلحة و الدفـاع الشـعبي فـاصبح رحيقاً، واتصلت حلقة الجيش و الشعب))، مؤكدا ان معركة التحريـر ستتواصل حتى استعادة كل شبر من ارض الوطن، وان السلام قادم و بابه مفتـوح والسـعي له مستمر بجدية و ((ان كل من وضع البندقية و عاد الى الوطن فان الثورة تكرمـه و تحسن معاملته)).

كما تحدث في الاحتفال محافظ بحر الجبل و قال ان وصول الجرارات كـذب كـل إدعاءات المتمردين الذين زعمو انهم دمروها و حاصروها قبل حوبا.

و تحدث لصحيفة الانقاذ الوطني العميد عبد العال محمود قائد القوة مشـيراً إلى أن الجرارات وصلت بعد مسيرة امتدت أربعة اشـهر استطاعت خلالها فتـح المجـرى النهري الـذي ظـل مغلقـاً لثمـاني سـنوات و كـان شـعار القـوات "الشـجاعة في مواجهة الصعاب " . و استطاعت قوات الشـهيد اسمـاعيل دحـر المتمرديـن الذيـن تعرضـوا للبواخـر و كبدتهـم خسـائر فادحـة. و كـان المتمـردون يعتقـدون ان الجـرارات اهـداف مضمونـة بالنسـبة لهـم. و زاد مـن دافعهـم الى استهدافها مـا يتعرضون له من جوع. هذا و قد شارك في الاحتفالات كل مـن اللـواء اسـترلينو اريكـا والي الاسـتوائية السـابق و اللـواء جعفـر شـريف قـائد منطقـة الاسـتوائية العسكرية و اللواء سيد احمد قائد قوات صيف العبور .

القاطرات تصل واو : (٣٦)

مثلما وفت قوات الشهيد اسماعيل بايصال الجرارات الى جوبا قبل اعياد الثورة ، كذلك وفت قوات (العاديات ضبحا) بايصال القطار الى واو، إذ حمل الاثير الى القيادة العامة البرقية التالية :

((" بسم ا لله مجراها و مرساها " تحت فوهة البندقية و اسنة الرماح لقواتكم المسلحة و قوات الدفاع الشعبي و سواعد المجاهدين من ابناء النقل و المواصلات البواسل و بمثل دخول الجرارات لجوبا و فتح المجرى النهري يتزامن صدق ووعد البشير بدخول القطار لمدينة واو (سعت) السادسة يوم ٢٤ يونيو ١٩٩٢م وعادت العافية لجنوب العزة و السلام و الرخاء بعد ان ظل هذا الخط الحديدي الاستراتيجي الهام متوقفاً لمدة ثماني سنوات بين اويل - واو - ا لله اكبر صدق وعده و نصر عبده و أعز جنده - ا لله اكبر و لله الحمد و العزة لله و لرسوله وللمؤمنين و لقواتكم المسلحة الباسلة و قوات الدفاع الشعبي و لشعب السودان الوفي المجاهد و ما النصر الا من عند ا لله)) .

فالطريق بين المجلد وواو له اهميته الاستراتيجية و العسكرية و السياسية لانه طريق التواصل بين ولاية بحر الغزال و ولايتي دارفور و كردفان. و عبر هذا الطريق يمكن ان نصل الى غرب الاستوائية. و بافتتاحه تكون حركة التواصل بين القبائل قد انفتحت مما يثري الحركة الحياتية ويوثق عرى التلاقي في ظل الحكم الفدرالي، و الطريق هو فتح جديد لمساعي السلام و توطيد لدعائمه عبر التواصل المستمر المتخذ من التجارة و السعي في كسب المعيشة طريقاً للتعارف القبلي و بذلك عانقت ١٤ مدينة في الجنوب الحرية في عيد الانقاذ الوطني الثالث .

إسعادة مدينة توريت : (٣٧)

توجت القوات المسلحة السودانية و قوات الدفاع الشعبي مسيرة النصر و الفتح المبين بدك آخر معاقل التمرد و رئاسته في مدينة توريت. ولجسامة النبأ فقد أعلنه

الرئيس السوداني الفريق عمر حسن احمد البشير عبر بيان للامة السودانية جاء فيه ما يلي :

((الله اكبر (و ما جعله الله الا بشرى لكم و لتطمئن به قلوبكم و ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ، ليقطع طرفاً من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين) . اتت بشارات السماء لتزين اعياد الانقاذ و تبارك مسيرة الاعجاز لشعب السودان الوفي المجاهد بنصر عزيز من ارض البطولات و عبق الشهادة والفداء بدخول قواتكم المسلحة الباسلة و قوات الدفاع الشعبي مدينة توريت وتحريرها يوم الاثنين ١٣ محرم الموافق ١٣ يوليو ١٩٩٢م في تمام الساعة الرابعة والنصف مساء في ملاحم قوات صيف العبور، لتتلاشى اوهام الخونة و المتمردين وعملائهم، فعادت توريت العزيزة الى مناطق الوطن المحررة و اندكت بذلك رئاسة التمرد المزعومة لمجموعة توريت، و ارتفعت رايات السلام و الوحدة الوطنية نصراً لجنده و حولاً من الله وقوة، و دعوة نعلنها مجدداً لكل ابناء الوطن للعودة الى حضن الوطن العزيز و عفواً عاماً شاملاً لكل من حمل السلاح ، و لنبدأ صفحة جديدة لبناء السودان الواحد الموحد و تعميراً و تنمية للجنوب الحبيب و ستواصل القوات المسلحة و الدفاع الشعبي بمشيئة الله مسيرة السلام و التنمية لتأمين كل اجزاء الوطن العزيز (و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) الله اكبر و العزة لله و لرسوله و للمؤمنين و الله اكبر و العزة للسودان قوياً منيعاً صامداً .. و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى)).

فور سماعها نبأ استعادة توريت خرجت جماهير ولاية الخرطوم في مسيرات ومواكب عفوية هادرة صوب القيادة العامة للقوات المسلحة من كل انحاء الولاية وهي تهتف ((جيش واحد ، شعب واحد ، عادت توريت ارض الفداء ، الليلة يا قرنق أيامك انتهن)) .. و رفعت الجماهير اعلام السودان ، كما خرجت

السيارات و هي ترفع رايات النصر ، و كانت علامات النصر و الشكر القاسم المشترك في كل المواقع ، كما خرجت جماهير السودان قاطبة في مواكب فرح يقودها الشباب ، والشيوخ و النساء و الاطفال ، فرحاً و ابتهاجاً. و تساقطت الدموع و ارتفعت الحناجر بالتكبير فى كثير من مدن السودان و قراه، و انهالت البرقيات على الاذاعة السودانية من كل السودانيين العاملين بالخارج تهنيء الشعب السوداني باسترداد توريت.

تقع مدينة توريت على بعد ٨٤ ميلاً شرق مدينة جوبا بالولاية الاستوائية بين جوبا و كبويتا ، و هي مدينة جميلة وسط جبال اللاتوكا ، سكانها من قبائل اللاتوكا ، الجولي و الأمادي. كانت مقراً لرئاسة الحركة جناح توريت ، وبتحريرها اصبحت الضفة الشرقية للاستوائية كلها في قبضة القوات المسلحة السودانية و الدفاع الشعبي. و المعلوم ان جون قرنق قاد بنفسه المعركة الاخيرة التي دارت في خور الدليب و رافقه فيها عدد من الصحفيين الاجانب ليشهدوا - على حد زعمه - مذبحة القوات المسلحة و الدفاع الشعبي .

و كان قرنق قد قال ايضاً لمجلة (دير شبيغل) الالمانية ان توريت لو سقطت فانه سيتقدم باستقالته من رئاسة حركة التمرد . كان تحرير توريت هو مسك الختام لعمليات صيف العبور التي أبلى فيها أبناء السودان من القوات المسلحة و الدفاع الشعبي بلاءاً حسناً خلال خمسة اشهر من العمليات على عدة محاور كللت كلها بالنجاح. و قد كانت عمليات صيف العبور بحق ملحمة وطنية تابعها الشعب السوداني لحظة بلحظة يحصد بركاتها و نتائجها الطيبة .. لقد دخل صيف العبور بكل رموزه و شخوصه و ابطاله البيوت السودانية عبر كاميرا البرنامج التلفزيوني (في ساحات الفداء) التي حملها شباب ترجموا تلك الملاحم و صور الفداء، و كان مسك ختامهم استشهاد مصور عمليات توريت نفسها الشهيد سيف الدين شرفي. ان هذه العمليات التي كان و قودها و حطبها الكثير من اهل العزائم

المتلئين بحب الوطن، هي العمليات التي زلزلت اركان التمرد و قلبت الموازين.(٣٨)
بدأت عمليات صيف العبور في الأول من مارس ١٩٩٢م ، و كانت أهدافها الأكثر اهمية فيما نحسب هي:
١ - كسر شوكة التمرد عسكرياً و سياسياً .
٢ - فتح الطرق الجوية و البرية و الممرات المائية .
٣ - تهيئة الاسباب الامنية لعودة النازحين و تمكين المواطنين من استئناف حياتهم الطبيعية توطئة لبدء عملية الاعمار و التنمية .
٤ - وضع الاساس الموضوعي و العملى للسلام العادل الدائم باجبار التمرد على قبول مبدأ الحل السياسي و إزهاده في الحرب كخيار لتحقيق الاهداف السياسية.
اذا استعرضنا هذه الاهداف نجدها قد تحققت، إن لم تكن كلها، فبنسبة عالية، على أن اهم هذه الانجازات برأينا هو عودة التوازن و الوعي الى حركة التمرد بقبولها مبدأ الحل السياسي اولاً و التفاوض دون قيد او شرط ثانياً. ثم تخليها عن احلامها الامبراطورية باقامة مملكة علمانية اشتراكية في السودان يتربع على عرشها العقيد جون قرنق دى مابيور .
فبعد صيف العبور حدثت جملة متغيرات جوهرية ما كانت لتحدث لولا الأثر الايجابي الذي تركته العمليات العسكرية الناجحة. فلقد شهدنا لاول مرة قبول التمرد بمبدأ الجلوس للتفاوض دون قيد او شرط، كما حدث في جولة أبوجا من بعد ذلك، إضافة إلى قبول جون قرنق بأن يشارك فصيل رياك مشار المنشق عنه فى تلك المفاوضات بوفد مستقل متخلياً عن إصراره على إعتماده المتحدث و المعبر الرسمى باسم الجنوب. كما ظهر تطور جديد عندما عبر وفده المفاوض عن رغبته في الانفصال عبر طرحه للكونفدرالية اسوة بمجموعة (الناصر) مما يعد ضرباً من الردة السياسية و العبث بارواح و مقدرات ابناء السودان من الجنوب.

علاوة على ذلك فان لصيف العبور مردوداته و افضاله الكثيرة على الجبهة العسكرية نفسها وعلى الجبهة الداخلية و جبهة الحكم اجمالاً، ذلك انه :

١ - أعاد الى الجيش السوداني ثقته بنفسه و قيادته و جبهته الداخلية، فضلاً عن اكتسابه خبرات جديدة في المناورة الميدانية.

٢ - اشعل روح الجهاد و الفداء في المواطن السوداني مما زاد من التحامه المباشر بالقوات المسلحة و بقضية الجنوب نفسها من حيث انه سكان و مكان.

و قد ترجمت كتائب الدفاع الشعبي هذه الفقرة الاخيرة الى مدد للقوات المسلحة لاينقطع ، اذ اخذ مفهوم الجندية و القتال ابعاداً اخرى لم تكن موجودة او بارزة في السابق. خاصة عندما كانت تقوم إثر استشهاد كل شهيد كتيبة كاملة تحمل اسمه و في صفوفها مئات الرجال و الشباب الذين يقومون مقامه في ميدان المعركة. انه اسلوب فريد في تعويض الفقد و رفع معنويات الصديق و الحط من معنويات العدو ، أما لجهة ان (صيف العبور) ملأ سلال الحكم بالمكرمات و الفضائل ذات الاهمية عند الحديث عن الامجاد و المكاسب السياسية، فهذا ثابت وبيّن في الحقيقة الاجمالية التي تقول انه في عهد الانقاذ الوطني انكسرت شوكة التمرد وتبدد خطره و لاحت في الافق تباشير فجر جديد من السلام القائم على الحقائق الموضوعية ... اذ بلا دروس على مسارح العمليات ما كان للتمرد ان يثوب الى رشده ، و ما كان للكثيرين من المغلوبين على امرهم في صفوفه و في غير صفوفه ان يجدوا الطريق سالكة للخروج من الاسر وكبت الارادة الذي مارسه التمرد بحقهم طويلاً.. و بذا يكون صيف العبور قد دخل التاريخ من اوسع ابوابه كأروع ملاحم سطرها ابطاله الأماجد و رواها شهداؤه الذين نحسبهم يرفلون في حواصل طير الجنة.

ذلك كان الموقف على الجبهة العسكرية. اما على الجبهة السياسية فاننا سنورد تفاصيله و شخوصه عندما نتناول قضية السلام و الاتصالات التي جرت في هذا

الخصوص منذ بداية تفجر الوضع في ١٩٨٣م ، و نرى انعكاسـات ذلـك الوضـع على قضية الحرب في جنوب كردفان .



الفصل الثالث

التنظيمات السياسية في منطقة جبال النوبا

ظلت قضية جنوب كردفان او ما اصطلح على تسميته (قضية جبال النوبا) تشكل احدى الاجندة الحاضرة دوماً في ملف السياسة السودانية ، و ظلت مصطلحات (النعرة العنصرية ، الاحزاب العنصرية ، المؤامرات العنصرية ، الانقلابات العنصرية ... إلخ) مرتبطة الى حد كبير بهذه القضية باعتبارها المصطلحات الأكثر ملائمة و انطباقاً للتحركات السياسية التي تمت في تلك المنطقة او ارتبطت بها وظلت تمثل مصدر قلق دائم في كل العهود، فهي تأخذ اشكالاً تنظيمية قبلية واقليمية (تنظيم الكتلة السوداء ، اتحاد عام جبال النوبا ، الحزب القومي السوداني ..). على صعيد آخر تشكل منطقة جنوب كردفان رقماً مهماً في رصيد المقدرة القومية للدولة لموقعها الجغرافي فى قلب السودان ان جاز التعبير (٦ ملايين فدان من الاراضي الزراعية المخططة، ٢٥ مليون فدان من الغابات، ٣,٧ مليون رأس من الثروة الحيوانية، تجاور مواقع النفط الجاري تشغيلها الآن في حقول هجليجة في الجانب الجنوبي الغربى من الولاية و حقول عداريل فى الجانب الجنوبى الشرقى من الولاية). و الحالة هذه، فان أي تهديد او عدم استقرار في هذه المنطقة يعد بمثابة المهدد الرئيسي للامن القومي السوداني الذي تشكل عناصر القدرة السابق استعراضها احد مكوناته الرئيسية. (٣٩)

ظلت قضية جبال النوبا منحصرة في الشكوى من التخلف و الظلم الاجتماعي ، الا ان انضمام عدد من ابناء النوبا الى حركة التمرد في جنوب السودان قد اعطى القضية بعداً جديداً زاد من تعقيد المشكلة و قاد المنطقة الى الدمار و عمّق النزاعات القبلية و فجر الصراع في المنطقة .

ظلت هذه المنطقة معزولة عن بقية اجزاء السودان لفترة طويلة بقيت القبائل النوباوية خلالها حبيسة في قمم الجبال ، و لم تصل المنطقة يد الدولة المركزية الا

في فترة الاستعمار البريطاني. هذه العزلة أثرت في حياة النوبا، فلم يحظوا بالتقدم الحضارى الا في وقت متأخر. و حتى في فترة الثورة المهدية و العهد التركي كانت علاقة السلطة مع جبال النوبا لا تتعدى جباية الضرائب، و لم تكن هنالك ادارة حكومية بالمعنى المعروف ، و لم تشهد المنطقة أية نزاعات مسلحة بين النوبا والقبائل العربية طيلة فترة الاستعمار الانجليزي الى ان نال السودان استقلاله في عام ١٩٥٦م ،. و استمر الحال كذلك حتى عام ١٩٨٤م بداية دخول التمرد الى جبال النوبا. يستثنى من ذلك النزاعات الشخصية التي تقع على نطاق ضيق وتنتهي عادة بمجالس الصلح على نظام العرف القبلي(٤٠)

و حتى هذه النزاعات كانت بسبب سرقة المواشي أو خطف الفتيات لاظهار الرجولة أودخول المواشي في المزارع. و تقع هذه النزاعات بين النوبا انفسهم وبين النوبا و المجموعات العربية، و تحل كما قلنا بالتراضي و بالغرامات دون أي احتكاك، وهذا راجع الى طبيعة النوبا المسالمة .

عند دخول المستعمر قاومت المنطقة الاستعمار الانجليزي بشدة ، وتمثل ذلك في عدد من الثورات اهمها :

١ - ثورة النيمانج بقيادة الملك دارجول ١٩٠٨م .

٢ - ثورة الملك رحال في كادقلي ١٩١٤م .

٣ - ثورة الفكي علي الميراوي في جبال ميري ١٩١٥م .

٤ - ثورة الملك عجبنا بالنيمانج ١٩١٧م .

اضافة الى ثورة الملك القديل في تقلى و الملك كوبنقو بالليري .... إلخ (٤١).

ووجدت هذه الثورات مساندة من المجموعات العربية. و على الرغم من أن الاستعمار الانجليزي قام بتطبيق قانون المناطق المقفولة فيما بعد على نحو ما رأينا في الباب الاول من البحث، الا ان ذلك لم يمنع قيام قبيلة تلشي بثورة في عام ١٩٤٥م ضد سياسات الاستعمار. وفيما بعد اصدر الحاكم العام الانجليزي

مرسومه المعروف باسم مرسوم الحرية، و بموجبه اطلق سراح كل الذين كانوا رقيقاً عند العرب ، وانشئت لهم قرى و حلال في عدة مناطق بجبال النوبا، و عمد المستعمر ايضاً الى التفرقة بين ابناء البلد الواحد وبذر بذور الشقاق. ومثالا على ذلك أنه طبق على المجموعات العربية ضريبة القطعان و على النوبا (الدقنية). كما ان مرتب عمد ونظار المجموعات العربية كان أكبر من رواتب زعماء النوبا .

تطور الحركة السياسية في جبال النوبا :

بعد تسريح ابناء النوبا من قوة دفاع السودان بعد ان كانوا يشكلون نسبة كبيرة منها، عادوا الى مناطقهم بالجبال. و كانت قد اتيحت لهم الفرصة لزيارة اغلب مدن شمال و وسط السودان. و البعض منهم ذهب الى شمال افريقيا و شاهد التطور الاجتماعي في تلك المدن و الدول مقارنة باوضاعهم في جبال النوبا. عند عودتهم وجدوا هناك العشرات، بل المئات من ابناء النوبا قد تخرجوا فى المدارس الاولية والوسطى. و بالتقاء هؤلاء واولئك بدأت الافكار تتلاقح. و برزت قضية التحرر والمطالبة بالحقوق المدنية و الاجتماعية. و كان في مقدمة هذه المطالب الغاء (الدقنية) و السخرة. و ظهر جلياً ان الوعي الاجتماعي بدأ ينمو بالمنطقة، وأصيب المستعمر بالهلع بعد أن رأي تنامي الوعي وسط النوبا وقد كان يظن انه فرض سيطرته عليهم بقانون المناطق المقفولة.

و كان المستعمر قد اعاد نظام الادارة الاهلية، و كسبت الحكومة ثقة رجال الادارة الاهلية، إذ وضعت اعتباراً خاصاً لهم و لاسرهم حتى لا يعيد التاريخ نفسه وتتكرر الثورات. و عندما استتب لها الوضع اطلقت يد رجال الادارة الاهلية لمتابعة الصفوة المناوئين و البطش بهم و زجهم بالسجون. و لكن على الرغم من ذلك لم يتوقف هذا النشاط، خاصة بعد قيام مؤتمر جوبا ١٩٤٧م و قيام الجمعية التشريعية ، اذ بدأت الاجتماعات تعقد داخل المنازل بأحياء المدن

الكبيرة مثل الدلنج ، كادقلي ، تالودي و الرشاد. وكان النقاش يدور حول الظلم الاجتماعي والتحرر منه .

لما قامت الاحزاب السودانية لم تستوعب طاقات أبناء النوبا، فقد كان حزب الأمة يعتمد على (البقارة)، بينما اعتمد الحزب الوطنى الإتحادى على فئة التجار الوافدين الى المنطقة ، و كان أبناء النوبة يتلقون التعليمات من هؤلاء نيابةً عن أحزابهم، مما جعل ابناء النوبا يتخذون مواقف متطرفة من هذه الاحزاب التي لا تضم في عضويتها و قياداتها افراداً فاعلين من بينهم .

و عند قيام الجمعية التشريعية اشتد الصراع السياسى بين الأحزاب فكان شعار حزب الأمة (السودان للسودانيين) و الحزب الاتحادى كان شعاره (الوحدة مع مصر) .

و من خلال هذه التطورات وجد ابناء النوبا أنفسهم معزولين عن الحركة السياسية و هناك من يديرون شؤونهم بالنيابة عنهم. و لقد خلق هذا العزل شعوراً سيئاً في انفسهم، على الرغم من ان حزب الامة فاز في اول انتخابات بأغلبية المقاعد لانه رفع شعار (السودان للسودانيين) الذي كان أقرب الى نفوس النوبا منه الى شعار الوحدة مع مصر، فقد فاز كل من حماد محمد دفع ا لله بدائرة لقاوة ، و بابو نمر بدائرة المجلد ، ونصر ا لله صارمين بدائرة الدلنج ، وحماد ابو صدر بدائرة دلامي، ولميحو كومي بدائرة هيبان، مقابل مقعدين فقط للحزب الاتحادي فاز بهما يعقوب رحال عن دائرة كادقلي و ادريس الزئبق عن دائرة رشاد .

تنظيم الكتلة السوداء :

في ظل تلك الاحداث ظهر على المسرح السياسي عام ١٩٤٨، ما سمي بتنظيم (الكتلة السوداء) كأول تنظيم بالمنطقة يضم قبائل النوبا . وكانت افكاره تتمحور حول تطوير الخدمات و فتح آفاق التنمية في منطقة جبال النوبا ، وكان

على رأسه د. أدهم و آخرون كانوا قد سافروا الى مصر لعرض قضيتهم على الحكومة المصرية، ونتيجة لذلك تم قبول عدد من ابناء النوبا في الموسسات التعليمية بمصر من بينهم د. ادهم الذي درس الطب هناك. و لم يلاق التنظيم القبول لدى الرأي العام السوداني ولدى بعض ابناء النوبا، ثم بعد الاستقلال كانت هناك روابط صغيرة لقبائل النوبا بالعاصمة القومية تعمل بصورة منفردة لرفع المستوى الاجتماعي والثقافي لابناء النوبا عن طريق التعليم و الندوات في الاندية و اماكن تجمع النوبا، و تناضل من اجل الغاء ضريبة الدقنية التي كانت مذلة لشخصية النوباوي.(٤٢)

خرج ابناء النوبا من اول حكومة وطنية صفر اليدين، مما زاد من خيبة أملهم في الاحزاب السياسية آنذاك، اضافة الى انه لم يعين احد من النوبا عند سودنة الوظائف، و في منتصف عام ١٩٥٥م ، و بعد الحاح شديد من نواب الحزب الوطني الاتحادي على اسماعيل الازهري تم استيعاب اثنين من ابناء النوبا بدورة تدريبية للضباط الاداريين استثناءاً، و هما المرحوم كودي الدومة و الاستاذ جبريل تيه عبد القادر. و في نفس العام ١٩٥٥م ، عاد من مصر السير الملك الزاكي الفكي علي زعيم قبيلة ميري يحمل موافقة مصر على بعثة قوامها ثلاثون طالباً من ابناء النوبا لتلقي التعليم الثانوي و الجامعي بالمدارس المصرية، و لكن بسقوط حكومة الازهري الغى الاميرالاى عبد الله خليل من بعده تلك البعثة، مما اشعر ابناء النوبا بالغبن الشديد .(٤٣)

و بدأ الشعور بالاقليمية يتصاعد تدريجيا. و كان عدم مشاركتهم في الحكومة الوطنية عاملاً مؤثراً في قيام حركة النوبا ، ففي رأيهم ان الحكومات الوطنية فشلت في تحقيق الاهداف الوطنية و القومية لانها اتبعت منهج الاستعمار في التفكير السياسي، مما جعل المثقف النوباوي يتحول تدريجياً بتفكيره الى خانة العداء السياسي للحكومات. و يبرز ذلك في خطب محمود حسيب في تلك الايام

حيث يقول: ((لقد كنا في الماضي نضع ثقتنا في اخواننا زعماء الاحزاب السياسية و لكن النتيجة هي هذا التجاهل و هذا التخلف الذي نشكو منه الآن)).

اتحاد عام جبال النوبا :

نشأ اتحاد عام جبال النوبا في عام ١٩٦٤م بعد ثورة اكتوبر مباشرة بالخرطوم. وقام بحمل هموم و مشاكل ابناء جبال النوبا ، و قد شارك في تأسيسه الاستاذ عطرون عطية ، عثمان عبد النبي ، عبد الله حامد و محمد حماد كوة ، و ترأسه المرحوم محمود حسيب (الذي كان والده ضابطاً بالقوات المسلحة ، ولد محمود حسيب بمدينة واو و نشأ فى حي الضباط بأم درمان و دخل مدرسة سلاح الاشارة و بعدها المدرسة الحربية و تخرج ضابطاً بالجيش في سلاح الاشارة ، وكان مؤسس حركة الضباط الاحرار و سكرتيراً لتنظيم الضباط الاحرار ، ولنشاطه السياسي أحيل الى التقاعد بعد استيلاء الجيش على السلطة برئاسة الفريق عبود) . أقام اتحاد عام جبال النوبا اتحاداً فرعياً بكادقلي تزامن قيامه مع قيام الاتحاد العام بالخرطوم، وترأس الاتحاد الفرعي لمدة دورتين السيد موسى حامد الدكة من ابناء الحوازمة، وتتلخص اهداف الاتحاد في الآتي : (٤٤)

١ - تجاوز الصراعات و الولاءات السياسية و الاهتمام بقضايا المنطقة وبنائها لتلحق بركب التقدم .

٢ - المطالبة بمديرية جبال النوبا منفصلة عن مديرية كردفان .

٣ - الغاء ضريبة الدقنية .

٤ - مشاركة ابناء النوبا في الحكم .

٥ - الدعوة الى حكم السودان لامركزياً و ذلك بتقسيم السودان الى خمسة اقاليم (جنوب - شمال - شرق - غرب - وسط) .

تحمل اتحاد عام جبال النوبا عبء المطالبة بتنمية المنطقة التي اهملتها الحكومات المتعاقبة ، كما استطاع الاتحاد تنشيط و غرس الشعور القبلي وسط بمجموعات

النوبا في المدن الاخرى و تشجيعهم على تنظيم انفسهم تحت قيادة الاتحاد. في نفس تلك الفترة تأسست بكادقلي و بعض مدن المنطقة (رابطة ابناء النوبا) و كان اعضاؤها من ارباب الخدمة المدنية المحلية و المعلمين و هم أكثر تاثيراً .

و لما كانت الاهداف العامة للرابطة لاتختلف كثيراً عن اهداف اتحاد عام جبال النوبا، وافق قياديوها على الدخول تحت مظلة الاتحاد العام ووجهوا لجانها لتعمل كفرع للاتحاد. و اندمج هذان الجهازان في تنظيم واحد سيطر عليه ابناء النوبا من المنطقة من حيث القيادة و القاعدة مع ان منطقة جبال النوبا تضم كما اسلفنا مجموعات عربية و غيرها من غير النوبا، و يعزى ذلك الى الآتي :

أولاً : كان النوبا الأكثر تخلفاً وتعرضا للاضطهاد، وكانوا يمتهنون المهن المتواضعة كخدمة المنازل و الخدمات الصحية، اضافة الى عادة العري التي كانت وصمة في جبين المتعلمين . كل هذه الاسباب الجوهرية، بالاضافة الى الشعور العام بالقهر الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي، أدت الى حركة تنظيمية عرقية جغرافية في جبال النوبا أكثر ولاءاً للارض و ارتباطاً بها و اكثر طموحاً للتنمية.

ثانياً : كانت المجموعات العربية (البقارة) متيقنة تماماً بضعف وضعهم السياسي الذي سيجعلهم يرضخون لسيطرة النوبا. و من ناحية دينية فان البقارة كانوا لايرغبون في التحالف مع مجموعة تضم مسيحيين و عناصر وثنية عرفت بمواقفها المعادية للعرب. لذا كانوا أقل تجاوباً مع هذا الاتجاه العرقي، كما ان اختلاف درجات الشعور بالتخلف و التعارض الديني في المنطقة ، جعل تعاون العرب و النوبا غير مقبول لكل الجانبين ، و حتى العناصر غير النوباوية التي انضمت الى الاتحاد سرعان ما انسلخت عنه فيما بعد . اضف الى هذا انتماء البقارة التقليدي الى حزب الامة الذي لا فكاك منه، اذ انه يمثل البعد العقدي .

على الصعيد نفسه رسخ الاعتقاد لدى مثقفي النوبا ان الاحزاب السياسية التقليدية لم تكن باي حال من الاحوال تعمل لصالح الاهداف الوطنية و تنمية

المنطقة ، بل كانت تستثمر الدعم السياسي لسكان الاقاليم لمصالحها الشخصية او الحزبية . لذلك رفع اتحاد عام جبال النوبا بعد تكوينه في عام ١٩٦٤م شعارات تطالب بتمثيل منطقة جبال النوبا في البرلمان ، و كانت خطوة متقدمة في حركة تضامن النوبا . و بالفعل في عام ١٩٦٥م اتخذ قرار بان ينافس اتحاد عام جبال النوبا في مقاعد البرلمان في الاقليم. و تلى ذلك مباشرةً نشر البرنامج الانتخابي للمرشحين على النحو التالي : (٤٥)

(١) بما ان المنتخبين سيكوّنون المجلس التأسيسي الذي يتولى مسؤولية وضع الدستور الدائم للسودان، فان سكان جبال النوبا مطالبون بالتوحّد لتمثيل المنطقة وتوحيد آرائهم حول من سيتولى ادارة البلاد .

(٢) المطالبة بنظام حكم اقليمي تحت نظام رئاسي قومي ليكون أكثر تناسباً مع وضع السودان المتعدد الاشكال .

(٣) تبني التوجه الاشتراكي المادي الذي يؤمم المؤسسات الصناعية الكبرى و المشاريع الزراعية الخاصة و تحويلها الى جميعات تعاونية .

(٤) يجب على السودان تبني خط افريقي عربي في السياسة الدولية و دعم كتلة عدم الانحياز .

(٥) تبني اعضاء البرلمان الاقليميين لسياسات الاتحاد، لان تلك السياسات وضعت من قبل عناصر مؤهلة بعد دراسات طويلة .

بهذه التوصيات العامة وجه الاتحاد العام جميع قواه لتنضم الى معركة الانتخابات العامة في عام ١٩٦٥م في تنظيم مستقل . و كانت الظروف مواتية لصالح الاتحاد العام، فقد آيست جماهير النوبا من الاحزاب التقليدية، و لقد أتي الاتحاد ليعبر عن آمالهم و تطلعاتهم، مما جعل الاتحاد يفوز بثمانية مقاعد من جملة اربعة عشر مقعداً لجنوب كردفان ، و كان هؤلاء الاعضاء جميعاً من مناطق تمركز النوبا بجنوب و شمال وغرب الجبال . و كان على رأس الفائزين الاب فيليب غبوش

الذي فاز بالدائرة (٢٠٧) الدلنج وترأس فيما بعد الهيئة البرلمانية للاتحاد داخل البرلمان .

دلت هذه النتائج علـى ان الاحـزاب التقليديـة بـدأت تفقـد نفوذهـا في المنطقـة . وظهرت قوى جديدة في الساحة السياسية . لقـد قويـت شـوكة الاتحـاد العـام في منطقة جبـال النوبـا في الفـترة بـين ١٩٦٥م - ١٩٦٦م ، و في تلـك الفـترة ظـل الاتحاد العام متكاملاً ذا قوة فعالة لتكثيف التحرك السياسي على المستويين القومي والمحلي معا .

استمر الاتحـاد في المحافظـة علـى الدعـم و الزخـم الشـعبي الـذي افرزتـه نتيجـة الانتخابات. و كان للمؤتمرات العامة التى عقدها دور واضح في تعميق الروابط بين الاتحاد و قواعده، خاصة مؤتمر كادقلي عـام ١٩٦٦م ، الـذى حضرتـه وفـود كبـيرة مـن الاعضـاء بينهـم أعضـاء الاتحـاد العام و طـلاب جنـوب كردفـان في الجامعات والمعاهد و عناصر قيادية من ابناء الاقاليم الجنوبية ، و كان هدف المؤتمر توعية المواطنين من خلال الاوراق التي قدمت .

عقد المؤتمر الثاني لاتحاد عام جبال النوبا في مدينة الدلنـج عـام ١٩٦٧م ، و لكنـه كان أقل شعبية و زخماً من المؤتمر الاول، و ذلـك لنشـوب الخـلاف بـين جنـاحي فيليب غبوش و محمود حسيب. كمـا انسـلخ ثلاثـة مـن النـواب التـابعين للإتحـاد وانضموا الى حزب الامة في نفس ذلك العام.. ركـز الاتحـاد علـى المجـالس المحليـة باعتبارها مصدر القوة الديمقراطية ووجه فروعه الى المنافسة عليها .

قاد الاتحاد ايضاً حركة نشطة لانشاء جمعيات تعاونية في الاقليم و لعب دوراً هاماً في علاج قضايا الناس اليومية ، و بذلـك استطاع اقامة منهج جديـد في تعـاطي السياسة المحلية على مستوى المنطقة التي لم تشهد مثـل ذلـك مـن قبـل، ممـا جعـل الحكومة تبادر بدفع الاحـزاب السياسـية الى الدخول في نشـاطات مكثفـة بجبـال النوبـا للتقليـل مـن قـوة و تأثـير جهـود الاتحـاد العـام . امـا في مجـال السياسـة

الوطنية، فقد ظهر الاتحاد بجلاء ككتلة منسجمة من خلال نشاطات اعضائه داخل و خارج البرلمان ، و كان اعضاء الاتحاد يرون انفسهم بمجموعة منفصلة لها هويتها الخاصة في تركيبة السودان الاجتماعية.

دخل اتحاد عام جبال النوبا البرلمان بآمال سياسية عراض، فقد كانوا يتطلعون الى التمثيل الوزاري في الحكومة ، و لكن الامور لم تكن كذلك. و كرد فعل لفشلهم اعلنوا انضمامهم مباشرة الى المعارضة، و مع ذلك فقد استطاعوا اقناع المجلس بمعاملتهم كمجموعة متميزة .

اما بخصوص مشاكل النوبا الاقتصادية و الاجتماعية، فقد بذل اعضاء الاتحاد العام في البرلمان جهودهم لتركيز انتباه الحكومة و الرأي العام على معاناتهم والفارق الكبير بين جماهيرهم و المجموعات الاخرى، و استطاعوا اظهار القضية من خلال المنابر التي تيسرت لهم و عبر الندوات و الصحف و غيرها .

انقسم الاتحاد العام الى جناحين في عام ١٩٦٧م، لعدم الاتفاق في الايدولوجية بين قيادته. ففي الوقت الذي كان ينادي فيه محمود حسيب و بعض عناصر النوبا المستعربة بتعريف هوية السودان كدولة عربية افريقية ، كان الجناح الذي يقوده فيليب غبوش يطالب بتبني السودان ذي الهوية الافريقية . هذا الخلاف ادى الى تضاؤل الاتحاد العام تدريجياً، حتى ظهر ضعفه بوضوح في عام ١٩٦٨م عندما فاز اعضاؤه بثلاثة مقاعد فقط في الانتخابات العامة في ذلك العام .

و منذ ذلك الحين اختفت سياسات الجناحين، و لم يكن أحد يدري ما هي السياسات و النشاطات التي كانوا يقومون بها خلال ذلك العام وحتى عام ١٩٦٩م، و لكن هناك بعض المصادر غير الرسمية تقول ان الجناحين كانا يخططان للاستيلاء على السلطة في البلاد عندما فوجيء الجميع بانقلاب مايو ١٩٦٩م.(٤٦)

خرج الاب فيليب غبوش الذي كان ينادي بافريقية السودان مواصلاً المعارضة من خارج البلاد. و ظل يدعم خطه السياسي من الخارج حتى عام ١٩٧٧م عندما دخل في المصالحة الوطنية مع النظام القائم آنذاك ضمن احزاب المعارضة التي كانت خارج البلاد. و اوقف الاب فيليب نشاطه السياسي لأكثر من عامين، وظلت تحركاته مرصودة من قبل أمن النظام حتى عام ١٩٨٤م عندما اعلن جهاز امن الدولة عن تورطه في محاولة انقلابية وصفت بانها (عنصرية) لاحتوائها على العناصر السوداء فقط من النوبا و الجنوبيين، و تم اعتقاله و من ثم العفو عنه في تلك المحاكمة الشهيرة، اضافة الى اعتقال محمد حماد كوة الذي كان نائبا لرئيس اتحاد عام جبال النوبا وقد برأته المحكمة و إن ظل هدفاً للاعتقالات المتتالية طيلة الحكم المايوي. و كان المرحوم معتصم التقلاوي وقتما رئيساً للاتحاد وقد توفي قبل الانتفاضة باسبوع .

اما الجناح الآخر الذي تزعمه محمود حسيب، فقد لعب دوراً في قيام ثورة مايو ١٩٦٩م . حيث ذكر انه نقل الى قادة الانقلاب مخطط الجناحين للاستيلاء على السلطة في البلاد، مما جعل هؤلاء يستعجلون تحركهم ويسبقون الجناحين . ولذلك عين محمود حسيب وزيراً للمواصلات في اول حكومة تم تشكيلها في عام ١٩٦٩م، (و هو اول منصب وزاري يناله النوبا) ، ثم محافظاً لكردفان في بداية السبعينيات ، و محافظاً لمديرية جنوب كردفان، وأُقيل لاسباب غامضة وصفت بانها اسباب صحية ، و منذ ذلك الحين عمل مديراً للشركة العربية للانماء الزراعي . و عاد فترشح للبرلمان القومي للدورة التكميلية في عام ١٩٧٩م – ١٩٨٠م، وهي نفس الدورة التي ترشح فيها الاب فيليب غبوش للبرلمان القومي، و لكن نشاط تلك الدورة توقف بقرار من رئاسة الجمهورية قبل اكتمالها . (٤٧) ثم عين محمود حسيب بعدها مديراً لاحدى الشركات الخاصة حتى تم اغتياله عام ١٩٨٤م في ظروف غامضة .

اشتراك محمود حسيب في السلطة في عهد مايو مكن من تحقيق الكثير لجبال النوبا، من ذلك :

١ - أنه صاحب اقتراح حكم السودان لامركزياً الذي احيز في احد مؤتمرات السلطة آنذاك .

٢ - عمل على إنشاء محافظة جنوب كردفان .

٣ - كوزير للنقل ضمّن طريق الدبيبات - الدلنج - كادقلي و محطة الاقمار في كادقلي في خطة التنمية الخمسية الاولى ١٩٧٠م / ١٩٧١م .

٤ - أقام البنيات الاساسية للمديرية الجديدة في كادقلي بالاستفادة من قيام الاحتفال بعيد الاستقلال العشرين في كادقلي .

٥ - انشأ اول مدارس ثانوية في جبال النوبا ، اثنتان منها في كادقلي و اثنتان بكل من الدلنج و ابو جبيهة ، و مدرسة بكل من العباسية و المجلد. ثم انشأ مسرحاً و داراً للرياضة و مطاراً بكادقلي، مما يعتبر انجازاً غير مسبوق في منطقة جبال النوبا .

٦ - رغم ان نظام مايو حرَّم نشاط الاحزاب، الا ان كوادر اتحاد عام جبال النوبا جناح حسيب كانت نشطة في تنظيم و تنفيذ برنامج الاصلاح في مناطق الجبال، فأعيد تنظيم المشاريع الزراعية مثل مشروع هبيلا و تحديث الزراعة الآلية بالجبال. و شهدت جنوب كردفان تحولاً لابأس به في المجال الرعوي و الزراعي و العمل المدني، فقد قامت فيها مؤسسة جبال النوبا الزراعية و هيئة الزراعة الآلية و مشاريع التنمية الريفية التابعة للابحاث الالمانية و الامريكية و الفرنسية، و لكن سوء الادارة و البرمجة جعل بعض المؤسسات تخسر حتى تمت تصفية مؤسسة جبال النوبا الزراعية في عهد الانقاذ عام ١٩٩٠م .

عموماً فإن فترة مايو حققت للنوبا كثيراً من الاهداف و المبادئ التي نادى بها اتحاد عام جبال النوبا، إذ تحقق الحكم الاقليمي، وحدث التوسع في مجالات التعليم

المختلفة و غيرها. الا ان الاخفاق قد لازم التنفيذ في شتى المجالات مما جعل ابناء الجبال يشعرون ببعض الظلم نتيجة لذلك.. وبينما كان الاتحاد العام لجبال النوبا الوعاء الوحيد لجميع ابناء المنطقة في الساحة السياسية، برزت بعض التيارات المنافسة للاتحاد التي ربما أدت الى انشقاق آخر في الاتحاد ليظهر على مسرح الاحداث تيار سياسي جديد يحمل نفس فكرة الاتحاد. وقد كان هذا الانشقاق هو القشة التي قصمت ظهر البعير فعاد بالبلاء على المنطقة مع عودة ذلك التيار .

حزب العمل :

برز على الساحة السياسية تنظيم يسمى بمنظمة الشباب او رابطة ابناء جبال النوبا او حزب العمل و كان يعمل سراً في عهد مايو . إنحصر نشاطه في منطقة جبال النوبا، بل في ريفى كادقلي تحت قيادة يوسف كوة مكى، و هو من ابناء قبيلة ميري نشأ وترعرع بملكال و الخرطوم حيث كان يعمل والده ، أكمل المرحلة الثانوية بأم درمان و التحق بالكلية الحربية في عام ١٩٦٧م ضمن الدفعة (٢١) ثم فُصل من الكلية بقرار من لجنة طبية لتعرضه لحالة نفسية. ثم عمل معلماً بمراحل التعليم الاوسط (الثانوي العام) بمنطقة الضعين ، ثم دخل جامعة الخرطوم كلية الاقتصاد و واصل نشاطه السياسي في الجامعة و ترأس رابطة طلاب جبال النوبا جنوب كردفان. و بعد تخرجه عمل معلماً بمدرسة تلوّ الثانوية بكادقلي . و مارس نشاطاً سياسياً ملحوظاً خلال فترة خدمته كمعلم أدى الى فوزه بتمثيل دائرة كادقلي في مجلس الشعب الاقليمي بكردفان عام ١٩٨١م) .

حزب العمل هذا، و ان تعددت مسمياته في مراحله المختلفة الا ان اهدافه العنصرية ومعاداته للاسلام و العروبة لم تتغير ، كما وردت في وثائق هذا التنظيم:

١ - أن يكون العضو (نوباويا) أباً و أماً، و ان لا يكون منضوياً تحت أي تنظيم آخر حسب المادة الأولى في شروط العضوية بدستور رابطة ابناء جبال النوبا ١٩٧٢م - كادقلي ، و قد أحدثت هذه المادة جدلاً واسعاً و أزمة داخل التنظيم

فيما بعد، ذلك لانتماء المتمرد عوض كوكو مسؤول العمليات في كتيبة البركان و شقيقه عز الدين كوكو عضو التنظيم الى العنصر العربي من جهة أمهما التى تنتمى الى قبيلة (الشويحات) . وعوض الكريم كوكو - من ابناء كادقلي - كان مسؤول التنظيم بالمنطقة قبل الانضمام الى حركة التمرد بأمر التنظيم. فيما بعد قاد تحركاً ضد يوسف كوة داخل حركة التمرد مما جعل يوسف كوة يعتقله هو ومجموعة اخرى ويرسلهم إلى بحر الغزال حيث لا أحد يعرف مصيرهم حتى الآن.

٢ - لا يمكن ان تتم وحدة وطنية بالسودان ما لم تتم وحدة دينية و عرقية. (٤٨)

ظل تنظيم أبناء النوبا يعمل بصورة سرية، مؤثرا في مجريات الاحداث بالمنطقة. ففي فترة مايو فاز هذا التنظيم بعدد من الدوائر في انتخابات مجلس الشعب الرابع و مجلس الشعب الاقليمي . حيث فاز يوسف كوة بدائرة كادقلي ليصبح عضواً بمجلس الشعب الاقليمي بكردفان عام ١٩٨١م ، و فاز دانيال كودي بدائرة كادقلي و اريافها الاربعة (البرام ، ام دورين ، هيبان و ريفى كادقلي) ليصبح عضواً بمجلس الشعب الرابع و نائبا لرئيس لجنة العلاقات الخارجية. و دانيال كودي هذا من ريف هيبان - قبيلة ابل - خريج كمبوني الابيض ١٩٦٩م عمل معلماً للتربية المسيحية بالمدارس الابتدائية ، و تلقى تدريباً بايطاليا تحت ستار "كورس تنمية المناطق الفقيرة " و كان مسؤولاً عن تنظيم الصخرة السوداء.

كما فاز هارون ادريس كافي برئاسة الاتحاد الاشتراكي بمنطقة كادقلي، و احمد الحاج كافي برئاسة مجلس منطقة كادقلي و ابراهيم محمد بلندية عضو التنظيم نائباً له ، كما سيطر التنظيم على نقابات المعلمين و المرأة و الموظفين . هذا النجاح تم باشراف و تخطيط اللجنة التنفيذية للتنظيم السري المعروف بـ(رابطة ابناء جبال النوبا).(٤٩)

و في فترة الديمقراطية الثالثـة قـرر التنظيـم خـوض الانتخابـات العامـة مـن خـلال الحزب القومي السوداني تحت رئاسة الاب فيليب عباس غبوش حيث فاز الحـزب بدوائر كادقلي الخمس:

١ - محمد ابو عنجة ابوراس (دائرة كادقلي) .

٢ - هارون ادريس كافي (دائرة ريف كادقلي) .

٣ - يوسف مرفعين (ريفى ام دروين) .

٤ - ابراهيم سعيد (دائرة هيبان) .

٥ - عبد الرسول كحور كوة (دائرة ريف البرام) .

عندما بدأت فكرة التنظيم تتبلـور واجهتهـم عـدة اشـكالات حصروهـا في ثلاثـة تحديات :

التحدي الاول : ان العنصـر النوبـاوي يعتـبر اقليـة اذا مـا قيـس بـالوجود القبلـي العربي المحيط بهم في جنوب كردفان .

و التحدي الثـاني : ان البعـض منهـم مسـلمون، ممـا لايسـمح بـالوحدة بينهـم في التوجهات.

التحدي الثالث : قلة الامكانات المادية ، لان معظم النوبا فقراء و بالتالي لا بد من التفكير في الدعم المالي لانجاح الفكـرة . و في محاولـة لحـل هـذه المعضـلات فكـر المخططون في الآتي :

١- لابد من تنظيم دقيق و توحيد القبائل النوباوية مع الاسـتعانة بالقبـائل الزنجيـة الاخرى للوقوف معهم في وجـه العـرب ، و في هـذا الشـأن قـامت حملـة واسـعة لتوحيد النوبا ضد العرب بشتى السبل ، و قد أثيرت النعرات و المشـاكل التاريخيـة و الثارات ، و رفعت بعض الشعارات التي من أشهرها (البقارى يسير و الجلابـي يطير).

٢- بنيت دعوتهم على العنصرية و الوثنية و الاصالة الافريقية .

٣- اما مسألة الانقسامات الدينية فالتنظيم الدقيق كفيل بحلها ، و قد اهتم المخططون لحركة جبال النوبا التحررية بفكرة التنظيم السري اهتماماً كبيراً و لم يلتزموا باسم محدد. بل كان يغير الاسم من حين الى آخر ، ليواكب المرحلة ويضمن مزيدا من السرية و التضليل مثل (الحجر الاسود ، الصقر الاسود ، النمور السوداء، رابطة ابناء جبال النوبا، جبهة جبال النوبا و نحن كادقلي - نفى عز الدين كوكو في لقائه بكادقلي ان يكون هذا الاسم موجوداً - و غيرها من المسميات).

الالتحاق بحركة التمرد :

إبان وجود يوسف كوة بمجلس الشعب الاقليمي بكردفان برزت خصومات حادة بينه و بين الفاتح بشارة حاكم الاقليم آنذاك وصلت حداً تم فيه تجريد يوسف كوة من الحصانة البرلمانية بغية محاكمته بتهمة الخيانة، و لكن قبل أن يتم ذلك كان يوسف قد إستشار التنظيم في الالتحاق بحركة جون قرنق. و قد اذن له بذلك(٥٠). كان الفاتح بشارة قد عاداه بتأثير دسائس من بعض السياسيين والتجار الفاسدين و الخائفين على مصالحهم التي تقوم على هضم حقوق ابناء المنطقة.

فيما بعد و في عام ١٩٨٤م، قرر التنظيم اختيار اعضاء آخرين للالتحاق بالحركة و وقع الاختيار على كل من:

١ - عوض الكريم كوكو .

٢ - يوسف كرة هارون .

٣ - تلفون كوكو جلحة .

٤ - صالح الياس (لم تكتمل احراءات سفره ، و عمل موظفاً بمحكمة الرهد ثم بادارة السلام و اعادة التوطين بجنوب كردفان و كان احد رسل السلام الى المتمردين) .

وجد تنظيم ابناء النوبا ضالته في حركة جون قرنق للحصول على السلاح ، لانهم آمنوا في تلك الفترة ان النضال المسلح هو الوسيلة الوحيدة لحل قضاياهم و لاجبار السلطة على الاعتراف بحقوقهم، كما ذكروا ذلك في ادبياتهم الداخلية، وايقاف الفقر و الجهل و المرض و استغلال الانسان النوباوي في الاعمال الوضيعة مثل العمل كخدم في المنازل و عمال للصحة ... إلخ . و عليه تقرر الاعتماد على الشباب المثقف في المرحلة الاولى. وفي المرحلة الثانية يتم استغلال كل ابناء الجبال المتواجدين بالعاصمة و قرى الجبال للعمل على تكوين لجان لمساعدة اعضاء الحركة الذين انضموا الى حركة التمرد بالخارج ، مع جمع المعلومات السياسية وتسهيل نقل المواد الغذائية و الادوية و الملابس .

في تلك الفترة رفعت شعارات اخرى مثل : (٥١)

١ - تجديد القيادات : باعتبار ان الجيل السابق من ابناء المنطقة قد استنفد اغراضه و اصبح غير مؤهل لقيادة منطقة جبال النوبا لقلة عدد المتعلمين من ذلك الجيل.

٢ - لابد من قيادة جديدة متمردة على كل الموروثات الاجتماعية و السياسية في المنطقة ، ترفض كل المكتسبات الثقافية التي تقود في اتجاه ربط المنطقة بالعالم العربي و الثقافة الاسلامية و تبشر بالعودة الى الاصالة الافريقية ، كما تدعو الى حركة تضامن قوية مع المجتمعات غير العربية خاصة تلك التي بجنوب السودان.

و عندما بدأت حملات تفريغ العاصمة القومية (الكشات) التي قام بها نظام الرئيس نميري (و هي واحدة من حماقات ذلك النظام) تبلور مفهوم قوى لدى قادة التنظيم بأن يتم طرد العرب من جنوب كردفان كما تم طرد النوبا من الخرطوم، و قد اصبح شعار تلك المرحلة (طرد العرب) ، مستغلين في ذلك شعور الغبن لدى المطرودين من الخرطوم . و جعل هؤلاء الوافدون من الخرطوم يجدون متنفسهم في الانضمام الى حركة التمرد ، مما مكن التنظيم من التوسع في قاعدته، كما وفر له كادراً جديداً يملؤه الحماس من غير ان يخطط هو لذلك.

بدأ التنظيم يقتحم مناطق واسعة و ضم عدداً من المثقفين بالمنطقة، و اعاد تنظيمه وسمي بحزب العمل ، كانت عقيدته (الوحدة ، الحرية ، المساواة و العمل) و من اهدافه المعلنة الآتي :

١ - ضمان وحدة الوطن و ضمان حقوق الانسان .

٢ - ضمان حرية العقيدة و التعبير و التنظيم و التنقل و الاقامة .

٣ - تحقيق العدالة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية .

٤ - تطوير الخدمة العامة لمسايرة المتغيرات التي تطرأ على المجتمع السوداني .

٥ - تأكيد حرية الاديان و المعتقدات و رفض كل صور الاستغلال و المتاجرة بالدين ... الى غير ذلك من الاهداف العامة .

الحزب القومي السوداني :

قام الحزب القومي السوداني عام ١٩٨٥م ، و هو محاولة واضحة و صريحة للخروج بابناء النوبا من القضايا المحلية الى التصدي لقضايا السودان باعتبار انهم السكان الاصليون فيه. و رغم ان عضوية الحزب فتحت لكل ابناء السودان إلا انه ضم في النهاية ابناء النوبا وحدهم ، مما أدخل قيادات الحزب القومي في دائرة الاتهامات والمكايدات السياسية و الامنية .

كان شعار الحزب او ميثاقه هو (الله و الوطن) و اهدافه يمكن تلخيصها في الآتي:

١ - ان عزم الرجال يحقق المعجزات و العمل على تأكيدها .

٢ - وحدة الصف و المصير لكافة ابناء السودان الحبيب من اخذوا الجنسية السودانية بالميلاد .

٣- يعترف الميثاق بان السواعد القوية شيباً و شباباً بناة الامة و حماة ارضها .

٤ - التمسك بالديمقراطية الاصلية غير المزيفة بالشعارات الجوفاء .

٥ - ان تحقيق تطلعات و آمال الامة السودانية لا يمكن ان تتكافل الصورة المثلى له الا عن طريق القاعدة العريضة في القرى و الحضر .

٦ - الحرية و الاخاء ثم المساواة بين كافة العناصر في كل المجالات .

٧ - الاعتراف بالسودان كدولة تقوم على اربع ركائز هى (الشمال ، الجنوب الشرق ، الغرب) و عليه يجب توزيع كل الدخل القومي بين كافة الركائز بصورة عادلة مع التركيز على المناطق الأكثر تخلفاً في :

أ- التمثيل الزراعي .

ب- التمثيل التشريعي .

ج- التمثيل في الشركات و التجارة الداخلية و الخارجية .

د - التوازن في القوات المسلحة (فرص في الكليات العسكرية و القوات النظامية الاخرى) .

هـ - التمثيل الدبلوماسي .

ل- التوزيع العادل في التعاونيات .

٧ - المطالبة باستمرار الاقليمية و تطويرها الى فيدرالية، واقليم جبال النوبا مطلب اساسي في هذا الميثاق .

٨ - اعطاء الاولوية في التنمية للاقاليم الأقل نمواً .

٩ - الاعتراف بالحزب القومي السوداني وانه كيان ثابت يعمل على تحقيق كل ما ورد في الميثاق الوطني اعتباراً من ٨ ابريل ١٩٨٥م .

من خلال طرح هذه الاحزاب و الكيانات التي كونها ابناء النوبا في اوقات مختلفة نجد ان اهدافها قد اتفقت في كثير من بنودها على الأخذ بيد منطقة جبال النوبا الى التنمية والازدهار لتلحق بركب اخواتها من مناطق السودان .

بعد الانتفاضة انضم حزب العمل الى الحزب القومي السوداني لتطابق اهدافهما المتطابقة ايضا مع اهداف غالبية مثقفي اتحاد عام جبال النوبا .

و تكوّن الحزب القومي السوداني بعد الانتفاضة عندما عقد المؤتمر العام لاتحاد عام جبال النوبا الذي قرر تحوله الى حزب قومي سوداني يضم كافة المواطنين وتوسيع نشاطاته ، و تم اعتبار جميع اعضاء اللجنة التنفيذية لاتحاد عام جبال النوبا مؤسسين و اعضاء في المكتب السياسي للحزب القومي . و بلغ عدد اعضاء المكتب السياسي ٤١ عضواً منهم ١٨ عضواً من اعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد العام ، وبقية الاعضاء تم انتخابهم بواسطة المكتب التنفيذي الذي تكون من رؤساء اللجان المركزية بالعاصمة القومية .

خاض الحزب القومي غمار الانتخابات التشريعية في عام ١٩٨٦م باربعة و ستين مرشحاً على مستوى السودان، فاز منهم ثمانية مرشحين، أبرزهم رئيس الحزب الاب فيليب غبوش بدائرة الحاج يوسف، اضافة الى دوائر منطقة كادقلي الخمسة ودائرة سلارا التي فاز فيها امين بشير فلين.. وفيما بعد دب الخلاف وسط الحزب القومي السوداني، حيث انشق عدد من قادة الحزب و نوابه عن قيادة الأب فيليب غبوش و كونوا كتلة اخرى برئاسة محمد حماد كوة و عضوية اثنين من النواب هما امين بشير فلين و محمد ابو عنجة، و ذلك في الاجتماع الذي عقد بدار اساتذة جامعة الخرطوم في ١٩ نوفمبر ١٩٨٧م، و كان غبوش قد اختار قبل ذلك حسن الماحي نائباً لرئيس الحزب و سالم علي عيسى مساعداً لرئيس الحزب، الشئ الذي أدى الى التذمر، اضافة الى تكوينه لجنة استشارية سباعية اعتبرها المنشقون الغاءاً و تهميشاً لدور المكتب السياسي و الهيئة البرلمانية. و إزاء هذا الموقف، اضافة الى اتهام الجناح الآخر للاب غبوش بالدكتاتورية ومصادرة الرأي في الحزب لنفسه(٥٣)، حدث الانشقاق .

فيما بعد اشترك الجناح المنشق في الحكومة الائتلافية و نال امين بشير فلين مقعداً وزارياً تمثل في وزارة السياحة التى خلفه فيها محمد حماد كوة .

هكذا نجد ان الحركة السياسية لعبت دوراً كبيراً في تطور المشكلة الامنية بجنوب كردفان ، و كان خطابها السياسي في كثير من الاحيان خطاباً عاطفياً جعل العديد من ابناء المنطقة يتمحورون حول ذواتهم. و فيما بعد استفاد التمرد من هذه العزلة و القوقعة ليوجج الصراع في المنطقة .

و لما كان التنظيم الذي أسسه يوسف كوة هو الذي قاد عملية التمرد فعلياً فيما بعد، لذلك سنركز علي تكويناته الداخلية و كيفية تكوين خلاياه.. و المعلومات في هذا الشأن ماخوذة من المصادر الرسمية نتيجة لوقوع بعض وثائق التنظيم المعني في أيدى الجهات المعنية، اضافة الى اعترافات بعض من افراد التنظيم في مرحلة من المراحل .

في بداية عام ١٩٧٩م ، بدأت الحركة الاهتمام بالتعليم و عقدت مناقشات تتعلق بالتعليم و أهميته لهذه الحركة الوليدة. و قد نجحوا في دعم طلاب الثانويات الموجودين بالعاصمة المثلثة. وبهذا كونوا وجوداً وسط الطلاب، و كان اهم ما يوصل الى هولاء الطلاب هو (الفكرة) و عليهم بتبليغها للاقارب. و من أهم ما يبلغ للطلاب هو : (اهمية التعليم ، الصلابة في الرأي و الثبات على المبدأ) و في المحاضرات التي تقدم اليهم يركز على : لا يمكن ارضاء كل الناس بل يمكن اغضاب كل من يعتقدون بخطئه و فساده. اننا قساة على انفسنا و على غيرنا ، اننا قليلون و ربما اصبحنا في الغد أقل ، اذا إصطدمنا بالمصاعب التي تنتظرنا ، ورأينا الويلات تنزل بنا و اللعنات تنصب علينا ، فلا مناص من الثبات. هذه الحركة (الفكرة) خطط لها كل من (دانيال كودي ، يوسف كوة ، يعقوب الفيل) .

التنظيم :

اهتم المخططون لحركة جبال النوبا (التحررية) بفكرة التنظيم السري اهتماماً كبيراً. و لم يلتزموا باسم محدد، بل كان الاسم يتغير من حين لآخر لدواعي السرية وليواكب المرحلة.

اعتمدت الحركة على كادرها الطلابي اعتماداً بالغاً باستغلالهم في العمل الميداني في العطلات الصيفية و في القيام بجمع المعلومات الدقيقة بالاضافة للاشراف على محطات الاقاليم متمثلة في مناطق العمليات و المناطق الحيوية في المدن الكبرى التي تدعم التمرد بالمال و الرجال (كوستي ، سنار ، مدني ، الدويم ، الحصاحيصا ، القضارف ، كسلا ، بورتسودان ، عطبرة ، الابيض ، الخرطوم .... إلخ) .

التكوين الاساسي :

تعمل لجان (الحركة الشعبية التابعة لجناح النوبا) في شكل خلايا في الاحياء ، المدارس و الجامعات ، و تحتوي الخلية على سبعة اشخاص محاطة بالسرية الشديدة و تتخذ أساليب كثيرة للمحافظة على السرية. و يتكون الهيكل التنظيمي للحركة بالداخل على النحو التالي :

المجموعة الاولية : من الخلايا و تتكون من مختلف الفئات. و وظيفتها محددة تتمثل في :

أ - جمع المال .

ب - حصر الاعضاء حسب خلاياهم و تسمى هذه الخلايا بـ:

١ - الخلايا التقليدية (Local Cells) : و تعتبر اوسع دائرة على الاطلاق و تقل كلما صعدنا الى أعلى. و يجب ان يكون منها خلايا في كل حي، وهي غير متخصصة.. و تصفي هذه الخلية الى :

٢ - الخلية المميزة (Characterized Cell) : و هي في معظم الاحوال تحتوي على اربع خلايا مميزة و مصنفة كالتالي :

أ - طلاب و طالبات المراحل الابتدائية و المتوسطة .

ب - طلاب الثانويات و الجامعات .

ج - معلمو كل المراحل - الاطباء - المهندسون و المهن الفنية الاخرى .

د - الرأسماليون و رجال الاعمال .

هـ - العمال المهرة و الموظفون و النقابيون .

هذه الخلايا متخصصة و تتحرك بانتظام و لها خطط مدروسة و لها مهام كثيرة ومختلفة أهمها مراقبة عمل الاحزاب او أي تطور سياسي آخر .

٣ - الخلية النشطة (Active Cell) : و أهم وظيفة لها هي اعادة ترتيب الخلايا الدنيا و تنظيمها و تحريكها و تنشيطها و ترشيدها. و تتكون هذه الخلية من :

أ- لجنة تتكون من خمسة اشخاص بواقع شخص من كل خلية من الخلايا المميزة.

ب- الضباط الصغار من القوات المسلحة و النظامية الاخرى.

ج - قساوسة و مبشرين .

د - رئيس اللجنة الاكاديمية .

هـ - رئيس اللجنة الفنية، التي تهتم بالتنسيق بين اللجان و اجهزة الحركة المختلفة و الربط بين الاقاليم بالاضافة الى أنشطة الحماية .

٤ - اللجنة الرئيسية (Chief Committee) : و هي اللجنة التي تخطط و تدير كل الامور بالداخل و لها صلاحيات واسعة في هذا الخصوص ولها صلاحية حل أي من اللجان و الخلايا المختلفة و اعادة تكوينها، و تتشكل من:

أ - رئيس اللجنة الاكاديمية .

ب- رئيس اللجنة الفنية .

ج- كل رجالات الدين المسيحي (مطارنة ، محافظين ، الابرشية) .

د - كبار الضباط في القوات المسلحة و النظامية.

هـ- الاكاديميين و رجال الاعمال.

و تعتبر اللجنة الرئيسية هي اللجنة المساعدة للجنة الرئيس .

٥ - الرئيس (President) : يعتبر الرئيس الموجود داخل القطر هو الوحيد الذي ينفذ أوامر هذه الحركة ، و يصدر الاوامر، و له حق الاتصال، و له لجنة خاصة متحركة بالخارج و الداخل .

٦ - كرسي الكنيسة (Church Chair) : تعتبر الكنيسة خلية لوحدها وتلعب دوراً مهماً و رائداً . (يلاحظ ان الموسسة العسكرية و الكنيسة تمثلان في كل اللجان و على كافة المستويات ، الاولى للربط بين المدنيين والعسكريين و الثانية للتوجيه و السيطرة) .

بهذه الخلايا نعتقد ان ابناء النوبا نجحوا في خلق تنظيم دقيق و فعال صعُب على الاجهزة الرسمية في وقت من الاوقات كشفه و رصده للسرية التامة التي احاط بها نفسه . هذا التنظيم عمله بالداخل محصور ، و اهدافه محددة تتمثل في :

١ - توفير المال و الدعم المعنوى و العيني للمتمردين .

٢ - تجنيد الشباب و ارسالهم الى مناطق العمليات في الجبال و الجنوب .

٣ - رصد العناصر و التنظيمات التي تعمل ضد الحركة .

٤- نشر و تصحيح فكرة الحركة بالداخل و كسب مواطني جبال النوبا و العناصر السوداء الى جانبهم .

٥ - رصد و مراقبة المؤسسات الهامة و معرفة ما يدور بداخلها مع ارسال المعلومات بالسرعة اللازمة .

٦ - تولي الاتصالات بالمنظمات و الجهات الداعمة للحركة .

و قد اتخذ التنظيم توجهات عامة له على النحو التالي :

أ- ((لما كان التنظيم يبحث عن بعض التنظيمات الاقليمية المشابهة له للبحث عن طريق للحصول على السلاح إيماناً بان النضال المسلح هو الوسيلة الوحيدة لحل قضايا المنطقة و لاجبار السلطة على الاعتراف بتلك القضايا التي تتلخص في الفقر و الجهل و المرض و استغلال الانسان النوباوي في الاعمال الوضيعة التي لا تتماشى مع انسان القرن العشرين مثل خدم المنازل و عمال الصحة، إيماناً منا بكل ما تقدم : ان ظهور الحركة الشعبية و الجيش الشعبي لتحرير السودان كان هو المنفذ الوحيد الذي تحقق فيه اهداف التنظيم مع الاحتفاظ بالسرية التامة و العمل المكثف لتجنيد اعضاء يؤمنون بالعمل المسلح و الاعتماد على الشباب المثقف في المرحلة الاولى ، و المرحلة الثانية استغلال كل ابناء الجبال المتواجدين بالعاصمة وقرى الجبال للعمل على تكوين لجان لمساعدة اعضاء الحركة في كل القرى لتسهيل نقل المعلومات عن تحرك القوات المسلحة و المعلومات السياسية و تسهيل نقل المواد الغذائية و الادوية)).

ب- انطلاقاً من كل ذلك : ((النضال الداخلي يوازي بل هو أكثر فائدة بالنسبة لاخوتنا المناضلين الذين قرر التنظيم انضمامهم الى الحركة وهم من خيرة الشباب نواة اولى للحركة بجبال النوبا ... عليه سيكون الاسهام مضاعفاً من ناحية الاشتراكات و الملبوسات و الاحذية و الادوية على كل نطاق السودان ، و على كل اعضائنا تنفيذ ذلك .. كذلك الاستفادة من الروابط الخيرية لابناء جبال النوبا المنتشرة بالسودان للاسهام الفاعل حتى نتمكن من تحرير الارض من الدنس ، وان لا نتاثر بشهداء التنظيم مهما كانت الاعتقالات و التعسف فان لجان الظل ستظل تعمل بكل صمت في كل المدن عن طريق نقل المعلومات الامنية)).

ج - ((ان مشكلة الدين هي مشكلة ثانوية لاننا في جبال النوبا مجتمع لـه تقاليده وعاداته ، هناك المسيحية و الاسلام و اللادينيون فالدين لله و الوطن للجميع)).

بهـذه التوجهـات انطلـق العمـل في جبـال النوبـا و دارت رحـى الحـرب في تلـك الربوع الامنة في مطلع ١٩٨٤م ، ، و هذا مـا سـنتعرض لـه بـالتفصيل في البـاب القادم .

هوامش الباب الثاني

١. مشكلة الجنوب و الجهود نحو السلام - الهيئة القومية للاعلام و الانتاج الفني - ١٢ مايو ١٩٩٤م ، الخرطوم ، ص ٤.

٢. د .عبد الملك عودة ، مجلة السياسة الدولية - مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة و الانفصال - دراسة - العدد رقم (١٠٩) بتاريخ يوليو ١٩٩٢م ، السنة الثامنة و العشرون ، ص ١٠ .

٣. المصدر نفسه ، ص ١١.

٤. مشكلة الجنوب و الجهود نحو السلام ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦.

٥. سراج الدين عبد الغفار - تجربة الدفاع الشعبي و حرب الجنوب - بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الدبلوم في الدراسات الافريقية - جامعة افريقيا العالمية ، مركز البحوث و الترجمة ، ادارة الدراسات العليا ، مودع لدى مكتبة جامعة افريقيا ، ص ٦١ .

٦. المصدر نفسه ، ص ٦١.

٧. د.عبد الملك عودة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣ .

٨. سراج الدين عبد الغفار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٢ .

٩. المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

١٠. د.عبد الملك عودة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤ .

١١. سراج الدين عبد الغفار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٨ .

١٢. المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

١٣. د.عبد الملك عودة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ ، ١٧ .

١٤. سراج الدين عبد الغفار عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص٧١،٧٢،٧٣،٧٤

١٥. اللواء مساعد النويري احمد ـ تجربة القوات المسلحة في حربها ضد الجيش الشعبي لتحرير السودان - كلية الدفاع الوطني دورة ١٩٨٦م - ١٩٨٧م ص ١٧.

١٦. المصدر نفسه ، ص ١٩ .

١٧. المصدر نفسه ، ص ٢١ .

١٨. المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

١٩. المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

٢٠. موسى علي سليمان - قراءة في دفتر الحرب و السلام (٣) سلسلة مقالات صحفية - صحيفة الانقاذ الوطني - العدد (٦٣٦) بتاريخ ٥ اكتوبر ١٩٩١م .

٢١. اللواء مساعد النويري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥ .

٢٢. سراج الدين عبد الغفار عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٣ .

٢٣. المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

٢٤. اللواء مساعد النويري ، مصدرسبق ذكره ، ص ٤٨ .

٢٥. وثيقة من وثائق الحركة الشعبية لتحرير السودان ـ الحل النموذجي لأحد الامتحانات التي تجريها الحركة لعضويتها ــ معسكر بول - شرق مدينة اريات - ١٧ مارس ١٩٩١م .

٢٦. قام الباحث بالتغطية الميدانية لاحداث تلك المنطقة لصحيفة (الراية) عام ١٩٨٧م .

٢٧. وثيقة الحركة الشعبية لتحرير السودان - الحل النموذجي لاحد الامتحانات - معسكر بول ، مصدر سبق ذكره .

٢٨. تغطية صحفية قام بها الباحث لصحيفة (الراية) عند وصول محمد عثمان الميرغني مطار الخرطوم - ١٧ نوفمبر ١٩٨٨ م .

٢٩. صحيفة السوداني - العدد (٧٥٧) - ١٤ ديسمبر ١٩٨٨م .

٣٠. سراج الدين عبد الغفار عمر - مصدر سبق ذكره ، ص ٩٣ .

٣١. د.عبد الملك عودة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

٣٢. سراج الدين عبد الغفار عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٥ .

٣٣. المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

٣٤. المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

٣٥. المصدر نفسه ، ص ١٤٠.

٣٦. المصدر نفسه ، ص ١٤١.

٣٧. المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

٣٨. موسى يعقوب - صحيفة الانقاذ الوطني - العدد (٧٩٦) بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٩٢م .

٣٩. مشكلة جنوب كردفان مرحلة عمل جديدة - ورقة مقدمة من ادارة السلام واعادة التوطين بجنوب كردفان ١٥/١١/١٩٩٥م ، ص ١.

٤٠. لقاء مع عبد الفتاح تيه كافي - مصدر سبق ذكره .

٤١. ورقة عن خطة السلام بجنوب كردفان - مؤسسة السلام و التنمية ١٩٩٢م ، ص ٣ .

٤٢. لواء ركن رمضان زايد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥ .

٤٣. لقاء مع عبد الفتاح تيه ، مصدر سبق ذكره .

٤٤. لواء ركن رمضان زايد كوكو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦

٤٥. نفس المصدر ، ص ٥٨ .

٤٦. العميد الركن مدني عبد الوهاب مصدر سبق ذكره ، ص ٦٠ .

٤٧. لواء ركن رمضان زايد كوكو ، مصدر مسق ذكره ، ص ٦٠ .

٤٨. سراج الدين عبد الغفار عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٠ .

٤٩. لقاء مع صالح الياس عضو تنظيم ابناء النوبا ـ الموظف بمحكمة الرهد واخيراً ادارة السلام و التنمية بجنوب كردفان ـ كادقلي ابريل ١٩٩٢ م .

٥٠. المصدر نفسه ، لقاء صالح الياس .

٥١. سراج الدين عبد الغفار ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٣ .

٥٢. العميد الركن مدني عبد الوهاب ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣ .

٥٣. لقاء مع محمد حماد كوة اجرته صحيفة السوداني ، العدد (٤٥٢) بتاريخ السبت ١٩٨٧/١٢/٥ م .

الباب الثالث

الصراع المسلح في جبال النوبا

الفصل الاول

الاسباب التي أدت الى قيام التمرد بجبال النوبا

ظلت قضية جبال النوبا منحصرة في صيحات أبنائها الذين شكلوا عدداً من الكيانات السياسية الاقليمية التي تعبر عن رفضهم لواقع المنطقة و تخلفها عن ركب التقدم ، و ظلت الشكوى منحصرة في التخلف و الظلم الاجتماعي ، الى ان تطور الامر بانضمام مجموعة من ابناء النوبا الى حركة التمرد بجنوب السودان في عام ١٩٨٤م ، مما اعطى القضية بعداً جديداً. و تطور تأثيرها فيما بعد ليتجاوز الدمار الذي لحق بالمنطقة من جراء التمرد الى اتهام السودان من قبل الدوائر المعادية له بممارسة الاضطهاد الديني و ابادة العنصر النوباوي ، و هي الاتهامات التي حاولت أن تكسب من ورائها حركة التمرد الرأي العام العالمي الى صفها . واذا كانت هذه بعضاً من نتائج التمرد ، فانه من المناسب ان نتعرض فيما يلي الى مسبباته :

الظلم الاجتماعي :

عمل الاستعمار منذ دخوله البلاد على خلق فوارق بين الجماعات الزنجية والعربية، و ذلك بتنفيذه لسياسة المناطق المقفولة التي حققت جزءاً من اهدافها المتمثلة في الظلم الاجتماعي الذي وقع على هذه المناطق نتيجة للعزلة التي ضربها الاستعمار عليها . و ما زال الى وقت قريب العري و السلوك البدائي الذي يكاد يشبه سلوك الانسان الاول صورة ملموسة في الجزء الجنوبي من منطقة جنوب كردفان. كما ان تهميش المنطقة و عدم نيلها حظها من التعليم و التنمية بصورة متوازية منذ عهد الاستعمار و مروراً بالحكومات الوطنية المتعاقبة ادي الى تخلفها، مما دفع معظم ابناء الجبال الى الهجرة الى المناطق الشمالية ليمارسوا الاعمال الهامشية التي لا تليق بسمعه و هيبة قبيلتهم. الجيل الجديد الذي تعلم في الشمال و ما زال مرتبطاً بأهله في جبال النوبا اصطدم بالواقع المرير الذي تسبب

فيه المستعمر و من بعده الحكومات الوطنية ، فولد هـذا الدافـع المرير و التهميش المتـوارث الحقـد الاعمـى في نفوسـهم و انعكـس ذلـك سلباً في تركيبـة الكيـان الاجتماعي القومي. لذا عندما ظهـر قرنـق علـى مسـرح الاحـداث رافعـاً دعوتـه المسماه "تحرير السودان" انضم اليه عدد كبير من ابناء المنطقـة الذيـن يعتقـدون ان اخوانهم في الشمال هم سبب تعاستهم .

السياسة الاستعمارية :

و ان كنا قد تناولنا دور المستعمر و سياساته في سياق البحـث ، الا اننـا لا بـد ان نفرد له حيزاً بين المسببات ، ذلك لان سياسات الاستعمار التي طبقها في المنطقـة كان حصادها الذي تم جنيه هو التمرد، سواء في جنـوب السـودان او فـى منطقـة جنوب كردفان .

لعب الاستعمار دوراً كبيراً في بـذر بـذور الفتنـة و الشـقاق. و قـد بـنى سياجاً قانونياً بدأ بقانون المناطق المقفولة الذي يحرم دخول مناطق جبـال النوبـا الا بـاذن من السطات الاستعمارية في ذلك الوقت . ثـم وضـع منهاجـاً للتعليـم اسـوأ مـن قانون المناطق المقفولة . اذ انشأ مدارس للعرب و اخرى للنوبا . و كذلك الحال بالنسبة لقوة دفاع السودان عندمـا كـانت هنـالك وحـدات (بلكـات) للعـرب و اخرى للنوبا. و كانت تعرف بهذه الاسماء العرقية .

هذه و غيرها من الاسباب كانت كفيلة بان تزرع الفتنة بين ابناء الوطـن (سياسـة فرق تسد) وتتسبب في تهديد الوحدة داخل الوطن الواحد .

سياسة الحكومات الوطنية منذ الاستقلال :

لم تلتفت الحكومات الوطنية بعد الاسـتقلال الى محـو آثـار السياسـة الاسـتعمارية الرامية الى خلق اكثر من ثقافة تعليمية بالسودان ، خاصـة في المنـاطق الـتي تـأثرت مباشرة بسياساته كمنطقة جبال النوبا . اذ لم توضع مناهج للتربية الوطنيـة لكسـر الحاجز النفسي ، كما لم يتم توزيع الخدمات بطريقة عادلة تحفظ لانسـان الريـف

الحد الأدنى من الاحتياجات الضرورية الاساسية كخدمات التنمية، وكذلك لم يتم توزيع السلطة بحيث تتحقق للنوبا المشاركة في السلطة . مما ولد احساساً لدى البعض باحتكار بعض جهات السودان للسلطة والخدمات و الثروات القومية.(١)

التركيبة السياسية و الممارسات الحزبية :

تضافرت عدة عوامل لتشكل الواقع السياسي في منطقة جبال النوبا. و تاريخياً كانت المنطقة من مناطق نفوذ حزب الامة باستثناء بعض الاجزاء الشرقية التي تعتبر معاقل للاتحاديين. بعد ثورة اكتوبر برزت الى الساحة السياسية قوى اقليمية مثل مؤتمر البجا و نهضة دارفور ، لذلك جاء التعبير عن هذه الحقيقة في منطقة جبال النوبا بقيام اتحاد عام جبال النوبا . و قد تمكن الاتحاد بسرعة من سحب البساط من تحت اقدام حزب الامة باستغلال واقع التخلف وتأجيج المشاعر العنصرية الذي برع فيه حينذاك الأب فيليب غبوش الذي يعتبر القيادة التاريخية للنوبا .

و بقيام ثورة مايو ١٩٦٩م وحلها للأحزاب السياسية و احتكارها العمل السياسي، هدأ موران الحزبية و القبلية في المنطقة. الا انه بمجئ انتفاضة رجب / أبريل ١٩٨٥م ، عاد الواقع السياسي ليتشكل وفقاً للمعطيات التي بقيت في الساحة آنذاك ، و افرز الواقع السياسي ما يلي:

اولاً : نتيجة لتراكم عوامل التخلف كان هناك شعور قوي وسط النوبا بالظلم الاجتماعي، وبالتالي ولد ذلك استعداداً نفسياً للاصغاء الى الاطروحات العنصرية ، و قد تعزز هذا الشعور عند المتعلمين فكانت الاستجابة للشعارات التي رفعتها حركة التمرد بانصاف الاقاليم المظلومة و التخلص من هيمنة بعض العناصر المتسلطة. و تعززت الاستجابة للشعارات بالانضمام العملي الى الحركة بدخول ابرز قادة تنظيم ابناء النوبا الى الغابة و على رأسهم يوسف كوة مكي .

ثانياً : على المستوى الداخلي نشأ تناقض في صفوف ابناء النوبا بين طبقة المثقفين الواقعة تحت تأثير اليسار، و بين القيادة التاريخية التي يمثلها الاب غبوش واعوانه ، و قد ادى ذلك الى قيام كيانين سياسيين هما الحزب القومي بقيادة غبوش و اتحاد عام جبال النوبا بقيادة دكتور الامين حمودة . و استطاع الاب فيليب غبوش للاعتبارات التاريخية و لبراعته في دغدغة المشاعر العنصرية ان يستحوذ على النفوذ السياسي وسط النوبا بصورة عامة ، الشئ الذي لم تجد معه مجموعة من ابناء النوبا من خيار غير الانضمام الى حركة التمرد للتعبير عن نفسها و تطلعاتها .

ثالثاً : نتيجة للتنافس السياسي على المنطقة بين حزب الامة المستند على البقارة و الحزب القومي المستند على النوبا، جعل الصراع السياسي في المنطقة يأخذ ابعاداً قبلية و عنصرية ؛ و قد أدى ذلك الى تنامي الصراع بين العرب والمجموعات الافريقية .

رابعاً : اتخذ اليسار السوداني استراتيجية تقوم على جعل العناصر الافريقية سلاحاً يستخدمه في مواجهة التوجه الاسلامي . و في هذا الاطار كان التركيز على منطقة جبال النوبا بأساليب و تكتيكات متعددة كان من ضمنها انضمام عدد من كوادر اليسار الى حركة التمرد من ابناء المنطقة . (٢)

خامساً : لعبت الاحزاب السياسية طوال فترة الديمقراطية التي مرت على البلاد دوراً أساسيا في تهميش المنطقة ، فقد كان همها الاول الوصول الى السلطة بما تكسبه من مقاعد دون النظر الى احتياجات المنطقة وأهمية صهرها في بوتقة القومية.

و كان حرصها على شراء الذمم و محاولة بسط نفوذها عن طريق ابعاد المناوئين لها بشتى الطرق و الاساليب جعلها تتصرف و كأنها غير مدينة للمنطقة طالما دفعت الثمن مقدماً ، فكانت سبباً من أسباب الفرقة و الشتات . و كان اجتهاد

الأحزاب لنيل أصوات الناخبين في المنطقة بأي ثمن جعلها تسعى الى استقطاب التأييد عن طريق تسليح بعض القبائل . و سعى البعض الآخر الى تقوية موقفه الانتخابي بتأييد التمرد و التحريض عليه تلميحاً و تصريحاً ، بل الانضمام اليه للحصول على السلاح . و هناك احزاب عززت الدعوة الى التمرد عبر براجمها وندواتها السياسية (٣) . اضافة الى انحياز البعض الآخر الى قبائل معينة ، وهي الأحزاب التي وضعت استراتيجيتها المستقبلية متخذة العرقية اساساً لها ، الامر الذي افسح المجال للشك في ان بعض الاعراق تسعى الى ابادة البعض الآخر .

اضف الى ذلك، الظلم السياسي الذي شعر به ابناء النوبا لعدم مشاركتهم في الحياة السياسية على المستويات العليا رغم مساهمتهم التاريخية في النضال الوطني ، اذ لم يمثل النوبا في أي موقع سيادي منذ الاستقلال الا فى ٣٠ يونيو ١٩٨٩م عندما اصبح احد ابناء النوبا و هو العميد ابراهيم نايل ايدام عضواً في مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني .

و من ذلك ايضاً ان النوبا ومنذ الاستقلال لم يتولوا الى اليوم الا اربع وزارات، اثنتان منها في عهد الانقاذ، وهذه الوزارات هى :

١- وزارة المواصلات، شغلها في اوائل عهد مايو المرحوم محمود حسيب .

٢- السياحة و الفنادق التي تبادلها امين بشير فلين و محمد حماد كوة في اواخر الديمقراطية الثالثة .

٣- وزارة الشباب و الرياضة التي شغلها العميد ابراهيم نايل ايدام في عهد الانقاذ الوطني .

٤- و اخيراً وزارة التربية و التعليم التي يشغلها حالياً د. كبشور كوكو .

حدث هذا في وطن ينبغي ان تكون فيه الموازنة السياسية بين القوميات ذات الخصوصية امراً حتمياً ، مما جعل النوبا ينهضون للمطالبة بحقوقهم عن طريق التوجهات الاقليمية التي تطورت فيما بعد وجعلت البعض يحملون السلاح.

و لنستمع في هذا السياق الى لقاء أجرته صحيفة (الراية) الناطقة باسم الجبهة الاسلامية مع يوسف كوة بأديس أبابا في ابريل ١٩٨٤م، إذ قال في رده على ما ذكره مراسل الصحيفة من ان العمل العسكري لجلب مطالب النوبا ليس خيار جماهير النوبا لان لهم حزبا ممثلا في الجمعية التأسيسية يعبر عن مطالبهم في اطار النظام الديمقراطي الذي ارتضوه، قال كوة يومها: ((صيغة العمل السياسي لجبال النوبا ليست صيغة جديدة. فمنذ عام ١٩٦٤م رفعت جبال النوبا مطالبها، فماذا حدث ؟ .. اتهمونا بالعنصرية و مارسوا علينا ضغوطاً .. عنصرية ماذا؟! ألأننا قلنا الجبال متخلفة و طالبنا بتحسين الاوضاع؟ .. الاحزاب كانت تجلب نوابها من الخرطوم ليرشحوا في جبال النوبا ... هؤلاء النواب المستوردون ما كانوا يعكسون مشاكل المنطقة والتي هي مشاكل مطلبية بحتة، عندما قام اتحاد عام جبال النوبا قالوا اننا عملاء اسرائيل و بذلوا جهدهم لتشويه صورتنا ... هؤلاء الناس كانوا يتعاملون مع النتائج دون النظر الى المسببات، لم يسألوا لماذا قام اتحاد جبال النوبا و لماذا قامت نهضة دارفور و اتحاد البجا . لو انهم عالجوا هذه الاسباب لكان الوضع الراهن غير هذا ... كنت عضواً في مجلس الشعب الاقليمي. وعندما كنت اتحدث عن مشاكل المنطقة يتهمونني بالعنصرية. لهذا وصلت الى نتيجة هي ضرورة رفع السلاح لان التأييد السياسي وحده لا يحل المشكلة)).

و في اجابته على سؤال الصحيفة: هل هناك مدرستان احداهما يمثلها الاب فيليب غبوش من ناحية و أمين فيليب و مجموعته من ناحية أخرى، و مدرسة يمثلها كوة بنهجه الداعي الى حمل البندقية ام ان هاتين المدرستين تكملان بعضهما البعض و هل هناك تنسيق بينهما؟ اجاب يوسف كوة : ((ما اقوله ان هنالك محاولات للحل السلمي و لكنها لم تؤد الى نتائج لذلك لجأت الى عملية حمل السلاح لان السلاح اثبت نتائج ايجابية في الجنوب و سيؤدي الى نتائج اكثر

ايجابية في المستقبل ... السلاح ليس غاية في حد ذاتـه و لكنه وسيلة و اسلوب سياسي ايضاً ، وسيلة الى نفس الهدف ، علماً بأن صوت البندقية أقوى من صوت اللسان. و لكن عملهم ايضا شيء مهم و مكمل لعملي ، و ارجو الا يتخذ هذا ذريعة لوضعهم في السجن ، نحن جميعاً نعمل من اجل المنطقة. ذاك اسلوبهم و هذا اسلوبي)). و يواصل يوسف كوة حديثه حول اسباب المشكلة في نظره .. ((الصادق المهدي لو هو حقيقة وطني عليه ان ينزل " شوية " من برجه العالي و يتعامل مع مقولاتنا على اساس انها حقائق . هناك عدم مساواة في التمثيل في السلطة و هناك مناطق متخلفة لا تجد اهتماماً من قبل السلطات ، انه و منذ استقلال السودان يتحكم في شؤوننا شريحة من الاسياد و ان المواطنين مقسمون الى درجات اولى و ثانية و ثالثة ... في اعتقادنا هذه الاشياء موجودة و نرى ان المخرج منها مناقشتها باستفاضة ووضوح)). (٤)

هكذا لخص يوسف كوة اسباب التمرد في المنطقة. ومع ان الاسباب التي أوردها وجيهة، الا انه كان يمكن حلها بغير الطريق الذي سلكه هو و رفاقه الذين حملوا السلاح لان ذلك ادى فيما بعد الى معاناة لا حصر لها بالنسبة لمواطني المنطقة الذين قيل انهم يطالبون بحقوقهم .

سادساً : ادى ضيق أُفق الحكومة الحزبية في فترة الديمقراطية الثالثة الى تثبيت اقدام التمرد في جبال النوبا ، فقد دخل حزب الامة طرفاً في الصراع بتسليح القبائل العربية و السعي الى اقامة ما سمي بالحزام العربي، و نتج عن ذلك انضمام اعداد كبيرة من النوبا الى حركة التمرد بغرض الحصول على السلاح لرفع الظلم الذي وقع عليهم، فقد شجع موقف حزب الامة القبائل التي حظيت بالسلاح على تصفية حساباتها مع خصومها من القبائل الاخرى او التحرش بهم.. و ان كان حزب الامة قد بنى سياسته تلك في اطار مقاومة التمرد الا ان الشعارات التي رفعت و الكيفية التي عولجت بها المشكلة فهمت من قبل الاطراف الاخرى على

انها حملة ضد المجموعات النوباوية بأسرها، و ربما كان لافراد التمرد دور في تأجيج هذا الصراع لمصلحتهم بغية ان ينضم اليهم اعداد من ابناء النوبا. وقد افلحوا بالفعل في هذا الامر . اضف الى ذلك ان مدخل الحكومة الحزبية آنذاك للمشكلة كان مدخلاً أمنياً بحتاً و لم يكن لديها أي تصور لحل المشكلة على اساس سياسي مما زاد الوضع توتراً. و يبرز ذلك في عدم تحري الدقة في التمييز بين التمرد الحقيقي و الصراع القبلي، مع التعسف في استخدام القوة ضد بعض العناصر ، و قد تكون في بعض الاحيان لبلاغات كيدية من بعض الافراد ، مما ادى بالكثير من المواطنين الى التصور بأن الحكومة و اجهزتها الامنية منحازة بالفعل الى العناصر العربية في حربها مع العناصر الزنجية .

سابعاً : افرزت الحركة السياسية في المنطقة تناقضات معينة وسط قبائل النوبا من ابرزها ما يلي :

(أ) وجود شعور وسط قبائل النوبا في المنطقة الجنوبية (مركز كادقلي) بهيمنة قبائل المنطقة الشمالية (مركز الدلنج). هذا الشعور كان وراء قيام ما سمي (بمنظمة شباب كادقلي) التي اسسها يوسف كوة قبل انضمامه الى حركة التمرد ، كما انعكس هذا الشعور في شكل صراع داخل الحزب القومي في العهد الحزبي السابق. اضافة الى وجود شعور لدى قبائل النوبا بصفة عامة بهيمنة قبيلة النيمانج نظراً لان التمثيل السياسي للنوبا تركز على قلته عبر التاريخ في هذه القبيلة لكثرتها العددية و ارتفاع نسبة التعليم فيها .

(ب) التنازع السياسي بين المسلمين و المسيحيين .. فقد ظل التمثيل السياسي للنوبا محتكراً للأب فيليب غبوش المسيحي رغم غلبة المسلمين العددية. و من الواضح ان الدوائر الكنسية كانت حريصة على القيادة المسيحية للنوبا ، و اذا كانت سلبية المسلمين في الماضي قد حالت دون بروز التنازع الاسلامي -

المسيحي على زعامة النوبا ، الا ان الامر اصبح يبرز الى السطح. ومن المرجح ان يصبح أكثر بروزا مع تصاعد تيار الاسلام السياسي في المنطقة .

المرارات الناتجة عن بعض التجاوزات :

انضمت فئة اخرى الى التمرد كرد فعل سريع لعمل طائش قام به بعض الافراد داخل الاجهزة الرسمية السياسية منها او الامنية ، مثل احتكاك بعض المسؤولين في السلطة الاقليمية في ذلك الوقت في خصومات شخصية مع بعض ممثلي جنوب كردفان في مجلس الشعب مما اضطر هؤلاء فيما بعد الى الانضمام الى حركة التمرد و هو ما حدث بالضبط مع يوسف كوة نفسه وآخرين من قادة الحركة .

الترغيب و الترهيب و الهروب من العدالة :

انضم البعض الى التمرد تحت تأثير التضليل، حيث جزمت لهم حركة التمرد بأنهم حكام الغد و ان امانيهم ستتحقق لا محالة بدءاً بالمشاريع الزراعية بالمنطقة و انتهاءاً بمقاعد السلطة والقصور الفخمة في الخرطوم، كما انضمت فئة اخرى تحت تأثير التهديد، فقد سيقت مجموعات اخرى كبيرة من الشباب عنوة الى معسكرات التدريب . ووجدت مجموعات اخرى نفسها تحت قبضة التمرد دون ارادة منها . اضافة الى انضمام البعض ناجياً بجلده من مخالفات قانونية ارتكبوها ضد بعض الافراد او الدولة توقعهم تحت طائلة القانون . (٥)

الشعور بضياع الهوية :

هنالك شعور بالاستلاب الحضاري و ضياع الهوية لدى معض المجموعات داخل السودان ، خاصة في اوساط المثقفين من بين تلك الفئات بتأثير محاولات طمس الهوية الافريقية للسودان لحساب التوجه العروبي . ويرجع هذا الشعور الى تضافر عوامل عدة داخلية و خارجية تغذيه، مما يقوي روح العزلة و التمحور حول الذات لدى تلك المجموعات .

الضعف الاداري و غياب الوجود الرسمي في المنطقة :

كانت نتيجة الضعف الاداري الذي عانت منه المنطقة منذ عهد الاستعمار و مروراً بالحكومات الوطنية ، أن فقدت المنطقة أهميتها الادارية ، خاصة في ظل الحكومات الوطنية التي قلصت الوحدات الادارية وركزت السلطة في شمال كردفان حيث رئاسة المركز و المديرية . ففي بداية السبعينيات اعيد الى المنطقة وضعها الاداري في ظل الحكم الاقليمي ، لكن مع بداية التمرد في الجنوب تقلصت الوحدات الإدارية مرة اخرى و سحب معظم الموظفين، الشيء الذي ترك فراغاً ادارياً ساعد في فقد السيطرة على المواطنين الذين فضل بعضهم الانضمام الى التمرد. في ظل هذا الاهمال و الغياب الاداري، إضافة الى ما ذكر سابقاً، نجد ان الغياب المستمر للاجهزة الرسمية فى المنطقة، شكل واحداً من العوامل التى ساعدت على تدهور و إنفراط الأمن، إذ كان المجلس يدار من رئاسة المنطقة، وكان الاداريون في المواقع المختلفة لا يرغبون في البقاء هنالك لتصريف اعبائهم. فكان هذا الفراغ الاداري المتكرر سبباً لحدوث بعض الممارسات الخارجة عن القانون، دون ان تجد المسؤول الذي يتصدى لها في حينها. فكثرت احداث السلب و النهب، ودخلت المنطقة بعض العناصر المشبوهة لزعزعة الامن و الاستقرار . هذا بخلاف القضايا الادارية الاخرى المتعلقة بالنزاعات على الحدود الادارية. فكان من الطبيعي إزاء هذا الموقف ان يتدهور الامن في غياب السلطة الادارية و اذرعها الاخرى. (٦)

الادارة الاهلية :

ترك حل الادارة الاهلية فراغاً ادارياً كبيراً استغله المتمردون لبسط نفوذهم على الارياف . ففى غياب السلطة التي كانت تتمتع بها الادارة الاهلية وفعاليتها في حسم قضايا المنطقة اولا بأول وتمحور المواطنين حولها، كان من الطبيعي ان يخترق التمرد مثل هذه المناطق بسبب الفراغ الذي شكله غياب الادارة الأهلية، اضافة

الى ان الوجود الرمزي للادارة الاهلية فـي بعض المناطق كان مهمشاً من قبل الدولة، اذ لم تهتم بهم السلطات المحلية، اضافة الى ضعف بعض رجالات الادارة الاهلية انفسهم . خلق هذا الفراغ الامني في القرى و الفرقان و مناطق الرعي والزراعة جملة من الحقائق على النحو التالي :

أ- غياب المعلومة الذي ادى الى تفاقم المشكلات الامنية .

ب- عدم وجود رجل الدولة القريب الى المواطنين حتى تتحقق سرعة وصول البلاغ وسرعة اتخاذ الاجراءات الطارئة، امنية كانت ام ادارية، و مجابهة الاخطار .

ج- تغلغل المتمردين في القرى والفرقان وتأثيرهم على المواطنين بادخالهم في التمرد او ارغامهم على مده بالمعلومات وبالاحتياجات الضرورية، او اخذ اطفالهم لتجنيدهم ضمن قوات التمرد، دون ان يجد افراد التمرد من يتصدى لهم أو يحمي المواطنين من بطشهم.

د- بُعد السلطات سهل تحركات المتمردين و أشعر المواطن بأن التمرد أقرب اليه من السلطة الرسمية . مما جعله فريسة سهلة للتمرد ودفعه الى الانضمام الاختياري او الإجباري الى التمرد.

هـ- غياب رجل الادارة الاهلية ادى الى عدم حل المشاكل القبلية و النزاعات التي ادت بالافراد و الجماعات الى الانضمام الى التمرد.

و- عدم وجود قيادة موحدة للقبيلة في حالة الكوارث و هجمات الخوارج جعل تلك المجموعات في حالة تفكك ووقع البعض منها لقمة سائغة للتمرد .

دور المنظمات الاجنبية :

أدى النشاط غير المنضبط للمنظمات الاجنبية تحت ستار الاغاثة الى نشر الافكار والدعوات المشبوهة التي ساهمت في بذر الفتنة. كما ساهمت بعض المنظمات في دعم التمرد بصور مباشرة و غير مباشرة .

دور التعليم و الاعلام

عانت جبال النوبا من ارتفاع نسبة الامية و ضعف الوعي السياسي في المنطقة ، اضافة الى ضعف التغطية الاعلامية وعجز الاعلام الرسمي و المحلي عن كسر الحاجز النفسي والاجتماعي و بناء الثقة وبذر روح التآلف و المحبة بين قبائل المنطقة ، خاصة ساعة اندلاع التمرد و بروزه - و هو الدور الذي لعبته فيما بعد اذاعة الجهاد بكادقلي التي كانت تخاطب قطاعات المواطنين الذين انضموا او بقوا داخل مناطق التمرد بلهجاتهم المحلية زارعة الثقة في نفوسهم وداعية الى الانضمام الى حضن الوطن مما سهل من عودتهم فيما بعد. وقد ساهم غياب التوعية الاعلامية إضافة إلى تفشى الأمية في وقوع المواطن البسيط فريسة لدعاية التمرد.

السلاح غير المقنن :

انتشار حمل السلاح غير المقنن وسوء استخدامه و سهولة الحصول عليه تحت ستار الدفاع عن النفس شجع بعض المغامرين على استخدامه في قطع الطرق ، و شجع آخرين على الانخراط في حركة التمرد في بعض الاحيان بغرض الحصول عليه. وهنالك مقولة انتشرت بالمنطقة في تلك الايام (العندو كلاش العيشة بلاش).

تفريغ العاصمة القومية (الكشات) :

لأسباب امنية و اقتصادية و اجتماعية و سياسية لجأت حكومة الخرطوم في عهد نميري الى تفريغ العاصمة فيما عرف بـ (الكشة) التي هدفت إلى ترحيل بعض العناصر الوافدة التي لا عمل لها واعادتهم مرة اخرى الى مناطقهم بقصد اعادة تعميرها . شملت هذه (الكشات) بعض من ابناء الاقاليم الجنوبية وجبال النوبا ، و قد صاحب هذه العملية الكثير من الممارسات غير الكريمة ، و قد فسر هذا من قبل هذه العناصر بأنه ضرب من ضروب التفرقة السياسية و الاجتماعية

بين ابناء الوطن الواحد . و قد استغلت حركة التمرد هذا المدخل إيما استغلال لتوغر صدور هولاء و تعمل على ضمهم الى صفوفها ، و نجحت بالفعل في ضم الكثيرين منهم .

الواقع الاقتصادي و دوره في تأجيج الصراع :

لا شك ان طبيعة الحياة الاقتصادية لاي مجتمع لها االأثر الاكبر في حركته وتوجهاته، و يمكن تلخيص أهم سمات الواقع الاقتصادي في منطقة جبال في النقاط التالية :

(ا) بالنظر الى اعتماد الغالبية العظمى من النوبا على الزراعة التقليدية و بدائية وسائل الانتاج ، فان المنطقة عموماً تعاني من التخلف الاقتصادي ، و لم تشهد أي جهود جادة للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية باستثناء محاولات التحديث في المجال الزراعي التي بدأت في عام ١٩٧٢م ، الا ان هذه التجربة نفسها لازمها الفشل فيما بعد نتيجة لسوء الاوضاع الادارية و محدودية الامكانيات .

(ب) في محيط الفقر الذي يعيش فيه معظم سكان المنطقة توجد مشروعات الزراعة الالية في مناطق هبيلا ، كرتالة ، ام لوبيا ... إلخ . هذه المشاريع لم تراع في توزيعها أية اعتبارات ذات صلة بالعدل الاجتماعي ، بحيث اصبح اكثر من ٨٠ ٪ من الارض مملوكة لجهات من غير السكان الاصليين ، كما لم تساهم هذه المشروعات بقدر يذكر في تنمية المجتمع المحلي بل ان مساهمتها في التنمية الاجتماعية تذهب الى خارج المنطقة، (أي المواطن الاصلية لاصحاب هذه المشاريع) و كانت النتيجة ان تولد شعور طاغ بالغبن استغل فيما بعد لتأجيج حدة الصراع .

(ج) من الحقائق الاقتصادية ايضاً وقوع السكان المحليين لاسباب كثيرة تحت طائلة استغلال بعض من التجار المعروفين بفئة (الجلابة) و ذلك بتبخيس هذه الفئة لمنتجات المواطنين المحلية حين شرائها ، و في نفس الوقت رفع اسعار بضائعهم

عند البيع ، وهي في كثير من الاحيان من المنتجات المحلية نفسها . ولد هذا الواقع شعوراً بالكراهية تجاه الجلابة. و لاغرو أن يكون من اهم اهداف رابطة ابناء جبال النوبا التي ذكرناها سابقاً " محاربة الفئة الهدامة " و قد كان تعريف الفئة الهدامة في دستور الرابطة انها طبقة التجار الجلابة .

الدور الذي لعبته الكنيسة في الصراع :

استفادت الكنيسة من الوجود الاستعماري لتمكين وجودها و تثبيت اقدامها بانشاء المدارس و الكنائس و الارساليات و سن القوانين المقيدة لحركة المسلمين من القبائل غير النوباوية، و ذلك كله كان تمهيداً لاحداث الصراع و الدخول فيه.

ركزت الكنيسة بعد الاستعمار على المنطقة الوسطى " النوبا الوسطى " و هي مناطق قبائل كبيرة مثل المورو و اطورو و تيرا و لمن و الشواية و كندرمة وكرنقو. وهي المناطق التي نفذ فيها قانون المناطق المقفولة و اغلقت فعلاً في وجه العرب، حيث نشرت الكنائس مصلياتها ورعاياها في المنطقة لدعم اغلاق المنطقة وتمييزها دينيا، إذ كان الاسلام و التصاهر و التعايش مع المسلمين من المظاهر التي سعت الكنيسة و من قبلها الاستعمار الى محوها.

استغلت المنظمات الكنسية حرية التبشير في السودان و باتت تعمل دون رقيب او حسيب ، و تبين فيما بعد ان بعض قادة التمرد كانوا يشغلون وظائف نسبية مثل قس حبال اندولو. و كذلك رصدت اتصالات بين الكنيسة الام في الابيض والكنائس في جنوب كردفان، الامر الذي دعا الاجهزة الامنية الى ان تستولي على احهزة الاتصال التي كانت تستخدمها الكنيسة الام (٨) .

اضافة الى اننا نجد أن قاعدة التمرد تتمركز في المنطقة الوسطى التي اشرنا اليها والتي تغلب عليها المسيحية و الوثنية ويقل فيها عدد المسلمين . لذا وجدت حركة التمرد الطريق ميسورة للسيطرة على هذه القبائل، بينما لم تجد الحركة الا

صدوداً و تمنعاً من قبائل الغلفان و الجبال الستة و الأجانج عموماً ، و كذلك لم تجد حركة التمرد الا المقاومة العسكرية العنيفة عند القبائل العربية و الاسلامية مثل تقلي و الليري و الأجانج و ميرى و ذلك لانتشار الاسلام و انعدام التبشير المسيحي ، مما يؤكد الدور الذي لعبته الكنيسة في التمهيد للحركة المتمردة و دعمها . و هناك بعض الاساليب التي اتبعتها الكنيسة لتأجيج الصراع و نشر فكرها وبسط سلطانها في المنطقة ومن هذه الاساليب الآتي :- (٩)

١- عملت الكنيسة على نشر الكراهية بين المواطنين للعناصر المسلمة باعتبارهم طابوراً ضد الكنيسة .

٢- كانت الكنيسة مكاناً لتجمعات كبيرة من المواطنين من الجنسين من الشباب يتم فيها بث افكار التمرد و عرض بعض الافلام عن تعذيب البيض للزنوج في جنوب افريقيا و يدعون بأن هؤلاء يعذبون ليدخلوا الاسلام. و مثال لذلك ما كان يحدث في عام ١٩٨٦م بكنيسة عيري .

٣- كانت هذه الكنائس تخفي داخلها قادة التمرد، اضافة الى عقد الاجتماعات السرية بها ورسم الخطط .

٤- تم استخدام وسائل نقل الكنيسة و مواصلاتها لاغراض التمرد و تحركاته داخل المنطقة ، و مثال لذلك جرار القس (فضل) الذي وضع تحت تصرف المتمرد الامين ابو صدر بمنطقة القس .

٥- قام التمرد بايعاز من الكنيسة باضعاف مادة العمل الاسلامي و دعائمه في القرى و الفرقان على مستوى جبال النوبا ، حيث تم قتل العديد من ائمة المساجد و رجالات الطرق الصوفية و زعماء القبائل من المكوك و الشيوخ المسلمين ، في الوقت الذي لم يثبت ان تعرض أي قس او شخصية مسيحية طوال فترة التمرد للقتل او الاختطاف او الحرق .

٦- التجنيد و الحث على التمرد : قام بذلك الكثير من القساوسة. و أكثر القبائل التي ظهر فيها التمرد هي القبائل المسيحية مثل المورو و هيبان. و بلغ ذلك النشاط ذروته في منتصف الثمانينيات عندما تمردت مجموعة سايمون كارلو و هو مسيحي من ابناء هيبان .

٧- الامداد بالأدوية و الكساء .. مما جعل السلطات الامنية توقف الوحدة العلاجية بالكنيسة في تلك الفترة .

٨- تمرير المعلومات عبر شبكة الاجهزة اللاسلكية في الداخل و الخارج .

٩- استقبال الدعم الخارجي المقدم للتمرد .

فيما بعد رأى القائمون بالتبشير بأن الخطر الزاحف على المسيحية و المسيحيين في ازدياد و استفحل امره، خاصة و ان معظم الكوادر المؤهلة للعمل الكنسي قد ابتلعتهم حركة التمرد . و اقروا بأنهم اخطأوا الحساب عندما زجوا بكل عناصرهم المتمرسة على العمل في التمرد ، في الوقت الذي كانوا يعتقدون بأن النصر حليفهم دون شك و انهم سيقطفون ثمرة ذلك بأن تصبح زعامات المنطقة المنتصرة تحت امرتهم ، و لكن بمجئ نظام الانقاذ و اندحار التمرد في الجبال وأد الفكرة في مهدها مما جعلهم يغيرون من استراتيجيتهم تمشياً مع المرحلة الجديدة .

علاقة العمل الكنسي بالمنظمات الطوعية الاجنبية :

كان للكنيسة علاقة مباشرة بنشاط بعض المنظمات الاجنبية العاملة في مجال الاغاثة من حيث التخطيط و توجيه مسارها و عملها ، تمهيداً للتمرد و مساعدته من بعد . و مثال لذلك الآتي :

(أ) منظمة سودان ايد : تعمل تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية و هي مخولة بمد العون و القوت باسم الدعوة و التبشير ، ضمت في ادارتها كبار المتمردين و عملت على تمويل الجمعيات الزراعية و التعاونية بمنطقة دلامي .

(ب) منظمة اكشن ايد البريطانية : هذه المنظمة عملت بريفي الدلنج في سلارا ، حيث تلخص برنامج عملها في الارشاد الزراعي و بعض البرامج التعليمية لكن بالنظر الى الامكانيات التي كانت تستخدمها نجد أنها لا تتناسب و حجم العمل الذي تقوم به، حيث كان لديها ثماني عربات و ست عشرة دراجة نارية و يتكون مكتبها العامل من تسعة موظفين . هذه المنظمة اوكل اليها تقديم الدراسات و الخطط و البرامج و اعداد الكوادر اللازمة لقيادة العمل فيما بعد .

و قد افلحت هذه المنظمات وفقاً للمعلومات التي وردت للاجهزة الامنية في تنفيذ خططها ابان العهد الديمقراطي الاخير حيث قدمت (سودان ايد) اطناناً من الادوية و الغذاء الى الخوارج و قامت (اكشن ايد) بوضع الخرائط اللازمة للمعسكرات الحديثة بواسطة خبراء اجانب ، و على ذات المنوال أقامت (اليونسيف) من حيث تدري او لا تدري ٤٥٠ مضخة في طريق قوافل الخوارج من مناطق المورو و تيرا و اجرون و هيبان و ام دورين و سلارا و تلشي ، و قد تأخر مجيء الخوارج الى مناطق الكواليب لمدة اربعة اشهر لان العمل في هذه المضخات لم يكتمل .

بعد احداث ام دورين الشهيرة عام ١٩٨٧م التي دخل فيها الخوارج الى المنطقة واقتادوا عدداً كبيراً من المواطنين زار الصحفي الشهيد موسى علي سليمان المنطقة و اجرى تحقيقاً لصحيفة (الراية) حول دور الكنيسة في الاحداث نورد جانباً منه لعله يلقى الضوء في هذا الاطار (١٠) ففي سؤال ألقاه الصحفي على السيد الخير محمد علي المدير التنفيذي لمديرية جنوب كردفان ، و هو رئيس لجنة الامن بالمديرية حول صحة ما يتناقله الشارع و اتهاماته للكنائس بأنها تدعم التمرد؟ اجاب قائلاً : ((بالنسبة لنا كمسؤولين لم يتبين لنا بالدليل المادي تورط الكنائس في دعم حركة التمرد بمنطقة المورو ، الا انه من الثابت ان منطقة جبال المورو بها نشاط كنسي واضح. و ما يزال المسؤولون عن الكنائس موجودين في مناطقهم

حتى الآن و لم يغادروها بسبب الاحداث)) .. اما الملك نتو القط توتو ملك عموم قبيلة المورو فقد اجاب على السؤال : ((لم نكن نعرف التمرد من قبل و كنا نسمع به فقط و لا نعرف عنه شيئاً. و قبل ثلاث سنوات ظهرت ارهاصات التمرد في منطقة ام دولو بقيادة مبارك الماشا ، و هو مسيحي. و بدأ الامر يتطور بمساعدة الكنائس و بعدها ظهر التمرد في سرف الجاموس بقيادة بطرس الرماس - مسيحي - و هو رئيس المجلس الشعبي لسرف الجاموس ...)) و في إجابة للملك محمد الزاكي الفكي على الميراوي ملك قبيلة ميري التي ينتمي اليها يوسف كوة قائد التمرد ، حول لماذا كانت الاستجابة كبيرة للتمرد في اوساط المورو ؟ قال : ((هنالك جهات تحرض المورو على التمرد، و اقصد بذلك التبشير المسيحي الواضح ، و هو المسؤول عن تمرد ابناء المورو)) . ففي ام دورين ذكر المواطنون، الذين شملهم الاستطلاع عن قادة التمرد من ابناء المورو، ذكروا عدة اسماء كانت في غالبها لمسيحيين وثيقي الصلة بالكنيسة ، ثلاثة منهم قساوسة و هم على النحو التالي :

	الاسم	المهنة	الديانة	ملاحظات
١	مبارك الماشا	مزارع	مسيحي	اول متمرد من ابناء المورو
٢	هارون الفاضل	مبشر بكنيسة كركراية - العتمور .	مسيحي	قاد المظاهرات احتفالاً بدخول الخوارج و احرق منازل المسلمين في كركرايه العتمور
٣	بطرس الرماد	رئيس مجلس شعبي سرف الجاموس .	مسيحي	________
٤	الربكة الوردة	متفرغ	مسيحي	جند و هرب الشباب الى معسكرات التدريب
٥	داؤود ابو شنب	متفرغ	مسيحي	________
٦	موسى الرملة	قس كنيسة ام دورين	مسيحي	منزله كان مقر قيادة التمرد عندما دخلوا ام دورين و هرب مع الخوارج بعد دخول القوات المسلحة
٧	حسن الرملة	معلم تربية مسيحية بمدرسة ام دورين	مسيحي	هرب مع شقيقه بعد هزيمة الخوارج

٨	اسحق الطيار	قس كنيسة اللبو	مسيحي	هرب مع الخوارج بعد هزيمتهم في ام دورين
٩	برنابا متياس	معاون صحي ام سردبة	مسيحي	ـــــــــــــ
١٠	وليم رحمة	معاون صحي ام سردبة	مسيحي	ارتدى الزي العسكري المميز للخوارج قبل ساعات من دخول الخوارج لام سردبة
١٢	متى عمر ابو فارس	معاون صحي سرف الجاموس	مسيحي	كان ضمن اول ستة تلاميذ مسيحيين دخلوا مدرسة ام دورين الابتدائية في عام ١٩٧٢م - ١٩٧٣م
١٣	امريكا المعريس	متفرغ	مسيحي	من قادة التمرد بام دورين

بالنظر الى اسماء القادة الذين ذكرهم مواطنو منطقة ام دورين ، نجدهم جميعاً مسيحين كما ذكرنا ، مما يدلل على ان اصابع الكنيسة و بصماتها كانت واضحة في اشعال نار التمرد بالمنطقة . و يواصل شهود العيان شهادتهم حيث ذكروا : ((ان يوسف كوة اتخذ من كنيسة جبل احرون مقراً للقيادة ابان الحملة العسكرية التي قادها الخوارج لاحتلال ام دروين)).

حركة المبشرين الاجانب اثناء الاحداث :

أكد مصدر امنى (للراية) خلال ذلك الاستطلاع ان المبشرين و المشرفين على النشاط الكنسي كانوا يتجولون بحرية تامة اثناء الاحداث ، و لم تتوقف حركتهم الا بعد صدور قرار من السلطات المختصة بمنعهم من التحول . واضاف المصدر الامني ان رجال الكنيسة كانوا يتابعون حركة وحدات القوات المسلحة المتحركة في المنطقة ، من داخل مدينة كادقلي . حيث ذكر المصدر انه في احدى عمليات القوات المسلحة في المنطقة توفرت معلومات للوحدة بأن الخوارج يعسكرون في احدى الكنائس النائية في جبال النوبا ، و بناءاً على هذه المعلومات قامت القوات المسلحة بمداهمة تلك الكنيسة ، و لكن الخوارج كانوا قد غادروا المكان و بقيت آثارهم بادية للعيان . و في صبيحة اليوم التالي حضر احد قساوسة الكنيسة في كادقلي الى مقر القيادة في المديرية و سجل احتجاجاً على مداهمة القوات

المسلحة للكنيسة . و هنا واجهته القيادة بأن هذه الوحدة خرجت منذ ثلاثة ايام لتقوم ببعض العمليات ، و لا نعلم اين هي الآن بالتحديد، فمن اين لك هذا الخبر؟! و كيف وصل اليك بهذه السرعة؟! و ما يزال هذا السوال يبحث عن اجابة مقنعة على حد قول صاحب الاستطلاع.

كان قمة تصعيد الكنيسة لموقفها الداعم لحركة التمرد ، ذهاب المطران مكرم ماكس المشرف على الكنيسة الكاثوليكية الكبرى بمدينة الابيض الى الولايات المتحدة الامريكية و مخاطبة الكونغرس الامريكي مطالباً بدعم الخوارج و متهماً الحكومة السودانية بالعمل على تصعيد الحرب و رفض السلام، مما حدا بالسيد الصادق المهدي رئيس الوزراء آنذاك الى الرد على المطران و شجب نشاطاته المناهضة التى تسعى الى دعم الخوارج و تشويه سمعة الحكومة السودانية . (١١)

مما سبق يتأكد لنا الدور الذي لعبته الكنيسة و رجال التبشير المسيحي فى دعم حركة التمرد بالمنطقة على مستوى الكادر العامل او الدعم السياسي و الحركي و في مختلف المجالات على نحو ما اوضحنا .

الفصل الثاني

دخول الحركة الشعبية منطقة جبال النوبا

لم يكن دخول التمرد الى جنوب كردفان مفاجأة للعالمين ببواطن الامور ، فان تمرد النوبا و انضمامهم الى الحركة الشعبية لتحرير السودان يعتبر ثمرة جهود مضنية و عمل سري منظم تزامن كما اسلفنا مع اتفاقية اديس ابابا ١٩٧٢م ، وهو الابن الشرعي لتحركات الاب فيليب عباس غبوش فيما بعد .

ساهم وضع المنطقة المتميز و مجاورتها للعديد من المناطق في خلق الكثير من المشاكل الحدودية ، فجنوب كردفان بوضعها السابق تشترك في حدودها مع خمس مديريات هي شمال كردفان ، جنوب دارفور ، النيل الابيض ، اعالي النيل و بحر الغزال . فكثير من قبائل المنطقة تتداخل مصالحها و مناطق نفوذها الرعوية و الزراعية ، كل هذا تسبب في مشاكل قبلية كلفت الدولة الكثير في سبيل الهيمنة عليها وبسط الامن ، بجانب العديد من المؤتمرات القبلية و لجان المساعي الحميدة لحل هذه المشاكل و تبني الحلول وفقا للاعراف السائدة بين تلك القبائل.

و على الرغم مما ذكرنا آنفاً، الا ان هذه القبائل المتعددة ذات المصالح المتشابكة كانت تعيش في وئام و سلام بلغ درجة التزاوج و الصلات الرحمية ، الى ان بدأت بوادر الفتنة و الشقاق تظهر بجنوب كردفان في عام ١٩٨٣م ، و يمكننا ان نقسم دخول التمرد الى جنوب كردفان الى عدة مراحل على النحو التالي :

المرحلة الاولى :

تمتد جذور المرحلة الاولى الى ١٩٨٣م ، عندما بدأ البعض يحمل افكار التمرد و قبل هذا التاريخ كان الامر لا يعدو ان يكون صراعات قبلية ترجع جذورها الى عام ١٩٦٤م بين الدينكا و المسيرية في منطقة ابيي، و كان طابعها في ذلك الوقت قبليا، و ماتلاها من احتكاكات بين الجانبين كانت تعالج عبر مؤتمرات الصلح القبلية .

وفي عام ١٩٨٣م بدأت احداث الازرق (بحيرة الازرق) بمنطقة الفولة عندما هجمت قوة من الدينكا على بعض المجموعات العربية و نهبت ممتلكاتها، خاصة الثروة الحيوانية ، مما اضطر العرب الى إخلاء مواقع الازرق و ما جاورها و هي من اهم مصائف المجموعات العربية ، و تراجعوا الى الشمال ليستقروا في مصائف الابيض و كيلك. و مما زاد من الشقاق بين قبائل المنطقة ، القرار الاداري الذي قضى بضم منطقة كاكا التجارية الى منطقة اعالي النيل في عام ١٩٦٤م ، و قد ادى هذا الى ظهور الصراع حول مشاريع الطيارة و الحمرة و الخويتم. هذا الصراع بدوره أساء الى العلاقة بين القبائل المتجاورة، و بصفة خاصة اولاد حميد و الشلك و الدينكا ، بالاضافة الى امتلاك بعض القبائل للسلاح الحديث . وفيما بعد تطورت الأحداث لتنخرط بعض المجموعات النوباوية في حركة التمرد. في ذلك العام بدأ بعض ابناء الدينكا يظهرون على مسرح الاحداث و هم يحملون السلاح. و مثال لذلك ظهور طليعة منهم قوامها ثمانية افراد بمناطق القردود، أستطاعت القوات المسلحة متابعتهم و القاء القبض عليهم . (١٢) وفي عام ١٩٨٣م ايضاً ظهرت بوادر للتمرد في منطقة الليري، الا ان القوات المسلحة ايضاً تمكنت من القضاء عليه، و كانت دوافعه في ذلك الوقت عرقية و دينية مرتبطة بالصراعات بين المذاهب الكنسية المتعددة. و اخمدت الحركة في حينها .

الى ان جاء مطلع عام ١٩٨٤م محدثاً تطوراً نوعياً في اطار انضمام المنطقة الى ركب التمرد ، عندما شهد ذلك العام مولد الحركة بجبال النوبا بعد انضمام بعض المثقفين و السياسيين من جبال النوبا الى حركة التمرد و تكوين قيادة سياسية و عسكرية داخل التمرد من ابناء الجبال بقيادة يوسف كوة و دانيال كودي و آخرين ، و يعتقد ان انضمام يوسف كوة اضافة الى التراكمات التاريخية التي ذكرنا جاء نتيجة لضغوط مباشرة من حاكم كردفان آنذاك الفاتح بشارة لدرجة جعلت يوسف كوة يطلب الحماية من جهاز امن الدولة. و لكن باءَت مساعيه

بالفشل مما الجأه الى الهرب الى نيروبي ومن ثم الى اثيوبيا حيث التقى بقائد حركة التمرد بجنوب السودان، وكان ذلك بمثابة نصر كبير للحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق . (١٣)

كان ابناء الجبال الذين انضموا الى الحركة قد بهرهم شعار تحرير السودان ، و قد وجدوا ملاذاً داخل الحركة التي رحبت بهم داخل صفوفها باعتبارهم جزءاً مكملاً لديكورها الشمولي السوداني. و احتلوا في اطار ذلك الديكور مواقع قيادية، خاصة على المستوى السياسى (١٤) . بعد انضمامه الى الحركة عكف يوسف كوة على تجميع ابناء النوبا و تدريبهم بمعسكرات اثيوبيا و ارسالهم الى منطقة جنوب كردفان ، و اتخذوا في بادئ الامر منطقة فاريانق كرئاسة قيادة تنطلق منها عملياتهم الى داخل مناطق الجبال ، و قد استهدف التمرد اول ما استهدف العناصر العربية بالحدود و خطوط التماس كمرحلة اولى لتأمين عملياتهم و لاجلاء المجموعات العربية من مناطقها حتى يتمكنوا من الانطلاق الى المدن و القرى الآمنة لتحقيق اهدافهم الاستراتيجية و العسكرية . و يتضح ذلك من الاعتداءات التي وقعت على المناطق التي توجد بها عناصر عربية كمنطقة الليرى و القردود و الازرق و الابيض و الاحيمر ، حيث أُسر و قُتل العديد من المدنيين من المجموعات العربية و النوباوية المسلمة في بادئ الامر . و شهدت هذه الفترة أيضاً بداية انضمام الشباب الى حركة التمرد وإن لم يبدأ العمل العسكري المنظم داخل الجبال ، لكن بوادر التمرد بدت ظاهرة للعيان .

المرحلة الثانية :

بداية العمليات العسكرية :

استقبلت حركة التمرد بجبال النوبا العهد الديمقراطي و انتفاضة ابريل ١٩٨٥م بنشاط ملحوظ، مستفيدة من مناخ الحرية و الفوضى التي كانت طابع المرحلة

وعدم تحديد الاولويات و بروز الصراعات و الضغائن على الساحة ، لذا نشطت الحركة في تجنيد الشباب و زرع خلاياها في المدن و الارياف .

و يعتبر عام ١٩٨٥م بداية دخول الحركة الى منطقة جبال النوبا بشكلها العسكري (١٥) بعد الاعلان العسكري من قبل حركة قرنق بان المنطقة اصبحت منطقة العمليات رقم اثنين ، و ذلك عند اكتمال الكتيبة الاولى "بركان" التي اعدت خصيصاً للعمل في المنطقة ، و قد تم اعدادها في منطقة بلفام بأثيوبيا ، و قبل الدفع بها للعمل تم التمهيد لها بكتيبة اخرى سبقتها في الوصول للمنطقة و هى الكتيبة (حديد) و التي كانت تعمل في القطاع الشمالي لمديرية اعالي النيل .

كانت اول محاولة للكتيبة المعنية شكلت البداية الحقيقية لدخول الخوارج بقوة منظمة هي هجومهم في ١٧ رمضان ١٤٠٥هـ الموافق ٥ يونيو ١٩٨٥م على قرى القردود ، ام ردمي ، الازرق و كرندي و ما جاورها (١٦) ، و ذلك عندما رجمت القوة المتمردة القرية في الصباح الباكر بمدافع المورتر فقتلت في دقائق قليلة مائتين و ستة من المواطنين العزل و أسرت ٤٥ رجلاً و امرأة استعملتهم كدواب لحمل الغنائم .

الكتيبة (حديد) التي أوكل اليها امر فتح الطريق الى جبال النوبا حاولت في بادئ الأمر ان تخترق الاجزاء الجنوبية من محافظة رشاد ، و هى ارياف تلودي و كالوقي لتصل الى جبال المورو و التيرا عبر سلسلة من الغارات شملت بالاضافة الى المناطق المذكورة قرية القردود التي بلغ عدد ضحاياها حوالي المائتين و ستة بين قتيل و جريح. و لكن هذه الغارات لم تؤد الى الهدف نسبة لاصطدام الخوارج بالقبائل العربية الموجودة بالمنطقة . فاتجهت الكتيبة غرباً الى جبال ريفي البرام وأغارت على تبانيا و انقلوا ، و هى مناطق تقع على الحدود بين اطراف جنوب كردفان

و الاطراف الشمالية الغربية لاعالي النيل ، و ختمت تلك الغارات بالاغارة على قرية الازرق و دمرتها .

ان سلسلة الغارات التي قام بها الخوارج نجحت و بمعيار استراتيجي في تحقيق عدد من الاهداف (١٧) :

١- نقل الحرب الى الشمال (جنوب كردفان) و اقامة عدد من المعسكرات بالمنطقة .

٢- التمكين لمجموعة يوسف كوة من الدخول الى المنطقة بعد ازالة العقبات الاساسية المتمثلة في بعض القرى التي كان يمكن ان تقاوم .

٣- اختبار قوات الحكومة و سرعة حركتها في الاستجابة للبلاغات التي ترد اليها بوصول الخوارج و كيفية تلك الحركة .

٤- ادخال كميات من الاسلحة الى جنوب كردفان و استكشاف أسهل الطرق للحركة مع بذر روح التمرد في المنطقة .

٥- اخلاء الاجزاء الجنوبية من العناصر العربية الاسلامية لتكون بأكملها تحت السيطرة ، و التحرك فيها بحرية و استخدامها كمناطق للتجمع .

المهم ان نجاح الكتيبة (حديد) في مهمتها مهد الطريق امام يوسف كوة لدخول الجبال بقواته التي تم تدريبها خصيصاً لذلك ، واختيار مركز انطلاق عملياته العسكرية و تجنيد عضوية جديدة للحركة .

و استكمالاً لهذه المرحلة وصلت الى جبال النوبا كتيبة جديدة من الخوارج في عام ١٩٨٧م من اثيوبيا قوامها ابناء الجبال المدربون، و انضمت الى قيادة يوسف كوة في فارينق، وقد نقل رئاسته الى جبل قمة في اندولو من جبال المورو. و في يوليو من نفس العام قامت هذه الحملة باحتلال منطقة ام دورين التي كانت بها حامية شرطة مكونة من عشرة افراد ، و في حينها تم جمع فرسان القبائل الذين عاونوا القوات المسلحة في استعادة ام دورين بعد ثلاثة ايام من الاحتلال ، ولكن

الخوارج كانوا قد اخذوا معهم ثلاثة آلاف شاب و شابة الى معسكر بلفام باثيوبيا لكي يتم تدريبهم ليصبحوا رصيداً اضافياً للتمرد . (١٨) (و اظن ان انسحاب الخوارج من ام دورين بهذه السرعة يوضح هدف مجيئهم و هو، فقط، أخذ العدد آنف الذكر). و في هذه المرة قام الخوارج بقتل ائمة المساجد والدعاة و المؤذنين و اعيان المناطق التي مروا بها بقصد افراغ المنطقة من القيادات التقليدية، خاصة لدى القبائل النوباوية . (١٩)

و على سبيل المثال لا الحصر نجد الخوارج في عام ١٩٨٧م ، اثناء هجومهم على منطقة ام برمبيطة، قاموا باختطاف المواطنين و على رأسهم الملك الشهيد كجو والمقدم عز الدين سراج و آخرون من اهالي المنطقة ثم دخلوا منطقة المشاريع الزراعية بام لوبيا و اختطفوا عدداً من اصحاب تلك المشاريع و اوقفوا الانتاج. ثم بدأوا يتوغلون أكثر في المنطقة . و منذ دخولهم الى المنطقة - شرق مدينة كادقلي - في ذلك العام قاموا بذبح المسلمين و تمزيق المصاحف و تدمير المساجد. ففي اكتوبر ١٩٨٨مذبحوا العشرات من المسلمين رجالاً و نساءاً في مناطق التيس و الازرق و كاتشا ، ثم قاموا بالهجوم على طروجي في ابريل ١٩٨٨م ، و قتلوا اعداداً كبيرة من زعماء المسلمين و أسروا نساءهم وأخذوا ممتلكاتهم، وهو ما أكده شهود عيان التقاهم مراسل صحيفة (الراية) الذي قام بتغطية احداث تلك المنطقة (٢٠).

في نهاية هذه المرحلة لم تصمد الحركة في وجه القوات المسلمة و قوات الدفاع الشعبي التي تصدت لها و احدثت فيها خسائر كبيرة. وعادت قوات الحركة الى معسكر بلفام بأثيوبيا لاعادة التنظيم والتحضير للمرحلة التالية من مراحل عملياتها بجنوب كردفان .

المرحلة الثالثة :

مرحلة الاندفاع و احتلال ارياف و مدن جنوب كردفان :

مثّل مطلع ١٩٨٩م ، بداية هذه المرحلة ، مرحلة الاندفاع الى داخل اراضي جنوب كردفان ، عندما سلكت قوات الحركة بقيادة يوسف كوة الطريق من اثيوبيا الى فاريانق - بحيرة الابيض - ام دورين الى جبال المورو و منها الى الشواية و أفورو و هيبان و من ثم الى منطقة الكواليب . و اصبحت تلك المنطقة فيما بعد المعقل الرئيسي لقوات التمرد و قيادته، و منها انتشرت قوات الحركة في بقية الجبال . و هذه المنطقة (المنطقة الوسطى) عرفت بمواردها المائية العذبة المتمثلة في العيون المعروفة في تلك المناطق (بالسرف) . كما أن بها أراض خصبة و مراع جيدة . اطلق على تلك القوة اسم (كوش) تيمناً منهم بمملكة كوش المسيحية ، و اطلق على الكتائب اسماء الميراوي ، عجينا ، الاحيمر ، شابي ، تقلي و فلكانو .

كانت هذه القوة تسعى الى تحقيق هدف سياسي و عسكري استراتيجي يتمثل في احتلال مدينة كادقلي عاصمة المحافظة كمرحلة اولى . و من ثم الانطلاق الى (تحرير) بقية مناطق جنوب كردفان و نشر الثورة في الريف . ففي مارس ١٩٨٩م حاولت هذه الحملة احتلال منطقة كرنقو عبد الله القريبة من كادقلي. وكان الهدف كما قلنا نشر التمرد في كل الأرياف و احتلال مدينة كادقلي ، ولكن تصدت لهم القوات المسلحة و الدفاع الشعبي و استردوا منهم كرنقو عبد الله . بدأ الخوارج فى هذه المرحلة ينوعون اساليبهم. إذ قاموا بنهب العربات على طريق شارع (الهواء) الممتد من منطقة السميح الى تلودي ، ثم تطور هذا النشاط ايضاً الى دخولهم، بعد فشلهم في احتلال كادقلي، جنوب ام برمبيطة. الى ان وصلوا مناطق عبري و دري و ام ضريبة و حليفات ، و هي مناطق ذات ثقل مسيحي استطاع الخوارج ان يقوموا بتصفية العناصر العربية

و الاسلامية فيها . ثم هجموا على منطقة خور الدليب و بدأوا بزراعة الألغام في الطرق، مما ادى الى استشهاد جنديين من القوات المسلحة و تعطيل عربة (مجروس) و عربة الضابط الاداري لمجلس ريفي دلامي و استشهاد سائق تلك العربة و مجموعة من المواطنين كانوا على متنها، مما اعتبر تطوراً جديداً و نوعياً في تحركات التمرد بالمنطقة .

و في تطور لاحق ايضاً بدأ الخوارج سياسة ارسال منشورات التهديد بالتصفية للعناصر العربية و الاسلامية و مطالبتها بمغادرة المنطقة . و شملت تلك التهديدات مجموعة من ابناء الكواليب النوبا المعارضين لحركة التمرد (٢١) ، ثم بدأ الخوارج هجومهم على المشاريع الزراعية بمنطقة (فيو). ففي مساء الاحد ١٩٨٩/٤/٣٠م نهبوا ممتلكات المزارعين بتلك المشاريع ، و شهدت المنطقة أيضاً انفجار لغم مضاد للأليات على طريق (هبيلا - فيو) فى شاحنة تجارية ادى الى اصابة ضابط اداري كان يصطحب الشاحنة التي استأجرتها القوات المسلحة للقيام ببعض المهام المتعلقة بالامن. و ادى الحادث الى مقتل سائق العربة. (٢٢)

تلك كانت صورة تقريبية عن الاوضاع في المنطقة في ذلك الوقت. وعندما تطورت الاحداث على النحو الذي ذكرنا، قام حاكم كردفان آنذاك عبد الرسول النور باعلان تصعيد المواجهة الرسمية و الشعبية ضد حركة التمرد . وحول تلك الاحداث و تطوراتها نورد حديث حاكم الاقليم الذي ادلى به الى صحيفة (الراية) وتقييمه لمجريات الامور في تلك المرحلة.. يقول السيد عبد الرسول النور (٢٣) : ((ان اعداد المتمردين الطائشين الذين اشتركوا في المحاولة الطائشة لغزو كادقلي يقارب الثلاثة آلاف و خمسائة مجند ، بينهم شباب احبروا على التجنيد في القرى المجاورة لكادقلي . و قد استخدم المتمردون في محاولة الغزو اسلحة من طراز (القرنوف) و (الهاون) و (الـ آر بى جى) و الغام امريكية الصنع مضادة للآليات و الانسان . و رغم ذلك تكبد الخوارج ألفا ومائتى قتيل

بينهم الضباط الثمانية الذين قادوا الغزو .. و يمضي حاكم اقليم كردفان آنذاك الى القول ان المتمردين كانوا يحاولون احتلال بعض المناطق الجبلية حول كادقلي و طرد القبائل العربية من المنطقة و تجنيد أكبر عدد من ابناء الجبال في صفوف حركة التمرد، كما كانوا يعتقدون وفقاً لمعلومات خاطئة ان القوات المسلحة المرابطة في جنوب كردفان قد ذهبت الى الجنوب، و ان الادارات القبلية في الجبال موالية لهم . و قد حدث أول صدام بين الغزاة و المواطنين عندما تصدت للغزاة قوة من الدفاع الشعبي بالقرب من بحيرة الابيض الواقعة على حدود مديرية جنوب كردفان مع اقليم اعالي النيل جنوب شرق مدينة كادقلي. و كان عدد الذين تصدوا للغزاة من قوة الدفاع الشعبي هناك خمسة و ثلاثين رجلاً فقط. منهم عشرون رجلاً مسلحون بالبنادق و خمسة عشر رجلا مسلحون بالحراب فقط. حيث استشهد من قوة الدفاع الشعبي فى بحيرة الابيض عشرة رجال و جرح اثنان ، و بعد ذلك تفادى الخوارج الدخول في صدام مع حامية طروجي المرابطة الى الشمال من بحيرة الابيض، و وصلوا الى منطقة (فاما) شمالاً حيث حدث اشتباك بتاريخ ١٩٨٩/٣/٢٣م غنمت فيه القوات المسلحة اسلحة و ذخائر و استطاعت ان تأسر عدداً من المتمردين بينهم رقيب اول ادلى بمعلومات افادت كثيراً في معرفة قوة الخوارج و مخططاتهم .

و بتاريخ ٢٥ مارس حدث اشتباك ثان بين الغزاة و القوات المسلحة عندما وقعت القوات المسلحة في كمين خسرت فيه عدداً من الشهداء .. و من جبل (فاما) اتجه الخوارج الى جبل كرنقو عبد الله حيث حاولوا الإحتماء بالمواطنين لأخذ موقع دفاعي فوق الجبل الذي يبدو انهم ادخلوا فيه كمية من الذخائر . وبتاريخ ٢٦ مارس حدث اشتباك بين الغزاة و فصيلة الاحتياطي المركزي المرابطة في منطقة كرنقو عبد الله. و كان الغزاة يعتقدون أن بإمكانهم إبادة تلك الفصيلة و قصف كادقلي بمدافع الهاون من فوق الجبل. ودارت معركة شرسة بدأت منذ

الساعة الثانية عشرة ظهراً و استمرت لتسع ساعات متواصلة استطاعت خلالها فصيلة الاحتياطي المركزي مقاومة هجوم من قوة قوامها ثلاثة آلاف متمرد)).

و يقول السيد حاكم كردفان ان الخوارج كانوا يحملون الغاماً امريكية الصنع مضادة للآليات و الانسان. و قد فوجئوا بأن المواطنين المقيمين في جبل كرنقو عبد الله ضدهم و لم يتجاوبوا معهم ، و لذلك حاولوا الهروب بتاريخ ٣٠ شعبان الماضي و بدأو الانسحاب فى اليوم الاول من رمضان ١٤٠٩هـ، فوقعوا في كمين كبدهم خسائر فادحة و غنمت القوات المسلحة و قوات الدفاع الشعبي وقوات انانيا الثانية من هذا الكمين اربعة مدافع هاون من جملة ستة مدافع كان الخوارج يحملونها معهم. كما غنمت صاروخاً من طراز (سام ٧) و كميات كبيرة من الذخائر .

و يمضي السيد عبد الرسول النور الى القول ان التعليمات التي اعطيت للمتمردين قد وجهتهم بالانسحاب الى بعض المواقع داخل الجبال حيث قاموا بزراعة الطرق بالالغام التي انفجر منها حتى السابع و العشرين من ابريل ١٩٨٩م تسعة الغام . و قد اتصلت بعض الادارات القبلية بالجبال بالحكومة تطالب بتسليحها حتى تتمكن من التصدي للمتمردين ، كما اتصلت بالحكومة قيادات قبلية اخرى بالجبال و أكدت براءتها من التمرد .

و في ختام حديثه يقول السيد حاكم اقليم كردفان ان المحاولة الطائشة التي قام بها المتمردون الغزاة قد أكدت تماسك الجبهة الداخلية على الصعيدين السياسي والقبلي بمديرية جنوب كردفان ، كما أفرزت حماساً متدفقاً من قبل المواطنين لدعم القوات المسلحة و المساهمة بالاشتراك الفعلي في القتال دفاعاً عن وطنهم وانفسهم و ممتلكاتهم و أعراضهم . ((وقد وجدت الدعوة التي كنت قد وجهتها الى المواطنين ، اثناء الجولة التي قمت بها الى مواقع العمليات ابان تلك المحاولة ، تجاوباً واسعاً. و شرع المواطنون عبر اللجان الشعبية التي قاموا بتكوينها

في اتخاذ الترتيبات اللازمة لدعم القوات المسلحة مادياً و معنوياً و الاشتراك معها في القتال ضد المتمردين)).

حصيلة الاحداث :

اذا حاولنا تقييم تلك المرحلة باعتبارها الأكثر تأثيراً في تاريخ دخول التمرد للمنطقة نجد الآتي : (٢٤)

١- لم ينجح التمرد في تحقيق هدفه الاستراتيجي باحتلال مدينة كادقلي نتيجة لتصدي القوات المسلحة و قوات الدفاع الشعبي له، اضافة الى تكبده خسائر كبيرة في الافراد و العتاد .

٢- غيرت قوات الخوارج من سياستها العسكرية المعتمدة على المواجهة المباشرة مع القوات المسلحة. إذ قاموا بتوزيع قواتهم الى معسكرات متفرقة بهدف تغطية منطقة جنوب كردفان و العمل في شكل مجموعات صغيرة منعزلة لتفادي الخسائر .

٣- في اطار الاستراتيجية الجديدة انتشر المتمردون في قراهم السابقة بدلاً من العودة الى بلفام (كالمرات السابقة)، حيث قاموا بعمل مكثف لتجنيد ابناء المنطقة بعد ان افرغت من قياداتها التقليدية و تهيأ لهم مسرح الاحداث .

٤- نتيجة لتلك الاحداث و السياسة الجديدة احتل المتمردون كل ريفي كادقلي و اصبحت المدينة وحدها في شبه حصار ، و اخترقوا شمالاً الى محافظة الدلنج ليشمل التمرد مناطق ريفى سلارا في جبال كتلا و تيمين و جلد و والي ، و غرباً ليشمل جبال ريفى لقاوة في مناطق جبال تلشى و تيما .

٥- نجح المتمردون في تطويق المدنيين في جبال النوبا و منع العديد منهم من النزوح الى المدن ، و اعتمدوا عليهم في انشاء المشاريع الزراعية في مناطق المعسكرات و القرى الزراعية المهجورة و رعي الاغنام المسلوبة. و كذلك استعانوا بالمحصولات الزراعية التي تنتجها مزارع المواطنين، و مارسوا عبرهم

التبادل التجاري لامداد معسكراتهم باحتياجاتهم ، حيث كـانت جزيـرة فاريـانق ملتقى الاسواق.

٦- اتبعت الحركة اسـلوب حـرب العصابـات حتـى لاتدخـل في مواجهـات مـع القوات المسلحة، اضافة الى قيامها بإغلاق الطرق و زراعة الالغام و الهجـوم علـى القرى الآمنة، خاصة التى تسكنها القبائل العربية في المنطقة و تشـريدهم و سـلب ممتلكاتهم ، اضافة الى تجميع شباب النوبا و تجنيدهم للإنخراط في التمرد.

كـان هـذا هـو الوضـع او قريبـا منه عندمـا قـامت الانقـاذ الوطـني في ٣٠ يونيـو ١٩٨٩م. و قد قدر عدد قوات الخوارج آنذاك بعد تجنيدها لاعداد كبيرة من ابناء النوبا بحوالي ٢٥ الف مقـاتل، بعضهـم تـدرب في بلفـام و آخـرون بالمعسـكرات الداخلية بالجبال.. و قبل ان نختتم هذه المرحلة لا بد لنا من تسليط الضوء على مـا قام به الخوارج خـلال دخولهـم للمنطقـة و تواجدهـم بهـا مـن تصفيـة للقيـادات المحلية، مركّزين في ذلك على ائمة المساجد و المؤذنين و الشيوخ و المكـوك الذيـن قد يشكلون مقاومة لهم، حتى تفرغ المنطقة من قياداتها التقليدية و تسـهل عليهـم بعد ذلك قيادة ما تبقى من المواطنين . و الأمثلة على ذلك عديدة. و لكننا نـأخذ بعضاً منها:

المكوك و الشيوخ و الدعاة الذين تمت تصفيتهم بريفي ام دورين ١٩٨٧م:(٢٥)

١- اختطفوا الشيخ احمد مادرة امام مسجد اندولو .

٢- قتلوا الشيخ فتى كوري، اقوى شيوخ قبيلة المورو .

٣- قتلوا الملك عبد السلام جرى مك سرف الجاموس .

ريفي دلامي ١٩٨٧م :

١- قتلوا الملك كجو هنو مك الكواليب .

٢- اختطفوا الشيخ عثمان لمى شيخ قرية سبات .

٣- ذبحوا الداعية عبد الله محمد دنقية امام مسجد عبري بعد كمين نصب له داخل المسجد قبيل صلاة الفجر.

٤- ذبح الشيخ محمد بحي امام مسجد كوكاية أمام أعين المصلين بعد ادائه لصلاة المغرب.

٥- قتلوا الشيخ النور عباس امام مسجد كرنك .

ريفي كادقلي ١٩٨٩م :

١- قتلوا الشيخ حمدون عبد الله امام مسجد كانقا .

٢- اختطفوا الشيخ مهدى كركون و عبد النبي حمدان من العاملين بمنظمة الدعوة الاسلامية بتافري ضاحية كادقلي .

ريفي لقاوة :

١- اختطفوا الملك كوكو ندى .

٢- اختطفوا تية عساكر إمام مسجد شوا .

٣- اختطفوا الفحل كوكو وموسى الجاك و موسى كوة (يعملون بلجنة مسلمي افريقيا).

ريفي الكرقل :

١- قتلوا الداعية بلجنة مسلمي افريقيا رقيق سالم.

ريفي سلارا :

هاجموا الملك عبد الحميد محمد زهرة بقوة تقدر بخمسة و اربعين متمرداً. و لكن الملك قاومهم بضراوة ونجا منهم بأعجوبة.

بصورة عامة نجد ان الحركة نجحت في كسب القبائل النوباوية المنتمية الى الكنيسة، و فشلت في المناطق التي انتشر فيها الاسلام . كما وجدت مقاومة عنيفة من القبائل العربية الموجودة في المنطقة مثل الحوازمة و المسيرية و بعض

القبائل النوباوية ذات الثقل الاسلامي ، مثل قبائل تقلى و الليري و الاحانج وميري و الغلفان و الجبال الستة و الداجو .

في المقابل نجد ان غالبية جنود الحركة من قبائل المورو و الاطورو و الكواليب والتيرا و هيبان و انقولو . ورغم ان قبيلة ميري منها قيادة التمرد (يوسف كوة) الا ان وجودها في قاعدة التمرد ضعيف ، كما يضعف عموماً وجود الاحانج والغلفان. و يكاد ينعدم وجود عناصرمن رشاد و تقلي و تلودى في الحركة. والسبب، كما ذكرنا من قبل، أنه اضافة الى كون قبيلة المورو بصفة عامة من أكبر القبائل النوباوية من ناحية الوزن العددى ، الا ان القبائل التي ذكرنا ان غالبية عناصر التمرد منها ترتفع فيها نسبة المسيحيين و الوثنيين و تقل فيها نسبة المسلمين بدرجة ملحوظة . و يعني هذا ان قاعدة التمرد مسيحية او وثنية وإن كانت لا تخلو من العناصر المسلمة. و لهذا بذلت قيادة الحركة قصارى جهدها لاحتذاب القبائل ذات الثقل الاسلامي الملحوظ حتى تنضم الى التمرد . لذلك صعدت الحركة من النزعة العنصرية و العرقية وطرقت عليها بشدة كعقيدة سياسية. و لكن فشلت في ذلك و لم تحقق الهدف المنشود .

المرحلة الرابعة يونيو ١٩٨٩م / نوفمبر ١٩٩١م :

مجئ نظام الانقاذ الوطني :

عند مجئ الانقاذ الوطني كان التمرد قد تمدد ليشمل معظم مناطق جنوب كردفان. و تجلى اهتمام الانقاذ بالوضع في جبال النوبا فى تعيين العميد ابراهيم نايل ايدام عضواً بمجلس قيادة الثورة ، كأول منصب سيادي يناله النوبا طوال تاريخهم . اضافة الى كون العميد وُضع ايضا على رأس جهاز الامن في السودان. و لما كنا سنتناول تعامل نظام الانقاذ الوطنى السياسي مع القضية في ابواب البحث المتقدمة، لذا سنقصر حديثنا في هذا الجانب على تطور الاحداث على المسرح العسكري في الجانب الخاص بالحركة نفسها.

أعلنت الانقاذ عند قيامها عن هدنة - او سمها وقفاً لاطلاق النار - من جانب واحد لمدة ثلاثة اشهر، شمل منطقة جبال النوبا. واستفادت حركة التمرد من هذا الوضع فبسطت سيطرتها على ما تبقى من ارياف المنطقة وكادت ان تحيط بكادقلي ، و اصبح حوالي ٦٠ ٪ من مناطق جبال النوبا تحت قبضة التمرد لدرجة أن المتمردين كانوا يتجولون بسلاحهم في المنطقة دون أن يسألهم احد.

الاسلوب القتالي للحركة في هذه الفترة :

بعد أن تمددت الحركة في مناطق واسعة من الجبال غيرت من استراتيجية المواجهة التي اتبعتها في بادئ الامر و اعتمدت بدلاً من ذلك على تكثيف عملياتها في فصل الخريف لوعورة الطرق بجنوب كردفان ، ثم اتبعت اسلوب حرب العصابات حتى لا تدخل في مواجهات مع القوات المسلحة و الدفاع الشعبي .

وقد دعم الخوارج وجودهم بالمنطقة بقوات اضافية مع الأسلحة و الذخائر. وفي عام ١٩٩٠م تخرجت دفعة (انتصار) التي ضمت عشرة آلاف مقاتل من ابناء جبال النوبا، بينهم ١٨ ضابطاً، وتم توزيع هذه القوة بعد تخرجها على النحو التالي :

(أ) ١٢٠٠ تم ارسالهم الى جبال النوبا بعد تسليحهم بالاسلحة التي استولت عليها الحركة من القوات المسلحة في مسارح العمليات المختلفة .

(ب) ١٨٠٠ تم توزيعهم على الوحدات المختلفة بالجنوب و الرئاسات .

(ج) ألفان تخرجوا كقوات خاصة (كوماندوز).

(د) خمسة آلاف كجنود مشاة توجهوا الى غرب الاستوائية يرافقهم خمسة من ابناء النوبا كضباط. (هذه القوة هي التي قامت بجميع العمليات في غرب وشرق الاستوائية، إذ شكلت ٦٠ ٪ - ٨٠ ٪ من اجمالي الجيش الشعبي المقاتل في المنطقة في ذلك التاريخ ، بجانب دورهم الفعال في العمليات التي دارت حول جوبا

و محاولة احتلالها عام ١٩٢٢م ، و يؤكد ذلك العدد الكبير من الجرحى الذين تم نقلهم الى مستشفى لوكيشقو في كينيا بعد عمليات جوبا). (٢٦)

نتيجة للدعم و الاسناد زاد نشاط الخوارج في تلك الفترة بجنوب كردفان و كثفوا عملياتهم حول المدن الرئيسية بالمنطقة، حتى اصبح الجزء الجنوبي لكادقلي وما حوله تحت سيطرتهم .

و نورد هنا بعض أمثلة لعمليات التمرد في تلك الفترة لعلها تعطينا صورة حية لما قلنا: (٢٧)

- في ٢٠ نوفمبر ١٩٨٩م نفذ الخوارج هجومهم الشهير على منطقة ابو سفيفة شرق مدينة كادقلي استشهد فيه الملازم اول نصر الدين محمد الفكي من شرطة الطوارئ و احد افراد الشرطة .

- في يناير ١٩٩٠م ، تمكن الخوارج من الهجوم على قرية ام حيطان احدى قرى ريف مدينة كادقلي .

- ١٩ يناير ١٩٩٠م هاجم المتمردون في جرأة بالغة منطقة دميك الواقعة الى الشمال الغربي من مدينة كادقلي .

- هجم الخوارج على (الحجيرات) بمنطقة كالوقى في عام ١٩٩١م .

- في ١٤ يناير ١٩٩١م تعرض المتمردون لبص الخرطوم -كادقلي وقتلوا في هذا الهجوم ١٥ شخصا.

- في نهاية تلك الفترة بلغت جرأة الخوارج مبلغا جعلهم ينصبون كمينا بتاريخ ١٩٩١/٩/٢٢م في مدخل مدينة كادقلي على طريق كادقلي - الدلنج. كانت نتيجته استشهاد العميد آدم احمد آدم قائد حامية كادقلي (اللواء الثاني) والملازم محمد تاور قائد ثاني الدفاع الشعبي بكادقلي و آخرين، و جرح قائد الدفاع الشعبي المقدم محمد أحمد جمع الله . وقالت الدوائر الرسمية في ذلك الوقت ان تحرك قائد المنطقة الذي كان في طريقه الى منطقة البرداب، ربما كان معلوما..

و يبدوا ذلك من جرأة الخوارج على عمل كمين في هذه المنطقـة ، و هـو مخطـط دقيق استهدف الروح المعنوية لمواطني المنطقة بصـورة عامـة وكـادقلي علـى وجـه الخصوص، وهي المدينة التي استعصت على الخوارج . (٢٨) و كـان ذلـك بمثابـة تحد كبير للجهات السياسية و الامنية ، مما عجل بـالتحرك في اتجـاه القضـاء علـى التمرد بالمنطقة. و مثّل ذلك الشرارة الـتي انطلقـت لإنهـاء التمـرد وشـل حركتـه العسـكرية في منطقـة جبـال النوبـا علـى نحـو مـا سنرى في الفصـل التـالى مـن هذا الباب .

كانت هذه أمثلة لتحركـات الخـوارج في منطقـة كـادقلي ، و في الاسـطر التاليـة نتعرض لبعض الشواهد في المنطقة الغربية حول لقاوة و الدلنج . (٢٩)

- بعد دخول الخوارج الى منطقة كرنقو عبد الله على النحـو الـذي ذكرنـا مـن قبل، تحركت قوة منهم بقيادة اسمـاعيل خميـس حـلاب الى منطقـة جلـد في يوليـو ١٩٨٩م عـبر منطقـة حجـر الدليـب . و في الخـامس مـن اغسـطس ١٩٨٩م ، وصلت فصيلة منهم الى جبل ثلشي عن طريق (سعادة). و قد اعترض الاهالي قوة الخوارج بقيادة مدير التعليم بالمنطقة آنذاك الاستاذ الشفيع ضـي النـور (رحمه الله) و كانت هذه اول مواجهة قادها المعلمون وحسموها لصالحهم .

- في ٢٤ اغسـطس ١٩٨٩م ، هجـم المتمـردون علـى قريـة (نكـري) حيـث استشـهد بلـل محمـد بلـل كـأول شـهيد في هـذه المنطقـة. ثـم توالـت عمليـات الخوارج، فكان هجومهم علـى منطقـتي (البطايـة) و (الدرنقـاش الشـرقي) في سبتمبر ١٩٨٩م .

بعد تتابع الاحداث نتيجة لتحركات الخوارج بالمنطقـة تحركـت في مطلـع اكتوبـر ١٩٨٩م قوة من الدلنج بقيادة الرائد محمد ابراهيم كباشى في محاولة منها لاحتـواء الموقف الذي صاحبته مشاكل قبلية بين المجموعات العربية من جهـة و المجموعـات النوباوية من جهة اخرى. حيـث وجـه مواطنـو المنطقـة مـن العـرب اتهامـات الى

مواطني المنطقة من النوبا بأنهم وراء التمرد، من غير أدلة قاطعة، لكون اسماعيل حلاب الذى قاد التحرك أحد ابناء المنطقة، و في اعتقادي ان المتمردين حققوا غرضهم عندما دقوا إسفينا بين قبائل المنطقة التي ظلت في حالة وفاق و تعايش طيلة السنين الماضية ، تجلى ذلك في اجماع اغلب قبائل المنطقة من العرب والنوبا على ترشيح احد ابناء النوبا وهو الاستاذ سعيد فرج الله لتمثيلهم في الجمعية التأسيسية ، حيث فاز المذكور مرتين بعضوية البرلمان خلال الانتخابات التي جرت في الفترة من ١٩٦٥م - ١٩٦٩م ، ممثلاً لمنطقة لقاوة ، ثم اختير فيما بعد من جميع قبائل المنطقة بما في ذلك قبائل المسيرية في المؤتمر الاول لتقييم الحكم الشعب المحلي ، ثم مسؤولا عن التموين لكل ريفى لقاوة ، ثم اختاره عمد قبيلة المسيرية رئيساً للجنة الاجاويد و العرف القبلي . يرحم الله الاستاذ سعيد فرج الله فقد كان رمزاً لتضامن القبائل فى المنطقة (٣٠) . إلا أن دخول التمرد الى المنطقة أجج نار الصراع ليصبح التفريق بين البرئ و المخطئ صعباً . تبودلت الاتهامات بين قبائل المنطقة من المجموعة العربية و النوباوية .. ووصلت الخصومة الى حد الهجوم المسلح على القرى، و قتل في تلك الهجمات كثير من الابرياء، خاصة من جانب النوبا . و عندما تفاقم الصراع دعا السيد محافظ جنوب كردفان آنذاك المرحوم عبد الوهاب عبد الرحمن ، الاطراف المتنازعة للتشاور فيما بينهم لنزع فتيل الانفجار، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر للصلح في مدينة لقاوة . خرج مؤتمر الصلح الذي عقد برئاسة المحافظ نفسه في الفترة من ١٥ الى ١٩ يناير بعدد من القرارات، منها :

١- دفع الدية للطرفين .

٢- تقسيم المنطقة الى ادارتين ، ادارة للنوبا ، يكون مقرها مدينة لقاوة ، و ادارة للمسيرية يكون مقرها السنوط .

٣- ادان المؤتمرون التمرد بشتى اشكاله و ألوانه في المنطقة .

بعد شهرين من مؤتمر لقاوة تفجر الصراع مرة اخرى عندما قام الخوارج في رمضان من ذلك العام بنهب ابقار المواطن كرمة ابو عاجة .
ثم هجموا على عد (منهل) ابو انكويجة و قتلوا اثنين من افراد الدفاع الشعبي.
ومن تلك الاحداث انبثقت عمليات الدفاع الشعبي الذي كان رده عنيفاً ، حيث شملت العمليات كلاً من منطقة (كرلانجا) و (اللاو) و (منهل كيلى) بجبل تلشي حيث تم تدمير معسكري (الطرين) و (نمر شاغو) .
جاءت قمة تصعيد الخوارج للأحداث بالمنطقة عندما اغاروا في ٢٩ سبتمبر ١٩٩٠م على قرية (سليجي) شمال لقاوة وهي قرية يقطنها الداجو ، وراح ضحية لهذا الهجوم ٤٢ رجلاً و ١٨ امرأة . و توالت الاحداث من بعد ذلك فكان هجومهم على معسكر (البطاية) في يوليو ١٩٩١م ، ثم هجومهم الشهير على منطقة لقاوة نفسها في ١٥ اغسطس ١٩٩١م ، حيث نهبوا اسواقها واستولوا على جهاز الاتصال اللاسلكي التابع للمؤسسة الزراعية ، و هو الهجوم الذي تماثل جرأته الكمين الذي نصبوه بعد ذلك بحوالى الشهر عند مدخل كادقلي على نحو ما ذكرنا و الذي استشهد فيه قائد اللواء الثاني بكادقلي .
هذه الاعمال و غيرها كانت تزحم مسرح الاحداث بالمنطقة. و قد شهدت مناطق الدلنج و الجبال الشرقية احداثاً مماثلة . وفي اواخر عام ١٩٩١م ، نهاية هذه المرحلة من تاريخ التمرد في المنطقة، بلغت مبادرات الهجوم قمتها من جانب الحركة، إذ اتسمت عمليات القوات المسلحة في تلك الفترة بانها كانت عمليات دفاعية ، و لم تكن القوات المسلحة تتمسك بمواقعها التي تستردها من المتمردين، وانحصر نشاطها في عمليات محدودة، على عكس ما سنري من مواقف فيما بعد، خاصة بعد اعلان الجهاد من قبل محافظ كادقلي في نوفمبر من عام ١٩٩١م ، ثم جاءت قمة هذا الجهد في معركة تلشي (يناير / ابريل ١٩٩٢م) . و هذا ما سنوضحه في الفصل القادم .

في نهاية تلك المرحلة يمكننا ان نبين مواقع التمرد تحديداً و المناطق التي استطاع السيطرة عليها :

١- مجلس منطقة هيبان بأكمله ما عدا مدينة هيبان و شمل ذلك :

أ- جبال هيبان .

ب- جبال التيرا .

ج- جبال اطورو و الشواية

و المناطق المذكورة تمثل الاطراف الشرقية لمدينة كادقلي .

٢- مجلس ريفي البرام :

و قد استولى المتمردون على كل جباله بدءا من طروجي مروراً بالبرام ، المساكين ، الزيكة ، شات الدمام ، شات الصفية و كرنقو عبد الله حتى ميري شمالاً ، و هو الشريط الذي يحيط بعنق مدينة كادقلي من الجنوب والجنوب الغربي حتى الشمال الغربي .

٣- مجلس ريفي كادقلي :

شمل التمرد جبال ارياف كادقلي كجبال كرنقو و كيقا الخيل و الصبوري و اللقوري ... إلخ .

٤- مجلس ام دورين .

٥- وشمل جبال المنطقة الشمالية من ريفي الكواليب المتاخم لريفي هيبان .

٦- تمدد التمرد غرباً الى منطقة الدلنج ليشمل ريفي سلارا و جبال كتلا و تيمين و حلد و والى ... إلخ .

٧- و في ذات المنطقة شمل التمرد جبال ريفي لقاوة في مناطق تلشى و تيما وغيرها .

كان من نتيجة ذلك ان خلت المناطق المذكورة من كل عنصر عربي او زعامة سلامية او أي عنصر نوبي مسالم ، و لم يبق فيها الا العناصر المتمردة او المواطنون

الذين غلبوا على أمرهم و حجزهم التمرد . و نجم عن دخول التمرد هذه المناطق خسائر بشرية و اقتصادية و اجتماعية فادحة ما زالت المنطقة تدفع ثمنها الى اليوم .

كان الجو في هذه الفترة متوتراً كطبيعة احواء الحرب. و قد شهدت المنطقة حوادث سلبية تمثلت في فقد ابناء النوبا لعدد من مثقفيهم نتيجة لمجئ عدد من ابناء النوبا المنضوين تحت حركة التمرد و اعترافهم بتواطؤ آخرين داخل المدن، خاصة مدينة كادقلي، مع حركة التمرد ، فأطبقت عليهم الاجهزة المعنية التي ترك لها المحافظ عبد الوهاب عبد الرحمن آنذاك حرية التصرف وأطلق يدها في ظل تلك الاحواء المتوترة حتى طالت يد تلك الأجهزة في ذلك الوقت بعض الاسلاميين من مناصري نظام الانقاذ نفسه. (٣١)

المرحلة الخامسة :

شكل عام ١٩٩٢م بداية العد التنازلي لحركة التمرد بجبال النوبا، إذ تضافرت عدة عوامل، منها ما هو متعلق بالحركة نفسها و الظروف المحيطة بها ، و منها ما هو متعلق بطرف خارجي هدفه الاساسي اضعاف التمرد و شل حركته. وهو الحكومة السودانية التي دفعت بشدة في هذا الاتجاه.

اوضاع حركة التمرد :

لم يختلف الوضع العسكري للحركة في هذه الفترة عن سابقه ، حيث لم تزل العمليات تتخذ اسلوب الكر و الفر و المناوشات شبه الدورية التي تظهر على مسرح الاحداث من وقت لآخر ، و ان كان ثمة ما يقال على وجه الاجمال فان الحركة اصبحت في موقف المدافع الذي يفقد مواقعه واحداً بعد الآخر. فانقلب الوضع و اصبحت القوات المسلحة و الدفاع الشعبي في موقف المهاجم.

و لكننا سنتناول الوضع بصفة عامة و الظروف التي احاطت بالحركة و جعلتها في هذا الموقف:

اولا : فقدت الحركة الزخم الثوري الذي كـان طـابع المرحلـة الاولى. فلـم يحقـق المقاتلون اهدافهم الكلية، مما جعل الامل يخبو في النفوس ، اضافة الى ان الخلافـات بدأت تدب في صفوف القادة الذين أسسوا الحركة بالمنطقة ، و ذلك عندما طُرح سؤال عن العلاقة مع حركة جون قرنق ، و التهميش الذي شعر به ابناء النوبا من قبل الحركة الأم . و نتيجة لتفاقم الخلافات قام يوسف كوة باعتقال عدد من قادة النوبا الذين أسسوا معه الحركة بالجبال ، وسجن مجموعـة منهـم لمـدة أحـد عشـر شهرا في عام ١٩٩١م ، ثم رحّلوا فيما بعـد الى قيـادة دانيـال اويـد اكـون ببحـر الغـزال. و كـان علـى رأس مـن اعتقـل القـائدان المناوبـان عـوض كريـم كوكـو و يونس ابو صدر منزول و النقيب (خارج) طارق كودي ابو راسـين آخـرون. كما تمت تصفية البعض الآخر . و الواقع ان تلك التصفية اوجدت فراغاً قيادياً في الجبال و تركت المنطقة مرتعاً لضباط صغار يحاربون بلا قضية و ليـس معهـم مـن يفكر لهم او يبصرهم بمخاطر طريق (التحرير) ، كما شكل اعدام اولئك القـادة المؤسسين او نفيهم و تغييبهم صدمة قاسية لابناء الجبال الذين انضموا الى الحركـة من اجل (التغيير و التحرر و البناء القومي) . و لهـذا فقـد انكمـش ابنـاء الجبـال داخل الحركة و قل عطاؤهم ، مما حدا بمحمـد هـارون كـافي و مجموعتـه – الـتي انشقت عن حركة التمرد و وقعت فيمـا بعـد علـى ميثـاق السـلام مـع الحكومـة السودانية – ان تضمّن الفقرة (الخامسة) من بيانها الذي اعلنت فيه انفصالها عن الحركة الام هذه النقطة: ((تعذيب و اعتقال وسجن و تصفية قياديي جبال النوبـا بجانب ابعادهم عـن الجبـال الى الجنـوب ..)).(٣٢) كواحـد مـن الأسـباب التـى دعتهم الى الإنشقاق عن الحركة الأم . اضافة الى ذلك فقد نشبت صراعـات بـين ابناء النوبا داخل الحركة. بين ابناء جنوب الجبـال و شمـال الجبـال ، حيـث يعتقـد ابنـاء جنـوب الجبـال انهـم أحـق بقيـادة الحركـة لأن لهـم الأغلبيـة في قـاعدة التمرد ، كما ان هنالك صراعات بين المسيحيين و المسلمين حول من أحق بقيادة

الحركة في جبال النوبا ، إذ يعتقد دانيال كودي انه أحق من يوسف كوة بالقيادة لان المسيحيين أكثر من المسلمين في قاعدة الحركة ، اضافة الى ان ابناء هيبان و جنوب الجبال هم الاغلبية.. هذه الصراعات الخفية لم تصل الى مرحلة الانشقاق و تكوين فصائل مختلفة ، الا انها حالت دون ان يوحد ابناء الجبال كلمتهم داخل الحركة الأم. و ربما استفاد جون قرنق من هذا الوضع و جعل الكل يحتاج اليه. الى ان وصل الأمر بمجموعة محمد هارون كافي ان تشق عصا الطاعة و تأتي الى السلام منفردة .

ثانياً : قبل انشقاق مجموعة الناصر في ١٨ اغسطس ١٩٩١م ، كان جون قرنق قد بدأ يهمل حركة جبال النوبا في غمرة نشوة الانتصارات التي حققتها حركة التمرد بالجنوب. و شعر ابناء النوبا بأنهم اصبحوا مهمشين داخل الحركة ومعزولين تماماً. و تجلى ذلك فى عدة صور، منها على سبيل المثال لا الحصر الآتي :

(أ) لم تمثل جبال النوبا في وفد التفاوض ابان محادثات ابوجا الاولى في نيجيريا التي انعقدت في الفترة من ٢٦ مايو الى ٤ يونيو ١٩٩٢م ، كما لم يأت ذكر للجبال و لم تطرح الحركة الأم موضوع جبال النوبا، و كان الطرح قاصراً على جنوب السودان فقط . اضافة الى ان جون قرنق نفسه رفض ما تمخضت عنه مفاوضات ابوجا برئاسة رئيس وفده يومذاك وليم نون، إذ اعلن رفضه لما تم التوصل اليه في مؤتمر صحفي عقده في كمبالا، بحجة انه وليم نون قد تجاوز التفويض الممنوح له ، و قدم جون قرنق ورقة الى الحكومة النيجيرية أصر فيها على تبني نظام الكونفدرالية وقيام دولتين منفصلتين في السودان، لكل منهما دستورها و مؤسساتها و قواتها المسلحة و علاقاتها الخارجية . و في ذلك خروج واضح عن قرارات ابوجا التي نادت بايجاد صيغة دستورية في اطار السودان الموحد . مما جعل ابناء النوبا يشعرون بالضياع مرة اخرى. فقد قاتلوا مع الحركة في اطار

(السودان الموحد الجديد)، و اليوم سيجدون أنفسهم أقلية في دولة الجنوب المسيحية المرتقبة، كما صرح بذلك تلفون كوكو لوفد (الاتصال من اجل السلام) الذي كان يفاوض الحركة في منطقة الجبال في تلك الايام . كما ذكر يوسف كوة نفسه للوفد المذكور انه اتصل بقيادة الحركة بعد مفاوضات ابوجا مستفسراً عن تهميش الجبال، مشيراً الى انهم قالوا لـه ان مناطقهم هامشية (جبال النوبا و الانقسنا) و سوف يطرحون مشاكلها و يأتون اليها بعد حل القضية الاساسية (جنوب السودان) . (٣٣)

في تلك الفترة صُدم يوسف كوة ايما صدمة من موقف جون قرنق و استجاب لنداء قادة النوبا من امثال تلفون كوكو جلحة و يوسف كرة القاضي بطرد الجنوبين من جبال النوبا .

(ب) صرح جون قرنق في تلك الايام واصفاً جنوب كردفان بأنها تقع في شمال السودان و لا تعنيها مشكلة الجنوب .

(ج) في محادثة ملتقطة بين جون قرنق و يوسف كوة تحدث الاخير بمرارة شديدة و قال لقرنق ((أهكذا ترفعون ايديكم عن الجبال!..)) و ظل يوسف في تلك المحادثة يراود قرنق بأن لا يتخلى عن الجبال، مشيراً الى انها صمام الامان ومنطقة العمليات رقم اثنين والاحتفاظ بها أمر مهم. و ذكر له الآتي :

١- يمكن منها تهديد الحكومة في أي موقع، لقربها من مدن عديدة .

٢- الجبال حصينة و تمثل قلاعاً متينة لا تؤثر عليها جميع معدات القتال .

٣- الرقعة الجغرافية فيها واسعة و يمكن الاستفادة منها في اعتماد الحركة على نفسها من ناحية الامداد .

٤- السكان المحليون ضد السلطة و يمكن الاستفادة منهم لأقصى مدى .

كان يوسف كوة بموقفه ذاك يحاول التمسك بالحركة الأم لأنها المصدر الوحيد لسلاحه والشريان الذي يتنفس به ، و كان تخلي قرنق ورفع يده عن الحركة

بجبال النوبا معناه بالنسبة ليوسف كوة إما اختناقها و موتها ببطء او استسلامها للحكومة .(٣٤)

ثالثاً : بدأت القوات المسلحة و الدفاع الشعبي هجوماً مكثفاً على مواقع الحركة المختلفة في تلك الفترة ، بدءاً بمعركة تلشي الشهيرة في الفترة من يناير وحتى ابريل ١٩٩٢م . وكانت الحركة قد بدأت تعاني نقصاً في الامداد نتيجة لحركة القوات المسلحة النشطة بجنوب السودان ، اضافة الى عدم اهتمام الحركة الأم . و يتضح ذلك جلياً من خلال المحادثة الملتقطة بين يوسف كوة و دانيال اويد أكون قائد منطقة بحر الغزال برمبيك الملتقطة يوم ٢٣ ابريل ١٩٩٢م. و سنورد نص المحادثة لأهميتها و ابرازها لوضع الحركة بجبال النوبا في تلك الفترة :

دانيال : السلام عليك يارفيق ان شاء الله انت كويس ؟ .

يوسف : و عليك السلام . زمن طويل لم نتقابل يا رفيق منذ عام ١٩٨٥م ، وان شاء الله انتم بخير و كيف مع كلام العرب الكثير في هذين اليومين (يقصد عمليات القوات المسلحة و الدفاع الشعبي شمال بحر الغزال وأبرزها عملية - المغيرات صبحا - التى دمرت العديد من معسكرات التمرد بالمنطقة.

دانيال : هذا كلام دعايات و لا شئ جديد . و كيف انتم ؟

يوسف : نحن هنا بخير و لا تواجهنا مشكلة ، منذ شهر نوفمبر الماضي نحن يومياً في حالة قتال. لكن العدو لم يستطع احتلال أي منطقة من مناطقنا سوى تلشى.

دانيال : هذا خبر جيد و الحمد لله المطر بدأ ينزل و المرور سوف يكون جيد جداً.

يوسف : المشكلة هى انه من مكاننا الى (بانارو) و من (بانارو) الى (قوقريال) الطريق سئ . و قد ارسلنا ثلاثة اطواف لجلب الذخائر و لكن فشلت جميعها و الطوف الأخير هرب جميع افراده . و نحن من هذه الناحية وضعنا سيء جداً . و لذلك قلت أتحدث معك اليوم لتقوم بعمل شئ لانقاذنا .

دانيال : المشكلة في الماء . و قريباً سوف ينزل المطر و تنحل مشكلة المرور والقوات ستصل حتى (بانارو) .

يوسف : نحن في حاجة ماسة لالواح طاقة شمسية والتي بطرفنا تعطلت و كذلك نحتاج الى بطاريات الـ (٣٤٠) لان لدينا ثلاثة احهزة اتصال متعطلة .

دانيال : سوف ارسل لك لوح طاقة شمسية اما بطاريات الـ (٣٤٠) غير موجودة عندنا و نحن نستخدم جهاز (ياسو) يعمل بمولد كهربائي .

يوسف : نعاني ايضاً من عدم وجود الاوراق و الدفاتر لدرجة اننا نكتب الآن في الارض ، و كذلك بطاقات الشفرة الجديدة و حجار بطارية للراديو لمتابعة الاخبار .

دانيال : سوف ارسل لكم اوراق و دفاتر و كذلك بطاقة الشفرة الجديدة لتكون معنا في الصورة . و خلال ايام سوف تسمع اخبار جميلة . (لم يسمع بالطبع يوسف كوة الاخبار الجميلة حيث استطاعت القوات المسلحة و الدفاع الشعبي من قطاع بحر العرب ان تقوم بإيصال القطار من المجلد الى مدينة واو بعد توقف دام ثماني سنوات في ٢٤ يونيو ١٩٩٢م ، أي بعد شهرين من تلك المحادثة. كما ان عمليات صيف العبور كانت قد بدأت زحفها قبل ذلك بشهر في أول مارس ١٩٩٢م ، محررة مدن الجنوب الواحدة تلو الاخرى).

يوسف : كلام جميل و سوف نصمد حتى السنة القادمة و مشكلتنا هى عدم نزول المطر في تلك المناطق (بانارو) و لولا ذلك لذهبنا هناك بأنفسنا .

دانيال : كلام جميل . الدعم و القوات سوف تصلكم و المشكلة الوحيدة هي العطش و عند نزول المطر ستنحل المشكلة نهائياً .

يوسف : اشكرك كثيراً يارفيق و تحياتي للجميع . .. إنتهى .

من خلال المحادثة يلاحظ ان يوسف كوة و دانيال اويد رغم انهما من الاعضاء الدائمين في الحركة ، الا انهما لم يلتقيا منذ سبع سنوات . و تؤكد المحادثة سوء

احوال التمرد بالجبال في ذلك الوقت من ناحيــة الذخـائر و المعـدات و الانقطـاع عن قيادة التمرد . قوات الدعم التي كانـا يتحدثـان عنهـا ، هـي قـوات (جـبريل كرمبة) التي كانت تتواجد لحظة المحادثة في منطقة قوقريـال منـذ أكـثر مـن شـهر خوفاً من العطش وانتظارا لهطول الامطار . و فيما بعد وفّى دانيـال اويـد بتعهـده و ارسل كميات من الذخيرة وصلت الى الجبال في شـهر يونيـو بصحبـة (جـبريل كرمبة) و (محمد كوكو)، الا ان قسما من جنود تلك الحملة لقـى مصرعـه في الطريـق نتيجـة للامـراض و التعـب ، إذ كـانوا يحملـون الذخـائر علـى رؤوسـهم .(٣٦) . و لنا ان نتصور حجم الذخيرة التي يمكن ان يأتوا بها الى الجبال قـاطعين كل تلك المسافات وسط الاوحال التي يسببها الخريف و جريان المياه .

رابعـاً : شـكل وجـود ريـاك مشـار و لام اكـول، إضافـة الى عمليـات صيـف العبور، مشكلة (لوجستية) بالنسبة الى الحركة بجبال النوبا و اصبح خط الامـداد طويلاً، بل مستحيلاً في بعض الاحيان . حيث بعـدت الشـقة بـين قـوات الحركـة الأم و منطقة العمليات رقم اثنين. و هــذا مـا يؤكـده يوسـف كـوة في رده علـى تساؤل مجلة (الوسط) عن انهم بعد اثني عشر عاماً من التحالف مع الجنوبيين يبدو عســكرياً ان قواتهـــم لم تحقـــق أي مكســـب علـــى الارض. فقدكـــانت اجابته: ((الحركة الشعبية ككل فقدت اراضي كثيرة، لكنها الآن تعـاود زحمهـا . صحيح اننا فقدنـا اشـياء كثـيرة و مـن مشـكلاتنا الحقيقيـة اننـا نواجـه صعوبـات لوجستية. الامدادات تستغرق زمناً طويلاً حتى تصل الى مواقعنـا، خصوصـاً بعـد انفصال جماعة مشار)). (٣٧)

خامساً : نتيجة للواقـع المذكـور في النقطـة آنفـة الذكـر أعـاد جـون قرنـق قـراءة الاوضاع الداخلية للحركة بعدما وجد نفسه يقـاتل قـوات الحكومـة مـن جـانب خلال عمليات صيف العبور ، و قوات رياك مشار مـن جـانب آخـر، ممـا جعلـه يلتقي مـرة ثانيـة مـع يوسـف كـوة في التفكـير ، و اصبحـت جبـال النوبـا هدفـا

استراتيجيا . و تجلى ذلك في تمثيل ابنـاء النوبـا ضمـن وفـد الحركـة فـى محادثـات السلام التي تلت مفاوضات ابوجا، حيث شارك يوسف كـوة نفسـه ضمـن وفـد الحركة ابان مفاوضات (الايقاد) جولة نيروبي الثانية التي انعقدت في الفـترة مـن ١٨ الى ٢٩ يوليو ١٩٩٤م ، الا ان ذلك لم يكـن كافيـاً لـزرع الثقـة لـدى ابنـاء النوبا تجاه الحركة الأم، خاصة من جانب القادة الآخرين الذيـن اعتـبروا ان تحـرك قرنق الأخير تجاههم أملته عليه الظروف التي وجد نفسه فيها، وأن هدفه هو اتخـاذ الجبال مرة اخرى قلعة حصينة يمكن له ان يجعـل جـذوة تمرده متقـدة فيهـا مثلمـا استخدمها في السابق كذيكور يضفي على حركته صفة القومية ، اضافة الى ذلـك كان لابناء الجبال جملة ملاحظات على الحركة الأم نجملها في الآتي :

١- ان حركة التمرد بقيادة جـون قرنـق لم تثق كـل الثقـة في ابنـاء جبـال النوبـا ولذلك عينت عدداً قليلاً منهم كضباط في الحركـة مقـابل الاعـداد الكبـيرة منهـم كمقاتلين. و الدليل على ذلك دفعـة (انتصـار) الـتي كـان قوامهـا عشـرة آلاف مقاتل من ابناء النوبا لا يضمون سوى ١٨ ضابطا فقـط. و في لقـاء مـع (كوكـو جقدول) ، (٣٨) احد ابناء النوبا الذيـن انضمـوا الى الحركـة في ١٩٨٩م ، أكـد هذه المعلومة، مشيراً الي ان قادة حركة التمرد كـانوا كثـيراً مـا يلمحـون الى عـدم ثقتهم في النوبا و على رأسهم جون قرنق نفسه ، وذكر كوكو جقـدول ان قرنـق تحدث في احدى المحاضرات اثناء التدريب مشيراً الى ان القبلية هـى أكـبر مشـكلة تعاني منها الحركة و انه على سبيل المثال من المحتمل ان ينفصل يوسف كـوة عـن الحركة و يكوّن جبهة تحرير خاصة بجبال النوبا ، مؤكداً ان ذلك ممكن الحـدوث. كما اشار الى ان (سـلفاكير) تحـدث في محـاضرة بعـد انشـقاق مجموعـة النـاصر وقال : ((ان الحركة قد خُذلت من قبل الذين كان لا يتوقع منهم الخيانة بينما ظل الذين كان يتوقع منهم ذلك أوفياء للحركة حتى الآن)) في اشارة واضحة الى أبناء النوبا . و دلل كوكو جقدول على حديثـه بـأن القـوات الـتي قوامهـا ابنـاء النوبـا

يقودها ضباط من ابناء الدينكا بجنوب السودان . كما ان جون قرنق في فترة من الفترات عين نائباً ليوسف كوة من ابناء الدينكا و هو القائد (دوت) من ابناء بحر الغزال الذي كان يعمل من قبل في قوات سحون بحر الغزال برتبة مقدم قبل ان يتمرد، و تم شغل كل وظائف ضباط الاستخبارات و الاشارة العاملين فى جبال النوبا بابناء الدينكا، و قال في افادته تلك ان ابناء الدينكا يعتقدون ان أبناء النوبا جزء من ممتلكاتهم في الحركة و ان لهم - أي الدينكا - فضلا على النوبا. وهم يتباهون بأنهم هم الذين قدموا السلاح الى النوبا، و ان النوبا لا خيار لهم سوى البقاء داخل الحركة تحت قيادة جون قرنق ، و انهم يعملون لفصل الجنوب بحدود جنوب كردفان و جنوب النيل الازرق، و قال ان القبلية كانت طاغية جداً حتى قبل الانشقاق الذي قادة رياك مشار و لام اكول ،مشيراً الى أن معسكرات المتمردين كانت تقسم في اثيوبيا على أسس قبلية. فهناك معسكر للدينكا و آخر للنوير و آخر للنوبا ، و هكذا ... و قال ان القبائل جميعها اصبحت فيما بعد ضد الدينكا، موضحاً انهم عندما كانوا في منطقة جبل (بوما) كان الجميع يمارسون حظر تجول ذاتيا ابتداءاً من الساعة الخامسة مساءاً لان (المورلى) كانوا يتربصون بالمعسكر و يقتلون كل من يتجول و يأخذون سلاحه اذا كان من الدينكا، و يجردون الآخرين من السلاح فقط. كما ذكر أنهم عندما كانوا فى كبويتا كانوا يمارسون حظراً ذاتياً للتجول داخل مدينة كبويتا ليلا خوفاً من (التبوسا) الذين كانوا يتربصون باعضاء الحركة داخل المدينة ليلاً . وحكى كوكو جقدول ان ضباط الحركة من ابناء الدينكا الذين كانوا في منطقة ناروس بلغهم نبأ استعادة القوات المسلحة لمدينة كبويتا منذ الصباح الباكر و اجتمعوا على الفور لوحدهم دون اخطار بقية ضباط الحركة ، و قاموا بنقل اسرهم و حاجياتهم في ذلك الفجر الباكر الى كينيا باستخدام السيارات الموجودة ، و لكن بقية الضباط بما فيهم ابناء النوبا علموا بالنبأ من اذاعة ام درمان

في الخامسة مساءاً. ويقول حقدول: ((قمت في الحال بجمع الضباط و الجنود من ابناء النوبا لأبلغهم بالنبأ و طلبت منهم الاستعداد للتحرك الى كينيا. تحركنا و معنا النساء و الاطفال. وظلت المجموعة تسير ضمن مجموعات اخرى حتى اشرقت الشمس علينا ونحن على الحدود الكينية ، و هناك سلمنا اسلحتنا و دخلنا كينيا و انتهى بنا الأمر كلاجئين)). وأضاف انهم بعد ثلاثة ايام من وصولهم الى كينيا تلقوا تعليمات من قيادة الحركة بالعودة الى داخل الحدود السودانية و قال : ((قمت في الحال بجمع ابناء النوبا وهم ١١٥ فردا بينهم ثمانية ضباط، و شرحت لهم الموقف و قلت لهم إن قرار العودة الى داخل السودان قرار فردي، ومن اراد العودة فله ان يفعل ذلك. و لكني شخصياً لن أعود.لأن هؤلاء الدينكا قد خانوا ابناء النوبا عدة مرات كان آخرها طريقة اخلائهم لمدينة ناروس. و لست على استعداد للتعامل معهم ابداً))، مشيراً الى انه و عدد آخر من الضباط - منهم عبد المنعم الطاهر الذي كان في نقطة ندابال و انسحب الى الحدود مع كينيا نتيجة لتلك التصرفات - طلبوا توفير الحماية اللازمة لهم بعد ان تلقى الأخير انذاراً من الحركة. و بقي الجميع فيما بعد في معسكر (كاكوما) بكينيا ، و ابان كوكو حقدول انه يعتقد ان مشاركة ابناء النوبا في حركة التمرد مع الجنوبين كانت خطأً فادحاً لن يتكرر ابداً ، و قال انه اوضح لقادة الحركة أنه اذا كانت الحركة تدعو الى الانفصال فان ذلك خيانة عظمى للمبادئ التي شارك على أساسها ابناء النوبا في الحركة ، و إن كانت الحركة تعمل على الانفصال لاسباب دينية فان ابناء النوبا لن يقبلوا ان يكونوا أقلية عرقية و دينية مستضعفة في دولة مسيحية. ويعتقد كوكو حقدول ان حركة التمرد قد ارتكبت جرائم فظيعة في حق جبال النوبا مثل تجنيد الاطفال و الفتيات اللاتي انتهى بهن المطاف بائعات للهوى في معسكرات التمرد وقد بلغ عددهن ٣٠٠ فتاة احضرن من جبال النوبا ، كما ذكر ان حوالي ألف من ابناء الجبال ماتوا في معسكرات التدريب

نتيجة لعمل منظم و مقصود بالاضافة الى ٦٠٠ ماتوا اثناء التدريب ضمن دفعة (انتصار) ، كما اوضح حقلول انهم قد تعرضوا لاضهاد شديد من ابناء الدينكا، مضيفاً ان الحركة كانت تسلحهم بالاسلحة الفاسدة حتى لا يتمردوا على الحركة نفسها.

٢- يعتقد عدد من ابناء النوبا ان حركة التمرد استغلتهم و انها كانت حريصة فقط على استخدامهم دون ان تعطيهم وزنهم الحقيقي، اذ لا يوجد أي من ابناء الجبال في القيادة العليا للحركة عدا يوسف كوة. و عندما زاد تذمرهم أضيف عضوان آخران الى القيادة العليا ليصبح العدد ثلاثة، و ذلك ابان انعقاد المؤتمر القومي الاول للحركة في منطقة (شقدوم) عام ١٩٩٤م ، و الذي تم فيه تكوين (مجلس التحرير القومي) كجبهة عليا لاتخاذ القرار في الحركة وهو مجلس قوامه ٥٨ عضواً ، اصبح للنوبا فيه ثلاثة فقط، يوسف كوة كحاكم لكردفان من قبل الحركة، و محمد هارون كافي مسؤولاً عن الاعلام و النشر، و دانيال كودي سكرتيراً للبنية السياسية . إضافة الى ممثل واحد للانقسنا هو مالك عقارب حاكماً لجنوب النيل الازرق. اما المناصب القيادية كالجيش و شؤون الحركة الداخلية و الخارجية، فقد كانت من نصيب الجنوب و ابناء الدينكا على وجه الخصوص . وفي هذا الصدد يشير محمد هارون كافي الى ان قرنق نفسه كان يقول ان ٨٠ ٪ من قواته من ابناء النوبا، ثم تراجع و قال انهم ٦٠ ٪. و مع ذلك، و فيما عدا يوسف كوة، فقدكان ابناء الجبال اعضاء فقط في الحركة و لم تكن لهم حتى الآن بنية هيكلية داخل الحركة. وهذا اعطى قيادة الحركة الفرصة لتحريكهم وفق ما تراه مناسباً . (٣٩) و في هذا السياق يقول يوسف كوة في إجابة على سؤال لمجلة الوسط (اللندنية) عن نسبة ابناء الجبال و حديث محمد هارون بأنها ٨٠ ٪ قال : ((طبعاً عددنا ليس بالكثرة التي يقولها . صحيح انه

عدد محترم، و صحيح ان القوة التي هاجمت منطقة غـرب الاستوائية كـان ٦٠ ٪ منها من النوبا))، و في إجابة اخرى له عن: هل هم راضون عن العلاقة بين النوبـا و الجنوبيين داخل الحركة؟ قال يوسف كوة : (ذلـك لا يعني اننـا راضـون بنسبة ١٠٠ ٪. لكـن المشـكلات الموجـودة صغـيرة و لا ترقـى الى أن تكـون سـبباً للانسلاخ عن الجيش الشعبي)) (٤٠) وقد افاد دانيـال كـوردي احـد قـادة النوبـا داخل الحركة في لقاء خاص معه انه قاد مجموعة من ابناء النوبـا مـن اثيوبيـا حتى كاجوكـاجي و يـامبيو و طمـبرة و تركهـم هنـاك. و ذلـك في عـام ١٩٩٠ - ١٩٩١م ، و اضاف ان ٧٠ ٪ من قوة الحركة في غرب الاستوائية هـم مـن ابنـاء النوبا ، وقال دانيال كودي الذي كان يعمل فى ذلـك الوقـت في منصـب ضـابط الامداد للحركة و قائداً لمنطقة كايا : ((ان الحركة جندت عدداً مـن ابنـاء النوبـا. و قد تم تسليحهم و أُعيدوا الى غرب الاستوائية حول جوبا. وان هنـالك في كايـا وكاجوكاجي توجد اعداد كبيرة منهم ، بعضهم اصيب في عمليات جوبا في عـام ١٩٩٢م)). و افاد دانيال كودي انه ظل يراقب التطورات داخل الحركة منذ فـترة طويلة. و هو يعلم بكل المعاناة التي يعانيها ابناء النوبـا داخـل الحركـة و ان هنـاك الكثير من التجاوزات ضد النوبا داخل الحركة. و لكنه يعزو ذلك الى عدة اسباب منها : الجهل و منها الغـرض و الهوى و منهـا السياسـي الواضـح ، و لكنـه ظـل يتغاضى عـن ذلـك لاهـداف سـامية كـان يرجوهـا حسـب اعتقـاده ، و افـاد ان الحركة اصبحت الآن تطرح طرحاً انفصالياً منـذ ابوجـا و حتـى الآن ، و قـال ان ذلك خطأ كبير، و انه مع مجموعـة مـن ابنـاء النوبـا احتجـوا بشـدة علـى طـرح الانفصال . و ذكر ان الطرح الذي تطرحه الحركة مهما تدثر بدثار الكونفدراليـة و غيرهـا فإنـه دعـوة الى الإنفصـال . و أن الحركـة إذا اختـارت بـالفعل الانفصال ، فان ذلك بلاشك خيانة لمبادئ الحركة التي انضم علـى اساسـها ابنـاء النوبـا اليهـا، و اضـاف دانيـال كـودي ان ابنـاء النوبـا ظلـوا فـى الفـترة الاخـيرة

وبالتحديد منذ عام ١٩٩٠م و حتى الآن ينفذون أكثر من ٦٠ ٪ من عمليات الحركة العسكرية في الجنوب ، و لكنهم ظلوا يشكلون صفراً بالمائة من النشاط السياسي للحركة ، وهذه حقيقة يعلمها الجميع وهو أمر غير مقبول على الاطلاق . (٤١)

٣- الكوادر المدربة سياسياً او ادارياً في الحركة ليس فيها عدد يذكر من ابناء جبال النوبا. ويقول محمد هارون كافي : ((استُبعدنا من كل البعثات الى كوبا وزمبابوي ، حتى من بعثات التدريب الداخلي. ذلك في الوقت الذي نقاتل نحن فيه باسم الحركة في جبالنا و نقاتل مع قرنق في الجنوب و نشارك مع ابناء منطقة جبال الانقسنا. لكننا مهمشون داخل الحركة)). (٤٢)

٤- يأخذ ابناء النوبا على حركة التمرد انها لم تبذل أي جهد لحض المجتمع الدولي او المساهمة بنفسها في توصيل الاغاثة الى جبال النوبا و المشاركة في الاتفاقيات التي عقدت بشأن الاغاثة . و برنامج (شريان الحياة) لم يشمل جبال النوبا. و لم تطالب الحركة الأم بضم الجبال الى هذا البرنامج، مما جعل جبال النوبا تعيش وضعاً مأساوياً، خاصة المناطق التي تقع تحت سيطرة الحركة .

٥- كل الاتفاقيات التي أبرمتها الحركة مع قوى شمالية معارضة تخلو من نصوص واضحة بشأن جبال النوبا ، خصوص اتفاقها مع الحزب الاتحادى الديمقراطي (القاهرة اغسطس ١٩٩٤م) و اتفاق شقدوم مع حزب الأمة ديسمبر ١٩٩٤م .

كان هذا - إجمالاً - موقف الحركة بجبال النوبا و الاوضاع التي وجدت نفسها فيها و أثرت عسكرياً و معنويا على مسارها ، الشيء الذي أدى مؤخراً الى انشقاق مجموعات منها وانضمامها الى ركب السلام الذي نادي به نظام الانقاذ على نحو ما سنروي عندما نأتي الى الحديث عن خطاب الانقاذ السياسي وعملية السلام في جبال النوبا .

اضافة الى الوضع الخاص بالحركة، نجد انه في هذه الفترة بدأت القوات المسلحة وقوات الدفاع الشعبي توجه ضربات مؤثرة بدءاً بعمليات جبال تلشي و انتهاءاً بعمليات صيف ١٩٩٤م ، (عمليات أمل كردفان كأكبر عمل تعبوى نفذته القوات المسلحة بالمنطقة) و التي بدأت في ٣١/١٢/ ١٩٩٣م ، و فقدت من جرائها حركة التمرد مواقع كثيرة في الجبال - كما ذكر يوسف كوة في حديثه المذكور في هذا الفصل - حيث انحصر وجود التمرد بعد تلك العمليات في رئاسة الحركة بجبال لمون و أجرون، الى جانب وجود رمزي في المنطقة الغربية لجبال النوبا حول جبل تلشي . إذ تم تحرير ارياف الجبال التي احتلتها الحركة من قبل ، و فتحت الطرق الرابطة بين المناطق المختلفة و أقيمت العديد من قرى السلام وعادت الحياة الطبيعية الى مدن الجبال المختلفة.

هكذا تضافرت عدة عوامل جعلت انحسار الحركة ممكنا في جبال النوبا، اضافة الى الضعف العام الذي واجهته حركة التمرد الأم بجنوب السودان وانحصارها في الشريط الحدودي مع يوغندا و كينيا الذي انعكس سلباً على حركة جبال النوبا في هذه الفترة التي امتدت من عام ١٩٩٢م الى عام ١٩٩٦م .

و في نهاية هذا الفصل لا بد ان نورد اسماء بعض أبرز قادة الحركة في جبال النوبا الذين أسسوها و قادوها في مراحلها المختلفة. و هم على سبيل المثال لا الحصر: (٤٣)

١- يوسف كوة مكي .

٢- دانيال كودى :

من ابناء هيبان، و هو مسيحي كاثوليكى تلقي دراسات في اللاهوت في الفاتيكان و كان يعمل معلماً للتربية المسيحية ، كان عضوا في مجلس الشعب القومي الخامس ابان عهد الرئيس نميري ، واتُهم في المؤامرة العنصرية التي دبرها الاب فيليب غبوش في عام ١٩٨٤م. من اوائل الذين انضموا الى حركة التمرد ، عمل

في مكتب الحركة بأديس ابابا لمدة عامين و نصف، و شارك في مفاوضات الحركة و التجمع في كوكادام ، و هو معلم جون قرنق الخاص للغة العربية.

٣- عبد العزيز آدم الحلو :

من المنطقة الشرقية لجبال النوبا ، درس الثانوية بمدرسة بكادقلي الثانوية و تخرج فـي كلية الاقتصاد جامعة الخرطوم ، عمل بالهيئة القومية للكهرباء بالخرطوم ، إلتحق بالحركة بعد الانتفاضة . قاد عددا من عمليات الحركة بجبال النوبا، واخيراً عمليات الحركة بدارفور ، و هرب الى افريقيا الوسطى عند هزيمة الحركة التي قادها داؤود يحي بولاد .

٤- تلفون كوكو جلحة :

من ابناء ريفى البرام (منطقة طروجية)، خريج مدرسة الطلحة الزراعية الثانوية، عمل بمؤسسة جبال النوبا الزراعية بكادقلي . كان ينبغي ان يكون داعية بمنظمة الدعوة الاسلامية بتوصية من يوسف كوة ، كما كانت المنظمة تسعى الى ايجاد منحة جامعية له باحدى الجامعات السعودية قبل ان ينضم الى حركة التمرد . كان تلفون يقود مشعل النور بالجبال. إذ كان مهتما بفتح المدارس و فصول محو الامية ، ووجد في ذلك مقاومة من بعض التجار المحليين ومراكز القوى الذين أوغروا صدر الجهات الرسمية بالمنطقة عليه، و ألبوا عليه الناس ووصموه بالعنصرية و تم اعتقاله لأكثر من مرة ، مما دفعه الى الانضمام الى حركة التمرد في ذلك الوقت . و كان معه في نشاطه بالجبال عبد الباقي على قرفة و عبد السلام تية اللذان صبرا و لم يتمردا. الاول اصبح عضوا بالمجلس الوطني عن دائرة البرام، و الثاني رئيسا للمجلس المحلي بالمنطقة في انتخابات ١٩٩٦م. والثلاثة هم كل من بلغ فى تعليمه المرحلة الثانوية من جملة ٦٥ الف نسمة هم سكان ريفى البرام. منع تلفون كوكو المتمردين عند دخول قوات التمرد ام دورين من تدمير

بجمع منظمة الدعوة الاسلامية أو قتل حارسه ، وقد ظل على حاله حتى تم تحرير المنطقة .

و تلفون هو أول محارب من ابناء الجبال يدخل جبال النوبا ، و كان مؤخراً قائداً لمنطقة البرام عند تحريرها من قبل القوات المسلحة ضمن عمليات صيف ١٩٩٤م، و اتُهم من قبل الحركة بانه سلم منطقته لقوات الحكومة و لم يدافع عنها، فتم اعتقاله و أودع سجن الحركة .

٥- يوسف كندة :

مسيحي من قبيلة (ابل) بريفي هيبان .

٦- يوسف كرة :

مسيحي عمل بمكتب بريد كادقلي وقاد حركة التمرد بمنطقة هيبان .

٧- تاج السر البدين :

من ابناء ميري بريفي كادقلي ، درس الحقوق بجامعة القاهرة فرع الخرطوم ، أعدته الكنيسة اعداداً خاصاً في الفاتيكان وتلقى دورات عسكرية متقدمة في كوبا. كانت الجهات الكنسية تعده لخلافة يوسف كوة ، قُتل على أيدي قوات الدفاع الشعبي بعد الانقاذ الوطني بقرية دميك ، أطلقت الحركة فيما بعد اسمه على احدى مجموعاتها العسكرية بجبال النوبا .

٨- عبدالحميد عباس :

من ابناء النيمانج بريفى سلارا، تخرج فى كلية البيطرة بجامعة الخرطوم ، و كان أحد كوادر الحزب الشيوعى ، عمل بمكتب الحركة في اديس ابابا و نيروبى، وكان ضمن كادر الحركة الاعلامي باذاعة التمرد .

٩- الامين او يونس ابوصدر :

من ابناء الكواليب بريفى دلامى ، ملازم (معاش) بالقوات المسلحة ، اشترك في محاولة الاب فيليب غبوش الانقلابية الاولى في عهد النميري . اعتقل من قبل يوسف كوة في الجبال و ارسل مع آخرين الى بحر الغزال .

١٠- آدم كوكو :

مسيحي من هيبان، من ابناء قبيلة الليرا بريفى هيبان ، خريج رمبيك الثانوية ، عمل في معامل بوزارة الصحة .

١١- اسماعيل خميس جلاب :

من قبيلة تيما بريفى لقاوة ، جندي (معاش) بالقوات المسلحة ، احد القادة الذين ادخلوا التمرد الى منطقة الجبال الغربية بريفى لقاوة ، كان قائداً للتمرد بمنطقة الكواليب، ثم تولى قيادة التمرد بجنوب كردفان بعد خروج يوسف كوة في عام ١٩٩٣م لمحادثات ابوجا، و ما زال القائد المناوب بالجبال .

١٢- عوض الكريم كوكو :

من ابناء كادقلي ، مسؤول عمليات كتيبة البركان التي ادخلت التمرد بصورة واسعة للجبال ، و أحد الذين قرر تنظيم ابناء النوبا ادخالهم حركة التمرد ، وكان مسؤول التنظيم بكادقلي ، إعتقله يوسف كوة ضمن قادة النوبا الذين ارسلوا الى بحر الغزال.

١٣- محمد موجو :

من ابناء ريفي البرام ، عمل معلماً بالمدارس المتوسطة ، كان يشرف على بعض خلايا العسكريين بالجيش التابعة لتنظيم ابناء النوبا .

١٤- محمد جمعة :

قائد التمرد بمنطقة الجبال الغربية (الدلنج / لقاوة) .

١٥- سايمون كارلو :

مسيحي من ابناء هيبان ، احد الذين فاوضوا وفد الحكومة في ام سردبة و بلنجا، قائد التمرد بمنطقة المورو .

١٦- محمد هارون كافي :

من ابناء كادقلي، تخرج في خورطقت الثانوية ، و من بعد ذلك في معهد البريد والبرق ١٩٦٩م - ١٩٧٥م ، درس ايضاً في معهد الدراسات الافريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم ، أصدر كتابه المشهور عن (الكجور بجبال النوبا) في عام ١٩٨٧م . عمل صحفياً بجريدة الرأى العام ثم جريدة الصحافة قسم التحقيقات، هاجر الى السعودية في بداية ١٩٨٠م ، ثم انضم الى التمرد في الخامس من نوفمبر ١٩٨٥م ، كان أحد الكوادر الاعلامية للحركة الأم حيث يقيم في اديس ابابا بعد ابعاده من جبال النوبا عام ١٩٨٧م، وقع على ميثاق السلام مع الحكومة السودانية بعد إنشقاقه الشهير عن الحركة الأم .

١٧- كوكو حقدول :

من ابناء قبيلة الغلفان في شمال الجبال ، قرية دايري جنوب الدلنج ، تخرج فى كلية التربية جامعة الخرطوم عام ١٩٨١م ، عمل في قسم الأخبار الخارجية بوكالة السودان للأنباء ، و هاجر بعدها الى السعودية ، كان من اصدقاء يوسف كوة. وقد تزاملا في الجامعة و عملا سوياً في رابطة ابناء جنوب كردفان بجامعة الخرطوم ، انضم الى حركة التمرد عام ١٩٨٩م، و التحق بها من السعودية ، تخرج ضمن دفعة (انتصار) التي خرجتها حركة التمرد عام ١٩٩٠م ، عمل في عدة وظائف ادارية بالحركة ، يعمل كمعلم للاطفال السودانيين اللاجئين في معسكر (كاكوما) في شمال كينيا ، بعد ان وصلها من ناروس بعد دخول القوات المسلحة الى مدينة كبويتا، و رفض الرجوع الى العمل مع حركة التمرد .

هؤلاء بعض أبرز القادة الذين انضموا الى حركة التمرد من ابناء جبال النوبا. وهنالك البعض الذين لم نذكرهم. و انما حاولنا هنا ان نبرز هؤلاء كمثال لمثقفى النوبا الذين قادوا حركة التمرد في المنطقة .

الفصل الثالث

محاور التصدي و كسر شوكة التمرد

عند دخول التمرد الى منطقة جبال النوبا في عام ١٩٨٤م لم تكن القوات المسلحة منفتحة في المنطقة بصورة تغطي كل اجزاء الاقليم، لانه لم يكن هناك من داع لذلك، حتى قوات الشرطة كانت توجد باعداد قليلة في بعض المناطق ، قد لا تتجاوز الاربعة او الخمسة افراد. و في المراكز الكبيرة و المدن كان يصل عددها في أحسن الاحوال الى عشرة افراد ، و ذلك لان طبيعة المنطقة السلمية وتعايش اهلها لم يكن يشكل هاجساً يستدعي تكثيف الوجود الامني ، اضافة الى ان التحدي الامني كان قد برز لتوه في جنوب السودان . لذلك استفادت حركة التمرد من هذا الوضع ، و قامت بالتغلغل داخل قرى و مدن الاقليم دون ان تجد مقاومة عنيفة توقفها عند حدها ، اضافة الى ان الوضع الذي اعقب سقوط نظام الرئيس جعفر نميري و مجئ الفترة الانتقالية و من ثم الحزبية احدث ارتباكا على مستوى التعامل مع البلاغات التي ترد اليهم من مواقع الاحداث ، كما ان تعدد مصادر اتخاذ القرار السياسي في تلك الفترة جعل البطء سمة التعامل مع قضايا المنطقة، بجانب التداخلات التي كانت تصاحب كل قرار يتخذ. خاصة فيما يتعلق بالموضوعات الامنية و التعامل مع حركة التمرد ، كل ذلك جعل الوضع سيئا على مسرح الاحداث ، واستفادت منه الحركة ايما استفادة . حزب الامة و الجبهة الاسلامية القومية آنذاك كانتا الأكثر صدقا في التعامل مع الوضع المتفجر، بخلاف الآخرين، خاصة الاحزاب اليسارية التي كانت ترى ان كل تحرك يقوم به حزب الأمة هو تحرك من منطلق الكسب السياسي و توطيد الاقدام في احدى مناطقه التقليدية، كما ان تحرك الجبهة الاسلامية في نظرهم هو محاولة لايجاد موطيء قدم و كسب ولاء جديد ومحاولة لنشر الاسلام، مما يعد عاملا

سالبا يقوض جهودهم، خاصة بالنسبة للاحزاب و المجموعات الاقليمية التي رعت التمرد وكانت تعتقد ان وجوده يقوى من مواقعها الآنية و المستقبلية.

و على الرغم من ذلك نجد ان انسان المنطقة لم يقف مكتوف الايدي و هو يرى الممارسات الوحشية التي صاحبت دخول التمرد الى قرى و فرقان و مدن جبال النوبا ، حيث برزت الى الوجود التكوينات الشعبية التي اتخذت مسميات مختلفة و وقفت مع القوات المسلحة مؤازرة ، الشئ الذي حد من تقدم التمرد و وقف حائلا بينه و بين احتياح بقية مناطق الاقليم و مدنه الرئيسية مثل كادقلي والدلنج و لقاوة و هيبان و غيرها . و لابد ان نذكر الوقفة الصلبة التي وقفها حاكم كردفان آنذاك عبد الرسول النور ورعايته لحركة المقاومة الشعبية و دعمه لها عندما تعرضت لانتقادات عنيفة من المجموعات الداعمة لحركة التمرد بالداخل وتشكيك في جدوى قيامها .

يمكننا تقسيم محاور التصدي و كسر شوكة التمرد الى ثلاث مراحل، اضافة الى الحديث عن آليات التصدي نفسها ، و سنتناول ذلك دون الدخول في التفاصيل اليومية، باعتبار ان الاحداث و العمليات العسكرية كانت ممارسات شبه يومية في مناطق الجبال المختلفة. لذلك سنركز على الاحداث الكبيرة التي كان لها الأثر الأكبر على مجريات الاوضاع. و ذلك على النحو التالي :

المرحلة الاولى :

حركة التصدي في الفترة من ١٩٨٤م - ١٩٨٩م .

وقع عبء التصدي للخوارج في بادئ الامر على القوات المسلحة و قوات الشرطة الموحدة بالمنطقة على قلة العدد و العتاد ، و فيما بعد انضم اليهما مواطنو المناطق التي استهدفها الخوارج وبأسلحتهم التقليدية. و في بعض الاحيان كانت مشاركتهم تتمثل في ابلاغ السلطات المعنية باماكن تواجد الخوارج و حركتهم .

و عندما جاءت الكتيبة "حديد " بقيادة رياك مشار التي أوكل اليها امر فتح الطريق و التمهيد لدخول التمرد الى جبال النوبا، حاولت في بادئ الامر ان تخترق الاجزاء الجنوبية في محافظة الرشاد ، و هي ارياف تلودي و كالوقي لتصل الى جبال المورو والتيرا عبر سلسلة من الغارات شملت قرى القردود وام ردمي و ما جاورها . لكن تلك الغارات واجهت مقاومة شرسة و لم تصل الى هدفها المنشود لاصطدامها بالقبائل العربية الموجودة بالمنطقة ، فاتجهت الكتيبة غربا الى جبال ريفي البرام . فأغارت على تبانيا و انقولوا، و هي مناطق جنوب كردفان المجاورة لاعالي النيل .

و عن بدايات تلك المرحلة نستمع الى رواية (عبد السلام تية) احد شهود العيان، و هو احد ثلاثة من ابناء البرام نالوا حظا من التعليم في ذلك الوقت، احدهم قاد التمرد و هو تلفون كوكو، و الآخر ممثل المنطقة الحالي بالمجلس الوطني..(٤٤) يقول عبد السلام في افادته ((إن الكنيسة بذلت مساعي حثيثة لجعل المنطقة جزيرة مسيحية وسط محيط عربي واسلامي ، و عندما فشلت في ذلك سعت الى جلب التمرد الى المنطقة بقصد تعويق العمل الاسلامي الذي كان قد بدأ يبرز بشكل منظم في عام ١٩٨٤م ، خاصة من قبل منظمة الدعوة الاسلامية . و يشير الى ان الكنيسة مثلا بدأت عملها في ريفي البرام منذ الثلاثينيات، و تم بناء كنيسة في كل من تبانيا و كاتشا. و ترجم الانجيل الى اللهجات المحلية، الا ان كل ذلك لم يأت بالنتائج المرجوة في مقابل الاعداد المتزايدة التي كانت تدخل الاسلام ، لذلك لجأت الكنيسة الى تبني خط التمرد و مساندته بقصد ايقاف المد الاسلامي الذي كان قد برز للعيان . بدأت الكنيسة بتعبئة اتباعها من داخل الكنائس بالخرطوم وبورسودان ، حيث ان مواطني الجبال البسطاء ما كانوا يعرفون الشعارات التي رفعها التمرد في بادئ الامر، وقد جاءتهم عبر ابنائهم المقيمين خارج الاقليم ، وتجلت الدعوة الى التمرد و برزت

الى الوجود بصورة سافرة ابان الحملة الانتخابية التي صاحبت انتخابات عام ١٩٨٦م، و قد كنت احد المرشحين عن دائرة البرام، ففي تلك الانتخابات كانت الدعوة صريحة الى التمرد ليتم تهيئة المواطن لاستقباله. كما ان الأحزاب كانت تغذي بعض القبائل بالسلاح مما ساعد التمرد على اقناع البعض بالانضمام اليه ، بجانب بساطة الناس و جهلهم بالمخاطر المحلقة ، وفوق ذلك كله فان الجهات الرسمية لم تكن على قدر كاف من الوعي و الدراية بحيث تحسن التعامل مع تلك الاحداث ، فقد كان طابع المرحلة التخبط في القرارات والمعالجة البطيئة للاحداث ، الشئ الذي جعل حركة التمرد تكسب من وراء ذلك. بالرغم من ان مدخل التمرد الى الجبال كان خاطفاً، مما جعل اغلب مواطني المنطقة يقفون سداً منيعاً ضده. و لكنهم كانوا عزلاً و لم يجدوا سنداً من السلطات الرسمية)).

يواصل عبد السلام تيه ((عند بداية دخول التمرد مارس الارهاب على المواطنين بغية إكراههم على الانضمام اليه ، مثل جلد كل من لم يتجاوب معهم بطريقة لم يألفها الناس، اضافة الى ان ابناء الجنوب من حركة التمرد الذين اوكل اليهم فتح الطريق الى الجبال كانوا قد بدأوا نشاطهم بالقرصنة بمنطقة طروجي عندما مارسوا عمليات النهب و السلب على ابقار المواطنين و ممتلكاتهم، وكان من يقاوم مصيره القتل رميا بالرصاص ، مما شكل تياراً مضاداً للتمرد في المدخل الرئيسي لجبال النوبا و هي منطقة ريفي البرام ، اضافة الى الممارسات الوحشية التي صاحبت هجوم الخوارج على كل من القردود و الازرق عامى ١٩٨٥م - ١٩٨٦م ، على التوالي .

عندما اشتدت هجمات حركة التمرد على قرى انقولوا و الدار و تبانيا، و هي قرى تقع في اقصى جنوب ريفي البرام ، شكلنا مقاومة شعبية عارمة و عنيفة ضد قوات الحركة. فكان الاهالي يشتبكون مع الخوارج عند هجومهم على أية قرية الى حين وصول القوات المسلحة التي كان تواجدها في منطقة طروجي ، و فيما

بعد تم تدريب المواطنين بواسطة القوات المسلحة في طروجي وتم اختيار مجموعات من المواطنين من تلك القرى المواجهة للتمرد بلغ عددهم ٣٠٠ مواطن شكلوا نواة لقوة كنا نزمع تكوينها و اطلقنا عليها (قوات السلام) ، بدأت احراءاتها بواسطة الاستخبارات العسكرية يومها بقيادة المقدم احمد خميس، و ارسلت قوائم باسماء هؤلاء الى رئاسة الفرقة بالابيض. الا ان الاوامر صدرت بحلها ، ربما من بعض الجهات السياسية في ذلك الوقت، و اوقفت عملية التدريب لان البعض كان يعتقد ان النوبا كلهم متمردون ، او على الاقل طابور خامس، و اي عمل يقومون به، مهما كان واضحاً، قد يشكل خطراً فيما بعد، و ذلك لان قوة السلام التي شكلت كان قوامها ابناء النوبا من ريفي البرام . و لم يدر من اوقف ذلك العمل انه خدم بعمله هذا حركة التمرد . لان التمرد عبر فيما بعد الى بقية مناطق الجبال عبر ريفي البرام)). يواصل عبد السلام تية حديثه ويقول: ((لجأنا بعد ذلك الى تجميع المواطنين الذين بحوزتهم بنادق بلدية " مرمطون " في معسكر بقرية أنقولو للتصدي للخوارج حين دخولهم المنطقة. و في بعض الاحيان كنا نطارد الخوارج لمدة ٢٤ ساعة خارج حدود الاقليم ، و كان لهذا المعسكر دور عظيم في صد الخوارج ومنعهم من دخول المنطقة ، الا اننا فوجئنا في خريف عام ١٩٨٨م ، بأمر يطالبنا باخلاء المعسكر دون ذكر للسبب ، و بعد ذلك انفتح الباب على مصراعيه لحركة التمرد. لان القوات المسلحة كانت توجد في منطقة طروجي على بعد ١٥ كيلومترا من مسرح الاحداث ، لذا عندما يهجم الخوارج على قرى المنطقة و يذهب من يُبلغ القوات المسلحة في طروجي، لا تصل هذه القوات الا بعد ان يكون افراد التمرد قد اخذوا ما يريدون ، و اصبح المواطن مغلوبا على أمره، بعدما تطور الأمر و أصبح مصيره إما القتل او نهب ممتلكاته على اقل تقدير من قبل افراد الحركة ، كما ان من يعلم و لا يبلغ يتعرض للمساءلة من قبل السلطات الرسمية ، فأصبح المواطن المسكين بين سندان التمرد

و مطرقة الحكومة . و هكذا ساهم البعض في اضعاف المقاومة الشعبية في هذا الجزء من الاقليم، مما جعل الخوارج يعبرون بكل سهولة ويسر في عام ١٩٨٩م عندما جاءوا مستهدفين احتلال كادقلي بعدد يقدر بحوالي ٣ آلاف متمرد ، و كان مدخلهم قرية انقولو بريفي البرام نهارا. و كانوا غير مبالين بالحاميات الموجودة في طروجي و البرام و التيس لان هدفهم كان كادقلي ، وقد حال دون سقوطها في أيديهم الدور البطولي الذي لعبه افراد القوات المسلحة والدفاع الشعبي في معركة كرنقو عبد الله، و من بعد ذلك معركة (الحمرة) التي تكبد فيها الخوارج خسائر فادحة حالت دون احتلالهم لمدينة كادقلي . وقد فر منهم من نجا من القتل ، و احتمى الباقون بجبال لمون و اخرون بريفي ام دورين واتخذوها من بعد ذلك مقراً لهم . و تعتبر معركتا كرنقو عبد الله و الحمرة أقوى المواجهات التي لقيتها حركة التمرد في بداية دخولها المنطقة)).

على ذات السياق نجد انه في عام ١٩٨٧م ، بعد احداث ام دورين و احتلال الخوارج لهذة المدينة الآمنة بمحافظة كادقلي ، بدأ المواطنون يحسون بان الخطر اصبح وشيكا و بات يهدد وجودهم و كيانهم ، لذلك فكروا في تنظيم المقاومة الشعبية و جعلها أكثر فعالية في التصدي للخوارج . و كان فرسان القبائل قد ساهموا بالفعل مع القوات المسلحة، و تمكنوا من استعادة ام دورين بعد ثلاثة ايام من احتلالها. و يبدو ان المواطن في تلك المناطق كان قد تجاوز الحكومات الحزبية التي لم تتجاوب مع مطالبهم بضرورة تقنين المقاومة الشعبية و اصدار قانون بذلك. و في سياق عرضنا لافادات شهود العيان لأحداث تلك المنطقة نترك المجال للشهيد احمد عبد الله محمود (الكلس) احد الذين عاصروا الاحداث و كان له دور فعال في حركة التصدي للخوارج ، لكي يحدثنا عن تلك الفترة و تلك التجربة و كيف قامت قوات الدفاع الشعبي و استطاعت مع القوات المسلحة ان تصد هجوم الخوارج الذي استهدف المنطقة ، ذلك عبر الحوار معه الذي نشرته له

صحيفة (الراية) بتاريخ ١٩٨٩/٥/٢٤م ، يقول الكلس (٤٥): ((بدأ الدفاع الشعبي بالمنطقة الجنوبية لمديرية كردفان منذ دخول الخوارج منطقة ام دورين شرق كادقلي في يوليو ١٩٨٧م ، يومها شعرنا ان الخوارج يستهدفون الوجود العربي و الاسلامي. و كان لا بد لنا من المشاركة مع القوات المسلحة في الدفاع عن انفسنا و ديننا في مواجهة العدوان ، و يومها كان عدد قوات الدفاع الشعبي التي اتصلت بالقوات المسلحة للمشاركة معها في التصدي للخوارج لا يزيد عن المائتي مواطن. وذهبنا الى منطقة الحمرة الواقعة في منتصف الطريق بين ام دورين و كادقلي و التقينا بالرائد احمد حميس و ابلغناه برغبتنا في القتال معهم ضد الخوارج دفاعا عن الوطن و العرض والارض . و قد انضممنا الى هذه القوة تحت قيادة الرائد احمد حميس. و لكن لم تكن هناك معارك، نسبة لانسحاب الخوارج من المنطقة في تلك الفترة ، و لذلك رجعنا الى كادقلي و بدأنا في استنفار الناس و شرح حقيقة الامر لهم ليكونوا على أهبة الاستعداد من احل المشاركة في مواجهة أي هجوم آخر يحاول فيه الخوارج الدخول الى المنطقة مرة اخرى . و قد اقتنع الناس و بدأوا في التسلح اعتماداً على انفسهم، الى ان جاء الخوارج هذا العام ١٩٨٩م ، فوجدونا احسن حالاً)).

و يواصل الكلس حديثه ((بعد ذلك علمنا بوصول الخوارج الى منطقة (فاما) شرق كادقلي في أواخر مارس ١٩٨٩م ، عندما وصل الجرحى من القوات المسلحة الى مستشفى كادقلي . ذهبنا الى رئاسة حامية كادقلي و ابلغنا قائدها بأن لنا قوة نريد احضارها للمشاركة في القتال. و فعلا تقدمنا انا و الاخ محمد تاور (استشهد فيما بعد) قوات الدفاع الشعبي و كان عددها ٣٥٠ مجاهداً، و قامت بتحركات في مناطق (شات الصفية) و (التيس) و علمنا ان الخوارج تحركوا الى منطقة كرنقو عبد الله المجاورة لكادقلي .

و قمنا بالاشتراك مع القوات المسلحة في الهجوم على الخوارج في كرنقو عبد الله ودحرناهم و دمرنا معسكرهم و غنمت قوات الدفاع الشعبي ١٧ بندقية (كلاشنكوف) و واحد مدفع (دكتريوف) و استشهد منا اربعة افراد، و بعد استردادنا لكرنقو عبد الله جاءتنا التعليمات بالتحرك الى كادقلي للتوجه الى مناطق اخرى ترغب القوات المسلحة في سد ثغرتها . و قد كان لرجوع قوات الدفاع الشعبي الى مدينة كادقلي أثر كبير في نفوس المواطنين إذ شعروا بأن العمل الذي قمنا به كان عملا مشرفا . و شاركت قواتنا فيما بعد في صد الخوارج عندما تسللوا الى منطقة (الكويك) المجاورة لكادقلي ، كما شاركت قوات الدفاع الشعبي في صد هجوم الخوارج على منطقة الحمرة، مما اكسبنا مزيدا من ثقة القوات المسلحة، و كان للروح المعنوية العالية التي تقاتل بها قواتنا اثر كبير في نفوس الجنود أدى الى تحقيق الانتصارات على الخوارج)).

و هكذا نجد ان قوات الدفاع الشعبي فرضت نفسها من خلال قيامها بأعمال جليلة ملموسة بالنسبة للقوات المسلحة و مواطني المنطقة ، مما حدا بالسلطات الرسمية و حكومة الاقليم آنذاك ان تعترف بوجودها . و في ثالث و رابع ايام عيد الفطر المبارك من عام ١٤٠٩ هـ ، شهدت مدينة كادقلي الاجتماع التأسيسي التنظيمي الاول لقوات الدفاع الشعبي بالمنطقة الجنوبية لمديرية جنوب كردفان ، وقد حضر ذلك المؤتمر عدد كبير من زعماء و ابناء العشائر المقيمين بالمنطقة، وخاطب ذلك المؤتمر السيد حامد يوسف الضابط التنفيذي لمجلس المنطقة الجنوبية بالمديرية و رئيس لجنة الامن و رئيس اللجنة العليا للدفاع الشعبي التي تم تكوينها بقرار من السيد على جماع محافظ المديرية بناءاً على توجيهات من السيد عبد الرسول النور حاكم اقليم كردفان عقب دخول الخوارج الى منطقة كرنقو عبد الله . وتم في ذلك الاجتماع تكليف اللجنة العليا للدفاع الشعبي، التي ضمت ممثلين للاحزاب و الاجهزة الادارية، بالقيام بتعبئة المواطنين و الاشراف على

تكوين لجان للدفاع الشعبي على مستوى الاحياء و القرى و الفرقان بالمنطقة الجنوبية لمديرية جنوب كردفان .

و في اطار افادات شهود العيان يقول محمد آدم الشفيع، أحد المؤسسين للدفاع الشعبي بكادقلي (٤٦): ((عندما بدأنا التصدي في المرحلة الاولى لدخول الخوارج المنطقة كنا نسمي انفسنا (اتحاد ابناء الرواوقة بجنوب كردفان) ، ثم انتقلنا الى (اتحاد العرب) ثم الى قوات الدفاع الشعبي التي كان قيامها في مؤتمر جامع انعقد بالجنينة الخاصة بي، وقد ضم كل قبائل المنطقة من عرب ونوبا وشايقية وجعليين، مسلمين و مسيحيين ، و قد قررنا يومها ان نعمل يدا بيد مع القوات المسلحة للتصدي لخطر التمرد ، و شكلت وقفتنا يومها سندا قويا للقوات المسلحة في تلك الايام العصيبة . و بعد مجئ نظام الانقاذ إنطلقنا و أصبحنا قوة هائلة بعد تقنين وجودنا و مدنا بالسلاح من قبل حكومة الانقاذ الوطني ، و قدمنا في اطار المواجهة مع التمرد و كسر شوكته الشهيد تلو الشهيد، و كنا نرد الصاع صاعين)).

اما سليمان علي الصادق، أحد قادة الدفاع الشعبي قطاع كادقلي فيقول في روايته لأحداث المنطقة (٤٧): ((بعد هجوم الخوارج على ام دورين في يوليو ١٩٨٧م ، هب كل شباب المنطقة دون استثناء و من مختلف القبائل و بدأنا نقاتل التمرد مع القوات المسلحة . و كنت قد ذهبت مع الاخ الشهيد النيل سليمان عريس الى قيادة حامية كادقلي و ابلغنا قائدها العقيد حامد ابراهيم ، و قلنا له نحن عملنا من قبل في القوات المسلحة و نريد اليوم ان نقاتل معها حركة التمرد ، فوافق على ذلك . وعند تكوين قوات الدفاع الشعبي تم اختيار الشهيد احمد عبد الله محمود (الكلس) قائدا لها . و قدمنا اول شهيد لنا في مواجهاتنا مع التمرد الاخ الشهيد النيل سليمان عريس و اول جريح هو موسى يحى . و كانت أبرز عملياتنا في تلك الفترة هي عملية كرنقو عبد الله التي جعلت التمرد يتراجع

عن خطته لإحتلال كادقلي ، و من بعدها المواجهة الشرسة فى منطقة الحمرة. و قد بدأنا قتالنا في صف القوات المسلحة ضد التمرد منذ الرابعة صباحا و حتى الحادية عشرة قبل الظهر و كبدنا فيها الخوارج خسائر جسيمة، و كان ذلك بمثابة أكبر انتصار لقوات الدفاع الشعبي ساهم في تقنينها و الاقناع بدورها فيما بعد)).

و يضيف الاستاذ محمد ابكر محمد احمد قائد كتيبة (سيف النصر) التابعة لقوات الدفاع الشعبي بكادقلي (٤٨) - و هو اول نائب برلماني يعلن فوزه على مستوى السودان عن الدوائر الجغرافية ممثلاً لمنطقة ام دورين ضمن انتخابات مجالس الولايات لشغل مقاعد مجلس ولاية جنوب كردفان التي جرت في عام ١٩٩٥م - يؤكد محمد ابكر: ((انه عند هجوم الخوارج على منطقة القردود في عام ١٩٨٥م ، بدأ الناس يفكرون في كيفية مقاومة التمرد و مساندة القوات المسلحة دفاعاً عن عرضهم و ارضهم . و في شهر اغسطس ١٩٨٥م ، كان هجوم الخوارج على (الازرق)، و هي عمودية حامد الرهيد التابعة لمنطقة كيلك، و فيها مثّل الخوارج بمجموعة من الناس بعد قتلهم، مما استفز مشاعر الناس . و عند مجئ الخوارج الى أم دورين في ٢٧ يوليو ١٩٨٧م ، لم يجدوا أية مقاومة تذكر، لان عدد القوة الموجودة لم يتجاوز يومها أحد عشر فرداً من افراد الشرطة الذين لم يكن في مقدورهم صد قوة قوامها عدة آلاف ، كما لم توجد في ذلك الوقت قوة شعبية تساهم في صد الخوارج ، مما جعل تفكير الناس ينصب في ضرورة ايجاد قوة تساند القوات المسلحة ضد هجمات الخوارج بعد تأكيد عزمهم على اختراق المنطقة بعد احداث أم دورين . و من قبل ذلك و خلال الفترة بين ١٩٨٦م - ١٩٨٧م ، بعد احداث القردود و الازرق عُقدت عدة مؤتمرات للقبائل الموجودة ، من (عرب ونوبا) تناولت احداث المنطقة ، و خرج المؤتمرون بأن ما حدث ينذر بالخطر ولا بد من توحيد صف وكلمة مواطني المنطقة بأسرها و مواجهة خطر التمرد ، وعُقدت مؤتمرات فى ام دورين و ام سردبة و ابو هشيم

و غيرها. و كان الهدف ايضا اعادة الثقة بين الناس من عرب و نوبا وإزالة سوء التفاهم بينهم والاتفاق على أنه بالرغم من أن بعض قادة التمرد في المنطقة هم من ابناء النوبا الا ان ذلك لايعني ان يشمل الاتهام كل ابناء النوبا في المنطقة أو يصنفون على انهم متمردون. و كان هذا ما خرج به الناس في نهاية تلك المؤتمرات وأدى الجميع القسم على مقاومة التمرد . بعدها فاجأ يوسف كوة الجميع بدخوله ام دورين و تهديد الحمرة - و الاخيرة تبعد ٢٠ كيلومترا من الأولى - التي لم تكن بها أية قوى نظامية، وكانت القوات المسلحة موجودة في منطقة الاحيمر بقوة عشرة افراد يتولون حراسة الكبرى الموجود بالمنطقة.

و عموما لم تكن القوات المسلحة منفتحة في منطقة جبال النوبا الا في طروجي و البرام و تلودي . عند ذلك ذهبنا نحن بجموعة من شباب المنطقة الى قائد حامية كادقلي العقيد حامد ابراهيم و طلبنا منه دعمنا بالسلاح للدفاع عن المنطقة مع القوات المسلحة. و ابان لنا ان السلاح غير مرخص حمله للمدنين، ولكنه نسبة لتفاقم الوضع سيعطينا تصريحا بحمل ما معنا من الاسلحة الخاصة ببعض العرب الذين كانوا يستخدمونها في حراسة مواشيهم لنبرزها عند مرورنا على نقاط التفتيش حتى وصولنا منطقة الحمرة . خلال وجودنا الذي امتد لخمسة عشر يوما بالحمرة استطعنا القبض على حوالي ٢٥ خارجا جاءوا متسللين لاستطلاع الوضع بالحمرة وسلمناهم الى قوات الجيش بالاحيمر . بعد ذلك وصلتنا قوة من القوات المسلحة بقيادة الرائد احمد خميس. و عند وصولهم انفجر اول لغم بالمنطقة ، و تم تقسيم المجموعة الى قسمين احداهما توجهت الى ام سردبة والاخرى الى ام دورين لاستردادها. و قبل التحرك انضمت اليهم بجموعة من المواطنين من كادقلي تحت قيادة (غاليهم موسى الحليو) ، و في مطلع اغسطس ١٩٨٧م ، تم تحرير المنطقتين و اجلاء الخوارج عنهما . و عند وصولنا الى منطقة العتمور وجدنا ان منازل العرب قد تم تخريبها و تركت منازل النوبا دون ان يمسها احد، ذلك رغم

تداخل المنازل مع بعضها البعض. كما تم نهب المتاجر التي هجرها اهلها نتيجة لدخول الخوارج . وفى ذلك الحين تم القبض على سبعة من ابناء النوبا وجدت ذخائر (الكلاشنكوف) في اسلحتهم البلدية، مما كان موضع استغراب الجميع . وقاد عملية استرداد ام دورين يومها الرائد احمد خميس الذي حسم الأمر في ساعة واحدة فقط. و قامت القوات المسلحة بقيادة العقيد حامد نفسه بمطاردة الخوارج حتى منطقة الجاموس، و استطاعت القوات المسلحة بمساندة الفرسان ان تنظف منطقة جبال المورو من الخوارج . و لم تشهد المنطقة بعد ذلك حوادث تذكر او وجودا للخوارج بصورة مكثفة الا مطلع عام ١٩٨٩م ، ولكن كان يوسف كوة أخذ معه الى بلفام عددا مقدراً من ابناء المنطقة بقصد تجنيدهم .

خلال تلك الايام التي أعقبت استرداد ام دورين واصلت لجنة المساعي الحميدة التي كانت قد بدأت المؤتمرات السابقة عملها ، و ذلك لتقريب الشقة بين الناس نتيجة لما حدث في مناطق العتمور و غيرها من تخريب لدور العرب. و كانت اللجنة تضم الامير عثمان بلال حامد و مبارك شيبون و العمدة الشريف حماد وحازم يعقوب رحال اضافة الى عدد من اهالي كادقلي و القرى المجاورة ، و قامت اللجنة خلال عام ١٩٨٨م بعقد عدة لقاءات شملت قرى المنطقة . و في تقديري ان لجنة المساعي الحميدة رغم انها عالجت الموضوع في ذلك الوقت و اعادت الثقة الى نفوس الناس، الا انني اعتقد انها كانت كمن (غطى النار بالحشيش) و ان (المياه كانت تحت التبن) لان الحكومة في ذلك الوقت لم تبتر المشكلة من جذورها ، اضافة الى ان الاحزاب السياسية كان لها دور في ايقاد الفتنة مرة اخرى . و الكل حينها لم ينتبه الى ان التمرد عائد لا محالة ، حتى جاء مارس ١٩٨٩م و دخل التمرد الى منطقة بحيرة الابيض و هجم على افراد من قبائل المسيرية الحمر الذين كانوا في تلك المنطقة ، و قتل عدداً منهم و جاء من نجا ليبلغ السلطات في كادقلي ان قوة هائلة من التمرد في طريقها لاحتلال

كادقلي ، و ارسلت نفس المعلومات من حامية طروجى . نحن بدورنا تحركنا من الحمرة الى القوات المسلحة في الاحيمر لكي نعرف وجهة نظرهم، فالتقينا بالعقيد محمد عبد الكريم (وزير الشؤون الهندسية بجنوب كردفان الحالي) و الرائد احمد خميس الذي بادرنا قائلا : مبروك ياناس الحمرة، فقد وقفتم معنا عام ١٩٨٧م عندما استرجعنا ام دورين والآن مرحبا بكم لصد هجوم الخوارج).

في الصباح جاءتنا كل القبائل الموجودة في كادقلي بقيادة احمد عبد الله محمود الكلس و حامد مركبان و النيل سليمان عريس و محمد تاور. و الاربعة استشهدوا فيما بعد اضافة الى عبد الله محمد حامد احد قادة الدفاع الشعبي بالمنطقة حالياً . و بلغت جملة المسلحين منا بسلاح آلى حوالي ١١٤ شخصا، و اطلقنا على انفسنا اسم (الدفاع الشعبي)، اطلقه علينا العقيد محمد عبد الكريم الذي حدثنا يومها عن معارك أُحد، ثم تجمعنا صوب منطقة فاما يقودنا (الكلس)، و بعدها توجهنا الى منطقة (التيس) و لم نجد اثرا لقوة الخوارج، و كانت معنا يومها سرية من قوات انيانيا الثانية (البارقيت) و علمنا ان الخوارج اتجهوا الى كرنقوا عبد الله. فتجمعنا مرة اخرى في منطقة شات الصفية و منها الى كرنقو عبد الله في مارس ١٩٨٩م ، و بدأ آخرون يتحركون من كادقلي باتجاه الجهة الغربية لكرنقو وبدأت المدفعية ضربها من كادقلي. و كان الهجوم و الاشتباك قد بدأ التاسعة صباحا واجلينا الخوارج عن المنطقة و استشهد لنا اول شهيدين و هما النيل سليمان عريس وآخر ، دفناهما في مقبرة واحدة معطرين ثرى كرنقو عبد الله ، و جريح واحد هو موسى يحي من ابناء الحمرة .

علمنا ان الخوارج انسحبوا باتجاه الحمرة لمحاولة الاختراق نحو كادقلي من هناك. و جاءتنا التعليمات من القوات المسلحة بان نتوجه الى الحمرة لنسد الثغرة، وبالفعل رجعنا الى الحمرة و اشتبكنا مع الخوارج و كبدناهم خسائر

كبيرة. و تعتبر معركة الحمرة من أكبر المعارك التي خضناها ضد الخوارج في منطقة جبال النوبا حتى عام ١٩٩٤م - اشتركت شخصيا في ٩٤ مواجهة مع الخوارج. لكن معركة الحمرة كانت اشدها - و هي التي كسرت شوكة التمرد و ردته عن احتلال كادقلي. و في شهر مايو ١٩٨٩م عقدنا مؤتمر الشجرة بجنينة محمد آدم الشفيع التي تجمعت فيها كل قبائل المنطقة (عرب و نوبا) و قمنا بتشكيل كتائب الدفاع الشعبي تحت قيادة الكلس. و كان قادة الكتائب على النحو التالي: سلمان عريس، محمد آدم الشفيع ، محمد تاور ، علي سالم ، ادريس عبد الله ، حمدان عبد الفضيل ، كباش خاطر ، غاليهم موسى الحليو ، تاور المأمون ، محمد احمد عبد الرحيم ، عبد الله بيِّن ، ابو حلمبو ، بابكر رحال.

و سميت الكتائب على النحو التالي :

كتيبة الاسود ، بدر الكبرى ، سيف النصر ، قلب الاسد ، خالد بن الوليد ابو بكر الصديق ... وغير ذلك.

و كان قيام هذه الكتائب في بادئ الامر على اساس قبلي لتعارف كل ابناء المنطقة و سهولة جمعهم و صرف المهمات و التعليمات لهم . و هناك بعض المجموعات التي انضمت الى القوة بعد المؤتمر)).

و قبل أن نسدل الستار على هذه المرحلة لا بد من ان نسمع رواية احد الذين اوقدوا جذوة المقاومة ضد التمرد بالمنطقة، و من قبل اوقدوا شعلة النور بالعمل على نشر الاسلام ضمن مجموعة الشيخ محمد الامين القرشي . و هو الشيخ سعد حامد امام مسجد كادقلي الكبير ، حيث يقول الشيخ في افادته عن احداث تلك المرحلة مايلي (٤٩): ((عند بداية حركة جون قرنق ووصول التمرد الى اطراف الجبال بعد خراب القردود و الازرق و غيرهما من الاماكن التي وصلها المتمردون، و في ٩ اغسطس ١٩٨٥م بعد خراب الازرق على وجه التحديد و ما تم فيها من قتل للرجال و سلب لجميع ما يمتلكون من المواشي و حرق المنازل .بما

فيها .. و بعد حضور الارامل و الايتام الى مدينة كادقلي و انزالهم في مدرسة كادقلي الصناعية، ذهبت اليهم و كان منظرا محزنا .. في يوم الجمعة التالي خطبت في الناس خطبة قوية تناولت الاحداث الجارية بالمنطقة . و اعلنت الجهاد و حثثت الناس على مقاومة الزحف القادم . و تقدمت بعدها بطلب الى مدير شرطة جنوب كردفان بكادقلي بان يصرحوا لي بعقد مؤتمر يجمع أئمة المساجد و مواطني كادقلي للتفاكر و الاستعداد لمقاومة التمرد ، و تم ذلك ، و حضر جميع ائمة المساجد في كادقلي وجمع غفير من مواطني المدينة صلاة المغرب بالجامع الكبير و عقد المؤتمر، وخاطبتهم انا و الاخ الشيخ حامد الحمدابي مساعد المحافظ للشؤون الدينية وغيره من الناس ، و اعلنا الجهاد لان الدولة قصرت فى القيام بواجبها نحونا. و طلبنا في المؤتمر ان ننبذ كافة الخلافات العرقية و القبلية و العنصرية و ان نقف جميعا امام التمرد و نستعد له حسب الاستطاعة ، و ان نهب جميعا في وجه التمرد لان التهاون يشجع الحركة على التمادي و انتهاك حرمة المنطقة ، و في الليلة التالية لمؤتمرنا اجتمع اعوان التمرد في الداخل (الطابور الخامس) و قرروا مقاومة المؤتمر و اتفقوا مع احد رجال الشرطة على استدعائي و تخويفي ليحاسبنى على ما حصل و قيامى بالدعوة للمؤتمر و عقده ، ومنعي في المستقبل من قيادة المجتمع لمقاومة التمرد، و اصدروا نشرة تضمنت خبر استدعائي وعرضا لما تم في المؤتمر ، وقد وزعت النشرة قبل يوم كامل من استدعائي بالفعل من قبل الشرطى المعني. وجاء في نشرتهم الآتي :

اولا : الاوضاع الامنية بالإقليم سوف تكون آمنة تماما، حيث وصلت القوة الامنية لحماية المواطين و ممتلكاتهم .

ثانيا : انّ مدينة كادقلي و ما حولها متوفرة فيها القدرة على حفظ الامن و سيحفظ النظام العام بشدة و حزم، و ان محاولة التشكيك في القدرات الامنية

ما هي الا محاولات انهزامية المقصود منها زعزعة الامـن و المواطنـين و فقـد الثقـة بقواتنا النظامية .

ثالثا : تم اتخاذ قرار فوري و حاسـم استنادا علـى قـرار الحكومـة الانتقاليـة بعـدم استغلال المساجد و دور العبادة لعقد الندوات و غيرها من المســائل التنظيميـة ولا يسـمح بإباحـة حرمـات المسـاجد و دور العبـادة لممارسـات اخـرى غـير العبـادة والوعظ الديني ، كما حدث فى مسجد كادقلي الكبـير في ١٩٨٥/٨/٩م ، علـى ان يتم اخطار القائمين بأمر المساجد و دور العبادة بذلك القرار و الالتزام به.

رابعا : تم استدعاء الشيخ امام المسجد الكبير بكادقلي فيمـا يتعلـق بـالفقرة الثالثـة اعلاه و تم ايضا التباحث في موضوعـات اخـرى ، و كـانت وجهـات النظـر بـين الجانبين متطابقة في كل الموضوعات المطروحة .

و قد وقع على النشرة كل من :-

١- التجمع النقابى .

٢- حزب العمل السوداني .

٣- الجبهة الديمقراطية .

٤- الحزب الشيوعي .

و الغريب انهم كذبوا عندما قالوا ان وجهات النظر تطابقت، ذلك لانهم اخرجوا النشرة التي طبعوها ليلا و وقعت في ايدينا قبـل الاسـتدعاء ، حيـث انـي رفضـت الانصياع لاوامر ذلك الضابط الشرطي المذكور عندما حاول وقف مهمة المسـجد وقصرها على الصلاة و الوعظ الديني ، و عندما مثلـت أمامـه كـان معـي الشيخ حامد عبد الرحمن الحمدابي. تناول الاستدعاء خطبـة المسـجد و مـا تم في المؤتمـر من بعدها و قلت للضـابط : ان المسـجد لا يـأخذ خطبـه و قراراتـه مـن مكـاتب البوليس. وليس من حقك ان تملي عليّ أي رأي من عندك ، و ان كان لك علـي ضرر فتقدم الى القضاء ، و أما انت فليس لك ان تتقدم اليّ بأي رأي في أمـر هـو

من صميم اختصاصاتي.. مما جعل اصحابه من اليساريين يقومون برفع برقية إلى المشير سوار الذهب رئيس المجلس الانتقالي يومها و إلى الحاكم العسكري و التجمع بالابيض إضافة إلى جون قرنق بواسطة التجمع الوطني الخرطوم، فحواها ان هناك دعوة الى حرب داخلية. و طالبوا بقيام المؤتمر الدستوري و اشاروا فيها الى ان هناك قوة تسعى الى تعقيد القضية و اشعال نيران الحرب الاهلية بالدعوة الى حمل السلاح. و قد ارسلت البرقية باسم التجمع الوطني لانقاذ الوطن - كادقلي. و ذلك بتاريخ ١٩٨٥/٨/١٢م . و الغريب في الامر انهم خاطبوا جون قرنق باسم: القائد العام للجيش الشعبي لتحرير السودان.

بالفعل قدم الضابط شكوى ضدى الى قاضي المديرية الذي استدعاني. و لكني أبرزت ما عندي من وثائق تثبت بطلان الدعوى (التصديق بقيام المؤتمر ، ونشرتهم الاولى ، اضافة الى البرقية المرسلة) و عند حضور الضابط وبخه القاضى و شطب القضية في مواجهتي . بعد ذلك كونا لجنة من اعيان المنطقة شملت كل القبائل واخترنا وفداً حضر الى الخرطوم لمقابلة المسؤولين و عرض قضية جبال النوبا واستفحال امر التمرد ، و اشتركنا يومها في مسيرة امان السودان التى تزامنت مع وجودنا بالخرطوم . و من بعدها قاد شباب المنطقة ركب الجهاد و استطاعوا صد العدوان)). و نقتطف هنا بعضا من الفقرات التي وردت في الخطاب الافتتاحي لمؤتمر الائمة و الدعاة و اعيان مدينة كادقلي المنعقد بالمسجد الكبير في الثالث والعشرين من ذي القعدة ١٤٠٥ الموافق ١٩٨٥/٨/٩م لأهميتها، حيث جاء في تلك الفقرات ما يلي : (٥٠)

((ايها المسلمون.. ان الاحداث التي مرت و تمر بهذه المنطقة التي كانت أكثر المناطق في السودان يأمن الانسان فيها على نفسه و ماله و يسافر فيها المسافرون بلا سلاح .. ان الاحداث المؤسفة ابتداءا من حادث القردود و الليري و كلوقي وقرى ريفي البرام، لمؤشرات لخطر عظيم يهدف لنقل عمليات التخريب من

الجنوب الى غرب السودان ، حيث تعطل الانتاج الزراعي بسبب عمليات القتل والسحل و التمثيل و تقطيع اشلاء الانسان ، هذه العمليات تستهدف الارواح البريئة و ضحايا المجاعة و التخلف، و ان هذا المخطط ليس عملا محليا فحسب، بل هو مخطط كبير له دوره الخارجي في صراع القوى الكبرى ، و لا سيما المعسكر الشيوعي الذي يريد ان يهيمن على البلاد و يضمها الى حظيرته.
و من هنا يأتي عدم الاستقرار الامني بالمنطقة. و ليس هنالك تحرك يذكر لتتبع تحركات الخوارج.. فان الامر يستوجب الحرص و الحفاظ على اغلى شئ لنا و هو وحدة التراب و الوطن. حيث ان البلاد بهذا الوضع الواهي على اعتاب حرب اهلية. فعلام السكوت؟ و من المستفيد من استمرارية هذه الاوضاع؟ و من المسؤول عن ارواح المواطنين الذين يتلفتون يمنة و يسرة، و الى من يلجأون؟ و الى الله المشتكى .
ان مدينة كادقلي مهددة بالاجتياح، و لا يمكن ان نتصور الموقف - لا سمح الله - من سبي للنساء و سلبهن و تجريدهن و التمثيل بالموتى ببقر البطون و قطع الاطراف .
من منطلق المسؤولية امام الله و الوطن يتقدم ائمتكم بدعوة شجاعة و كريمة بعقد مؤتمر لمواطني مدينة كادقلي بمسجدها العتيق يدعى اليه جميع مواطني كادقلي على اختلاف الوانهم و هوياتهم، بعيدا عن الانتهازية و الحزبية و مكسبها الرخيص، و بعيدا عن التجمعات الصغيرة التي لا تزيد الامر الا سوءا كالأقليات والعنصريات ، بل اتخذنا شعارا لمؤتمرنا هذا (الله ربنا ، و محمد نبينا و قائدنا ، ووحدة ترابنا امانة في اعناقنا، و المواطنة في هذه المنطقة لكل مسلم و مسيحي ووثني غيور على ترابه و وحدة وطنه.
ونضع بين ايديكم الامور الآتية لتكون مبادئ واسس للمؤتمر :
اولا : رفع الروح المعنوية للمواطن واشعاره انه عضو في مجموعة وليس وحده .

ثانيا : مواساة اخواننا بالمناطق المتأثرة بما في اليد من المستطاع برفع روحهم وتأكيد وقوفنا معهم حتى الموت .

ثالثا : ارسال وفود وبرقيات الى المسؤولين في الخرطوم والاقليم برأي المؤتمر في الموقف .

رابعا : العمل العاجل على الاتصال بالمسؤولين على اختلاف مسؤولياتهم ووضع الامر بين ايديهم من وجهة نظر المؤتمر وتكوين وسائل الدفاع الشعبي للتعبئة الجماهيرية لتوقع احتمال هجوم على المدينة .

خامسا : ارسال برقية الى مواطني مدينة كالوقي الباسلة والاشادة بروحهم الفدائية التي صدوا بها العدوان على بلدتهم وتضامنهم مع رجال الشرطة والاشادة بشرطة كالوقي لرفع روحهم المعنوية.

٢٣ ذو القعدة ١٤٠٥هـ الموافق ١٩ اغسطس ١٩٨٥م - كادقلي)).

كانت هذه هي الصورة للاوضاع بالمنطقة، وان كانت المقاومة التي وجدها التمرد لم تكن كافية في ظل تلك الظروف المحيطة بالقوات المسلحة وحركة المقاومة الشعبية التي لم يكن لها من سند رسمي، بل كان هناك من يعمل على تخذيلها والفت من عضدها ، ونشبت حول قيامها (الدفاع الشعبي) الكثير من النزاعات بين القوى السياسية الموجودة آنذاك ، الا اننا نجد ان الوقفة الصلبة التي وقفتها القوات المسلحة وافراد الدفاع الشعبي على قلة الدعم السياسي والعتاد العسكري ، كانت مساهمة فعالة في صد الخوارج وعدم تمكينهم من وضع استراتيجيتهم موضع التنفيذ باحتلال مدينة كادقلي عاصمة محافظة جنوب كردفان ، لان سقوطها في يد التمرد كان يعني احتلال بقية المناطق لما كان سيسببه من آثار نفسية ومعنوية على مواطني جبال النوبا وكردفان على وجه الخصوص والسودان بصفة عامة .

نتيجة لذلك قام التمرد بالانتشار في قرى المنطقة بدلا من العودة الى بلفام باثيوبيا، وقاد حركة تجنيد واسعة وسط ابناء جبال النوبا، إذ قدرت قوته بعد ذلك بـ ٢٥ الف مقاتل . مما ادى الى تقوية شوكته فيما بعد، واستطاع نتيجة لذلك بسط سيطرته على كل ارياف جبال النوبا على نحو ما ذكرنا في الفصل السابق ، ولكن ظلت مدينة كادقلي صامدة، وبقيت منطلقا للقوات التي حررت منطقة جبال النوبا من التمرد .

المرحلة الثانية :

يوليو ١٩٨٩م - ١٩٩٣م :

بعد مجئ نظام الانقاذ الوطني اختطفت القوات المسلحة زمام المبادرة من حركة التمرد منذ العام الاول كما بينا من قبل ، وفي العام الأول للإنقاذ على سبيل المثال لا الحصر كان عدد معسكرات التمرد التى تم تدميرها ثلاثين معسكرا، منها ١٥ معسكرا بجنوب كردفان و٧ معسكرات بالاستوائية و٨ ببحر الغزال. (٥١)

اعلان الجهاد بكادقلي في الثامن من نوفمبر ١٩٩١م :

سارت الاحداث على ذات المنوال بالنسبة لمنطقة جنوب كردفان رغم سوء الاوضاع باحتلال الخوارج لكل ارياف الجبال ومحاصرة مدينة كادقلي التي كان انسانها لايستطيع في ذلك الوقت التحرك الى أبعد من مدخل المدينة. وكان العبور اليها من الدلنج لا يتم الا بحماية دوريات القوات المسلحة التي تتحرك في العاشرة من صباح كل يوم مدججة بالسلاح.

في بادئ الامر تم تقنين الدفاع الشعبي و تنظيمه بصورة دقيقة، واختير له ثلاثة من القواد تمت ترقيتهم الى درجة الملازم بالقوات المسلحة السودانية لاحداث الانضباط في صفوفه، إذ تم اختيار احمد عبد الله محمود (الكلس) و عبد الله بشير و محمد تاور قادةً لهذه القوات، وكونت هذه المجموعة القيادة الجماعية للدفاع الشعبي لكي تستوعب العناصر السكانية بالمنطقة، فالاول من ابناء

المسيرية، والثاني من النوبا والثالث من الحوازمة (الرواوقة) . وتواصلت مسيرة الدفاع الشعبي في طريق دعم القوات المسلحة بصورة منضبطة منظمة .

قبل الدخول في تفاصيل ودواعي اعلان الجهاد من قبل محافظ محافظة كادقلي المقدم ركن محمد الطيب فضل في الثامن من نوفمبر ١٩٩١م ، وما تلاه من احداث، نستمع الى افادة مامون محمد الحسن بلو، منسق عام الدفاع الشعبي بولاية كردفان الذي عاصر تلك الاحداث يوما بيوم ابتداءا من يوليو ١٩٩١م ، عندما استلم مهامه ومعه الطاهر علي يس منسقاً لمحافظة كادقلي و آدم الطيب منسقاً لمحافظة الرشاد و جلال الدين موسى جلال الدين منسقاً لمحافظة السلام... يبين مامون بلو ((ان الاهتمام الشعبي بما يجري في جبال النوبا والتفاعل معه بجدية جاء بعد زيارة لهم الى الخرطوم واجتماعهم بادارة التنسيق المركزية والملابسات التي أدت الى قيام وفد من منسقية المرأة لزيارة جنوب كردفان والوقوف على تجربة كتيبة الزهراء التي كانت تعتبر اول عمل منظم لتدريب المرأة ، أعقبه مشاركتها في العمليات . في تلك الايام كان سبعة من افراد كتيبة الزهراء يرقدن بمستشفى السلاح الطبي بالخرطوم، حيث زارهن وفد منسقية المرأة الذي قرر بعد الزيارة التوجه الى جنوب كردفان للوقوف على تجربة مشاركة المرأة فى الدفاع الشعبى . تزامن ذلك كله مع استشهاد العميد آدم قائد اللواء الثاني كادقلي والملازم محمد تاور ومجموعة من افراد الدفاع الشعبي في كمين نصب لهم في مدخل مدينة كادقلي في ٢٢ سبتمبر ١٩٩١م ، واصيب فيه ايضا المقدم محمد أحمد جمع الله قائد الدفاع الشعبي - قطاع كادقلى في اكبر عمل استفزازي لحركة التمرد . في هذا الجو تحرك وفد منسقية المرأة الى المنطقة في اكتوبر من ذلك العامَ برئاسة سامية الفكي، منسق المرأة بالدفاع الشعبي ، اضافة الى نوال مصطفى ، بلقيس محمد عبيد (ام رسن) ، رحاب شبو ، عنبر عبد الله بشير ، مشاعر الأمين الدولب و عفاف حسين، اضافة الى الشهيد مبارك القنالي

من اعلام الدفاع الشعبي و الشهيد عادل بلال من ساحات الفداء و ملازم اول الجيلي وصحبناهم نحن من ادارة التنسيق الاقليمي . كان لزيارة الوفد في تلك الظروف وقع حسن في نفوس المقاتلين من القوات المسلحة والدفاع الشعبي، لأن الوفد زار كل الوحدات النظامية وخاطبها في مواقعها ، وكان لذهاب الوفد الى خارج المدينة، الى منطقة (الصبوري واللقوري) التي تبعد عشرة كيلومترات من كادقلي وكان من الصعب زيارتها في ذلك الوقت ، صدى اعلامي واسع داخل المدينة رفع من الروح المعنوية لمواطنيها، واحبط الاشاعات التي كان يروج لها الطابور الخامس بالمنطقة . وفي طريق عودته قام الوفد بزيارة مدينة الدلنج، و لم تكن زيارتها أقل أهمية من زيارة كادقلي، خاصة وان الوفد ذهب الى مرابطي الدفاع الشعبي في مناطق الكاركو والفندا وكحورية التى تبعد من المدينة بحوالى ٢٠ كيلومترا ، مما كان له أبلغ الاثر في نفوس افراد الدفاع الشعبي ومواطني المنطقة. وتعرض الوفد فى طريق عودته الى الخرطوم الى حادث حركة في منطقة الدبيبات، واضطررنا الى نقله الى الابيض ثم بطائرة الى الخرطوم. أعطى هذا الحادث بعدا اعلاميا على المستوى القومى و لفت الانظار لما يدور في جبال النوبا. وبدأت التعبئة القومية التي قادتها ادارة تنسيق الدفاع الشعبي بالخرطوم، حيث تحركت اول قافلة من الخرطوم محملة بزاد المجاهد، قادها الاستاذ ابراهيم عبد الحفيظ المنسق العام للدفاع الشعبي، وضم الوفد الى جانبه خليل عبد الله منسق الولايات وسراج الدين عبد الغفار من ادارة الاعلام، اضافة الى وفد اعلامي ضم الاجهزة المختلفة، واستُقبل الوفد استقبالا رسميا و شعبيا في مدخل مدينة كادقلي برئاسة المحافظ، حيث طافت القافلة مدينة كادقلي وسط تهليل وتكبير اهلها الذين كانوا يعيشون في شبه عزلة عن الوطن، ومن ثم عقد لقاء مشترك مع اللجنة العليا للجهاد بالمحافظة في اجتماع وضعت فيه الخطوات العملية التي تلت اعلان الجهاد والتعبئة العامة. وكانت اولى تلك

الخطوات ، ذهاب وفد من اللجنة العليا الى الابيض والخرطوم لشرح الاوضاع بالمنطقة ، وشرح ضرورة المساندة الشعبية والرسمية للقضايا الامنية المتفجرة وتحريك الوضع. وفي نهاية تلك الجولة عقد الوفد مؤتمرا صحفيا بالخرطوم شرح فيه اوضاع المنطقة و دواعي اعلان الجهاد. وعند رجوع الوفد قافلاً الى كادقلي كانت قوافل الدعم قد بدأت انطلاقتها من الخرطوم ومدن السودان المختلفة حتى بلغت في جملتها ٦٥ قافلة ، شاركت فيها المنظمات الطوعية والمؤسسات الحكومية وجماهير الشعب السوداني ، وبدأت وفود المجاهدين المصاحبة لتلك القوافل تتدفق على محافظات الجبال، كادقلي ، الدلنج و الرشاد. ومن ابرز شهداء تلك القوافل المهندس الشهيد عماد الدين الامير الذي استشهد فى منطقة حلد بمحافظة الدلنج و الشهيدان محمد البشري و أبو دجانة الزبير اللذان استشهدا بجبال تلشي، و ما يزال اهل تلك المناطق يتذكرون مجموعة اسامة العيدروس التي ابلت بلاءا حسنا في عمليات جبل تلشى. و لم يقتصر الدعم على المجاهدين والمواد الغذائية، فقد كان لمنظمة البر الدولية دور بارز في تجهيز الفرق الطبية التي رافقت المجاهدين في مناطق العمليات في تلشى ولقاوة والدلنج وكادقلي وغيرها من مناطق جنوب كردفان، وأشرف على ذلك ميدانيا الدكتور محمد علي يحيى العباس (مالك) مدير الادارة الطبية بالمنظمة. ومن كوادرها الطبية المشهود لها الشهيد مساعد طبي شرطة مهدي الذي بقي بجبال تلشي الى ان وقع صريعاً بمرض الصفراء وتوفى نتيجة لذلك باحدى مستشفيات الخرطوم، وكان قد رفض مغادرة ميدان المعركة، مما اضطرهم الى اخلائه جبراً.. تلك كانت ملامح المرحلة التي سطر فيها اهل السودان ملاحم بطولية، وكانت المشاركة من الجميع، مما ادى الى دحر الخوارج بعيدا عن مدن الاقليم وجعلهم يعتصمون بجباله فى الارياف البعيدة حتى تم القضاء عليهم فيما بعد وحوصروا في جبل لُمون)).

قلنا انه في ظل تلك الظروف الامنية المتشابكة و المتمثلة فى الحصار المضروب على مدينة كادقلي ، وماتلي ذلك من احداث كان أبرزها حادث بص الخرطوم / كادقلي واستشهاد قائد الحامية في مدخل المدينة ، و سرقة الادوية من داخل مستشفى كادقلى بواسطة افراد من حركة التمرد .. إزاء هذا وقف محافظ محافظة كادقلي المقدم ركن محمد الطيب فضل واعلن التعبئة العامة والجهاد من ميدان الحرية يوم الجمعة الثاني من جمادى الاولى ١٤١٢ هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٩١م ، وتمثلت الاسباب التي دعت الى ذلك الاعلان في الآتي : (٥٢)

١- دعما ونصرا للقوات المسلحة والدفاع الشعبي والقوات النظامية العاملة بالمنطقة.

٢- توحيد الجبهة الداخلية لتقف بصلابة خلف القوات المسلحة .

٣- استقطاب الدعم المادي و المعنوي و الوجداني .

٤- شن الحرب النفسية على اعوان التمرد بالداخل وكسر شوكتهم ومواجهة الشائعات التي كانوا يروجونها لاحباط روح مواطني المنطقة .

٥- استقطاب وتهيئة النازحين من احل العودة الى مناطقهم المحررة .

٦- الاستفادة من الظروف الموضوعية المحيطة بحركة التمرد وتوجيه ضربات متلاحقة لها . (حددنا الظروف المحيطة بالحركة فى تلك الأيام فى الفصل السابق من الدراسة) .

٧- تلبيةً لرغبة مواطني المنطقة الذين نادوا بالجهاد عند دخول الحركة الى الجبال في عام ١٩٨٥م ، من داخل مسجد كادقلي الكبير .

٨- احياءاً لروح العمل الاسلامي وابرازاً للدور السوداني في مجال التضحية و الفداء.

٩- تأصيل تراث المنطقة المتمثل في النفير .

١٠- ترجمة شعار (يد تبنى ويد تحمى) على ارض الواقع .

١١- تفجير الطاقات الكامنة في المواطن وشحذ قدراته الابداعية وتحويله الى اداة بناء وتعمير .

وكانت النتيجة التي اعقبت اعلان التعبئة العامة والجهاد على المستوى القريب حسب رأي محافظ محافظة كادقلي ما يلي : (٥٣)

ا) توحيد الجبهة الداخلية وخلق نوع من الوحدة الوطنية والقومية تجاه الاحداث في كادقلي وجبال النوبا بصفة عامة .

ب) الاستجابة الواسعة لنداء الجهاد في انحاء القطر المختلفة وخلق الدعم الوجداني والمادي .

ج) استقطاب الدعم المادي والمعنوي . (قوافل نصرة المجاهدين التي انطلقت من انحاء السودان المختلفة) .

و) تحجيم نشاط و دور الطابور الخامس بالمنطقة .

هـ) انتصارات متلاحقة للقوات المسلحة والدفاع الشعبي في ميادين العمليات .

و) تغطية اعلامية واسعة عبر اذاعة نداء الجهاد من كادقلي .

ز) تحقيق شعار (يد تبني ويد تحمي).

ي) انفراج امني وانسياب لحركة النقل والمواصلات بين مدن الاقليم .

ح) ظهور مشروع النفير الشعبي للسلام الذي تقدمت به الادارة الاهلية متمثلة في الامير محمد الزاكي الفكى على، امير ادارة النوبا الجنوبية ، والامير عثمان بلال امير قبيلة الرواوقة ، والامير حامد رحال مك قبيلة كادقلي، وهو النفير الذي أدى الى عودة الكثيرين من افراد الحركة والمواطنين الى حضن الوطن .

أبرز العمليات العسكرية التي نفذت في تلك الفترة :

١- معركة جبال تلشي يناير - ابريل ١٩٩٢م : (٥٤)

بدأ التعامل مع الوضع عسكريا في منطقة جبال النوبا عقب انتهاء فترة الهدنة التي اعلنت مع مجئ نظام الانقاذ . وتم التعامل عسكريا عبر القوات المسلحة والشرطة

الموحدة والأمن والدفاع الشعبي، وجاءت قمة هذا الجهد في معركة تلشي التي كانت ملامحها كالآتي :

١- استمرت لمدة اربعة اشهر او تزيد بقوة ١٣٧١ فردا من ضباط وضباط صف وجنود وقوات خاصة ودفاع جوي وفصائل مختلفة ، اضافة الى ٢٨٥٠ فردا من قوات الدفاع الشعبي القومي والمحلي .

٢- استشهد في المعركة ٩٠ من القوات المسلحة وجرح ٣٢٩ شخصا واستشهد ٩٦ من الدفاع الشعبي (منهم ٧٠ شهيدا من قطاع كردفان و ٣٧٧ جريحا) وخمسة جرحى من الاحتياطي المركزي .

٣- صاحب العملية اعلام كثيف صوّر المعركة كما لو كانت نهاية التمرد في جبال النوبا ، مما ادى الى حملة عالمية تتهم السودان بابادة القبائل النوباوية وقهرها واضطهادها .

٤- استطاعت القوات المسلحة وبقية القوى تدمير معسكرات التمرد بهذه المنطقة، ولكن لوعورة المنطقة لم تستطع هذه القوات الاستمرار في المواقع المحررة في سفوح وقمم الجبال، مما ادى الى انسحابهم فيما بعد وعودة افراد حركة التمرد الى مواقعهم واحتلالها من جديد ، لمعرفتهم بطبيعة المنطقة وتأقلمهم على العيش في تلك القمم .

٥- مثلث عملية تلشي ضربة قوية للمتمردين بالمنطقة وتكبدوا فيها خسائر فادحة في الارواح والعتاد . وأكدت عزم الحكومة وقدرتها على الوصول الى معاقل التمرد مهما تحصن بالجبال. وكانت الرسالة بهذا المعنى واضحة.

٦- فى معارك تلشي تدرب افراد الدفاع الشعبي، خاصة الذين جاءوا من خارج المنطقة، على القتال في الجبال ، واظهروا شجاعة نادرة وعزما لايلين ، مما اكسبهم خبرات استفادوا منها فيما بعد بالجنوب ، كما اظهرت قدرة تنسيق الدفاع الشعبي على الحشد والدعم وادارة العمل العسكري علي المستوى الميداني،

خاصة وان التنسيق كان في سنيّه الاولى لممارسة وادارة العمل الحربي ، وساهمت هذه الخبرة المكتسبة في المشاركة الفاعلة للدفاع الشعبي في معارك الاستوائية

٧- برز من خلال عمليات تلشي دور المجموعات المختارة التي كانت ترسلها ادارة تنسيق الدفاع الشعبي الى مناطق العمليات لتنفيذ مهام بعينها. وقد قامت المجموعة التي شاركت في عمليات تلشي بدور فعال في مجال العمليات العسكرية والتوجيه المعنوي ونقل الجرحى . وقد وصلت المجموعة الاولى الى المنطقة في ٢٣ ديسمبر ١٩٩١م وبقيت حتى ٢٨ مارس ١٩٩٢م ، اعقبتها مجموعة أخرى من افراد كتيبة ابي دجانة يوم ١٤ فبراير ١٩٩٢م حتى نهاية مايو ١٩٩٢م ، وقد ابلي افراد المجموعتين بلاءا حسنا وقاموا بادوار متعددة وساهموا في رفع الروح المعنوية للمجاهدين من ابناء المنطقة وافراد القوات المسلحة. وقد احتسبت المجموعة الاولى عددا من الشهداء كان من بينهم ابو دجانة الزبير والشهيد محمد البشرى. اما المجموعة الاخيرة فشاركت في عمليات بشائر الخيرات بجبال تلشي على النحو التالي :

عملية جبل سمنة ١٦/٤/١٩٩٢م .

عملية لمبو و سرفاية ١٧/٤/١٩٩٢م .

عملية جبل طبق ٢٢/٤/١٩٩٢م .

عملية جبل كتلا ٣٠/٤/١٩٩٢م .

عملية جبل والي ١/٥/١٩٩٢م .

عملية جبل شركان ٤/٥/١٩٩٢م .

وقد حققت المجموعة سمعة طيبة واداءا متميزا كان محل اعجاب واشادة القيادة وافراد الدفاع الشعبى بجنوب كردفان . وكان لها دور مقدر ومشهود في الانتصارات الباهرة التي حققتها قوات بشائر الخيرات في منطقة جبال

تلشى ، وقد احتسبت المجموعة شهيدين هما الشهيد آدم ابراهيم اسحق من الخرطوم ، والشهيد صلاح محمد عثمان من بورسودان .

٢- العمليات في منطقة الدلنج :

قامت القوات المسلحة والدفاع والشعبي بالعديد من العمليات التي استهدفت معسكرات التمرد بالمنطقة التى بلغ عددها ١٤ معسكرا ، تسعة منها في المنطقة الغربية لمدينة الدلنج ، وخمسة بالمنطقة الشرقية للمدينة ، وفي لقاء لنا في تلك الايام مع المقدم عوض احمد عبد الله قائد الدفاع الشعبي لمنطقة الدلنج (وهو يحمل وسام الشجاعة) (٥٥) قال: ((ان القوات المسلحة والدفاع الشعبي قاموا بعمليات نشطة استطاعت ان تدمر المعسكرات الشرقية تماما وجزءا من المعسكرات الغربية التابعة لحركة التمرد))، واشار الى انه في الفترة الممتدة من ٢٠ اغسطس ١٩٩١م وحتى ١٩ نوفمبر من نفس العام دخلت القوات المسلحة والدفاع الشعبي معسكرات سرف الرملة ، اورا ، الزنقور ، عبد النبي ، كتيل، التابعة للمنطقة الشرقية ودمرتها تماما اضافة الى معسكرات كابيلا ، كجوريه ، وثلاثة معسكرات في منطقة الزليطاية وماحدة، وقامت بتمشيط منطقة دليبة على المحور الغربي ، وكبدت الخوارج خسائر كبيرة في الارواح والعتاد. كما استشهد عدد من افراد القوات المسلحة والدفاع الشعبي . وأشار المقدم عوض الى ان ذلك كان ضمن خطة المرحلة الاولى.. وفي المرحلة الثانية تحركت القوات المسلحة والدفاع الشعبي في محورين : تجمع المحور الاول في منطقة بركندي والثاني في منطقة الدشول ، حيث قام المحور الاول بتدمير ثلاثة معسكرات للخوارج في منطقة جلد، واستمر الاشتباك في احد المعسكرات لمدة سبع ساعات ، احتسبت خلالها القوات ١٥ شهيدا و٣٥ جريحا من الدفاع الشعبي مقابل ٥١ قتيلا من الخوارج . كما قام المحور الثاني بتنظيف المنطقة وتنفيذ المهمة التي اوكلت اليه .

٣- العمليات في منطقة كادقلي :

في هذه المرحلة كانت قوات الحركة تحيط بكادقلي احاطة السوار بالمعصم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أهم معسكرات التمرد بالمنطقة الغربية للمدينة تشمل معسكرات : كيقا الخيل (الذي يبعد ١٨ كلم عن كادقلي) ، أبوسنون ، كرنقو عبد الله ، التيس ، بلنجا (على بعد ١٢ كلم من كادقلي) كاتشا ، انقولو ، معسكرات تماترقو ، وطروجية. اما المنطقة الشرقية فأهم المعسكرات فيها هي : ام سردبة ، ام جبر الله ، ام دورين، اضافة الى معسكرات جبال احرون ولمون وهيبان .

في ١٩٩١/٧/١٥م تولى المقدم ركن محمد الطيب فضل مهامه محافظا لمحافظة كادقلي خلفاً للمرحوم عبد الوهاب عبد الرحمن (الذي يرجع اليه الفضل في تثبيت الوضع وكسر شوكة الطابور الخامس، إذ كان قد انزل ضربات قوية بحركة التمرد، وفيما بعد تولى وزارة الصحة الاقليمية في اول حكومة لاقليم كردفان قبل تقسيم الولايات).

بدأت القوات المسلحة والدفاع الشعبي تتخذ وضع الهجوم على معسكرات حركة التمرد بدلا عن الوضع الدفاعي الذي كان طابع المرحلة السابقة ، وذلك على مرحلتين، بفضل اعلان التعبئة العامة التي وجدتها تلك القوات ، اضافة الى الدعم العسكري والسياسي من الجهات الرسمية .

و فى إفادة للجنة أمن المنطقة عن وضع العمليات العسكرية فى تلك الفترة كانت الصورة على النحو التالى : (٥٦)

في المرحلة الاولى بدأت اولى العمليات الهجومية وسميت (سمح الخبر جابو) يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٩١م ، وقد استهدفت جبل (كيقا الخيل) احد اهم معسكرات التمرد التي كانت تهدد مدينة كادقلي لقربه منها كما بينا ذلك ، حيث اقتحمت القوات المسلحة والدفاع الشعبي الجبل صباح يوم ١٩٩١/٩/٣٠م ، وأحلت

الخوارج عنه تماما، واحتسبت القوة شهيدا واحدا من الدفاع الشعبي وجريحين .
وفي طريق العودة نصب الخوارج كمينا للقوة فى خور (الكدي) تم تجاوزه بعد ان احتسبت القوة شهيدا من القوات المسلحة هو (العريف السر الضو احمد) .
ودخلت القوة الى مدينة كادقلي وسط تهليل وتكبير المواطنين بعد أول عمل هجومي ضد التمرد في تلك الفترة .
اعقبت عملية كيقا الخيل في الفترة من ١١ - ١٤ نوفمبر ١٩٩١م ، عمليات (طور سينين) التي استطاعت ان تسترد منطقة بلنجا بعد مفاجأة الخوارج الذين لم يتوقعوا وصول القوة المهاجمة اليهم ، ثم عمليات (طور سينين الثانية) التي تم فيها تدمير معسكر دلوكة ، و (طور سينين الثالثة) التي دمر فيها معسكرا شات الدمام و مزالك ، و التى تم فيها الاستيلاء على مخزون الخوارج من الذخيرة في المنطقة (١٣ الف طلقة، اضافة الى خط الحملة المكون من ١٢ حمارا) .
اعقب ذلك عملية (عباد الرحمن) التي استهدفت معسكرات منطقة ام سردبة الرئيسية (اربعة معسكرات) وكانت معركة شرسة رفعت من الروح المعنوية للمقاتلين في نهاية ذلك العام . ومن بعد ذلك جاء استرداد منطقة العتمور قرب كادقلي ، والتي اصبحت منطقة متقدمة فيما بعد للقوات المسلحة والدفاع الشعبي، وعندما زرناها في ذلك الوقت (١٩٩٢/١/١٨م) كان بها ٢٢٢ مرابطا من الدفاع الشعبي و٣٢ من القوات المسلحة، اضافة الى بعض مجندات الدفاع الشعبى من كتيبة الزهراء .
شكل استرداد العتمور وبقاء تلك القوات فيها بصورة دائمة ضربة قوية لحركة التمرد شلت حركتها في تلك المنطقة. كما زاد حزام الامان حول مدينة كادقلي .
وكانت أبرز العمليات التى نفذت فى هذه المرحلة ، والتي شكلت ضغطا نفسيا على افراد حركة التمرد هي تدمير معسكر (التيس) في ٢٣ نوفمبر

١٩٩١م ، وحرق مزروعات الخوارج في اقصى جنوب المنطقة ، اضافة الى استرداد منطقة ميري برة في الشمال الغربى لمدينة كادقلي والتي رابط فيها افراد القوات المسلحة والدفاع الشعبي ، ثم لحقهم بعد ذلك اهل المنطقة الذين أخذوا في زراعة الأرض .

اما عمليات المرحلة الثانية في تلك الفترة من عام ١٩٩٢م ، فقد استهدفت حرق مزروعات الخوارج في مناطق شات الصفية والتيس وغيرها ، حيث اصبح الخوارج يعيشون تلك الايام شبه مجاعة بعد حصد مزروعاتهم وتدميرها من قبل القوات المسلحة والدفاع الشعبي .

كان من النتائج البارزة لعمليات تلك الفترة فك الحصار عن مدينة كادقلي ، حيث اتسعت المنطقة الآمنة حول المدينة، اضافة الى ان أفراد التمرد بدأوا في الانسحاب من المعسكرات القريبة من كادقلي خشية ان تطالهم يد القوات المسلحة والدفاع الشعبي ، وتجمعوا في الرئاسات، خاصة في مناطق ريفي البرام وام دورين واحرون، كما بدأت ظاهرة خروج افراد الحركة في شكل مجموعات صغيرة بحثاً عن الطعام، فضلاً عن تسليم البعض اسلحتهم للسلطات المحلية .

في عمليات صيف ١٩٩٣م ، نهاية هذه الفترة، تم تحرير مدينة ام دورين للمرة الثانية. واستقرت بها هذه المرة قوة من القوات المسلحة والدفاع الشعبي واستطاعوا الصمود داخلها، رغم انقطاعها في فترة الخريف، وصد الهجمات المتتالية من قوات الحركة في محاولة مستميتة لاعادتها الى حضن التمرد. لكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل نتيجة لثبات القوات بها . و فيما بعد تم استرداد منطقة عقب و المعسكرات المحيطة بها ، مما جعلها مناطق متقدمة ساهمت في دحر التمرد أثناء عمليات المرحلة الاخيرة ابان صيف ١٩٩٤م .

٤- العمليات في منطقة لقاوة

بجانب ما تم ذكره عن عمليات جبال تلشي التابعة لريفي لقاوة نجد ان القوات المسلحة في تلك الايام كانت قد دمرت معسكرات الخوارج التالية : كمدة الطرين، نمر شاقو ، طبق ، كاكدى ، سليحى ، التكيلات و أبو انكويجة، الأمر الذي كسر شوكة التمرد بالمنطقة وفك الطوق الذي ضربته حركة التمرد حول مدينة لقاوة(٥٧).

المرحلة الاخيرة ١٩٩٤م - ١٩٩٦م :

بدأت هذه المرحلة مع بدايات صيف ١٩٩٤م تحت اسم (عمليات أمل كردفان) وهى اكبر عمل تعبوي نفذته القوات المسلحة بالمنطقة وأدى بالفعل الى كسر شوكة التمرد واسترداد مناطق واسعة من جبال النوبا ، هذه العمليات قادها واشرف عليها قائد الفرقة الخامسة مشاة بنفسه ، وسارت تلك العمليات بايجاز على النحو التالي (٥٨):

أ- تحركت القوات على محورين: محور من كادقلي يضم الكتائب ١٨٠/١٦٧/١٧٥ لتحرير ريفي البرام، ومحور من تالودي يضم الكتيبتين ١٢٧ / ٢٥٤ لتحرير منطقة طروجي.

ب- في يوم الجمعة ١٩٩٣/١٢/٣١م استطاعت القوتان تنفيذ مهمتيهما بنجاح حين دخلتا الى البرام وطروجى .

ج- المعركة الاساسية لقوات محور كادقلي دارت في منطقة التيس حيث قوات التمردو فازالتها القوة، و لم تجد مقاومة تذكر في البرام حيث انسحب قائد حركة التمرد بالمنطقة تلفون كوكو وهرب وتم اعتقاله فيما بعد فى أحرون من قبل القائد المناوب للحركة اسماعيل خميس جلاب بسبب انسحابه، متهما بأنه سلم البرام و لم يقاتل. الا ان القوات المسلحة كانت قد فاجأته بالفعل و لم تترك له

هامشاً للمناورة غير الانسحاب. تجدر الاشارة الى ان والده واحدى زوجاته وشقيقته سلموا انفسهم للقوات بالبرام .

د- قوات محور تالودي وجدت مقاومة شرسة اثناء دخولها الى طروجى، فضلا عن ان الخوارج حاولوا الهجوم على المنطقة، الا ان القوات المسلحة أعادت الهجوم مرة اخرى واستطاعت السيطرة على الموقع .

هـ- قامت قوات المحورين بعمليات تمشيط لمعسكرات المساكين الطوال والقصار وتبانيا والريكة وانقولوا ودمارقو و دمانقو ... وبقية معسكرات الخوارج بالمنطقة ، واخيرا معسكر فاما التي يعتبرها الخوارج من مناطقهم التاريخية كأول منطقة تم الاشتباك فيها عام ١٩٨٩م عندما اجتاحت قواتهم جبال النوبا. وقد حررت من قبل القوات المسلحة في ديسمبر ١٩٩٤م .

و- قدرت المناطق المزروعة التي تمت السيطرة عليها في ذلك الوقت بحوالي ٢٥ الف فدان. وكان انتاجها عاليا استفيد منه في اطعام المواطنين العائدين من كهوف الجبال الى حضن الوطن .

ز- استقبل المواطنون الذين كانت تحتجزهم حركة التمرد بمناطقها القوات المسلحة بالتهليل والزغاريد. وليس أدل على ذلك مما حدث أثناء تمشيط منطقة الريكة، اذ تدافع المواطنون ناحية القوات المسلحة فرحا، على الرغم من ان القوات كانت تفتح نيرانها ساعتئذ ناحية دفاعات الخوارج، ولكنهم لم يبالوا، مماجعل افراد القوات المسلحة يوقفون الضرب الى حين وصولهم .

ط- في سبيل تحريك العمل السياسي والتنفيذي المصاحب للعمليات قام السيد نائب والي ولاية جنوب كردفان بتوجيه الآليات العاملة في طريق هيبان - الدلنج الى كادقلي. كما خصص يومها مبلغ عشرة ملايين جنيه للبدء في تأهيل الطرق بالمناطق المحررة.

بعد نهاية عمليات (أمل كردفان) تبقت بعض جيوب التمرد، خاصة بالمنطقة الغربية - الدلنج ، و لكن فى إطار عمليات السلام من الداخل تم إسترداد العديد من المناطق ... وذلك بان قام ابناء كل منطقة من المناطق بتحرير منطقتهم او المساهمة في تحريرها او العودة المباشرة اليها بعد التحرير للبدء في تعميرها وخلق وجود فاعل وتولى حراستها. ومن الامثلة الحية على ذلك، استرداد مناطق: ود دحشي ، الهدرا ، اطو، وفيما بعد منطقة كتلا ، والي ، كجورية ومنطقة ماجدة التى تم تحريرها في ٢٥ اكتوبر ١٩٩٤م، وشارك في تلك العملية بجانب قوات الدفاع الشعبي ثمانون فردا من ابناء النوبا من منطقة ماجدة الذين تربوا وعاشوا في سنار بعد دخول التمرد الى الجبال، وفي زيارة لي لافراد الدفاع الشعبي المرابطين بالمنطقة بعد شهر من التحرير في ١٩٩٤/١١/٢٤م برفقة التوم الفاضل منسق الولايات بادارة التنسيق العام في الخرطوم (٥٩) قال اولئك العائدون لتعمير منطقتهم بعد مشاركتهم في تحريرها : ((جئنا لنعمر مناطقنا)) واشار أمير المجموعة ، الشريف سوحى الذي عاش في مدينة سنجة، ان التمرد ساهم في تخريب العلاقات التي كانت قائمة بين ابناء جنوب كردفان، وان مهمتهم تتمثل في إعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل ظهور التمرد ، واشار الى انهم بمواقفهم هذه يحافظون على وحدة ابناء المنطقة وكلمتهم ، وقال ان ما نقوم به يأتي تحقيقا لسياسة السلام من الداخل.

وفي منطقة ودحشي المجاورة لمنطقة ماجدة والتي تم استردادها في نفس اليوم وعلى ذات المنوال، قال لنا قائد الدفاع الشعبي بها حامد الامين ازرق : ((ان ابناء المنطقة ساهموا في تحريرها، وهم الان يرابطون بها لاعادة اعمارها))، وكان عددهم يومها ٥٢ شخصا ، واشاروا الى ان اهل ودحشي المتواجدين بالخرطوم ابرقوا بحضورهم للعودة والاستقرار بالمنطقة ، وان بقية مواطني المنطقة بدأوا في العودة بابقارهم وسيبدأون الزراعة ابتداءا من هذا الموسم.

في ذات الاطار قام ابناء كتلا بعد ان استنفروا من مختلف الولايات التي نزحوا اليها ، قاموا بتحريرها في ٥ مارس ١٩٩٦م ، وذلك في اطار برنامج السلام من الداخل . والمنطقة تضم سبع قرى كبيرة. وهي تقع ضمن محافظة الدلنج محلية ريفي سلارا. وكانت تشكل هاجساً أمنيا كبيراً لمحافظة الدلنج ، وكان المتمردون قد رشحوها لتكون رئاسة لهم في شمال الجبال ونقطة انطلاق لاحتلال مناطق الدلنج . (٦٠)

نستطيع القول ان أهم ملامح هذه المرحلة هي ما يلي :

(أ) تزامن العمل السياسي والتنفيذي مع العمل العسكري وأصبح السلام والاستقرار أمرا واقعا في اكثر من ٨٠ ٪ من ولاية جنوب كردفان .

(ب) هدفت العمليات العسكرية الى اعادة الارض والتمسك بها، بجانب العمل السياسي الذي هدف الى استقطاب المواطنين والمقاتلين (احداث تآكل داخل جيش الحركة) وتطبيع الحياة المدنية بتقديم الخدمات اللازمة للاستقرار (قرى السلام التي امتدت وشملت قرى وارياف جنوب كردفان).

(ج) لم يبق لحركة التمرد الا رئاستها في جبال اجرون ولمون، وجيوب لا تذكر في المنطقة الغربية ستتآكل بفعل العوامل الطبيعة المحيطة بالحركة او السلام من الداخل، لان وفود ابناء المنطقة وصلت حتى رئاسة الحركة في لمون في سبيل اقناع بقية القادة بالتسليم بالامر الواقع .

آليات التصدي لحركة التمرد بجبال النوبا :

ساهمت عدة جهات بجانب القوات المسلحة في التصدي لحركة التمرد بجبال النوبا، كلٌ ضرب بسهمه قدر استطاعته وامكاناته المتاحة . حتى كللت جهود الجميع بالنجاح عندما تناغمت الخطوات تحت قيادة القوات المسلحة ، وتم تنسيق الجهود بحيث تصب كلها في الهدف المنشود . وعلى الرغم من ان القوات المسلحة اضطلعت بالعبء الاكبر وهو الدور الطبيعي لها في معركة التصدي، وأن المحصلة

النهائية لجهود الآخرين كـانت تخرج مـن عباءتهـا ، الا اننـا سـنتناول المجهـودات الاخرى بقليل من التفصيل حتى تكتمل الصورة النهائية :

الشرطة الموحدة :.

ظلت الشرطة تؤدي واجبها الوطني الذي فرضته عليها الظروف المعاشـة في ولايـة جنوب كردفان، بجانب واجباتهـا الاساسية (المنصـوص عليهـا في المـادة ١٠ مـن قانون قوات الشرطة الموحدة لسنة ١٩٩٢م) ، حيث ساهمت في مكافحة التمرد . ولن ينسى اهل المنطقـة مواقـف بعـض وحـدات الشـرطة الـتي ضربـت مثـلا في التضحية والفداء وقدمت الشهداء والجرحى في عدة مناطق من هذه الولايـة ، وفي هذا الجانب يبين المقدم شرطة آدم (ادروب) مدير شرطة محافظة كـادقلي بعـض مواقف شرطة جنوب كردفان في التصدي للتمرد (٦١) حيث يقول :

((أول مواجهة للشرطة بجنوب كردفان كانت عند بداية دخول الخوارج للمنطقـة في ١٧ رمضـان ١٤٠٥هـ الموافـق ٥ يونيـو ١٩٨٥م ، في هجومهـم علـى قـرى القردود وام ردمى ، حيث شاركت قوة من الشـرطة في صـد هـذا الهجوم بقـوة قوامها ١٧ فردا . وقامت رئاسة الشرطة وقتها في كادقلي بتعزيـز شـرطة تـالودي بقوة اضافية بقيادة رائد شرطة . جرح في ذلك الحادث اثنان مـن رجـال الشـرطة واستشهد واحد وهو يحمل مدفع (دكتريوف) بعد تركيز الضرب عليه من قبـل الخوارج لادائه المتميز .

بعد هذا الحادث قامت رئاسة الشرطة بتعزيز كل نقاطها الخارجيـة حتـى تتمكـن من اداء دورهـا في جمـع المعلومـة الصحيحـة لمسـاعدة الاجهـزة الامنيـة والقـوات المسلحة)).

((بتاريخ ١٩٨٥/١١/٩م ، شاركت قوة من الشـرطة في صـد هجـوم المتمرديـن على قرى كالوقي و (بت الكلب) بقارة وبرنـو وغيرهـا . وكـان لصمـود قـوة الشرطة يومها دور كبير في صد هجوم الخوارج، مما حقق الاستقرار الى يومنا هذا

لمدينة كالوقي . علما بأن قوة الشرطة كـان قوامهـا ١٣ فـردا لكنهـا قتلـت مـن الخوارج عشرة قتلى من بينهم قائدهم برتبة المقدم ونائبه برتبة النقيب. بعد الهجوم تم تعزيز المنطقة فوراً بقوة اضافية بقيادة رائد وملازم اول لتأمين الموقف)).

((وفي يوليو ١٩٨٧م ، عند هجوم الخوارج على ام دوريـن دافعـت قـوة الشـرطة قدر استطاعتها، مما ادى الى أسـر اثنـين مـن افرادهـا، وانسـحبت بقيـة القـوة الـتي كانت في مجملها تتكون من ١١ فردا ، وفي نفس التاريخ هجمت مجموعة اخـرى من الخوارج على نقطة شرطة ام دولو فصمـدت في وجههـم القـوة الموجـودة مما ادى الى اسر ثلاثة من افرادها)).

((وفي اغسـطس ١٩٨٨م ، داهـم الخـوارج منطقـة كرنقـو عبـد الله مسـتهدفين فصيلة شرطة الطوارئ (الاحتياطي المركزي) التي صمـدت امـام قـوة المتمرديـن لمدة ثمان واربعين ساعة في موقـف بطـولي رائـع نـال الاشـادة مـن الجميـع علـى مستوى المنطقة والمركز . استشهد خلال الهجوم احد افراد الفصيلة وتمكنت بقيـة القوة من الانسحاب بعد نفاد ذخيرتها)).

((وفى ينـاير ١٩٨٩م ، صـدت قـوة مـن الشـرطة هجـوم الخـوارج علـى منطقـة (فيو) واستشهد رئيس النقطة برتبة العريف)).

((وبتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٨٩م ، شاركت الشرطة في صد هجوم الخوارج الشهير على منطقة ابو سفيفة شرق مدينة كادقلي ، حيث صمدت تلك القوة واستشـهد يومها رئيس النقطة المـلازم اول نصـر الديـن محمـد الفكـي مـن شـرطة الطـوارئ وجندي آخر)).

((وفي يناير ١٩٩٠م ، تمكن الخوارج من الهجوم علـى منطقـة دميـك في الشـمال الغربي لمدينة كادقلي مستهدفين نقطة الشرطة، واستطاع افراد النقطة صد الهجوم واستشهد قائد النقطة وهو برتبة مساعد.

((في نفس ذلك التاريخ من يناير ١٩٩٠م ، شاركت قوات الشرطة في صد هجوم الخوارج على قرية ام حيطان مما ادى الى استشهاد رئيس النقطة ايضا وهو برتبة عريف واسر ثلاثة من افراد الشرطة)).

((وفى عام ١٩٩١م ، إستشهد عدد من افراد الشرطة في حادث الحجيرات بمنطقة كالوقي ، وعلى رأسهم الملازم اول شرطة تاور موسى وثلاثة من افراده)).

((وظلت هذه القوات تقدم الشهيد تلو الشهيد في مسارح المواجهة المختلفة مع قوات التمرد حتى بلغ عدد الشهداء ثلاثة ضباط و ٣١ فردا، اضافة الى اسر عشرة افراد)).

جدول يبين شهداء الشرطة الموحدة بولاية جنوب كردفان :

الوحدة	عدد الشهداء من الضباط	الصف والجنود
الشرطة	٣	٢١
السجون	-	٦
الدفاع المدني	-	٣
الحياة البرية	-	١
المجموع	٣	٣١

تسجل قوات الشرطة الآن وجودا دائما في مناطق التماس بالولاية، منها على سبيل المثال لا الحصر مناطق :

هيبان ، الفيض ام عبد الله ، دميك ، تندية ، سلارا ، حجر الفوس ، فيو كويكايه ، عقب ، كحليات ، ابوسفيفة ... إلخ . كما تشارك ايضا في عمليات الامن الداخلي والاطواف والمرور الليلي اضافة الى مراقبة الوضع العام تاميناً للمدن والمواطنين .

٢) قوات الدفاع الشعبي :

جاء الحديث عن دور الدفاع الشعبي في ثنايا حديثنا عن التصدي لقوات الحركة بالمنطقة. ولكننا سنتناول دورها بصورة عامة من حيث عدد القوات المشاركة وتوزيعاتها .

يقول العميد العباس عبدالرحمن الخليفة قائد قوات الدفاع الشعبي (٦٢): ((ان منطقة جنوب كردفان تمثل النموذج الأمثل في رأينا لتكوين قوات الدفاع الشعبي وانتشارها ، اذ انها كانت تتكون من مواطني المنطقة الذين يقيمون بها والذين لهم دوافعهم الخاصة لتأمين المنطقة والاحتفاظ بامكاناتها ومقدراتها ، لذا تميزت مشاركتهم بايجابيات كثيرة :

ا- شمل الاستنفار اعدادا كبيرة من المواطنين فكان أثر ذلك كبيرا في تكوين مجموعات قتالية عديدة مكنت من تحقيق الاهداف .

ب- معرفتهم بالمنطقة والعدو وتأقلمهم على البيئة مكن من استخدامهم بطريقة أمثل وبتكلفة أقل .

ج- هم السكان الاصليون للمنطقة، لذا فإن العبء الاداري الذي يصحب الجيوش النظامية عادة قد قل كثيرا نسبة للاعتماد على الامكانيات والعادات والوسائل المحلية بالمنطقة في معظم الاوقات، خاصة فيما يتعلق بالحركة والتموين .

د- الروح المعنوية للقوات تكون عالية في كل الاحوال لايمانهم بعدالة قضيتهم وعدالة القتال من أجلها رغم كره القتال وويلاته، مما يؤدي الى استبسالهم في رد الظلم الذى وقع عليهم)).

يواصل العميد العباس قائلا : ((شاركت قوات الدفاع الشعبي بجنوب كردفان في معظم عمليات قيادة الفرقة الخامسة ضمن وحدات الفرقة وتحت قيادتها، مستخدمة نفس الاسلوب التعبوي الذى تعمل به . كما أنها عملت احيانا في محاور منفصلة وحققت الكثير من الانتصارات ونظفت المنطقة من

جيوب التمرد ، وقد دونت السجلات الرسمية استنفار ستة آلاف مجاهد سنويا في عمليات جنوب كردفان طوال الفترة من عام ١٩٩٢م وحتى عام ١٩٩٤م ، الا ان الواقع يشهد ان العدد الذي شارك في العمليات في هذه المنطقة كان لا يقل عن ضعف هذا العدد سنويا ، ولكن الاحصاء الرسمي لم يتضمن ذلك العدد، اذ لم تتكفل الدولة بالصرف عليه كله)).

ويؤكد العقيد اسماعيل، قائد الدفاع الشعبي قطاع كردفان ان عدد افراد الدفاع الشعبي بلغ في منتصف ١٩٩٢م بجنوب كردفان ٣٨ الف فرد على النحو التالي :

١٥ الفا	بمحافظة الرشاد
تسعة آلاف	كادقلي
ثمانية آلاف	الدلنج
ستة آلاف	السلام

وقال انه عندما تم الاستنفار في مطلع عام ١٩٩٢م ، تجمع ٣٥ الف مجاهد. ولكن لعدم توفر الامكانيات أخذنا منهم خمسة آلاف فقط تم تدريبهم في كتيبتي الصديق والفاروق (٦٣) . بينما تشير احصائيات ادارة تنسيق الدفاع الشعبي بولاية جنوب كردفان في اكتوبر ١٩٩٤م الى ان عدد هذه القوات على النحو التالي: (٦٤)

١. محافظة الدلنج : عدد كتائب الدفاع الشعبي ١٥ كتيبة بلغ عدد افرادها خمسة و عشرين ألف مجند، بالاضافة الى خمسة آلاف كانوا يتدربون بالمعسكرات المفتوحة، و ثلاثة آلاف مجندة .

٢. محافة الرشاد : عدد الكتائب ١٧ كتيبة و١٥ منطقة أمنية متمثلة في مناطق : مندي ، مفلوع ، توس ، انقاركو ، الكوك ، شق رابح ، السلامات ، قردود ام ردمى ، اللميرة ، كاونارو ، الرحمانية ، السيسبان ، الجميزاية و ام برطبو.

٣.محافظة كادقلي : عدد الكتائب ١٤ كتيبة وبلغ عدد المجندين عشرة آلاف مجند موزعين على القطاعات الشرقية والجنوبية والغربية والشمالية للمنطقة .

وقد كانت قوات الدفاع الشعبي بالمنطقة تنفتح في مناطق مسؤوليات مختلفة بحيث تغطى منطقة المسؤولية الموكلة اليها وتشكل أكبر حزام أمني ممكن. واذا كنا قد تناولنا تجربة كادقلي ورأينا في الاسطر السابقة توزيعات الدفاع الشعبي بمنطقة الرشاد ، فاننا نقف الآن على توزيعات كتائب الدفاع الشعبي بمنطقة الدلنج (٦٥)

لنجدها على النحو التالي :

العدد	اسم الكتيبة او اللواء	منطقة المسؤولية
١.	لواء الشهيد موسى على سليمان	الدلنج - ريفى الكرقل
٢.	كتيبة الرحمن	حجر الجواد
٣.	خالد بن الوليد	الكرقل
٤.	اسامة بن زيد	القردود
٥.	بدر الكبري	الدلنج
٦.	السلام	الدبيبات
٧.	سلمان الفارسى	الحمرة
٨.	الرحيم	سلارا
٩.	ابو ايوب الانصاري	الدرنقاش
١٠.	احد	كرتالة
١١.	الانقاذ	هبيلا
١٢.	القادسية	دلامي
١٣.	الوقود	البقلني
١٤.	سيف النصر	ضمى
١٥.	نسيبة	الدلنج

كما نجد أن لوحة الشرف لموسسي الدفاع الشعبي بمنطقة الدلنج (٦٦) ، التي تزين مكتب تنسيق الدفاع الشعبي بالمنطقة تضم :

١ - مهدي مامون نيتو .
٢ - محمد دراس موسى .
٣ - عبد الله محمد عيسى المندوب .
٤ - محمد اسماعيل كنية .
٥ - صالح تاور .
٦ - خميس حمدان .
٧ - ترتور الامين الضاوى .
٨ - الشهيد محمد حميدة شرع .
٩ - الشهيد كوكو عبد الرحيم .
١٠- محمد موسى حماد .
١١- خليفة سلبا تجار .
١٢- الاحيمر شرة .
١٣- الشهيد رقيق سالم .
١٤- عيسى محمد الحسب .
١٥- غبوش الدود عوض الله .

واذا استعرضنا الاسماء بالقائمة نجدها تضم كل المجموعات القبلية بالمنطقة ، مما يدل على ان الذين تصدوا لتأسيس حركة المقاومة الشعبية للتمرد وقادوها من بعد ذلك يشكلون كل ألوان الطيف السياسي بمنطقة الدلنج دون استثناء لاحد .

ولم تتوقف مشاركة الدفاع الشعبي على العمليات العسكرية المباشرة بجنوب كردفان بل تخطتها الى جوانب كثيرة أخرى . (٦٧) و فيما يلى بعض من هذه التجارب :

أ - حراسة المشاريع الزراعية ومسارات العرب الرحل

أقامت هذه القوات ما عُرف بالمزارع المسلحة في مناطق بحر العرب والميرم وهجيليجة و مناطق واسعة من جبال النوبا ، حيث اصبح افراد هذه القوة يمسكون البندقية بيد و(الطورية) باليد الاخرى ، وتمثلت الاستراتيجية في قيام افراد الدفاع الشعبي بالزراعة في العمق في المناطق المواجهة لوجود التمرد ليحموا ظهر المزارعي، مما جعل تلك المناطق تنعم بالامن والأستقرار . ولاقت الفكرة نجاحا كبيرا، خاصة بمناطق هبيلا والمشاريع الزراعية بريفى كادقلي .

ب - القرى الآمنة :

فتحت قوات الدفاع الشعبي عدة قرى بالمنطقة واستقرت بها وأمنت عودة مواطنيها اليها بعد ان هجرها أهلوها بفعل التمرد . ففي جبال النوبا عادت الحياة بفضل هذا المجهود الى ارياف كادقلي والدلنج ولقاوة بعد ان تم تأمينها بواسطة القوات المسلحة و افراد الدفاع الشعبي ، ومن تلك القرى على سبيل المثال قرى : الحمرة ، الأحيمر ، العتمور ، الكرقل ، ماجدة ... إلخ .

ج - المشاركة في الدوريات الليلية

تشارك قوات الدفاع الشعبي في المنطقة القوات المسلحة وقوات الشرطة الموحدة في الاطواف الليلية وحراسة مدن المنطقة من تسلل الخوارج خاصة مدن كادقلي الدلنج، لقاوة وغيرها من مدن الولاية .

وفي سياق حديثنا عن التضحيات التي بذلتها قوات الدفاع الشعبي بالمنطقة نجد ان هذه القوات قدمت العديد من الشهداء . ففي الفترة من اول يناير ١٩٩٠م وحتى ٣ يونيو ١٩٩٣م ، قدمت قوات الدفاع الشعبي على مستوى السودان ٤٧١ شهيدا كان توزيعهم حسب مواقع الاستشهاد كالآتي :

المنطقة	عدد الشهداء
١ - جنوب كردفان	٣١٠
٢- الاستوائية	٨٢
٣ - بحر الغزال	٢٣
٤- بحر العرب	٣١
٥ - اعالي النيل	١٣
٦- دارفور	٦
٧- الحدود الشرقية.	٦
الجملة	٤٧١ شهيداً

من خلال هذه الاحصائية يتجلى لنا حجم التضحية التي قدمها افراد الدفاع الشعبي بمنطقة جنوب كردفان، حيث يقارب عدد الشهداء الذين قدمتهم المنطقة نصف عدد شهداء الدفاع الشعبي في مناطق العمليات المختلفة .(٦٨)

ونختتم الحديث حول تجربة الدفاع الشعبي بجنوب كردفان بما ذكره في هذه الاطار العميد العباس قائد الدفاع الشعبي اذ يقول : ((نعتقد ان الاعمال التي قام بها الدفاع الشعبي في منطقة جنوب كردفان في الاعوام الماضية بالتعاون مع القوات المسلحة تعتبر من الاعمال الجليلة المتميزة ، حيث كان من نتائجها انحسار التمرد وحصره في نطاق ضيق ، بل أصبح شراذم للنهب المسلح وفقد فعاليته ، وكل المناطق التي كان يتمتع فيها التمرد بحرية الحركة تمنعت عليه واصبح الآن عاجزا عن ذلك))(٦٩) .

٣ - المجموعات الخاصة :

قامت مجموعات مختارة خاصة من القوات المسلحة أو قوات الدفاع الشعبي بتنفيذ مهام محددة في اوقات معينة. لكننا في هذه الدراسة نقصد بالمجموعات الخاصة اولئك الافراد الذين عادوا من حركة التمرد وتمت الاستفادة منهم في تنفيذ العديد من المهام داخل معسكرات الحركة ، وذلك لمعرفتهم بمداخل تلك المعسكرات والطرق المؤدية اليها ونقاط المراقبة والقوة والضعف فيها ، و قد حققت تلك المجموعات نتائج جيدة أدت الى زعزعة التمرد وانزلت به ضربات موجعة داخل عدد من معسكراته حول كادقلى، نذكر منها على سبيل المثال : كوفة ، كاتشا دلوكة ، كلو لو ، الريكة ، البو ، كاين ، النبرة و أم سردبة .... إلخ . واستولت هذه القوات على العديد من الاسلحة من ايدى قوات الحركة كما أسرت ٢٥ فردا، وقامت بايصال الدواء الخاص بالقوة التي رابطت في ام دورين بعد تحريرها الأخير من ايدى الخوارج عندما عُزلت هذه القوة في فترة الخريف . وغير ذلك من الاعمال التي ساهمت في دحر التمرد بالمنطقة. (٧٠)

دور المرأة بجنوب كردفان في مقاومة التمرد :

اذا كانت المرأة السودانية منذ عهد مهيرة ورابحة الكنانية قد فهمت المقاصد والغايات ، وعملت بكل حد ونشاط في سبيل رفعة وتقدم وطنها حتى يجد مكانة عالية بين الامم والشعوب ، فان حواء السودانية لم تقف عند مهيرة و رابحة وإنما تجاوزت ذلك . ففى عهد الانقاذ حملت المرأة البندقية وقاتلت مع الرحال في الصفوف الامامية في سابقة لم تشهدها الساحة السودانية من قبل . وفي جنوب كردفان على وجه الخصوص كان للمرأة دور مهم في حركة المقاومة الشعبية للتمرد، فبجانب مشاركة المرأة الفعلية في ميدان القتال بصورة مباشرة ، قامت المرأة بدفع ابنها وزوجها وأخيها الى ميدان المعركة ، كما وقفت خلف الرجال وخلفتهم في المزارع ومناطق الرعى الى حين العودة من الميدان. ومع اننا سردنا في ثنايا البحث بعضاً من ذلك الدور في اطار حركة التصدي للخوارج ، الا اننا نفرد هنا بعضا من النماذج الدالة على هذه المشاركة.

فبعد انتظامها في كتائب مثل كتيبة الزهراء بكادقلي ونسيبة في الدلنج على نحو ماذكرنا، خرجت لتشارك الرجال في ساحات المعارك بصور مختلفة ، وكانت اولى هذه المشاركات هي تلك الخيمة التي أطلقن عليها اسم خيمة رفيدة في الدلنج عندما قامت بنصبها ٣٥٠ مجندة قمن بمداواة الجرحى وغسل ملابس المجاهدين ونقلهم الى المدينة (٧١). وفي منطقة رشاد وأبوجبيهة قامت مجندات الدفاع الشعبي بحراسة الصفوف الخلفية. كما قمن بضخ المياه وتجهيز الطعام عند ذهاب الجنود الى المعركة، وفي منطقة العتمور بمحافظة كادقلي وقفت ٧٥ امرأة في الخنادق مع الرجال في مواجهة معسكرات الخوارج ، وكانت المرأة السودانية ايضا في معركة ام سردبة مشاركة ومحرضة عملت على اشعال الحماسة في الرجال. ويذكر ان احدى النساء في هذه المعركة كانت ترفع العصا حتى لا يتقهقر الرجال، دون ان تتخذ لها ساترا حتى نهاية المعركة التى حسمت لصالح

الوطن و الاسلام . وفي الدلنج قامت اثنتان من النساء بجذب المدفع بعيدا عن ارض المعركة بعد ان استشهد الجندى الذي كان يستعمله، حتى لا يذهب غنيمة للخوارج، مضحيات بارواحهن ليحتفظن بعتاد المعركة سالما كاملا .. وفي لقاوة قامت كتيبة رفيدة التي قوامها ٥٢٠ امرأة برفع الروح المعنوية للجنود بإنشاد شعر (الحكامات) الحماسي. و كانت المرأة في جنوب كردفان تقوم بكل الخدمات بالمدن بعد ان يذهب الرجال الى المعركة ، وفي منطقة المجلد ببحر العرب نجد الامهات يأتين بأبنائهن الصبية الصغار الى معسكرات الدفاع الشعبي ، بل ان بعض النساء أوقفن كسب العيش الذي ربما يكون سببا في عزل بعض الرجال عن الجهاد. فبائعات الشاي تعاهدن على اخماد نيرانه عندما تحرك الجنود الى معركة (المغيرات صبحا) ، و لم يعدن الى أعمالهن الا بعد ان عاد الجنود بالنصر المؤزر .
ان المرأة السودانية فى مناطق التماس تجاوزت عصور التخلف والظلام واستشرفت آفاقاً مضيئة، فلعبت دوراً كبيراً في الاستقرار ورفع معنويات المقاتلين ، واعطي وجودها بُعداً آخر للقضية . كما انها تعد بمستقبل زاهر في المنطقة للأجيال القادمة، فهي إما أمٌ او اخت او زوجة أو بنت لشهيد ، وهذا جعل اهتمامها بالنواحي الاجتماعية ملحوظا. وتحولت (الحكامة) من امرأة تعمل على نشر الفتن من خلال الغناء بين القبائل الى أداة تدفع بالجند الى مجابهة العدو من خلال الغناء الحماسي .(٧٢)

وفي كل العمليات التي خاضتها مجندات الدفاع الشعبي أظهرن قدرة فائقة على الثبات. وتقول المجندة امهال على هود من كادقلي : ((تدربنا في كادقلي في الفترة من ١٩٩٠/٨/١م حتى ١٩٩٢/٩/١٥م ، وكان عددنا ٤٥ مجندة، وخضت بعد ذلك خمس معارك في مناطق (ميري) ، التيس ، أم سردبة و العتمورة)). وتعدد امهال عدد قتلى الخوارج والمعسكرات التى تم تدميرها والغنائم التي تم الاستيلاء

عليها وتقول: ((اننا بجانب القتال كنا نحمل الذخيرة وننشد الشعر الحماسي ونزغرد ونجهز الاكل والماء للرجال بعد المعركة)). (٧٣) .

ولم يقف دور المرأة، كما قلنا، عند حمل البندقية ، وانما طورن مشاريع العمل الاجتماعي والمشاركة كمجندات بقوات الدفاع الشعبي .. تقول المجندة هدى عمر: ((إن المرأة لعبت دورا بارزا في انجاح مشروع الخلافة في الاهل الذي ترعاه ادارة تنسيق الدفاع الشعبي ، فقد قامت المرأة بزيارة اسر المجاهدين لمعرفة حالاتهم الاجتماعية ومواساة اهلهم في غيابهم)). وتقول هدى: ((إن الزيارات غيرت مفاهيم الاسر عن الجهاد ورفعت روحهم المعنوية)). وتضيف المجندة جواهر عبدالله إن الزيارات التي قمن بها الى أسر المجاهدين خلقت جوا احتماعيا طيبا بين ادارة الدفاع الشعبي وهذه الاسر، و من خلال تلك الجولات وضعن دراسات علمية عن حالات هذه الأسر و قمن بمشاركة بعضها في الأفراح والمآتم التي حدثت خلال وجود المجاهدين فى ساحات القتال. كما تم زيارات للجرحى القادمين من مناطق العمليات وتقدم اليهم الرعاية الصحية ويتم توجيه الجهات الرسمية والشعبية والمنظمات الطوعية بتسجيل زيارات لهم(٧٤) ، اضافة الى المشاركة في مشروع (زاد المجاهد) الذي لم تكن المرأة بجنوب كردفان استثناءاً منه.

وهناك الكثير من النماذج المشرقة التي قدمتها المرأة بجنوب كردفان على وجه الخصوص والمرأة السودانية على وجه العموم من خلال مشاركتها في الدفاع الشعبي، ولعل التاريخ سيسجل التغيير الكبير الذي شهدته الساحة الاجتماعية في السودان، حيث زالت مظاهر الحزن والبكاء والعويل على الشهداء وارتفعت في بيوتهم الاصوات بالتهليل والتكبير وتلاوة القرآن والاذكار والصلوات. وقامت كتائب جديدة تحمل اسماءهم ودفع المزيد من الابناء والاخوان الى السير على نفس الطريق، واصبحت الام السودانية اليوم تستقبل نبأ موت ابنها فى ساحات القتال

بالتكبير والتهليل والزغاريد والصبر والاحتساب . وتحتسب الاخت أخاها بكلمات حماسية وشجاعة وعزة وكبرياء.. هكذا تحول المجتمع السوداني بكلياته نحو اسباب الخير والرفعة والنماء .

وعندما نشرت مجلة (تايم) الامريكية في عددها بتاريخ يونيو ١٩٩٢م ملفا عن الثورة في العالم الاسلامي ، تحت عنوان (الاسلام.. هل يمثل خطرا على العالم؟) أبرزت صورة كبيرة لطالبات الجامعة الاسلامية بالسودان وهن يتدربن في احد معسكرات الدفاع الشعبي، وكتبت تعليقا على ذلك:((إنها دلالة على التحول الاسلامي للحياة في السودان)). (٧٥)

هكذا أن نجد المرأة في جنوب كردفان بمساهماتها المتعددة كان لها القدح المعلى في حركة التصدي للتمرد بمنطقتها .

٥ - القيادة السياسية :

يأتي دورا القيادة السياسية والقوات المسلحة متلازمين في حركة التصدي للتمرد إذ هو واجبهما الاساسي معا ، لكن كما رأينا عند بداية دخول الحركة فان القيادات السياسية تأثرت بالجو المحيط فى ذلك الوقت وكثرة الشركاء الذين كان بيدهم القرار ويستطيعون التأثير على مجريات الاوضاع ، ولكن إختلف الدور بعد مجئ نظام الانقاذ. فقد توحدت الارادة السياسية والعسكرية نحو هدف واحد ، واصبح الدور متناغما بينهما، كلٌ يؤدي دوره المنوط به، حتى عُرف اللواء الحسينى عبد الكريم عندما كان والياً على اقليم كردفان - حيث تقع جنوب كردفان ضمن حدود مسؤولياته - بالتهليل والتكبير بعد كل جملة يقولها في خطبه محرضاً أفراد القوات المسلحة والدفاع الشعبي على القتال . وفيما بعد جعلت حكومة الدكتور حبيب مختوم التى استلمت زمام الامر في ولاية جنوب كردفان بعد تقسيم الولايات في عام ١٩٩٤م ، على رأس اولوياتها القضاء على التمرد. وكانت عمليات (أمل كردفان) تتويجا للعمل المشترك بين الجهد

العسكري والسياسي ، كما قادت هذه الحكومة عملية عودة المواطنين الى قراهم وتعميرها فيما عرف (بعملية السلام من الداخل) بحنكة و اقتدار و تم إنشاء العديد من (قرى السلام). وهذا ماستتناوله في الباب الخامس عند الحديث عن السلام وخطاب الانقاذ السياسي . فالحكومات التي تعاقبت على حكم الاقليم على المستوى الولائي او مستوى المحافظات كانت تدفع بكل جهدها في اتجاه القضاء على التمرد، لان ذلك يعني عودة الاستقرار وبدء العمل التنموي الذي يؤدي الى رفاهية انسان المنطقة .

هكذا أدى تكامل أدوار هذه الأطراف المتعددة إلى القضاء على التمرد فى منطقة جبال النوبا، فلم يعد يشكل خطراً كما كان يوم دخوله إلى المنطقة فى عام ١٩٨٤م. و جاء ذلك نتيجة لتضحيات كبيرة بذلتها القوات المسلحة السودانية والأطراف الأخرى الرسمية و الشعبية .



هوامش الباب الثالث

١- دراسة عن جذور مشكلة التمرد بجبال النوبا - محافظة كادقلي الملف الامني الخاص - فبراير ١٩٩٢م ، ص ٢ .

٢- ورقة حول استراتيجية العمل بجبال النوبا - مؤسسة السلام والتنمية - مارس ١٩٩٢م ، ص ٥ .

٣- حسن محمد طه المدير التنفيذي لمحافظة كادقلي - ورقة قدمت في مؤتمر السلام المنعقد بالخرطوم - مارس ١٩٩١م .

٤- صحيفة (الراية) الناطقة بلسان الجبهة الاسلامية القومية العدد (٦٧٧) بتاريخ الاحد ٨ رمضان ١٤٠٨هـ الموافق ٢٤ ابريل ١٩٨٨م .

٥- ورقة حول السلام في جبال النوبا - اعدتها اللجنة التمهيدية لهيئة السلام والتنمية بجبال النوبا - الخرطوم ١٩٩٣م ، ص ٣ .

٦- حسن محمد طه ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦ .

٧- المصدر نفسه ، ص ٧ .

٨- اللواء رمضان زايد كوكو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٥ .

٩- ورقة عن النشاط الكنسي جبال النوبا وعلاقته بالتمرد - ادارة السلام بولاية كردفان ١٩٩٢م ، ص ٤ .

١٠- موسى علي سليمان - استطلاع حول احداث ام دورين - صحيفة (الراية) العدد رقم (٤٧٩) بتاريخ ٣ سبتمبر ١٩٨٧م .

١١- صحيفة (الراية) العدد (١٠٢٣) السنة الرابعة بتاريخ ١٩٨٩/٦/٣م .

١٢- اللواء رمضان زايد كوكو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٩ .

١٣- المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

١٤- صحيفة الهدف (لسان حال حزب البعث العربي الاشتراكي) ، العدد رقم (٨٣٩) بتاريخ ١٩٨٩/٤/٣٠م .

١٥- مصدر رسمي ورقة عن جنوب كردفان (التمرد والمعالجات) ادارة السلام بولاية كردفان ، ص ٣ .

١٦- لقاء مع مقدم شرطة ادم (ادروب) ، مدير شرطة محافظة كادقلي - ١٨ يناير ١٩٩٥م ، بمكتبه برئاسة الشرطة بكادقلي .

١٧- سراج الدين عبد الغفار عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٤ .

١٨- مصدر رسمي ، ورقة عن جنوب كردفان (مصدر سبق ذكره) ، ص ٣ .

١٩- لقاء مع السيد عمر سليمان - مساعد والي كردفان للسلام ووزير التربية والتعليم بالولاية ونائب وزير النقل حالياً ، اغسطس ١٩٩٣م ، بمكتبه بالابيض .

٢٠- صحيفة (الراية) العدد (١٠١٩) بتاريخ ١٩٨٩/٥/٣٠م ، ص ٥ .

٢١- المصدر نفسه ، ص ٥ .

٢٢- المصدر نفسه ، ص ٥ .

٢٣- المصدر نفسه ، ص ٥ .

٢٤- سراج الدين عبد الغفار عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٥ .

٢٥- مصدر رسمي

Kordofan State Government
Peace Adminstrate And Resettlement Present :-
SPLA Violation of Human Rights in South
Kordofan - August - 1993 . P - 5 .

٢٦- مصدر رسمي : اوضاع ابناء جبال النوبا داخل حركة التمرد ، ص ٢ .

٢٧- لقاء مع المقدم ركن محمد الطيب فضل محافظ محافظة كادقلي ، بمكتبه بكادقلي في ٧ يناير ١٩٩٢م .

٢٨- المصدر نفسه .

٢٩- لقاء مع الملازم كمال يوسف قائد الدفاع الشعبي بمنطقة لقاوة وحامد كوكو حريكة منسق الدفاع الشعبي بالمنطقة ، وذلك في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٤م ، بمكتب تنسيق الدفاع الشعبي بلقاوة .

٣٠- ورقة اعدها ابناء النوبا بالمملكة العربية السعودية - الرياض بعنوان (الصراع القبلي بين النوبا وعرب المسيرية الرحل في منطقة الجبال الغربية - لقاوة - جنوب كردفان) ١٩٩٠م ، ص ١٤ .

٣١- لقاء مع عبد السلام سليمان سعد - المدير التنفيذي لمنظمة الدعوة الاسلامية وأحد الشهود على احداث المنطقة ابان توليه رئاسة مكتب المنظمة بكادقلي عن اندلاع التمرد في عام ١٩٨٤م - الخرطوم - فبراير ١٩٩٣م .

٣٢- لقاء اجرته صحيفة الوسط (اللندنية) مع محمد هارون كافي في عددها الصادر في ١٥ يوليو ١٩٩٦م برقم (٢٣٣) اضافة الى البيان الصادر من اللجنة المركزية للحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان - اقليم جبال النوبا والذي اوردت نصه صحيفة (المخبر) في عددها رقم (٢) بتاريخ ٣ - ٩ يوليو ١٩٩٦م .

٣٣- لقاء مع وفد الاتصال المكون من صالح الياس وعز الدين كوكو وآخرين الذي كان ينقل رسائل من وفد الحكومة المتواجد بكادقلي لقادة التمرد في الفترة من ١٥ - ٢٥ يونيو ١٩٩٢م - حيث كان الباحث احد اعضاء وفد الحكومة المفاوض في تلك الفترة .

٣٤- مصدر رسمي . ورقة تحلل الموقف الامني بجنوب كردفان في تلك الفترة - كادقلي ٢٥ مارس ١٩٩٢م .

٣٥- مصدر رسمي إلتقاط لاسلكي بتاريخ ١٩٩٢/٤/٢٣م ، الحوار كان باللغة العربية والانجليزية .

٣٦- حديث تلفون كوكو لوفد الاتصال ، مصدر سبق ذكره .

٣٧- لقاء يوسف كوة - مجلة الوسط (اللندنية) العدد (٢٣٣) بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٩٦م .

٣٨- مصدر رسمي - لقاء مع كوكو حقدول احد افراد الحركة الشعبية بجبال النوبا نيروبي (حول اوضاع ابناء جبال النوبا داخل حركة التمرد) ، تقرير خاص .

٣٩- لقاء مع محمد هارون كافي صحيفة (المخبر) العدد الثاني الاربعاء ١٠ - ١٦ يوليو ١٩٩٦م ، ص ٤ .

٤٠- مجلة الوسط (اللندنية) ، لقاء مع يوسف كوة مصدر سبق ذكره .

٤١- مصدر رسمي - لقاء مع دانيال كودي احد مؤسسي التمرد بجبال النوبا - نيروبي (حول اوضاع ابناء جبال النوبا داخل حركة التمرد) ، تقرير خاص .

٤٢- مجلة الوسط (اللندنية) لقاء مع محمد هارون كافي سبق ذكره .

٤٣- التصنيف المذكور مأخوذ من عدة مصادر رسمية .

٤٤- لقاء مع عبد السلام تية احد ابناء المنطقة ، مصدر سبق ذكره .

٤٥- سراج الدين عبد الغفار عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣ .

٤٦- لقاء مع محمد ادم الشفيع احد مؤسسي الدفاع الشعبي بكادقلي بمكتب تنسيق الدفاع الشعبي بكادقلي ، نوفمبر ١٩٩٤م .

٤٧- لقاء مع سليمان على الصادق - أحد قادة الدفاع الشعبي قطاع كادقلي - بمكتب تنسيق الدفاع الشعبي بكادقلي نوفمبر ١٩٩٤م .

٤٨- لقاء مع الاستاذ محمد ابكر محمد احمد قائد كتيبة سيف النصر التابعة للمجموعة الاولى كادقلي - بمكتب التنسيق بكادقلي نوفمبر ١٩٩٤م .

٤٩- كتاب السيرة الذاتية للشيخ سعد حامد امام مسجد كادقلي الكبير - غير منشور ، ص ٨٦ - ٨٧ .

٥٠- الخطاب الافتتاحي لمؤتمر الائمة والدعاة واعيان مدينة كادقلي : المنعقد بالمسجد الكبير في الثاني والعشرون عن شهر ذو القعدة ١٤٠٥ هـ الموافق التاسع من شهر اغسطس ١٩٨٥م ، ص ٢ .

٥١- سراج الدين عبد الغفار عمر - مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

٥٢- محافظة كادقلي - الملف الامني الخاص ، ورقة تناولت جذور التمرد في جبال النوبا ١٩٩٣م ، ص ٥ .

٥٣- لقاء مع المقدم ركن محمد الطيب فضل محافظ كادقلي بمكتبه برئاسة المحافظة يوم الاثنين ٢٧ ابريل ١٩٩٢م .

٥٤- ورقة عن خطة السلام بجنوب كردفان ١٩٩٣م ، ص ٤ .

٥٥- لقاء مع المقدم عوض احمد عبد الله قائد الدفاع الشعبي لمنطقة الدلنج بمكتبه بقيادة الدفاع الشعبي بالدلنج في ٦ يناير ١٩٩٢م .

٥٦- لقاء مع لجنة امن محافظة كادقلي والاستماع الى تقرير حول موقف العمليات بالمنطقة ، قدمه العميد الأمين التجاني قائد اللواء الثانى - كادقلى ، في مساء ٧ يناير ١٩٩٢م ، بمكتب محافظ كادقلي لوفد من ادارة تنسيق الدفاع الشعبي الخرطوم .

٥٧- لقاء مع المقدم عبدالاله قائد الدفاع الشعبي بمنطقة لقاوة يوم ١٩٩٢/١/٩م ، بمنطقة نمر شاغو خلال زيارتنا للقوات المسلحة والدفاع الشعبي المتمركزة في منطقة تلشي ابان المعارك التي دارت بالمنطقة .

٥٨- مصدر رسمي حول عمليات أمل كردفان ١٥ يناير ١٩٩٤م .

٥٩- قام الباحث بجولة في جنوب كردفان ضمن جولات ادارة تنسيق الدفاع الشعبي لمناطق العمليات برفقة التوم الفاضل منسق الولايات بادارة التنسيق وآخرين ، شملت الجولة يومها كلا من الدلنج ، لقاوة ، كادقلي ، المجلد وكيلك

وبعض ارياف المنطقة وتمت فيها زيارة افراد الدفاع الشعبي في مواقعهم الامامية في الفترة من ١٩ نوفمبر ١٩٩٤م وحتى ٣٠ نوفمبر ١٩٩٤م .

٦٠- صحيفة السودان الحديث - لقاء مع عوضية باشا ادم أمين مال رابطة ابناء كتلا بالخرطوم - العدد (٢٣٧٢) بتاريخ ١٩٩٦/٧/٣١م .

٦١- لقاء مع مقدم شرطة ادم (ادروب) مدير شرطة محافظة كادقلي ، مصدر سبق ذكره .

٦٢- العميد الركن العباس عبد الرحمن الخليفة - الاكاديمية العسكرية العليا - كلية الدفاع الوطني - دورة رقم (١١) بحث عن الدفاع الشعبي في السودان ، ص ٦٦ - ٦٧ .

٦٣- لقاء مع العقيد اسماعيل قائد الدفاع الشعبي - قطاع كردفان بمكتبه برئاسة القطاع بالابيض ، بتاريخ ١٩٩٢/٥/٣١م .

٦٤- تقرير ادارة مكتب التدريب والعمليات - بادارة تنسيق الدفاع الشعبي - ولاية جنوب كردفان ، ١٧ اكتمبر ١٩٩٤م .

٦٥- زيارة لمكتب تنسيق الدفاع الشعبي بالدلنج يوم ١٩٩٤/١١/٢٤م ، وتوجد اسماء الكتائب معلقة بجدران المكتب حسب ما هو موضح.

٦٦- المصدر نفسه .

٦٧- سراج الدين عبد الغفار عمر - مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣ -١٥٤ .

٦٨- المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

٦٩- المصدر نفسه ، ص ٤ (ملاحق) .

٧٠- مصدر رسمي - نشاط القوات الخاصة خلال شهر سبتمبر ١٩٩٤م .

٧١- اميرة مختار بابكر - صور في جهاد المرأة - شعبة الاعلام بالدفاع الشعبي كتاب رقم (٦) ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

٧٣- صحيفة الانقاذ الوطني ، بتاريخ ١٩٩٢/٧/١٧م .

٧٤- لقاء مع هدى عمر وجواهر عبد الله والهام احمد صالح من ادارة تنسيق المرأة بالدفاع الشعبى - وحدة الرعاية الاجتماعية - الخرطوم - اكتوبر ١٩٩٣م .

٧٥- سراج الدين عبد الغفار عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٣ .

الباب الرابع

آثار الصراع المسلح في جبال النوبا

الفصل الاول

آثار الحرب على التنمية الاقتصادية في جبال النوبا

تتسم القارة الافريقية بتغيرات سياسية واجتماعية هائلة. وقد صاحب هذه التغيرات عنف أدى الى حروب أهلية دامت لعدد من السنين ، وقد أدت هذه الحروب الاهلية والاضطرابات السياسية الى خسائر هائلة للانسان في شخصه وحياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية. وقد أدى ذلك كله الى تحطيم البيئة الطبيعية للانسان ونتج عن ذلك نزوح الملايين من الناس عن مواطنهم الاصلية، الأمر الذي ترتبت عليه آثار خطيرة. وفي السودان الذي عانى خلال ثلاثة عقود من الزمان من حربين أهليتين ترتبت عليهما أعداد هائلة من اللاجئين والنازحين يمثلون ٦٠ ٪ من لاجئي ونازحي افريقيا، فإن هذه الآثار تتجاوز كل ذلك لتصبح مهددات مباشرة لوجود الكيان السياسي للسودان نفسه . لقد أصبح السودان مثله مثل بلاد القرن الافريقي الاخرى رمزاً للجوع والفقر والانهيار الاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي في العالم . ويلاحظ المهتمون بدراسة الحروب الأهلية في العالم ان العالم قد شهد مائة وخمسين حرباً اهلية منذ الحرب العالمية الثانية . وان كل هذه الحروب كانت في بلدان العالم الثالث ، والسودان بحربيه الاهليتين يكاد ومنذ ما قبل استقلاله يكون في حالة حرب اهلية دائمة أظهرت الدراسات ان عدد المدنيين من القتلى والمصابين بعاهات دائمة من جرائها يمثلون حوالي ٨٧,٦ ٪ من ضحاياها. كما انه قدم الى العالم ٣٥٤,٥٢٤ لاجئاً عبروا الحدود الدولية الى دول الجوار بنسبة تناهز الـ ٨,٤ ٪ من حجم اللاجئين في افريقيا . اما النازحون الذين لا يراهم العالم لأنهم لم يعبروا الحدود الدولية، فإنهم يمثلون ٣,٥ مليون مواطن ، ولأنهم حصيلة الحرب الاهلية، فإن أية مساعدة يمكن ان تقدم اليهم تخضع الى حد كبير لسياسات الصراع نفسه . ان الجوع والموت الذي يحيط بالنازحين امر مفهوم ومؤكد، ولكن هناك أمراً مزعجاً لا يجد عناية كافية هو ارتفاع نسبة الارامل واليتامى واولئك الذين تسبب سوء التغذية في

اصابتهم إصابات بالغة عقلياً وروحياً. ان مشاكل الجوع وسوء التغذية أصبحت مشاكل ثابتة في ضميرنا القومي اليوم، و نتيجة للحرب فإن أكثر من مليون شخص معرضون للموت بسببها. ولن نندهش مطلقاً اذا علمنا ان نسبة وفيات الاطفال بينهم ترتفع لتصل ١٨٢ ٪ من الألف وهي أعلى النسب في العالم .

أما الاساءة للبيئة فإنها تتعمق أكثر فأكثر بسبب الحرب، لأن النازحين من قراهم بسبب انعدام الامن يتركون وراءهم أرضاً لن تجد من يعتني بها ويحميها ، كما ان النزوح الى مناطق بيئة هشة (Fragile Land) يضع ضغوطاً عالية على ارض كانت اصلاً في حالة قريبة من الانهيار بيئياً . ان احتثاث الغابات - مثلاً - ان لم يتم بسبب مشاريع التنمية، فإنه من المؤكد يتم بسبب النزوح، اذ لا بد للنازحين من ان يجدوا حطبا لطهي طعامهم، ولذا فإنهم مرغمون على ان يحطموا ما يجدون من شجر او شجيرات. ولأن النزوح نفسه حالة مؤقتة فإن النازح لا يُعنى عادة بزراعة ما اقتلعه من شجيرات . ان تحويل مصادر نادرة للثروة الى تمويل الحرب تجعل التنمية تأخذ مكاناً متأخراً في أولويات الأمة ، خاصة وان الجهود القومية للتنمية في السودان كثيراً ما تُحبط، لأن مصادر التمويل لمشاريع التنمية تحوّل الى جهود الإغاثة، ومبادرات التنمية يحطمها الإصطراع والجفاف. ولذا فإن معالجة مشاكل الاصطراع السياسي او ما تعارفنا عليه باسم الحرب الاهلية، يصبح أكثر الحاحاً امام انحسار آمال السلام في مواجهة الحرب .لذلك تتوقف عملية التنمية لتلبية احتياجات الجوعى وأولئك الذين نزحوا من اوطانهم. ولقد اصبح السودان في العقد الاخير من القرن العشرين يتسم بتكرار موجات الجفاف ، ونقص انتاج الغذاء ، وضغوط ازدياد السكان في المدن الرئيسية، وارتباط ذلك بالنزوح الضخم للمواطنين من اقاليمهم ، والإساءة للبيئة ، وندرة مصادر المياه في بعض الاماكن وسوء ادارتها وخطر الجراد وأصناف الآفات الاخرى ، والاحتياجات الخاصة بالجماعات الرعوية . ان تداخل كل هذه العوامل وبخاصة الكوارث الطبيعية

وتلك التي يتسبب فيها الانسان تقود الى مصاعب يجب ان توحد طاقة البشر وتضع قادة البلاد وحكومتها امام تحديات كبرى لا نظير لها .

ان تصاعد النفقات العسكرية بسبب الحرب في بلادنا ، كفيل بأن يجعلها واحدة من أعلى النسب في بلدان العالم الثالث ، والشيء المثير للإزعاج حقاً هو ان هذا الوضع الذي تسبب في خلق اخلاقيات الحرب (Ethics of the War) وسط قطاعات كبيرة من المواطنين جعل الناس يتعودون على الحياة مع ظروف الحرب بدلاً من التعود على كيفية صنع السلام والانتاج في ظروف سلمية. ان ما شادته الامة من بنيات أساسية هامة لمسار حياة الناس يتم تحطيمه، فالمدارس والمستشفيات والطرق والجسور يتم هدمها بسبق إصرار ، ويضطر أكثر السودانيين موهبةً، في الزراعة وانتاج الحيوان والحفاظ على البيئة، الى النزوح بعيداً عن موطن الاصطراع بحثاً عن الاستقرار. و هذا أخطر آثار الحرب، إذ يصبح نظام انتاج الغذاء وتوزيعه وتسويقه ضحية كبرى من ضحايا الحرب. كما ان تحطيم المواطن وإكراهه على النزوح عنها يقود كذلك الى تحطيم كل أو بعض التركيبات الاجتماعية التقليدية المبنية على العائلة او القبيلة ، والتي ظلت منبعاً للثقافة والتراث الفنى لتلك الجماعات . إن فقدان الثقافات التقليدية يعرض اصحابها لثقافات بديلة ، مثل التشبع بالروح العدائية والتطرف الديني والسياسي والقبلي، وكل ذلك سببه الحرب وهو أثر من آثارها . والسماح بمواصلة واستمرار الحرب يعرض الدولة - شئنا أم أبينا - للبحث عن أسباب مواصلتها، وذلك يجعل مثل هذه الدولة غير قادرة على ان تقف مواقف سياسية مستقلة، وبذلك تكون سياستها الخارجية خاضعة للحرب ومتطلباتها. وهو أمر جد خطير .

الأمن والتنمية الاقتصادية أمران متلازمان، وهنالك ارتباط وثيق وحتمى بينهما، فالتنمية الاقتصادية تبدأ عندما يتوفر الأمن . وليس ادل على ذلك من ان منطقة جنوب كردفان التي كانت واحدة من أكبر مصادر الذرة في السودان اصبحت

متلقية لمئات الاطنان منها في واحدة من أكبر عمليات الاغاثة في تاريخ المنطقة التي كان انسانها مكتفياً ذاتياً بما تجود به ارضه ومراعيه . وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد ديوان الزكاة قد صرف فى شهر ابريل من عام ١٩٩٥م ما يربو على ١٣٥ الف جوال من الذرة لمقابلة احتياجات النازحين بمنطقة جنوب كردفان.(١) و لم يحدث ذلك الا كنتيجة طبيعية للحرب التي دارت رحاها بالاقليم. والآثار التي ترتبت على الوضع الاقتصادي السيء تمثلت اجمالاً في توقف التنمية وانهيار البنيات الاقتصادية التي كانت موجودة رغم ضعفها. ويمكن تفصيل ذلك في بسرد الحقائق التالية:

١- الخسائر البشرية :

لقد أزهقت نتيجة للحرب العديد من ارواح العسكريين والمدنيين وقطاعات المواطنين المختلفة منذ بداية التمرد بجنوب السودان. وقد أحصى ضحايا الحرب في الفترة من ١٩٨٥ وحتى ١٩٨٩ بجنوب السودان وجنوب كردفان فكان عددهم حوالي ٣٥ ألف قتيل دون حساب الوفيات المترتبة على المجاعة والامراض والاوبئة التي بلغت حوالي ٢٦٠ ألف حالة وفاة في تلك الفترة. كما بلغ عدد الذين أصيبوا بعاهات حوالي ٨٧ ٪ من مجموع الضحايا (٢).

اما على صعيد ضحايا الحرب في منطقة جبال النوبا فنجد الأرقام تشير الى ان عدد الانفس التي ازهقت من العسكريين والمتمردين اضافة الى المدنيين بلغت حوالي ٢٤,٥٢٠ من غير الوفيات المترتبة على المجاعة التي ضربت مناطق التمرد والامراض والاوبئة، وذلك حتى عام ١٩٩٠م .

جدول رقم (١) :

ضحايا الحرب بالمنطقة في الفترة من ١٩٨٥م الى ١٩٩٣م (٣).

الرقم	الموقع او المحافظة	عدد القتلى من المواطنين	عدد المختطفين
١	كادوقلي	٩,٨٠٠	٢٥
٢	رشاد	٦,٧٠٠	٠٠
٣	الدلنج	٤,٥٠٠	٤٧
٤	السلام	٣,٤٤١	٢٨٥
	الجملة	٢٤,٤٤١	٣٥٧

٢- آثار الحرب على النشاط الزراعي:

يعتمد اقتصاد هذه المنطقة اساساً على الزراعة بأنواعها: التقليدي وشبه التقليدي والحديث . كما ان غالبية الزُّراع بالمنطقة يعملون في القطاع التقليدي ، وهذا لا ينفي كبر المساحات الزراعية الواقعة تحت مظلة الزراعة الآلية الحديثة . ومعظم مشاريع الزراعة الآلية الحديثة تقع داخل مناطق العمليات العسكرية، مما ادى الى وقف الزراعة في مناطق هبيلا القديمة والموجه ومناطق ام لوبيا وكرندل وتوس والبيضة ومنطقة كادقلي ، وقد ادى ذلك الى نقص واضح في انتاج الذرة في المنطقة لتتحول من منطقة مصدرة للذرة الى منطقة مستوردة لها. وظهرت لأول مرة في قواميس المنطقة مصطلح (الفجوة الغذائية). و لم يتوقف الامر على تعطّل العمل بمشاريع الزراعة الآلية، بل تعداه الى المشاريع التقليدية بعد وقوع القرى والارياف تحت قبضة التمرد ونزوح اهلها منها وتحولهم من منتجين الى متلقين للاغاثات والهبات . واجبرهم التمرد على الخروج من سوق العمل والانتاج والانضمام الى المستهلكين والفقراء، مما اوقف عملية التنمية الاقتصادية في الارياف

وفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والأمنية في المدن التى نزحوا اليها وألقى باعباء هائلة على الخزينة العامة لحكومة السودان .

(أ) النشاط الزراعي التقليدي : (٤)

المقصود بالنشاط الزراعي التقليدي ،هو تلك المزارع الصغيرة القريبة من المنازل وحول القرى التي تستمد الايدي العاملة فيها من الاسر التي تمتلكها. وهدف هذا النوع من الزراعة هو تحقيق الاكتفاء الذاتي لافراد الاسرة، أي تأمين الاحتياجات الغذائية وجزء صغير من الاحتياجات النقدية للأسرة. ويسمى هذا النوع من المزارع بتلك المنطقة بـ(الجباريك) .

ينبغى على قارئ هذا البحث أن لا يستهين بالأثر الاقتصادى لهذا المزارع الصغيرة، فهي تدخل الدورة الاقتصادية للمجتمع وتساهم في تخفيف العبء على الخزينة العامة . و لم يلاحظ الناس أثرها الا بعد ان دمر التمرد هذا النوع من المزارع الصغيرة بتدميره للقرى واجباره لسكانها من صغار المزارعين على النزوح إلى اطراف المدن. هنا ظهرت مشكلة اطعام مئات الآلاف من الافواه، وبرزت الاهمية الاقتصادية لهذه المزارع الصغيرة التي لم تكن تطلب أي نوع من انواع الدعم من الدولة ، و لم تكن تنتظر سلفيات البنك الزراعي ولا ارشادات الخبراء الزراعيين من وزارة الزراعة . أي انها كانت تمتاز بميزة الانتاج القليل التكلفة .

ويمكن ان نذهب الى اكثر من ذلك ، ونقول ان هذا القطاع التقليدي ليس موجها نحو الاكتفاء الذاتي فحسب، بل يذهب الى أبعد من ذلك بكثير. اذ يساهم في توفير عائد نقدي مجز من العملات الصعبة، وينتج بعض المحصولات النقدية التي أهمها القطن والصمغ العربي وصمغ اللبان والسمسم والكركدي. أي ان هذا القطاع التقليدي يلعب دوراً استراتيجياً هاماً فى اقتصادنا . فهو من ناحية، نظام انتاجي مبني على اسس اجتماعية قوية. و من ناحية اخرى، صمام امان ضد الفقر والمجاعات. وهو فى المستوى الثالث مجال للانتاج الزراعي

المنخفض التكاليف والقادر على الاستمرار دون ان يجد أيـة عناية مـن أي جهـاز من اجهزة الدولة المتخصصة.

ب. النشاط الزراعي شبه التقليدي : (٥)

نقصد به في هذا البحث المزارع ذات المساحات المتوسطة والتي تحمل بعضا سمـات الزراعـة التقليديـة الـتي ذكرناهـا مـن حيـث أن كـل مزرعـة مرتبطـة بـاحدى الاسر ، ومـن حيـث نـوع المحـاصيل وسـهولة الادارة . ويسـمى هـذا النـوع مـن المزارع بالمزارع خارج التخطيط . وهي ايضاً تشبه في بعض سماتها الزراعـة الآليـة من حيث استخدامها للآلات الزراعية ، وان كـانت تختلـف عنهـا بـان مسـاحتها أصغر من مساحات الزراعة الآلية داخل التخطيط . عمومـاً تـأثر هـذا النـوع مـن الزراعة بنفس العوامل التي تأثرت بها الزراعة التقليدية العادية .

جـ. النشاط الزراعي الحديث – الزراعة الآلية:

يسمى هذا النوع من النشاط الزراعـي بالزراعـة الآليـة ، ويمتـاز بمميزات عديـدة أهمها كبر المساحات ووقوعها تحت الاشراف المباشر من مؤسسة الزراعة الآلية . كما تمتاز باستخدامها للآليات الزراعية بكثافة ، وانتاجيتها الكبـيرة مـن المحـاصيل الزراعية ، ومساهمتها الفعالة في الاقتصـاد القومـي ، وارتباطهـا الوثيـق بعمليـات التمويل من مؤسسات التمويل الزراعي المختلفة بالبلاد .

وقد بدأ هذا النوع من الزراعة في منطقة جنوب كردفـان في اوائـل السـتينيات في منطقـة هبيـلا . ثـم توالـت بعـد ذلـك في البيضـا ، أم لوبيـا ، كرنـدل ، تـوس و كركرايـة وغيرهـا . سـاهمت هـذه المزارع كثيراً في التنميـة الاقتصاديـة علـى المستويين القومي والاقليمي. ويدعي المتمـردون انهـا كـانت أحـد الاسـباب الـتي دفعتهم الى التمرد، مشـيرين الى ان هـذه المشـاري، خاصـة في منطقـة هبيـلا، قـد مُلّكت لغير اهل المنطقـة، وان ابنـاء النوبـا لم يجـدوا حظهـم في هـذه المشـروعات كملاك .

تعرضت هذه المشاريع لعدة هجمات من قبل خونة التمرد على نحو ما بينا في الابواب المتقدمة من البحث ، وذلك لأن الحركة كانت تعى أنها بضربها لهذه المشاريع تصيب اقتصاد المنطقة في مقتل ، كما ان بعدها عن المدن جعلها صيداً سهلاً للمتمردين . وهذا ما يجعلنا نقول ان المخططين الزراعيين الاوائل الذين خططوا هذه المشروعات اغفلوا وضع أي خطة تأمينية لها. فلم تمد الطرق المسفلتة، و لم توزع أية وحدات نظامية او شبه نظامية لحراستها. وعندما حدث التمرد صرفت عليها الدولة اضعاف المبالغ التي كانت ستصرف على أية خطة تأمينية سابقة لذلك. فقد أُنفق الكثير على العمليات العسكرية، عدا الخسائر الناجمة عن توقف هذه المزارع وتدمير آلياتها.والشلل التام الذي اصاب الدورة الاقتصادية في هذه المنطقة . هذا الى جانب الخسائر الماثلة التي أصابت المؤسسات والشركات والافراد القائمين بأمر المشاريع الذين فقدوا استثماراتهم امام هجمات التمرد . فقد دُمرت الآليات واحرقت المحاصيل وكثرت السرقات والنهب، وتوالت الخسائر فيما يشبه الكسر الدوري ، وتوقفت الزراعة في كثير من هذه المشاريع منذ عام ١٩٨٨م ، لأن المنطقة نفسها اصبحت مسرحاً للعمليات الحربية .

ومن جراء توقف الزراعة بهذه المشاريع تأثرت أيضاً المصارف ومؤسسات التمويل بسبب ارتفاع المديونية على المزارعين الذين عجزوا عن تسديد ما عليهم من ديون لتلك المؤسسات نتيجة لتوقف العمليات الزراعية التي تجعلهم قادرين على الوفاء بالتزاماتهم. حتى مؤسسات التمويل الدولية، كالسوق الاوروبية المشتركة التي كانت تمول بعض المشاريع مثل مؤسسة جبال النوبا الزراعية، توقفت هي الاخرى عن التمويل نسبة لتوقف هذه المؤسسات عن العمل الزراعي بصورته الحسنة في نهاية ١٩٩٠م ، مما اضطر الحكومة في نهاية الامر الى حل مؤسسة جبال النوبا الزراعية لهذا السبب اضافة الى اسباب اخرى.

ساهم توقف النشاط الزراعي وتأثره بالجو المحيط الى ارتفاع اسعار الذرة ، وتبع ذلك ارتفاع اسعار المواد الغذائية، بل وندرتها عموماً. والجداول التالية تبين مشاريع الزراعة الآلية التي لم تزرع منذ عام ١٩٨٨م ، اضافة الى الخسائر التي لحقت بهذا القطاع حتى عام ١٩٩٣م .

جدول رقم (٢) : احصائية بمشاريع الزراعة الآلية بجنوب كردفان التي لم يُتمكن من زراعتها ، والتي تمت زراعتها منذ عام ١٩٨٨م . (٦)

م	أسم المنطقة الزراعية	تعداد مشاريع الزراعة الآلية بالمنطقة	المشاريع التى لم تزرع		النسبة المئوية	المشاريع التى زرعت		النسبة المئوية	ملاحظات
			عدد المشاريع	م / بالفدان		عدد المشاريع	م / بالفدان		
١	منطقة هيبلا القديمة	٢٠٩	١٥٠	١٥٠٠٠٠	٪ ٧١,٧	٥٩	٥٩٠٠٠	٪ ٢٨٠٣	أي أن المساحة غير المزروعة بسبب الأحوال الأمنية تساوى ٧٨,٦ ٪ من جملة المساحة الكلية التى تستحق الزراعة .
٢	منطقة هيبلا الموجه	١٠٠	٥٠	٥٠٠٠٠	٪ ٥٠	٥٠	٥٠٠٠٠	٪ ٥٠	
٣	منطقة أم لوبيا	١٣٠	١٣٠	١٣٠٠٠٠	٪ ١٠٠	-	-	-	
٤	كرندل	١٠	١٠	١٠٠٠٠	٪ ١٠٠	-	-	-	
٥	توس	١٠	١٠	١٠٠٠٠	٪ ١٠٠	-	-	-	
٦	البيضا	١٩٠	١٦٠	١٦٠٠٠٠	٪ ٨٤,٢	٣٠	٣٠٠٠٠	٪ ١٥,٨	
	الإجمالى	٦٤٩	٥١٠	٥١٠٠٠٠	٪ ٧٨,٦	١٣٩	١٣٩٠٠٠	٪ ٢١,٤	

جدول رقم (٣) :

احصائية توضح الخسائر في المشاريع الزراعية والجنائن (٧)

م	المنطقة	عدد المشاريع و الجنائن المتأثرة	الخسائر المادية بالجنيه	ملاحظات
١	كادقلي	١٣٢٠ جنينة	٦٢٨٢٤٦٠٠	هذه المشاريع تشمل مشاريع مخططة ومشاريع غير مخططة .
٢	رشاد	٣٦٧ م.زراعي	١١٠١٠٠٠٠٠	
٣	الدلنج	١٤٤ م.زراعي	٤٣٢٠٠٠٠٠	
٤	الفولة	١٥ م.زراعي	٣١٧٢٠٠٠	
٥	أبيي	٧ م.زراعي	٢٨٨٠٠٠٠	
	الجملة	١٨٥٣	٣٢٢١٢١٦٠٠	

* هذه جملة خسائر المشاريع الزراعية والجنائن حتى عام ١٩٩٠م .

ثمة ملاحظة لابد ان تقال في هذا الجانب وهي ان التمرد الذي ادى الى نزوح الآلاف من المواطنين قد انقذ بعض الغابات من القطع الجائر فازدهرت اشجار (الاكاسيا) وتحولت هذه الغابات الى مستودعات كبيرة لانتاج الصمغ العربي ، ويدل على ذلك تفوق الانتاج في الاعوام بدءاً من ١٩٩٣م ، على انتاج السنوات الماضية .

<u>٣-٣- خسائر الثروة البرية والثروة الحيوانية :</u>

لقد تركت الحرب اثراً مباشراً على البلاد في مجال الثروة البرية ، وتعتبر الحيوانات البرية مورداً طبيعاً متجدداً وإرثاً وتراثاً قومياً له دوره في اثراء الجوانب الاقتصادية ، كما انها تمثل عاملاً هاماً من عوامل التوازن البيئي ، ولقد حظيت الاقاليم الجنوبية وجنوب كردفان بتمركز القدر الأكبر من الحيوانات البرية بسبب الظروف المناخية السائدة ، الا أنه وبسبب الحرب وانتشار السلاح، خاصة بسبب الاحتكاكات القبلية ، أبيد الكثير من هذه الحيوانات. و لا تتوفر احصاءات فى هذا المجال. وهناك تخوف من انقراض بعض السلالات النادرة .

وفيما يتعلق بالثروة الحيوانية ، فإننا ندرك الى أي مدى ارتبطت الكثير من القبائل، خاصة في جنوب السودان وجنوب كردفان، بتلك الثروة. إذ هي مصدر عزها وفخرها ، وقد احدثت الحرب اضراراً بليغة بها ، حيث يقدر ان البلاد فقدت ٦,٦٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية بسبب الحرب وفقاً لاحصائيات مؤتمر الحوار الوطنى للفترة من ٨٥ الى ١٩٨٩م ، وهذا الرقم بجانب انعكاساته الاقتصادية فإنه يمثل شيئاً هاماً بالنسبة للقبائل التي تعتمد على الحيوان في حياتها وعيشها.

أما اذا اخذنا صورة مفصلة للوضع في منطقة جبال النوبا فإننا نجده على النحو التالي:

كما هو معلوم فإن وجود المجموعات النوباوية في المنطة سابق لوجود المجموعات العربية ، والنوبا عملوا اساساً بفلاحة الارض والزراعة التقليدية والرعي المستقر ، بينما اشتغل العرب بالرعي . لذلك نجد المجموعات العربية بجنوب كردفان أكثر ارتباطاً برعي الابقار ، وذلك يتطلب الترحال تبعاً لفصول السنة المختلفة، فأغلب المجموعات العربية إما رحل او شبه رحل ، ولكل قبيلة من هذه القبائل خط سير محدد (شمالي وجنوبي) يسمى بـ(المرحال) أو (المسار) . اما المجموعات النوباوية فهي تعنى بالفلاحة بالدرجة الاولى. وهي الى ذلك لا تميل الى الهجرة ، وان كانت قد اجبرت على بعض انواع الهجرة احياناً ، فقد اشتهرت القبائل النوباوية في تاريخها القريب بما يسمى بـ Up and Down Migration) (وهي هجرة رأسية ارتبطت بالطبيعة الكنتورية للمنطقة وكانت افرازاً طبيعياً للصراع بين المجموعات العربية والنوباوية ، ولكن في الوقت الحالي نجد كثيراً من النوبا قد تبنى نمط الانتاج الرعوى جنباً إلى جنب مع العرب ، كما أن كثيراً من المجموعات العربية تبنت الانتاج الزراعى جنباً إلى جنب مع النوبا . و قد سمى ذلك الدكتور حامد البشير في احد بحوثه القيمة قائلاً : بـ (تنوُّب العرب واستعراب النوبا) (٨)

وقد احدث الصراع التقليدي بين الرعاة والمزارعين حساسيات بين سكان المنطقة كانت احد الاسباب الجانبية لقيام التمرد (٩).

ومما لا شك فيه ان تغير العلاقات الاثنية والاقتصادية في المنطقة بالاضافة الى عملية التمازج الحضاري المستمر جعلت الجميع يحسون بأن التمرد قد جلب الخراب الاقتصادي والاجتماعي الى المنطقة، وأحس الرعاة من النوبا والعرب بان حرفة الرعي هي المتضرر الاكبر من التمرد ، لأنها الحرفة التي تحتاج أكثر من غيرها الى الأمن . وقد أضر التمرد بالرعي ضرراً بليغاً، إذ ان مسارات الرحل اصبحت غير آمنة ، والمراعي الغنية اصبحت إما في ايدي حركة التمرد او مسرحاً للعمليات ، والقطعان الكبيرة اصبحت هدفاً للنهب من قبل افراد الحركة . لأجل ذلك تشكلت حركة رفض من قبل الرعاة بالمنطقة - وهم الغالبية - لحركة التمرد قبل ان تنالها يد القوات المسلحة والدفاع الشعبي . ولذا بدا ان التمرد لا مستقبل له في هذه المنطقة . علماً بان بعض المجموعات العربية اضطرت تحت ضغط الظروف الأمنية الى الهجرة شمالاً واختصرت مراحيلها ومساراتها التقليدية بسبب التمرد ، مما عرضها للجفاف الذي يصيب المناطق الشمالية في كردفان في فصل الصيف وازدادت نسبة الفاقد من القطعان، مما كان له اسوأ النتائج على حرفة الرعي التي كانت الأكثر ازدهاراً في هذه المنطقة.

ولقد بلغت الخسائر في هذا المجال ارقاماً كبيرة. إذ تشير الاحصاءات الرسمية الى ان الخسائر في منطقة كادقلي وحدها بلغت ٧٠,٠٠٠ رأس من الماشية.

الجدول التالي يوضح الخسائر في قطاع الثروة الحيوانية بالمنطقة في الفترة من ١٩٨٥م إلى ١٩٨٩م، علماً بأن الارقام المبينة هى التى تم احصاؤها رسمياً، بخلاف الاعداد التي يعتقد أنه لم يتمكن من حصرها لظروف الحرب.

جدول رقم (٤) :

إحصائية بخسائر الثروة الحيوانية / بالرأس : (١٠)

م	المنطقة	الأبقار	الضأن و الماعز	الأبل	الخيول و الحمير
١	كادقلي	٧٠٠٠٠	٢٢٧١٠	-	-
٢	الدلنج	٣٠١١٠	١٧٨٠٠	-	-
٣	رشاد	١٨٠٠٠	١٦١٣٠	٣١٠	٧١٠
٤	أبيي	٤٨٣٢٤	٥٣٢٤١	٥٣	١٠٤٩
٥	الفولة	٥٥٩٥	٦٥٢٥	-	-
	المجموع	١٧٢٠٢٩	١١٦٤٠٦	٣٦٣	١٧٥٩

* أي أن خسائر الثروة الحيوانية تقدر فى ذلك الوقت بحوالى نصف مليار جنيه سودانى .

٤- خسائر العقارات والمنقولات :

هي الاخرى طالتها يد التدمير والتخريب. وقد شكلت الخسائر التي لحقت بهذا القطاع معوقاً كبيراً للتنمية الاقتصادية ، فعلى قلة الموجود منها بالمنطقة الا أنها كانت تشكل احد ركائز التنمية ، وفي محافظة كادقلي وحدها قدرت الخسائر التي لحقت بالمنقولات والعقارات بـ ٥٦,٩٢٠٠٠٠ جنيه سوداني في ذلك الوقت من عام ١٩٨٩م ، (١١) والجدول التالي يوضح جانباً من الخسائر التي لحقت بهذا القطاع الحيوي الهام .

جدول رقم (٥) :

الخسائر فى العقارات و المنقولات :

م	المنطقة	المبانى	العربات	ملاحظات
١	كادقلى	٢١٤٠	٥٦	
٢	الفولة	١٥٠٠	٣	
٣	أبيي	١٦٨٤٧	-	
٤	رشاد	٦٨٠٠	-	
٥	الدلنج	٤٢٠	٦	
	الاجمالى	٢٧٩٦٧	٦٥	

-٥- خسائر الصناعة :

اما المجال الصناعي ، وان كان الاقليم لا يشتهر بهذا النوع من النشاط الاقتصادى الا ان القليل الموجود تأثر هو الآخر بسبب الحرب ، إما لأنه وقع في المجال الحيوي لها او لأن الايدي العاملة نزحت بسبب تردي الاوضاع الامنية او لأن مدخلات الصناعة لمن يكن من السهل ايصالها الى المنطقة المعنية ، وفى هذا الجانب تورد الاحصائيات توقف اربعة مصانع بمنطقة كادقلي عن العمل، ثلاثة منها صغيرة ، وهي مصنع طحنية ، مصنع حلويات ، مصنع ثلج ومصنع آخر كبير هو المحلج . كما ان مصنع نسيج كادقلي تدنت انتاجيته بسبب سوء الاوضاع الامنية وتوقف النشاط الزراعي الذي كان يغذيه بالقطن . (١٢)

-٦- آثار الحرب على الطرق و حركة المواصلات :

تعتبر الطرق وخطوط السكك الحديدية والمطارات والطاقة الكهربائية اساس التنمية والرفاهية والاستقرار والتقدم ، وفي بلد مترامي الاطراف مثل السودان تزداد اهمية البنيات الاساسية. ومع قلة الموجود من هذه البنيات في المنطقة الا ان التمرد عندما انفجر في عام ١٩٨٤م كان أول ما بدأ به هو تدمير

الطرق ، فتردت حالة الطرق المعبدة (طريق الدلنج - كادقلي) ، و غير المعبدة . وانقطعت الحركة تماماً في كثير من انحاء هذا الاقليم المترامي الاطراف واصبحت المنطقة تعيش ما يشبه الحصار الكبير ، وبالتالي تدهورت التجارة وحركة تبادل السلع والخدمات . مما أدى الى تدهور الحالة الاقتصادية عموماً . إذ هاجر كثير من الذين يملكون رأس المال ويعملون بالتجارة الى مناطق أكثر أمناً، خوفاً من ضياع اموالهم . هذه الهجرة لرأس المال اثرت تأثيراً مباشراً في سعر المواد الغذائية وغيرها ، وارتفعت الاسعار وعم الغلاء .

اما محطات الطاقة الكهربائية التي كانت تعمل في الاصل بطاقة ضعيفة، فقد تأثرت بانقطاع الطرق الذي نتج عنه شح الوقود، و فقدت الفنيين وقطع الغيار وتوقفت او كادت في بعض مدن المنطقة مثل كادقلي والدلنج (١٣).

واذا نظرنا الى خريطة المنطقة إبان التمرد نجد الطرق التي اغلقت بسبب الالغام او لوقوعها في المناطق المحتلة من قبل قوات الحركة على النحو التالي : (١٤)

١- منطقة كادقلي :

طريق كادقلي - ام دورين - تلودي

طريق كادقلي - البرام

طريق كادقلي - البرام - طروجي

طريق كادقلي - ميري

طريق كادقلي - هيبان

طريق كادقلي - ام حيطان

طريق كادقلي - ام حيطان - عبرى

طريق كادقلي - كيلك

٢- منطقة الدلنج :

طريق الدلنج - ام حيطان

طريق الدلنج - عبري

طريق الدلنج - سلارا

طريق الدلنج - كتلا

طريق الدلنج - والي

طريق الدلنج - دلامي

٣- منطقة الفولة :

طريق لقاوة - الدلنج

طريق لقاوة - المجلد

٤- منطقة رشاد :

طريق رشاد - هيبان

طريق رشاد - ام حيطان

طريق رشاد - عبري

٥- منطقة أبيي :

طريق أبيي - الكوير

طريق أبيي - ابنيم

طريق أبيي - انا قديل

ويتضح لنا من خلال الرصد اعلاه للطرق المغلقة ان الوصول الى بعض المناطق اصبح متعذراً، والوصول الى البعض الآخر يكلف الكثير من الجهد والوقت والمال ، وهذا ايضاً له آثاره على مسيرة التنمية ، اضف الى ذلك بعض الطرق التي تربط الاقليم بمناطق اعالي النيل وبحر الغزال والتي كان يتم عبرها الكثير من التبادل التجاري والمنافع بين مناطق جنوب كردفان والاقاليم المعنية ، خاصة الاطراف الجنوبية للمنطقة وهي التي كانت فيها معسكرات الحركة مثل منطقة كاكا التجارية المتاخمة لحدود محافظة الرشاد عند قبائل اولاد حميد والشلك ، وقد كانت المنطقة مزدهرة تجارياً ، اضافة الى الاطراف الجنوبية والجنوبية الغربية التي قامت فيها معسكرات الحركة و التي تمتد من ادوك وفاريانق الى الجزيرة باي تونق عند

منطقة ميوم ، وتمتد غرباً الى معسكرات أبيي عند الدليب ومريال ادال ومريال باي وهي التي تجاور محافظة السلام في اطرافها الجنوبية .

٧- أثر الحرب على قطاع الخدمات :

أ- التعليم :

تبرز آثار التمرد اكثر وضوحاً عند الحديث عن الخسائر التي لحقت بقطاع التعليم، باعتباره من أهم الخدمات و أكثرها تأثراً بالحالة الأمنية، ويكفي دلالة على تأثر التعليم كأحد أهم الخدمات واكثرها ارتباطاً بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية أن نقول إن أكثر من خمس و ثمانين مدرسة أغلقت بسبب الظروف الامنية بالمنطقة، ونتج عن ذلك فاقد تربوي تجاوز الأربعة و الاربعين الف تلميذ وتلميذة ، علماً بأن الاحصائية ماخوذة عام ١٩٩٥م (جدول ٧) الذي شهد تحسناً في الاحوال الامنية بعد استرداد العديد من المناطق من ايدي الحركة ، ولكن ما تم تدميره كان يصعب اصلاحه بالسرعة المطلوبة . اما عدد المدارس التي توقف النشاط التعليمي بها منذ بداية دخول التمرد وحتى عام ١٩٩٠م ، فقد بلغت ١٥٦ مدرسة ابتدائية ومتوسطة (جدول ٦).

وهذا يعني ان عملية التعليم قد توقفت او كادت بسبب الحرب ، وسوف يؤدي هذا الى اضرار اقتصادية واجتماعية كبيرة حالياً وفي المستقبل ، إذ يعني هذا ان سني الحرب قد خرجت أجيالاً من الأميين، ذلك من إطلاعنا على العدد الهائل الذي حُرم من التعليم. وكأن حركة التمرد، التي رفعت شعار رفع الظلم عن انسان المنطقة، لم تكن تعتبر هذه الأمية - التي ستؤدي حتما الى تعطيل عملية التنمية البشرية - ظلما يتضرر من الانسان. ورغم مجهودات الحكومة الولائية والمركزية لاعادة فتح المدارس في كل منطقة يستتب فيها الامن ، او فتح المدارس الليلية في مناطق النازحين والتركيز على الاطفال الذين تجاوزوا سن التعليم ، الا ان الامر يحتاج الى وقت أطول حتى تعود الامور الى سابق عهدها .

الجداول التالية توضح عدد المدارس التي اغلقت بسبب التمرد.

جدول رقم (٦) يوضح المدارس المتأثرة والتي اغلقت بسبب التمرد (١٥)

م	المنطقة	المدارس الابتدائية	عدد التلاميذ	المدارس المتوسطه	عدد التلاميذ
١	كادقلي	٧١	٢١٣٠٠	٦	٥٠٠
٢	الدلنج	٣٢	٩٦٠٠	٧	١٠٥٠
٣	رشاد	١٣	٣٩٠٠	٣	٤٥٠
٤	أببي	٧	٢١٠٠	١	١٥٠
٥	الفولة	١٤	٤٢٠٠	٢	٢٨٥٠
	المجموع	١٣٧	٤١١٠٠	١٩	٥٠٠٠

* هذه الاحصائية للفترة من بداية دخول التمرد حتى عام ١٩٨٩م.

جدول رقم (٧) يوضح الفقدان التربوي خلال عشر سنوات بالمنطقة : (١٦)

م	المحافظة	المجلس	المدارس المغلقة	التلاميذ بكل مدرسة	ملاحظات
١	كادقلي	الريف الشرقي و الغربي	١٥	٤٥٠٠	
		ريفي هيبان	١٦	٤٨٠٠	
		ريفي أم دورين	١٢	٣٦٠٠	
		ريفي البرام	٣	٩٠٠	
٢	الدلنج	ريفي سلارا	٢٢	٦٦٠٠	
		ريفي الكرقل	٦	١٨٠٠	
		ريفي دلامي	٩	٢٧٠٠	
		ريفي هبيلا	١	٣٠٠	
٣	رشاد	مجلس أم لوبيا	٢	٦٠٠	
		مجلس كالوقي	٢	٦٠٠	
	الجملة		٨٨	٢٦٤٠٠	

* أي أن الفقدان التربوى خلال ١٠ سنوات = ٦٦٠٠٠ تلميذ .

و ذلك على النحو التالى :-

- عدد التلاميذ بالمدارس	٢٦٤٠٠ -
- الفاقد المحتمل ٩ × ٨٨ × ٥٠	٣٩٦٠٠ -
المجموع الكلى	٦٦٠٠٠ -

هذا الفاقد فى الفترة من ١٩٨٥م إلى ١٩٩٥م .

ب - الصحـــة :

من المعلوم ان الخدمات الصحية تنقسم الى نوعين من الخدمات، أحدهما خدمات الصحة الوقائية. وقد دمرت هذه تماماً بالمنطقة وانهارت بنياتهـا الاساسية. ولـولا عناية الله لفتكت الاوبئة بمن بقي من الذين وفرتهم الحرب. ولأن الصحة الوقائيـة تعتمد على برامج طويلة الامد وذات طبيعة استمرارية تعتمـد علـى خطـط دقيقـة موضوعة لاستئصال الامراض المعدية والفتاكـة، وتعتمـد علـى الاوضـاع الامنيـة السائدة في كل منطقة وتتكلـف ميزانيـات ضخمـة وكـوادر طبيـة مدربـة تدريبـاً جيداً. فقد كان من المستحيل توفير كل هذا في ظل الظروف الامنيـة الـتي كـانت سائدة في هذه المنطقة .

اما النوع الآخر وهو الخدمات الصحية العلاجية فتتكون من عدة مستويات ، تبدأ بوحدات الرعاية الصحية الاولية ، ثـم المراكـز الصحيـة الوسـيطة والمستشـفيات . ولو نظرنا الي الجدول المرفق رقم (٨) لوجدنا ان أكثر المحافظـات تضـرراً في هـذا الجانب هي محافظة كادقلي وتليهـا الدلنـج ثـم الرشـاد ، هـذا الـترتيب هـو نفسـه ترتيب استقرار الاحوال الامنية ، حيث نجد كادقلي نالت النصيب الأوفر من عدم الاستقرار الامني تليها الدلنج ثـم الرشـاد الأفضـل حـالاً مـن الناحيـة الامنيـة . لذلك لو نظرنا الى مجموع الوحـدات الصحيـة الاوليـة المغلقـة في كـادقلي نجدهـا بلغت إحدى وستين وحدةً، مقابل سبع وثلاثين في الدلنج و سـت عشـرة وحـدة في الرشاد، وهذا اكبر دليل على التأثـير السـلبي الكبـير الـذي تركـه التمـرد بهـذه المنطقة على الخدمات الصحية . (١٧)

جدول رقم (٨)

المنشآت الصحية التى تأثرت بالحرب : (١٨)

م	المحافظة	مركز صحى	شفخانة	وحدة صحية
١	كادقلى	-	١٠	٦١
٢	الدلنج	-	٧	٣٧
٣	الرشاد	٢	١	١٦
	الجملة	٢	١٨	١٤٤

* و هذا يعنى أن جملة مراكز الخدمـات الصحيـة التـى تـأثرت بلـغ ١٣٤ مركـزا أغلقت أبوابها بسبب الحرب .

واذا أخذنا منطقة كادقلي كمثال نجد ان التوقـف في النشـاط الصحـي شمـل كـل ارياف المنطقة وذلك على النحو التالي :

م	المنطقة	الشفخانات	الوحدات الصحية
١	مدينة و ريفى كادقلى	٢	١٥
٢	ريفى البرام	٣	١٦
٣	ريفى أم دورين	١	٢١
٤	ريفى هيبان	٤	٩
	المجموع	١٠	٦١

* وإذا علمنا ان مجموع الشفخانات الكلى = ٢٤

ومجموع الوحدات الصحية = ٩٦

بذا تكون نسبة التوقف = ٤٠ ٪ ، ٦٥ ٪ على التوالى .

و فى منطقة الدلنج نجد الحقائق كما يلي

ريف الدلنج	١	شفخانة
ريف سلارا	٤	،،
ام حيطان	١	،،
ريفى دلامى	١	،،
المجموع	٧	

* و إذا علمنا ان عدد الشفخانات الكلى = ١٨

فإن نسبة التوقف = ٣٨,٨ ٪

أما ريفى سلارا فإن عدد الشفخانات الكلى = ٥

ونسبة التوقف = ٨٠ ٪

وهو من أهم الارياف التي كانت تنعم بالاستقرار واكثرها سكاناً . علماً بأن هذه المعلومات كانت يوم ١٩٨٩/٨/٣١م ، حيث تغيرت هذه النسب فيما بعد عند تمدد التمرد ليشمل العديد من ارياف جنوب كردفان . ففى منطقة لقاوة مثلاً ، أُخليت كل الشفخانات والوحدات الصحية، وتوقف العمل بها بسبب التمرد، و لم يبق الا المستشفى الذي تدنت خدماته بصورة مريعة وانعدمت فيه الادوية والخدمات الصحية الضرورية بسبب انقطاع المنطقة وطرقها.

الفصل الثاني

آثار الحرب على التنمية الاجتماعية في جبال النوبا

نجح التمرد في بداية دخوله المنطقة في بذر بذور الفتنة والشقاق بين قبائل المنطقة، حيث اخذ الصراع صوراً متعددة ناتجة من فقدان الثقة بين المجتمعات المحلية التي كانت تتعايش مع بعضها البعض في وئام و تعاون حلت محلهما الكراهية والحساسيات والتوحس . استغل هذا المناخ ضعاف النفوس ، و عمدوا الى تصفية خصوماتهم وحساباتهم القديمة و الشخصية على مستوى الافراد والجماعات . وتدخل افراد التمرد ليجبروا بعض النوبا على حمل السلاح حتى يكون لدى الحركة رصيد بشري في المنطقة . وبدأت الاحلاف، التي كانت تحكم العلاقات بين القبائل، تنقض واحدا تلو الآخر. وانقسم السكان فريقين ، فريق موال للدولة وضد التمرد ، وآخر مع التمرد او داعم له ، وأصبح هنالك حاجز نفسي قوي وفقدان كامل للثقة بين القبائل التي تمردت وتلك الموالية للدولة . كما افرزت الحرب عددا هائلاً من أرامل الشهداء وابنائهم، اضافة الى المعوقين وجرحى العمليات ، وبدأت ظاهرة الهجرة الجماعية الى داخل وخارج الاقليم ، وتفككت الاسرة الواحدة بعامل الاستقطاب .

عموماً فان الحرب التي دارت رحاها في جنوب كردفان ، نجمت عنها أثار اجتماعية كثيرة ، كان لها تأثيرها الواضح على التنمية في ذلك الجزء من السودان، وبالطبع فان الآثار السالبة للوضع الاجتماعي لها انعكاساتها على الاوضاع السياسية والاقتصادية ، وبالتالي تتأثر بنية التنمية المحلية تأثراً مباشراً بتلك الظروف السالبة، وقد تمثل ذلك في عدة مظاهر على النحو التالي :

أولاً : ظاهرة النزوح :

لعل من أكبر واخطر النتائج المترتبة على استمرار الحرب وسوء الاحوال الامنية بالجنوب وجنوب كردفان ، نزوح المواطنين الى المدن الاخري واللجوء ال الدول المجاورة.

والنزوح في مجمله ظاهرة كونية بدأت عندما كان الانسان ينزح من مكان الى آخر بحثاً عن المرعى والكلأ والماء والاستقرار والامن ، وهي ظاهرة عالمية لا ينفرد بها السودان وحده دون غيره من بقية اقطار العالم . والنزوح نتيجة طبيعية لظروف ومتغيرات طبيعية واجتماعية وأمنية واقتصادية . فالنازحون عبارة عن مجموعات من الافراد والجماعات ، أُضطروا او أُجبروا على ترك ديارهم عنوة بسبب الكوارث الطبيعية او الجفاف او الامراض الوبائية او الحرب او لانفراط عقد الامن في ديارهم، ونشأت بين الجماعة مجموعة من الاهداف والرغبات والمنافع المشتركة المتبادلة على اساس القواعد المنظمة لسلوك الافراد وعلاقاتهم . والنزوح يختلف عن الهجرة ، لان الهجرة قد تكون طبيعية ووفق مخطط مسبق بحثاً عن الحياة الافضل ، بينما النزوح شامل، إذ ترحل الاسرة او القرية او القبيلة او المدينة عن ديارها عنوة واجباراً تاركة ديارها واراضيها وزراعتها للغير ، ولا تحمل الا ما تستطيع حمله. والنزوح نوع من انواع الهجرة القسرية اللاارادية واللااختيارية.(١٩)

قدر عدد النازحين من الولايات الجنوبية بثلاثة ملايين نازح ، كما قدر عدد اللاجئين بالدول المجاورة بـ٤٠٠ الف لاجئ ، هذا بالاضافة الى ظهور المجاعة والامراض والأوبئة والكوارث ، وتفشي ظاهرة البطالة واحتراف المهن الهامشية ، واهمال المشروعات التنموية التي فقدت الايدي العاملة ، اضافة الى ظهور معسكرات النازحين حول عواصم الولايات والمدن (٢٠) .

وتشير وثائق مؤتمر الحوار الوطني الى ان اعداد الذين نزحوا الى العاصمة وحدها هو ما بين اثنين الى ثلاثة ملايين مواطن ، وتقدر اعداد النازحين الى اقاليم السودان الاخرى بحوالي ٨٥٠ الفا ينتشرون في المدن المختلفة . وفي الفترة من اكتوبر ١٩٨٦م الى فبراير ١٩٨٧م كان متوسط عدد النازحين من الاقاليم الجنوبية وجنوب كردفان الى العاصمة القومية بمعدل ١٢,١٢٥ نازحاً شهرياً.

ويوضح الجدول الذي أعده مجلس الكنائس السوداني وسودان ايد (Sudan Aid) أنه يوجد بالعاصمة القومية وحدها اربعون معسكراً للنازحين، تبدأ من الكلاكلة جنوباً وتمتد غرباً وشمالاً حتى كرتون كسلا . منها معسكرات صغيرة تسكن في كل منها قبيلة واحدة ، وعادة ما تحدث مشاجرات ونزاعات بحكم هذا الاحتكاك.

الى جانب هذه المعسكرات هناك بعض النازحين ممن لجأ الى الاقامة مع ذويه الموجودين اصلاً في العاصمة القومية. وقد خلق هذا بالطبع تزاحماً حيث يعيش أكثر من ستة اشخاص في غرفة واحدة، وقد تسبب هذا في افرازات ضارة.

وبالنسبة لظاهرة النزوح التي لازمت الحرب بجنوب كردفان ، فقد افرزت نوعين من النزوح حسب المكان : فهنالك نزوح داخلي أي الى داخل مدن المنطقة، وآخر خارجي أي الى خارج الاقليم نفسه، الى مدن السودان المختلفة. ولم تشهد حرب جبال النوبا ظاهرة اللجوء الى الدول الاخرى كما حدث بالنسبة لجنوب السودان الا لجوء المعارضين السياسيين وقادة التمرد. اما المواطنون فقد كان نزوحهم كله الى داخل السودان.

(أ) النزوح الى داخل مدن المنطقة :

على مستوى جنوب كردفان نجد التمرد، بتدميره للقرى الآمنة، أجبر سكانها على النزوح الى اطراف المدن او الانخراط في خدمة التمرد طوعاً أو كرهاً، وأدى ذلك الى تناقص سكان الريف بنسب تصل أحيانا الى ٨٠ ٪ ، بينما تسجل مدن المنطقة زيادة ملحوظة في معدلات السكان ، وهذه الزيادة ليست زيادة صحية، بل زيادة مرضية تدل على تشوه في الهرم السكاني في المنطقة بهجرة قسرية من الارياف الى المدن (الجدول رقم (٩) يوضح تعداد السكان بين ١٩٨٣م - ١٩٩٣م) حيث نشأت احزمة النازحين وقرى السلام ومدن الكرتون الفقيرة حول المدن . واغلب سكان هذه الاحزمة الفقيرة من النازحين بسبب الحرب و متلقيي الاغاثة الذين أجبرهم التمرد على الخروج من سوق

العمل والانتاج والانضمام الى المستهلكين الفقراء ، مما اوقف عملية التنمية الاقتصادية في الارياف وفاقم المشاكل الاقتصادية والامنية في المدن .

جدول رقم (٩)

توزيع السكان على المجالس الريفية ومجالس المدن في ولاية جنوب كردفان للاعوام ١٩٨٣م - ١٩٩٣م . (٢١)

م	المجلس (ريفي / مدن)	تعداد سكان ١٩٨٣م	تعداد سكان ١٩٩٣م	الزيادة	النقصان
١	ريفي الدبيبات	٢٧١٦٨	٥٦٣٨٥	٢٩٢١٦	-
٢	ريفي الحمادى	٢٦٥٠٧	٣١٥٨٦	٥٠٧٩	-
٣	ريفي هبيلا	٤٠٨٥٣	٢٧٦٣٣	-	١٣٢٢٠
٤	ريفي سلارا	٦٢١٠٤	١٩٩١	-	٦٠١١٣
٥	ريفي الكرقل	٣٠٤٢٢	١٥٤٥٧	-	١٤٩٦٣
٦	مدينة الدلنج	٢٧١٥٠	٤٩٢٤٨	٢٢٠٩٨	-
٧	ريفي هيبان	٨٥٨٧٢	٦٨٢٩	-	٧٩٠٤٣
٨	ريفي رشاد	٨١٩٤٩	٦٨٥٣٧	-	١٣٤١٢
٩	مدينة رشاد	٣٠٨٤٣	١٧٢٠٧	١٣٣٦٤	-
١	مدينة أبو جبيهة	١٦٠٣٣	٣٥٨٥٠	١٩٨١٧	-
١١	ريفي أبو جبيهة	٤٥٣٩٩	٥٩٠٤١	١٣٦٥٢	-
١٢	ريفي كادقلي	٦٢٧٧٥	٩٣٠٨٩	٣٠٣١٤	-
١٣	مدينة كادقلي	٣٤٦٧١	٦١٩٦٦	٢٧٢٩٥	-
١٤	مدينة أبو كرشولة	٧٧١٢	١٥٠٤٠	٧٣٢٨	-
١٥	مدينة تالودى	٥٨٣٤	٨٩٤٧	٣١١٣	-
١٦	ريفي تالودى	٨٧٠٨٠	٣٤٤٧٨	-	٥٢٦٠٢
١٧	ريفي العباسية	٧٦٣١٠	٦١٢٠٦	-	١٥١٠٤
١٨	مدينة العباسية	٩٢٨٣	١٢١٢٥	٢٨٤٣	-

* الزيادة غير الطبيعية فى الأرياف الآمنة و المدن جاءت نتيجة لنزوح الريف الى المدن و المناطق الآمنة فى الشمال بسبب الحرب . كما أن النقصان هو نزوح من المناطق المتأثرة بالحرب إلى الأماكن الآمنة .

(ب) النزوح الى خارج منطقة جنوب كردفان :

قلنا ان ضحايا التمرد بالمنطقة كانوا من النساء والاطفال والعجزة والشباب ، وهجر الكثيرون مزارعهم ومنازلهم ومراعيهم خوفاً على حياتهم ونزح اغلبهم شمالاً في رحلة طويلة الى مدن شمال السودان ، وتركزوا حول العاصمة القومية والمدن الاخرى مثل مدني وكوستي وبورتسودان ... إلخ حيث إكتظت بهم اطراف تلك المدن ، و أصبحوا يعيشون فيما يسمى بالسكن العشوائي ، في ظروف صحية متردية وظروف بيئية واجتماعية قاسية. وهؤلاء كانوا اول ضحايا الحرب . وقد خلفت عملية النزوح آثارا سالبة في مجال التنمية الاقتصادية على مستوى الاقليم ، فقد هجر الآلاف مزارعهم وأصبحوا عالة من بعد ذلك على المجتمعات التي نزحوا اليها . والنتيجة المباشرة لعملية النزوح هي تفكك الاسرة والامراض الاجتماعية التي نجمت عن ذلك وتركت بصمات واضحة في تركيبة الاسر الذي انعكس بدوره على النسيج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع . وتتمثل الآثار السالبة في الآتي:

١- كثيرون من افراد هذه الاسر فُقدوا بسبب الحرب ، سواء كان ذلك في ميادين القتال او بسبب النهب والسلب والسرقة . إذ ان كثيرين من ابناء هذه الاسر القادرين على حمل السلاح قد اخذوا عنوة من قبل حركة التمرد، اضافة الى الاطفال الذين اخذوا من اسرهم بحجة ارسالهم الى المدارس في اثيوبيا، ولكنهم ارسلوا الى معسكرات تدريب خاصة لتكوين ما يسمى بالجيش الاحمر ، و أرسل بعضهم للتدرب في كوبا . ويؤكد عمدة قرية ام سردبة ان العدد الذي اخذ من قريته وحدها من قبل حركة التمرد بلغ ٤٠٠ طفل ، ومن البرام ٥٠٠ طفل ، ومن الريكة ٥٠٠ طفل ، مشيراً الى أنه لايعرف بقية من أُخذ من القرى

الاخرى . (٢٢) تجدر الاشارة الى ان عدداً كبيراً من هؤلاء الاطفال قد استخدم لنقل الذخيرة فى المحاولة التى قام بها المتمردون لـزرع التمرد في جنوب دارفور ، وقد نقل التلفزيون السوداني صوراً لهؤلاء الاطفال وقد تفسخت فروة رؤوسهم بتأثير صناديق الذخيرة الثقيلة التي كانوا يحملونها فوق رؤوسهم، وتقرحت أرجلهم من السير على الاقدام من اثيوبيا ومن جنوب السودان الى دارفور في مسيرة طولها أكثر من ١٠٠٠ ميل . ولقد أعادت مؤسسة السلام والتنمية بعض هؤلاء الاطفال الذين سلموا انفسهم الى ذويهم في ولاية بحر الجبل او في كادقلي او في الخرطوم ، وهم يتحدثون الاسبانية التي تعلموها في كوبا بطلاقة ولا زال الكثير من هؤلاء الاطفال محتجزاً في معسكرات المتمردين في كينيا و يوغندا حتى يكونوا وقوداً للحرب في المستقبل.

هنالك افراد من هذه الاسر نزحوا بمفردهم بعيداً الى مناطق اخرى بالسودان ، هذا الفاقد الاسري أثر كثيراً على تماسك الاسرة وعلى انتاجيتها ، تلك الانتاجية التي تعتمد على عددية الافراد بالاسرة. وصارت الاسر تعتمد على الاغاثات من المنظمات الطوعية الاجنبية او المعونات المقدمة من قبل حكومة الولاية والحكومة المركزية ، وبالتالي اصبحت الاسرة مستهلكة وغير منتجة. هذا التغيير الاجتماعي في وضع الاسرة اثر على عملية الانتاج والتنمية، اضافة الى آثاره النفسية الرهيبة على تلك الاسر التي تحولت من منتج الى متلق.

٢- بعد نزوح أسر بكاملها الى المناطق المذكورة في شمال السودان ، صعب على مناطق الاستقبال الجديدة استضافة هذا الكم الهائل من البشر في وقت واحد مهما كانت الامكانيات المتاحة ، كما صعب على مناطق الطرد تعويض هذا الفاقد البشري في عمليات الانتاج والتنمية، وبذلك اصبحت الخسارة مزدوجة.

وفي مناطق الاستقبال الحديثة واجه النازحون الذين استقروا في اطراف المدن العديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية تمثلت في تفشي بعض الامراض

الاجتماعية كالسرقة والاحتيال والتسول والاعتماد على الآخرين تحت ضغط الظروف التي وجدوا انفسهم فيها . وازدادت الجريمة وسط النازحين . فضاعت القيم الاصيلة لأبناء القرى والريف وسط زحام المدينة. كذلك فإن معظم النازحات وصلن مواقع اقامتهن دون أزواجهن. وقد احدث هذا قدراً من الكبت اسفر عن امراض نفسية كالاكتئاب وعدم الرضى بالواقع.

٣- كان المألوف بين قبائل الجنوب وجنوب كردفان ان يكفل الارملة واحد من اقربائها أو اقرباء زوجها ، ولكن هذه الميزة السمحة لم تجد لها مجالاً في معسكرات النازحين تحت وطأة الحاجة والتشبث بالحياة . واضطر البعض الى ممارسات شاذة وغير مألوفة ادت الى اثارة قدر من التوتر وسوء العلاقات بين افراد الاسرة الواحدة . كما أنه الى جانب هذا اتخذت بعض النازحات من صناعة الخمور البلدية حرفة ومصدراً للحصول على اسباب الحياة، وبالنظر الى ان القانون في الاقاليم الشمالية يحرم مثل هذا النوع من الممارسات فقد تعرضن للعقوبات المنصوص عليها في القانون.

٤- الموروث المتعارف عليه بين القبائل في جنوب السودان وجنوب كردفان أنه لايوجد أي شكل من اشكال التسول او استجداء الاسباب الحياتية الذي يعد من السلوكيات المستهجنة التي لم يألفها الناس هناك . وعلى الرغم من المعاناة التي تعرض لها النازحون في الطريق الى ان وصلوا معسكرات الاقامة بين مجتمع لم يعتادوا معاشرته ، وفي معسكرات تفتقد الحد الادنى من الخدمات الضرورية لإشخاص معدمين ، تغص حلوقهم بمرارة الحرمان ، ويساورهم شئ من الاحساس بالدونية ، وبالرغم من إسار المأساة التي تحيط بهم ، الا انهم ظلوا يتمسكون بقيمهم ويتحلون بأخلاقهم ، حتى عصرتهم الحاجة بثقلها وأجبرتهم الضرورة على ممارسة سلوكيات مثل التسول، بجانب سلوكيات منحرفة أطاشت صوابهم وعرضت البعض منهم لارتكاب اعمال مخالفة للقانون .

أفاد مدير سجن ام درمان لجنة آثار الحرب في مؤتمر الحوار الوطني بان غالبية التهم التي توجه الى النازحين هي المشاجرات القبلية، تليها صناعة الخمور البلدية ، حيث شكلت نساء النازحين نسبة ٧٠ ٪ من النزيلات.

٥- الاستقطاب السياسي والديني والعرقي :

نتيجة للسلبيات والمضاعفات النفسية التي صاحبت عملية النزوح ، يتضح ان تلك المشكلات يمكن ان تستغل في الاستقطاب السياسي والديني والعرقي مما يهدد التوجهات القومية للبلاد ويقف حائلاً دون استيعاب الجميع في اطار الثقافة القومية الجامعة. ولعل الشواهد على ذلك كثيرة ، اذ ان هناك جهات عدة سعت الى إقامة مراكز قوى وسط النازحين ، و لعل النشاط الكنسى فى مناطق السكن العشوائى بالعاصمة القومية لا يضاهيه نشاط آخر . والغرض المعلن للناس هو التبشير بالدين المسيحي او تعليم آلاف التلاميذ الذين تركوا مقاعد الدراسة بمناطقهم تحت ضغط الاوضاع الامنية وجاءوا الى مناطق النزوح واصبح مستقبلهم مهدداً بالضياع مما يدفع بهم الى الارتماء في احضان أية جهة يمكن ان تقدم لهم خدماتها التعليمية. ولكن الهدف الحقيقي من وراء الوجود الكنسي وسط معسكرات النازحين يختفي وراء الهدف المعلن. وهدفهم الحقيقي هو ايجاد مراكز قوى تدعم التيارات المناوئة للثقافة العربية والاسلامية في البلاد وتفتح المجال لقبول الضغوط الاجنبية واثارة النزعات العرقية التي تعمل في اتجاه مضاد لمصلحة الوطن وثقافته القومية.

ثانيا: آثار الحرب على الثقافات المحلية :

في ظل الاستقرار الامني والنفسي كانت مناطق جبال النوبا تزخر بالعديد من النشاطات الثقافية التي عادة ما يمارسها المواطنين في افراحهم ومناسباتهم كالحصاد وقدوم الخريف والمناسبات القومية والمحلية ، فقد كانوا يمارسون في الاحتفالات العديد من انواع الرقص والمصارعة والغناء في مهرجانات الفنون الشعبية بروح من التنافس الشريف بين المجموعات المختلفة ، الشئ الذي يحفظ ذلك التراث من

الضياع والانقراض ، ويجعل المحافظة عليه جزءاً من الهوية. ولكن في ظل ظروف الحرب وانفراط عقد الامن تعذر القيام بمثل هذه النشاطات الثقافية ، واصبح القيام بها من رابع المستحيلات . كما ان الحرب ادت الى ان تتأثر الثقافات المحلية نفسها بعوامل التغير الاجتماعي وتظهر انماط وتحديات جديدة تواجه المجتمع، اضافة الى القيم والسلوك المكتسبة نتيجة الهجرة الى مجتمعات جديدة. إذ فقد العديد من النازحين هويتهم المحلية في المجتمعات الجديدة المستقبلة ، وأخذوا بثقافة مناطق الاستقبال .

هكذا اذن أثرت الحرب في الثقافات المحلية التي كانت سائدة في مناطق جبال النوبا. وبدلاً من ان يعمق يوسف كوة ثقافة المنطقة التي يتباكى عليها اليوم ، فقد تشرب نازحو النوبا ثقافات اخرى، وان كان هذا - في نظري - يصب في خانة الايجاب .

ثالثاً: تغيير التركيبة الاجتماعية للمجتمع :

ألقت الحرب بظلالها على التركيبة الاجتماعية لمجتمع جبال النوبا نتيجة لتضافر عوامل عدة، فقد احدثت الحرب خلخلة في بنية المجتمع وتركيبته نتيجة للتفكك الاسري وظاهرة النزوح وطمس الهوية . كما ان التراكمات النفسية وعدم الثقة التي غرسها التمرد بين ابناء المنطقة ، ادت الى فك الارتباط وحل التحالفات القائمة بين المجموعات العربية والنوباوية التي كانت سمة المنطقة .

كما برز قادة جدد ونجوم للمجتمع هم حصيلة ما بعد الحرب ، وفي الغالب كانوا هم الذين قادوا حركة المقاومة ضد التمرد من قادة الدفاع الشعبي. وان كان ذلك يصب في خانة الايجاب ، الا أنه ايضاً دلالة على تغير تركيبة المجتمع . وظهر ذلك جلياً في نتيجة الانتخابات المحلية او انتخابات برلمان ولاية جنوب كردفان عندما فاز في تلك الانتخابات عدد من قادة كتائب الدفاع الشعبي او ممن كان له دور في حركة المقاومة ضد التمرد.

رابعاً : الآثار النفسية:

لابد ان نشير هنا الى ان الحرب قد تركت اثاراً ضارة وبليغة في نفوس السودانيين جميعاً ، وبالاخص في نفوس اولئك الذين عاشوا ويلاتها. ولقد أذكت الحرب النعرات القبلية وزادت من الحساسيات وجعلت الكثيرين من ابناء القبائل ، الذين كانوا يعيشون في وئام ، جعلتهم اليوم اعداءا، وهو أثر واضح للحرب فيما يتصل بالآثار النفسية لها.

من جانب آخر وفيما يتعلق بنسبة الاصابة بالامراض النفسية والعصبية فانها سجلت ارتفاعاً ملحوظاً بين عامي ١٩٨٣م - ١٩٨٧م ، ذلك حسب سجلات مستشفى د. التجاني الماحي . والامراض هي : ادمان خمور ، اكتئاب ، انفصام شخصية. ويلاحظ ان انفصام الشخصية شكل أعلى نسبة بين المصابين بلغت ٥٨,٩٪ ، وذلك ربما لأنه المرض الذي لا يجدى معه العلاج بالطقوس والعادات التي اعتاد ان يعالج بها ابناء تلك القبائل مرضاهم، كما بلغت نسبة ادمان الخمور ١٤,٣ ٪ والاكتئاب ١٢,٥ ٪، كما لوحظ ان الشباب هم الاكثر تعرضاً للاصابة بالامراض النفسية والعصبية (الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ - ٣٠ سنة) وذلك بنسبة ٥٠ ٪ .

خامساً : البطالة ومستقبل القوى العاملة :

ان اغلب الذين كتبت لهم النجاة ووصلوا الى معسكرات النازحين وهم في سن العمل ، كانوا يعملون في المجال الزراعي او الرعوي، وحيث ان الفرص لم تكن متاحة لهم للعمل في العاصمة القومية او بقية المدن ، ولانهم لا يحترفون حرفاً او مهناً أخرى، احترفوا مهناً هامشية مثل الخدمة في المنازل وتجارة السجائر والصابون و حراسة المباني الجديدة . ومما هو جدير بالملاحظة ان الاطفال بين سن الخامسة والعاشرة يشكلون غالبية النازحين ، فتجدهم يهيمون على وجوههم حيث لا تتوفر لهم فرص التعليم النظامي ، بالاضافة الى معاناتهم من امراض سوء التغذية. و لما كان الحال هكذا ، فلن يكون يسيرا تدريبهم، وهذا يعني شيئاً

هاماً، هو ان السودان خلال خمسة عشر عاماً قادمة سيواجه بكم هائل من العاجزين عن المشاركة في تنفيذ خطط ومشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهؤلاء سيكونون عبئاً على المجتمع نفسه ان لم يتم استيعابهم بصورة امثل او تتوقف الحرب ويعودون الى قراهم للمساهمة في دعم العمل التنموي التقليدي هناك.

ورغم ان نظام الانقاذ قد سعى الى ارجاع التحالفات القديمة بين قبائل المنطقة ، لكن تأثير الحرب كان كبيراً ، ولا تزال عملية الاندماج من جديد تحتاج الى وقت ليس بالقصير .

جدول رقم (١٠) يوضح النزوح الداخلي الى مدن الجبال (٢٣)

م	المنطقة	عدد النازحين	المناطق التى نزحوا منها
١	كادقلى	١١٥٠٠٠	من أرياف كادقلى
٢	رشاد	٣٢٠٠٠	من الأرياف الجنوبية للمنطقة
٣	الدلنج	٤٠٠٠٠	من ريفى سلارا و هبيلا و أرياف كادقلى
٤	الفولة (لقاوة)	٢٥٠٠	من داخل المنطقة و ريفى كيلك
	الجملة	١٨٩٥٠٠	

اضف الى ذلك ان هذه المناطق نفسها شهدت نزوحاً منها الى مناطق الشمال، إذ نزح من كادقلي على سبيل المثال حوالي ١٥,٠٠٠ نسمة ، بينما استقبلت نفس هذه المناطق نازحين من مديريات ومناطق اخرى متأثرة بالحرب ، مما زاد العبء على هذه المدن وحملها فوق ما تطيق . والجدول ادناه يبين حركة النزوح من مناطق خارج جنوب كردفان الى مدن المنطقة .

جدول رقم (١١) :

النزوح الداخلي الى جنوب كردفان من مديريات اخرى (٢٤)

م	المنطقة	عدد النازحين	الجهة التي قدموا منها	ملاحظات
١	كادقلي	٧٠١٥	أعالي النيل	
٢	رشاد	٢٠٠٠٠	الأقاليم الجنوبية	
٣	الدلنج	-	-	
٤	الفولة	٤٧٨٣	بحر الغزال	معسكرات المجلد والميرم
٥	أبيي	١٠٠٠٠٠	بحر الغزال	و أبيي و بانتيو
	الجملة	١٣١٧٩٨		

جدول رقم (١٢) :

احصائية للجرائم من عام ١٩٨٤م الى عام ١٩٨٨م : (٢٥)

العام / الجرائم	١٩٨٤م	١٩٨٥م	١٩٨٦م	١٩٨٧م	١٩٨٨م
الأخلاقية	٦١٨	٢٠٤٦	٢٦٧٨	٢٦١٢	٢٧٦٥
الأذى	٤٨٩٤	٥٧٩٨	٧٣٣٥	٧٣٧٢	٧٨٦٥
السرقة	٣٨٨١٩	٥١٠١٠	٧٠٤١٤	٧٠٥٧٢	٦٧٩٨٦
السُكر	٢٢٣٠٤	٢٢١٩٣	٢١٩٦٣	٣١٧٧٩	٣١٨٧٥
الجملة	٦٦٦٣٥	٨١٠٤٧	١٠٣٣٩٠	١١٢٣٣٥	١١٠٤٩١

الفصل الثالث

الآثار السياسية للحرب في المجالين الداخلي والخارجي

تشابكت جذور المشكلة وضربت عميقاً في تربة عدم الثقة ، وتضافرت في بلورتها عوامل مختلفة بين التاريخ القديم والوسيط والحديث وأثر الموقع الجغرافي من حيث البعد والمناخ والعوائق الطبيعية ، اضافة الى حداثة تكوين الدولة الجامعة في السودان والتي لم تشكل بعد أمة ذات نسيج واحد ، سواء في السلالات او الاعراق او المعتقدات ، ثم الأخطاء الادارية والسياسية وسوء تصرف كثيرين من محترفي السياسة من السودانيين الجنوبيين والشماليين واستغلالهم للقضية ، إما لكسب شخصي او حزبي او قبلي ، اضافة الى تراكم الارث الاستعماري قديماً والتدخلات الاجنبية العالمية باختلاف اشكالها ثم، نتيجة لعدم اتخاذ منهج علمي لمعالجة هذا الصراع عن طريق الحوار الجاد والموضوعي الذي يحدد ويفصل القول في مختلف جوانب الموضوع بما في ذلك قضايا الهوية وتوزيع السلطة وتحقيق التنمية المتوازنة في جميع انحاء الوطن.

من جميع تلك الاسباب إنعقد جوهر النزاع الذي ما زال يزداد تضخماً وتعقيداً مع مرور الايام .

سنتناول موضوع الآثار السياسية للحرب بصورة عامة على السياسة الداخلية والخارجية، اضافة الى بروز قضية جبال النوبا في الاعلام الدولي وما جرّته على السودان من ضغوط مارستها القوى الاجنبية.

(أ) الآثار الداخلية :

إنه مما لاشك فيه ان الحرب الدائرة الآن تركت تأثيرات مباشرة على الوضع السياسي داخل السودان ، كما تركت آثارها الواضحة على السياسة الخارجية .

ففيما يتعلق بالوضع الداخلي في السودان ، ساهمت الحرب الدائرة في عدم الاستقرار السياسي الذي ساهم فيه الى حد كبير الخلل الاقتصادي الذي احدثته الحرب ، والذي تمثل في توجيه كل الطاقات و الموارد الاقتصادية و غيرها الى

جهود الحرب، مما حدا بالبلاد الى إيقاف عجلة التنمية ، فتوقف العديد من المشروعات المختلفة فى أرجاء البلاد كلها ، كما تمثل فى التدهور الاقتصادي الذي ادى الى ان تخفض البلاد عملتها مرات عديدة ، وكان من آثار الحرب في الداخل كذلك تفتت الجبهة الداخلية التي انقسمت بين معارض ومؤيد لحركة التمرد ، ولم تجد حركة التمرد من يؤيدها فحسب، بل وجدت كذلك من يزودها بالمعلومات، بل حتى المعلومات الخاصة بالقوات المسلحة وغيرها من اسرار الدولة. والظاهرة الثالثة التي تركتها الحرب واضحة للعيان هي ظاهرة المليشيات المسلحة. ونحسب انها سمة من سمات الحرب والنزاع المسلح، اذ تسلحت القبائل في مناطق التماس خاصة لإحساسها بضرورة حماية نفسها وممتلكاتها من هجمات الخوارج .

ب- انعكاسات الحرب على المرتكزات الاستراتيجية في علاقات البلاد الخارجية:

اما في مجال تأثيرات الحرب على السياسة الخارجية السودانية فهي بارزة وواضحة. ولاشك ان استئثار هذه الحرب باثنين وعشرين عاماً من ثلاثة وثلاثين عاماً هي عمر الاستقلال الوطني قد خلف آثاره على مجمل اوجه الحياة في السودان.

واذا كانت اهم اهداف سياسة السودان الخارجية هي المحافظة على سيادة البلاد ووحدة اراضيها وتدعيم هيبتها ومكانتها في المجتمع الدولي ، فان مسألة تحقيق السلام ينبغي ان تستأثر بالاولوية القصوى في تحرك السودان الخارجي ، تثبيتاً لدعائم الاستقرار الداخلي وبسطاً للأمن في ربوع البلاد وحشداً لطاقات الامة من احل البناء والتنمية ، علاوة على الاعتبارات الهامة التي ترتبط بمسألة الجنوب وتجعل دور السياسة الخارجية اساسياً وهاماً، ونعني بها انعكاسات قضية جنوب البلاد على المرتكزات الاستراتيجية التالية : (٢٦).

١- سياسة حسن الجوار .

٢- التعاون الاقليمي .

٣- التعاون العربي - الافريقي .

٤- استقطاب العون التنموي .

وقبل الولوج الى هذه المرتكزات يحسن بنا ان نشير الى ان النظام السياسي الذي يتمتع بالاستقرار ويتميز بدرجة عالية من الفاعلية في مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية في الداخل يخلق انطباعاً لدى الدول الاجنبية من شأنه التأثير على طبيعة علاقاته مع هذه الدول ، ويمكننا القول ان المشكلة في السودان هي مشكلة الوحدة الوطنية والسلام ، وهذه ليست مشكلة السودان وحده، ولكن تشترك فيها معظم الدول الافريقية حديثة الاستقلال ، فعند الاستقلال سبقت الدولة وجود الامة، واصبح الدور الاساسي لهذه الدولة هي بناء الامة نفسها ، فالشئ المشترك الوحيد بين السكان كان في النضال المشترك ضد الاستعمار . اما الاشياء الاخرى فكانت متنازعة بين القوميات والثقافات. واصبح من الواجب على الدولة والحكومات المتعاقبة التوفيق بين الولاءات التحتية والولاءات الوطنية وبين المركز الوطني والمركز الاقليمي ، ويحكم هذه الاشكالية الواقع المادي والاقتصادي والاجتماعي . واذا انتقلنا الى الحديث عن آثار الحرب على سياسة السودان الخارجية من المرتكزات الاستراتيجية المشار اليها آنفاً فإنه في مجال :

١- سياسة حسن الجوار .

ادى امتداد رقعة السودان الجغرافية ووضعه (الجيوبوليتكي) الى ان يصبح صورة مصغرة للقارة الافريقية ، بكل تبايناتها وتمازج اعراقها وثقافاتها ، هذا علاوة على مجاورة السودان لتسع من الدول الافريقية التي تتباين نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، مما يجعل من مبدأ حسن الجوار هدفاً أمنياً وسياسياً واجتماعياً . ولعل في استمرار الحرب في الجنوب و جنوب كردفان ما يقوض هذا المبدأ ويلقي بظلاله السلبية على دول الجوار وعلاقات السودان معها، خاصة في ظل نشاط العديد من الجهات التي ترغب في استثارة التناقضات السكانية والدينية والعرقية ، فبسبب الحرب وسياسات الحكومات المتعاقبة نتج شديد حول علاقات

السودان مع جيرانه ، وقد ادى الصراع في الداخل بين القوى السياسية المختلفة الى اتباع سياسة خارجية استفزازية لتوجيه خلافاتها ضد خطر خارجي حقيقي او مزعوم ، وتمثل ذلك في اتهام هؤلاء الجيران باستعداء بعض الجهات على السودان وعلى وحدته ، كما يتهمهم السودان بايواء المتمردين.

٢- التعاون الاقليمي :

لقد جعل السودان من مسألة التعاون الاقليمي هدفاً اساسياً من اهداف السياسة الخارجية، تطويراً للتعاون الجماعي ودفعاً لما فيه مصالح اطرافه المشتركة ، ولا يرتبط هذا التعاون بعضوية السودان في التجمعات الاقليمية وشبه الاقليمية مثل تجمع دول وسط وشرق افريقيا او دول حوض النيل فحسب، وانما يتعدى ذلك ليشمل عضوية السودان في منظمة الوحدة الافريقية وغيرها من التجمعات الاقليمية. لذلك فإن استمرار الحرب يهدد بشكل مباشر دوره في هذه المنظمات ويضعف صورته فيها ، خاصة وان الحرب قد ارتبطت لدى الكثير من الدوائر الافريقية بدواع دينية وعنصرية. ولذلك فان إستتباب السلام لا يؤهل السودان للعب دوره الاقليمي فحسب، وانما يتيح له كذلك الاستفادة مما توفره تلك التجمعات من مصالح اقتصادية وغيرها ، فبسبب الصراع الداخلي تجاهلت الحكومات المختلفة العلاقات مع جيراننا والاهتمام بتطوير العلاقات الثنائية لترقية التعاون معهم، خاصة وان مصلحة البلاد الحيوية ترتبط بالعديد من الدول الافريقية - دول حوض النيل مثلاً - وفي تجاهل العلاقات بهذه الدول تجاهل للمصلحة الحيوية للسودان.

٣- التعاون العربي الافريقي

اذا كان للسودان في السابق ريادة في مجال التعاون العربي الافريقي كتحالف استراتيجي واطار عريض وفعال لتعاون اقتصادي بين الدول النامية التي تتفق في طموحات التحرير والتعمير والاهداف العليا المشتركة ، فإن استمرار الحرب وغياب السلام يمس بصفة مباشرة اهداف ومبادئ التعاون العربي

الافريقي، خاصة في وقت عمدت فيه جهات متعددة الى تصوير الوضع وكأنه حرب بين العرب والافارقة، وذلك لنسف هذا التحالف وتقويض دعائمه. تزامن ذلك ايضاً مع المحاولات المتعددة للتسلل الاسرائيلي الى القارة الافريقية، بل وتطويق السودان نفسه من خلال اعادة العديد من الدول المجاورة لعلاقاتها مع اسرائيل. فغياب السلام يضعف مقومات هذا التعاون ويسلب السودان مبادرته في هذا الشأن ، كما ان أخطار هذه الردة لا تهدد الدول الافريقية فحسب، وانما تنخر في الجسد العربي وتتيح لقوى الاستيطان والعنصرية فرض هيمنتها على مجمل الدول العربية والافريقية.

٤- استقطاب العون التنموي

في هذه المرحلة الحرجة من مراحل نمو الاقتصاد السوداني التي تزداد فيها الحاجة الى جهد دبلوماسي مكثف لاستقطاب العون التنموي ومدخلات الانتاج ، فإن استمرار الحرب يلقى بظلاله على توجهات الكثير من الدول المانحة، خاصة الدول الغربية التي تتأثر فى هذا الشأن باعتبارات متعددة ترتبط بما يروج حول حقوق الانسان والتعصب الديني وغير ذلك من افرازات استمرار الحرب ، فالقروض والمعونات لم تعد ذات طابع اقتصادي مالى صرف ، بل لها جوانبها السياسية والامنية. وفيما يلي نستعرض مواقف الدول التي تقدم لنا المساعدات.

١) هنالك دول تقدم لنا مساعداتها دون ان يعنيها ما يجري في السودانز ومثل هذه الدول تريد ضمانا لرؤية نتائج جهودها ومساعداتها تصل الى الرجل العادي

٢) هنالك دول أصابها الفتور لشعورها بأنها تعطي دون رؤية نتائج ملموسة لمساعداتها.

٣) هنالك مجموعة من الدول - عربية واسلامية - تشعر انها ملزمة بالعطاء بدوافع التضامن العربي والاسلامي.

٤) هناك بعض الدول الغربية تقدم مساعداتها بمفهوم المساعدة. لكن و بسبب الحرب لا تتحمس. كما ان هنالك الدول التي تعطي بسبب دوافع انسانية بحتة.

٥) كما ان هنالك الدول التي تريد ان تستثمر عونها. ولكنها لاتجد تشجيعاً بسبب الحرب.

٦) وهنالك مجموعة ترتبط بايدلولوجية معينة لا تستطيع منها فكاكاً. وهذه تسعى الى توجيه الدولة المعنية وفق توجهاتها هي.

٧) ومن جانب آخر فإن المعونات لا تأتي كلها من الحكومات ، فهناك مؤسسات طوعية وافراد يعطون لدوافع انسانية ، الا أنه في بعض الاحيان تستغل المنظمات الدوافع الانسانية لتحقيق اغراضها الامنية، مما يؤثر سلباً على امن الدولة المتلقية للعون.

لقد أثرت الحرب كثيراً على اداء الدولة الاقتصادي، الامر الذي ادى بها الى العجز عن الوفاء بالتزاماتها نحو بعض الدول فيما يختص بتسديد ديونها، مما حرم الدولة من معونات او قروض جديدة ، كما اضعف ذلك مصداقية الدولة لدى الدول المانحة للعون او المؤسسات والصناديق المالية الدولية ، الامر الذي ادى الى وقف وتجميد هذه المساعدات والقروض للسودان ، وقد تركت الحرب آثارها على جميع المناشط الاقتصادية مما أثر على صورة السودان فى الخارج ، فصار اسم السودان مرتبطاً بالجوع والاغاثة ، وبالحرب والتعصب الديني . وهنا يجب الاعتراف بأن حركة التمرد قد استطاعت احراز تقدم ملحوظ في المجالات الدبلوماسية والاعلامية، وان الصوت الاعلامي الرسمي مقابل صار أقل وضوحاً، مما جعل السودان في نظر الكثيرين مهزوماً اعلامياً.

ج- معالم و آثار التدخل الأجنبى :

الأقطار النامية او اقطار العالم الثالث، خاصة في عقد الثمانينيات ومنذ اواخر السبعينيات ، أصبحت تجابه ضغوطاً حادة تتخذ اشكالاً متنوعة. غير ان أمضى وأخطر تلك الضغوط هو الخلل المريع في الاقتصاد العالمي الذي اصبح يشكل ازمة حادة بعد ان اصبح الحوار - ولا نقول التكامل - الاقتصادي معدوماً بين اهل ما يسمى بالشمال الميسور الغنى واهل الجنوب المعدمين. وتبع هذا الخلل الاقتصادي

ضغوط سياسية اتخذت أسماءا ونعوتا انسانية وخيرية او فكرية او ايديولوجية سافرة. ولهذا اصبح العالم الثالث مناطق نفوذ يتم تقسيمها بوفاق يحافظ على توازن القوى، سواء كانت بحاراً دافئة او معابر استراتيجية او ثروات طبيعية . وقد لعبت هذه الضغوط ادواراً اساسية في قضية الصراع في جنوب السودان يمكن ان نلمح معالمه وآثاره فيما يلي : (٢٧).

(أ) ظلت دول الجوار باختلاف انظمة الحكم فيها وباختلاف منطلقاتها الفكرية والايديولوجية تشكل احدى الركائز التي ينطلق منها العمل المعادى، سواء باعطائه تسهيلات السلاح والتدريب والمعسكرات او بالدعم المادي والمعنوي.

(ب) تستغل بعض دول الجوار قضية التمرد ودعمه كورقة ضاغطة إما لتسهيل الوصو الى اتفاقيات تستفيد منها في حل قضاياها الداخلية وإما للحصول من وراء هذه الاستضافة على عون من جهة عظمى تساند التمرد .

(حـ) تنظر بعض المؤسسات المالية والشركات الكبرى الى بؤر الصراع والاحتراب كمناطق جذب لمبيعات السلاح الذي اصبح تجارة عالمية تدر اموالاً طائلة.

(د) تعلم بعض المؤسسات والشركات الكبيرة ما يزخر به جنوب السودان من ثروات هائلة ومعادن نفيسة واراضٍ زراعية غير مستغلة، وتنظر الى هذه المناطق نظرة ترتبط بمصالحها وامكانات الاستثمار فيها مستقبلاً باعتبار ان دعمها للتمرد سيعطيها اولوية الاستثمار.

(هـ) ما يزال صراع النفوذ الايديولوجى محتدماً على الرغم من مظاهر الوفاق العامة. وتطمع الايدلوجيات المتصارعة في ايجاد مناطق نفوذ تبشر فيها بفكرها وتقيم انماطاً من الحكم تشابه نظمها.

(و) هناك منظمات طوعية وخيرية شكلاً، ولكنها في الواقع مخالب قط لوكالات الاستخبارات المختلفة تستتر تحت العمل الانساني وتهدم كل جهد انساني.

(ز) هناك مؤسسات دينية عالمية تملك اموالاً طائلة تحاول جاهدة ان تصبغ أى صراع بالصبغة الدينية المحضة حتى تستطيع أن تهيمن عن طريق الدين على مناطق

معينة. وفي سبيل ذلك تشتري السلاح وتعطي التمرد قدرة على الولوج الى مؤسسات الاعلام العالمية التي تتحدث عن التفرقة و الأسلمة وطمس الهوية.

(ح) وهنالك جماعات او احزاب او كيانات سياسية سودانية شمالية تتخذ من الضغوط الاجنبية وسيلة لتحقيق اغراضها السياسية بتدويل الصراع، سواء كان تحت شعار رفض (قوانين سبتمبر) أو العودة الى الديمقراطية او ادعاء العمل لإحلال نظام حكم عقائدي معين او لخلق وضع مريح لها في المجتمع . وتبقى تلك المؤسسات الاجنبية وكيلة لها ومتحدثة باسمها.

إن دور اسرائيل في هذا الصراع دور واضح وبين. وهو يتجاوز مجرد دعم الحركة بالسلاح والتدريب الى الاشتراك المباشر في العمليات العسكرية.

إن يد التدخل الاجنبي يد واضحة وفاعلة. ولولا هذا التدخل ما استطاعت حركة التمرد ان تمتلك الصواريخ والطائرات وأحدث الاسلحة ، ولما استطاعت ان ترفع صوتها في مختلف المنابر العالمية والقطرية، ولما استطاعت ان تملك محطات البث الاذاعي والتأثير الاعلامي.

د- بروز قضية جبال النوبا في الاعلام الدولي :

قلنا إنه على الصعيد الخارجي ظلت للحرب انعكاساتها في سياسات السودان الخارجية وعلاقاته الدولية وأثرت في سياسات حسن الجوار والتعاون الاقليمي والعربي والافريقي وعلاقات السودان الخارجية مع الدول الغربية والاوروبية على وجه العموم اضافة الى الولايات المتحدة، تلك الدول التي اتخذت من شعارات حقوق الانسان واضطهاد الاقليات واستئصالها ودعاوى الرق ضد حكومة السودان مخلباً للتدخل في شؤونه الداخلية و محاولة فرض سياستها على مجريات الامور في السودان.

ولقد نالت منطقة جبال النوبا الحظ الاوفر كموضوع لتلك الهجمة الشرسة على الحكومة السودانية. واتخذت حركة التمرد من جبال النوبا قميص عثمان رفعته لاستدرار عطف المنظمات المهتمة بحقوق الانسان بدعوى ان النوبا يواجهون

عملية تطهير عرقي ، وأنهم يتعرضون للاسترقاق . وقاد هذا التيار زعيم حركة التمرد وقادة النوبا بالحركة ، في محاولة منهم لتضليل الرأي العام العالمي بالاستفادة من الموقع الجغرافي لجبال النوبا ، اذ تتواجد بالمنطقة القبائل النوباوية و العربية .
بحث جماهير النوبا في جنوب كردفان اطروحات الذين أوقدوا اوار الحرب وضاعت بسببهم احيال من الشباب ، الذين إما ماتوا فى المعارك أو أصبحوا فى عداد الأميين لأنهم لم يتلقوا أي قدر من التعليم والرعاية ، كما بينا ذلك و على الرغم من جو المأساة المحيط بسبب إستمرار الحرب إلا أن أبناء النوبا فى الحركة ما يزالون يرفعون كل يوم شعاراً جديداً و رايةً يلتفون حولها لتستمر الحرب. فهم تارة يقاتلون تحت شعار السودان الجديد و تارة أخرى للحفاظ على ثقافة النوبا ، بينما يرى الانسان النوباوى فى جباله واقعاً مختلفاً عما يقوله زعماء الحركة من أبناء جلدته .

كيف سارت حملة التصعيد الدولي:

تركزت حملة الاعلام الدولي ضد السودان من خلال ثلاثة اتهامات تم توجيهها تمثلت في:

١- ممارسة التطهير العرقي وابادة العنصر النوباوي .

٢- الاسلمة القسرية للنوبا .

٣- محو الثقافة النوباوية .

بدأت هذه الحملة بوتيرة متزايدة منذ منتصف عام ١٩٩٢م حين اعتمد الاعلام الغربي على بعض الحقائق او جزء منها وعمد الى تشويهها . والحقيقة ان الحكومة السودانية كانت قد دخلت في مفاوضات سلام سرية مع حركة التمرد بجبال النوبا في ٢٨ ابريل ١٩٩٢م ، توجت بمؤتمري ام سردبة وبلنجا . حيث اجتمع ممثلون للحركة بقيادة الرائد تلفون كوكو جلحة وعضوية سايمون كارلو كونى والقس برنابا انجلو وآخرين ، وقاد وفد الحكومة الشهيد موسى علي سليمان وشارك فيه احمد الشين الوالي، محافظ سودري الحالي، وسراج الدين عبد الغفار

وآخرون. وكان من نتائج تلك المفاوضات تسليم اكثر من ٤١٩ متمرداً لأسلحتهم بالاضافة الى عودة اكثر من ٣٥ الف مواطن كانوا محتجزين لدى الحركة ، عادوا الى مدن كادقلي والدلنج.

اتخذت حكومة ولاية كردفان اثر عودة هؤلاء العائدين قراراً بترحيلهم الى مدن في شمال كردفان ، وذلك لعدم مقدرة محافظة كادقلي على استيعاب هذا الكم الهائل من البشر في لحظة واحدة مع الاوضاع التي كانت تعيشها اصلاً المحافظة بسبب الحرب . على ان يعود هؤلاء الى قراهم عند استتباب الامن ، وتقرر ترحيلهم الى مدن الابيض والنهود وبارا وقرية الرحمانية حتى يتم استيعابهم و استقبالهم بصورة حسنة و تتمكن الدولة من تقديم الخدمات الضرورية لهم ، من غذاء و كساء عاجل و تهيئة للمناخ الصحى المناسب .

روجت وسائل الاعلام الغربية لهذه الخطوة (العفوية) التي قامت بها حكومة الولاية ، وأوّلت على انها عمل في اطار تغيير التركيبة الثقافية والاجتماعية لمنطقة جبال النوبا وأنها تدخل في اطار الاسلمة القسرية، خاصة وان العديد من الاجانب عندما زاروا تلك المعسكرات وجدوا اطفال العائدين وهم يرددون اناشيد الدفاع الشعبي نتيجة لعمل المنظمات الاسلامية التي آوتهم وقدمت لهم الغذاء والكساء وافتتحت المدارس والخلاوى والمساجد داخل تلك المعسكرات.
(هذه هى الحقيقة المجردة التى أولها الاعلام الغربى) .

تعود خلفية الموضوع أيضاً الى الاعلام الكثيف الذي رافق عمليات تحرير جبال تلشي بالرغم من محدودية المعركة وكون المنطقة لا تمثل معقل التمرد في جنوب كردفان فاعطى انطباعا بان الحكومة بصدد ابادة العنصر النوباوي ، (كأن العنصر النوباوي محصور في ذلك الجبل) اضافة الى المشاركة الواسعة للقبائل العربية (المسيرية ، الكبابيش ، اولاد حميد و الشنابلة و غيرهم) في معارك جنوب كردفان في اطار الدفاع الشعبي مستخدمين الخيل والجمال، مما اوحى بان الحكومة تريد ترحيل القبائل العربية لتحل مكان القبائل النوباوية بعد ابادتها(٢٨) .

وجلت هـذه الصـورة عندمـا دعـا والى كردفـان في ذلـك الوقـت اللـواء الحسيني عبـد الكريـم الى الجهـاد ، وحشـد اكـثر مـن ٣٥ الـف مقـاتل مـن ابنـاء قبـائل كردفـان، وان لم يتـدرب منهـم بـالفعل إلا خمسـة آلاف فقـط ضمـن كتيبـتي (الصديق والفاروق) الا ان الاعلام الذي صاحب ذلك الحشد أوحى هو الآخـر بأن الحكومة تسعى بالفعل الى ابادة العنصر النوباوي ، علـى الرغـم مـن ان عـدداً من القبائل النوباوية شارك في ذلك الحشد.

مبعوث الامم المتحدة يزور المنطقة:

بلغت قمة التصعيد عندمـا ارسـلت الامـم المتحـدة مبعوثـاً خاصـاً لزيـارة المنطقـة والوقوف على حقيقة الاوضاع .. فجاءت زيـارة المسـتر (كاسـبر بـيرو) لجبـال النوبا في الفترة من ١٧ الى ٢٠ سبتمبر ١٩٩٣م وزار كـلا مـن الابيـض والدلنـج وكادقلي(٢٩). واتضح أنه كان مزوداً بالعديد مـن المعلومـات المغلوطـة والمسبقة عن المنطقة وما يدور فيها (كان المبعوث يعتقد مثـلاً ان مدينـة الدلنـج خاليـة مـن السكان) وقد تم تصحيح المعلومات و الاجابة على الأسئلة التى كانت تـدور فـى ذهـن ذلـك المقـرر ، حيـث التقـى المقـرر الخاص للامـم المتحـدة بـالعديد مـن الشخصيات ، شملت النازحين والعائدين من التمرد ورجال الادارة الاهلية ورجال الدين المسيحي ، وكان العديد من هذه اللقاءات يتـم علـى انفـراد . ففـي الدلنـج مثلاً عندما رأى مقرر الامم المتحدة الناس يتجولون في السوق اعتقـد لأول وهلـة انهم مستجلبون خصيصاً لتغطية زيارته ، ولكنه اقتنع بعـد ذلـك عندمـا تـأكد ان كل شيء لا يمكن ان يكون قد أُتي به ليوم أو ليومـين ، فقـد دخـل دور السـينما و سـأل الجالسـين في المقـاعد عمـا اذا كـانت هـذه الـدار تعرض افلامهـا اليـوم فقط ... إلخ . كان هذا تصوره لأوضاع المنطقة .

وعلى العكس من ذلك عندما زار المقرر عدداً من القرى والمعسكرات التي يوجـد بها النازحون نتيجة للحرب ، تسلم الكثير من شكاوى اولئك المواطنون التى تبين انتهاكات حركة التمرد وابادتها لقراهم ومزارعهم.

ولكن كاسبر بيرو لم يكن دقيقاً وأميناً في تقريره الذى كتبه - ولو كتب مشاهداته وملاحظاته بصدق لكان قد فقد مبرر وجوده وعمله لدى الامم المتحدة أو بالأصح لدى الجهات التي دفعته وزودته بتلك المعلومات المسبقة عن السودان - فقد حوى تقريره الذي قدمه الكثير من المغالطات والدعاوى التي تبثها الجهات المعارضة للحكومة السودانية ، إضافة الى اطروحات حركة التمرد . بل تعدى ذلك الى الطعن في قوانين الشريعة الاسلامية ، مما جعل حكومة السودان تصعد من موقفها تجاهه وتمنعه من زيارة السودان مرة اخرى الا بعد ان قدم اعتذاره وتراجع عما قاله حول الاسلام - والقصة مشهورة - وسمح له بعد ذلك بزيارة السودان .

تصعيد الحملة من قبل قادة الحركة :

عندما رأت حركة التمرد ان الاتهام بابادة النوبا يلقى كل هذا الرواج ، التقطت القفاز وبدأت تزايد هي الاخرى ، فبينما كان النوبا يعيشون في قراهم ويمارسون حياتهم الطبيعية ويحملون السلاح بعد تدريبهم في الدفاع الشعبي مع اخوانهم من ابناء المنطقة على نحو ما فصلنا في ابواب البحث المتقدمة ، ويدافعون عن انفسهم و قراهم ضد هجمات الخوارج او يساهمون في تحرير اريافهم من قبضة التمرد الذي جعلهم مجرد نازحين ، كانوا يشاهدون قادة حركة التمرد من ابناء النوبا في الاعلام الغربي ، يتحدثون عن التصفية العرقية للنوبا من قبل المليشيات العربية الاسلامية ، ويدعون ان الحكومة تجمع النوبا من الجبال وتحفظهم في معسكرات وتفصل النساء عن الرجال حتى لا يتناسلوا وينتجوا اجيالا جديدة من هذا العنصر (الذي تخطط لمسحه عن الوجود) . كما يقولون .

وبينما يشاهد الناس في جنوب كردفان رقصات النوبا وحلقات المصارعة تعود الى ربوع الاقليم بعد تحرير العديد من المناطق وعودة النازحين الى قرى السلام ، وحتى في احياء العاصمة القومية (في الثورة والحاج يوسف و غيرهما) كان العالم يشاهد يوسف كوة في فيلم بعنوان (سحق ثقافة) يعرض فيه هذه

الحلقات والرقصات التي يزعم انها من ثقافة النوبا التي تتعرض للسحق والمسح من الوجود، وأنه لا يقاتل الا حفاظاً على ثقافته كنوباوي . مما جعل اهل المنطقة من النوبا انفسهم يتعجبون و يتساءلون ! ؟ هل قامت الحرب حفاظاً على الاغاني وحلقات الرقص والمصارعة التي عملت الحرب فعليا على ازالتها؟ - علماً بان هذه الحلقات يمارسها النوبا والعرب على حد سواء- وهل ضاعت كل هذه الاجيال من ابناء السودان من النوبا و غيرهم من اجل هذا؟ .. سؤال ظل يلح على ابناء المنطقة ولكن لا مجيب .

وفي مؤتمر تنمية محافظة كادقلي قرأ احد ابناء وهو النوبا العميد (معاش) محمد عبد الكريم نص رسالة ارسلها الى يوسف كوة يخبره فيها بالحالة التي وصلت اليها المنطقة وتوجهات المواطنين نحو السلام والبناء ويدعوه الى وقف الحرب ومواكبة هذه التوجهات . وقرأ رد يوسف كوة على رسالته ففوجئ الجميع بأن يوسف كوة لايزال يردد أطروحات بعيدة عن الحقيقة وعن هموم النوبا ، اذ تحدث عن تحرير السودان والحفاظ على الثقافة الافريقية . لقد عاشت جماهير النوبا تبدل الشعارات والاهداف التي تنادي بها حركة التمرد باسم النوبا ، ولمسوا التهميش الذي يعاني منه ابناء النوبا أنفسهم داخل حركة التمرد .. اضطربت الشعارات بتغير المكان والزمان . لقد عايشوا مرحلة شعار طرد العرب واعلان دولة النوبا في جنوب كردفان وعاصمتها (كادقلي). وعايشوا شعار تحرير السودان عندما قويت حركة جون قرنق في منتصف الثمانينيات ، و تطور الشعار ليصبح (الحفاظ على النوبا من التصفية العرقية) والآن يعايشون شعار الحفاظ على ثقافة النوبا . لقد سمعوا اطروحات مختلفة لمنطقة النوبا بجنوب كردفان . ابتداءاً من عضوية كاملة في (السودان المحرر) وانتهاءا بضم جنوب كردفان الى الجنوب فى دولة حديدة (بزعم انها تاريخياً كانت تدين بالولاء لرث الشلك) ... وهكذا.

والنوبا أنفسهم يقولون إنه على العكس من ذلك تعرض المواطن النوباوي للقهر والسلب والاغتصاب في المناطق التي كانت واقعة تحت سيطرة التمرد. وقد عانوا كثيراً من ذلك لمدة فاقت العشر سنوات(٣٠) .

ففي عام ١٩٨٧م نتيجة لاتساع دائرة هجمات التمرد وتكرار اعتداءاتهم على القردود والازرق والليرى وكالوقي وحوادث الاعتداء على بحر العرب واختطاف الناس وتعرض الاطفال والنساء وكبار السن والعجزة لصنوف الأذى من التمرد ، تنادى اهالي جبال النوبا، وهم المتضررون من تلك الهجمات، ((تنادت الفعاليات السياسية والاتحادات والروابط والجمعيات الخيرية ، المكوك والمشائخ والكجرة والعمد. واسفر النداء عن تكوين لجنة شعبية لتلتقي بحركة جون قرنق)) (هذه المقدمة ذكرها رئيس تلك اللجنة لصحيفة السوداني)، وتكونت اللجنة من السيد محمد شيخ الدين رئيساً للوفد والسيد عبد الجليل محمد ريفا مقرراً والسيد محمد توتو كوة عضواً . وقال الوفد يومها للصحيفة بعد عودته من نيروبى و لقائه بأفراد من الحركة إن هدف اللقاء تمثل في:

١- تسليم مذكرة احتجاج من اهالي جنوب كردفان على هجمات جبهة تحرير السودان المتكررة والمقصودة على اهالي المنطقة .

٢- بالتفاوض مع الحركة يتسنى للاهالي اعادة الحياة الاقتصادية المتمثلة في الرى والزراعة وحفر مصادر المياه الى حالتها الطبيعية بعد ان اوقفتها هجمات التمرد.

٣- وقف العمل على تفتيت او شرخ الوحدة والمصالحة الوطنية القائمة في السودان وعدم زج المواطنين البسطاء في حرب استراتيجية لا هوادة فيها.

٤- تصحيح مفهوم الحركة عن ان حكومة السودان تسلح القبائل ضد بعضها البعض .

و قال رئيس الوفد إنهم بعد ان سلموا وفد الحركة في نيروبي ما اتفق عليه أهالي جنوب كردفان ((رأينا علامات الحزن والتأثر مرسومة على وجوه اعضاء الحركة)). ربما من هول المفاجأة التي لم يكونوا يتوقعونها ، والطريف في الامر ان

أحد الثلاثة الذين سلموا مذكرة اهالي جبال النوبا وهو محمد توتو كوة انضم الى التمرد و لم يعد مع الوفد من نيروبي . (٣١) هكذا نجد أن ابناء جبال النوبا عرفوا مقاصد الحركة مبكراً وأن وجودها بالفعل كان خصماً على اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وفي إجابة للواء الهادي بشرى الذي كان عائداً لتوه من صفوف المعارضة في لقاء صحفي معه اجرته صحيفة السودان الحديث في عددها بتاريخ ١٩٩٥/٩/٦م حول ترويج رموز المعارضة السودانية لمسائل كبرى مثل الرق والقتل واشياء لا تمت الى الشعب السوداني بصلة ؟ قال : ((أنفر نفورى من المجذوم من الفجور في الخصومة .. فذلك يدفع الى تخيلات تضر بالقضية الآن وبالناس جميعاً غداً .. ان أكثر ما يقلقني الحديث الذي يثار حول ابناء جبال النوبا والاسترقاق والقتل الجماعي . خاصة عندما يتناول الحديث ساسة كبار يؤكدون معلومات تأتي بها مجموعات عرقية معروفة من ابناء جبال النوبا تعكس درجة الجهل والنظرة القاصرة للامور ، اذ يتحدث هؤلاء الساسة بأمور سيجدون أنفسهم امامها وحينها لن يملكوا من امرهم شيئاً . وسيعلمون ان المجتمع المحلي والاقليمي سيتابع الامر معهم مستقبلاً)).

وانتقد د.كبشور كوكو وزير التربية والتعليم العام افادات الاب فيليب عباس غبوش للدكتور (جورج كيرى) كبير اساقفة (كانتربري) عن وجود اضطهاد لعناصر النوبا ، وقال د. كبشور في تصريح لصحيفة اخبار اليوم في عددها رقم (٣٥٨) بتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٣م: ((ان الاضطهاد كان موجوداً ابان الحقبة الاستعمارية بهدف عزل المنطقة من السودان بسن قوانين المناطق المقفولة وقطع جسور التواصل بين ابناء الوطن والتعايش بين المجموعات السكانية. وقال ان الاستعمار هدف من وراء سياسته تلك الى جعل جبال النوبا حظيرة حيوانات بشرية وحرمها من التعليم والخدمات . وأضاف ان وسائل الاعلام الاجنبية بعد وصول الانقاذ الى الحكم وانتهاجها سياسة واضحة في تعمير مناطق الظل ، بدأت

تهاجم التغيير الاجتماعي بدعاو مردودة مثل الاسلمة والتعريب، في إشارة واضحة الى الاسلام الذي تغلغل في جبال النوبا منذ سنوات بعيدة)) ، وانتقد د. كبشور أبناء النوبا في الخارج وقال انهم بعيدون عن الواقع المعاش وتركوا الجبال منذ سنوات بعيدة واحترفوا السياسة في الفنادق. وهم يتحدثون عن هموم جبال النوبا التي يجهلون حتى مواقعها ودروبها . وقال : ((ان الدولة على استعداد لاستقبال أي من ابناء النوبا وسوف توفر له فرصة زيارة المنطقة و تقصي الحقائق دون الاعتماد على المعلومات الكاذبة التي يُروج لها في الخارج)).

عقب زيارة كاسبر بيرو الأولى للسودان حضر الى الخرطوم وفد من منطقة جنوب كردفان ضم قيادات الادارة الاهلية وقادة الدفاع الشعبي والعمل السياسي. وفي لقاء للوفد مع رئيس المجلس الوطني فى ذلك الوقت محمد الامين خليفة . اشار (وصفى كندس) انابة عن الوفد الى أن دعاوى الاضطهاد الديني محض افتراء، مبيناً أنه مسيحي و موجود في كادقلي منذ ٤٤ عاماً ، ولم يرحل عنها وقال إنه مجاهد وان جميع اهل المنطقة في الدفاع الشعبي. و قد تدرب مثل غيره في المعسكرات المفتوحة بكادقلي لأن السودان وطنه. واضاف أنه عضو في المجلس الشعبي لمحلية كادقلي وعضو اللجنة التنفيذية للعقيدة والوطن وعضو في الغرفة التجارية.

و أبان عضو الوفد فضل هبيلا احد قيادات الادارة الاهلية بمنطقة الدلنج انهم استغربوا الحديث حول ابادة النوبا والهجرة القسرية الى الشمال، مشيراً الى ان التعايش السلمي في جنوب كردفان حقيقة واقعة وان الدعاوى التي ترددها حركة التمرد بشأن النوبا لا أساس لها من الصحة.

وفي ذلك اللقاء اشار كل من زعماء النوبا محمد طيارة ، كافي طيارة ، محمد رحمة كحو ، عبد الحميد محمد زهرة الى المذابح التي قام بها التمرد و عددوا الانتهاكات التي قام بها قائد التمرد يومها المسمى (أبوجوجو) في عام ١٩٨٦م ، ومذابح كاتشا والتيس والازرق في مايو ١٩٨٩م ، و انتهاكات التمرد التي مارسها ضد مواطني تيرا ، مندي ، هيبان و سلارا وغيرها . وقالوا ان دعاوى

اضطهاد النوبا والاسلمة القسرية لا يسمعون بها وهم زعماء للنوبا إلا من خلال ما ترردده وسائل الاعلام العالمية ومن خلال احاديث قادة الحركة عن ذلك . (٣٢)

منظمة العفو الدولية تقود الحملة :

فيما بعد قادت منظمة العفو الدولية نفس الحملة وعلى ذات المنوال ، وصعدت ذلك في الفترة من يناير ١٩٩٥م وحتى ١٩٩٥/٦/٢٩م ، وبدأتها بمسيرة في العاصمة البريطانية لندن انتهت الى مبنى السفارة السودانية هناك . ومنذ بدء الحملة في يناير و الى وقت الانتهاء في يونيو ، حاولت المنظمة ان تقدم صوراً مشوهة عن السودان تحت غطاء انتهاكات حقوق الانسان. واستخدمت لهذا الغرض اساليب متعددة من بينها اصدار كتاب (دموع اليتامى)، ويومها انبرت العديد من الجهات تدافع عن السودان، خاصة الجمعيات والشخصيات الاسلامية. وكشف كتاب (دموع التماسيح) الذي اصدرته لجنة حقوق الانسان السودانية حالة من حالات الازدواجية والانحياز التي تمارسها منظمة العفو الدولية . حيث اشار الى ان المنظمة تنحاز الى مجموعة دون سواها داخل الدولة الواحدة ، ففي حالة السودان ثبت ان المنظمة انحازت الى جانب حركة قرنق وقامت بنسب كافة الجرائم التي ارتكبتها الحركة الى الحكومة السودانية وقوات الدفاع الشعبي .(٣٣)

وفي معرض الردود التي انبرت تدافع عن السودان تناول عبد المحمود نور الدائم الكرنكي الملحق الاعلامي بالسفارة السودانية بلندن في مقالة له الموضوع مبيناً ان منظمة العفو الدولية (امنستي) ماهي الا منظمة سياسية تتبع اسلوب الكيل بمكيالين وهناك العديد من الامثلة والنماذج مما يعزز تلك الحقيقة السياسية وان (أمنستي) ليست ابدا كما تزعم من أنها تدافع عن حقوق الانسان بصورة مطلقة ، وينبغي الحذر من اللغة الناعمة الموجزة المحسوبة التي تبثها أمنستي بصورة منتقاة متباعدة من حين الى آخر لتظهر بمظهر الموضوعية وتستغل أصحاب الظن الحسن، لأن تحليل حملات أمنستي ولغتها ومواقفها وخطابها يكشف عن

حقيقتها السياسية دون أي ريب . و يدلل عبد المحمود على قوله إن أمنستي واجهة سياسية بالقرار الذي أصدرته المحكمة العليا البريطانية يوم ٤ يوليو ١٩٩٥م ، بتأييد حظر منظمة العفو الدولية من القيام باي نشاط في محطات الاذاعة وشبكات التلفزيون البريطانية، باعتبار ان نشاطها عبارة عن اعلانات سياسية مدفوعة الثمن وتشكل تشويها للممارسة الديمقراطية وتمثل خرقاً لحقوق حماية الجمهور والمستمع والمشاهد. وكانت أمنستى قد ادعت امام المحكمة العليا البريطانية بانها منظمة مستقلة ومحايدة. وذلك لأن اتحاد منظمي الاذاعات وشبكات التلفزيون البريطاني كان قد اتخذ قراراً بحظر أنشطة أمنستى باعتبارها دعاية سياسية مضادة وأنها منظمة سياسية لا علاقة لها بحقوق الانسان ، حيث تستخدم تلك التسمية مجرد تغطية لحقيقتها ودورها السياسي . ويضيف الكرنكي أن هناك جانباً هاماً لا بد من ابرازه عن حقيقة الطبيعة السياسية لامنستى وهي اعتمادها على الاكاذيب المتعمدة اساساً ومنطلقا لحملاتها. وأشار الى ما جاء في اعترافات السيد سرى زروق المعارض السوداني السابق التي اعلنها في مؤتمر صحفي عن دوره في لندن مع منظمة العفو الدولية، حيث اوضح أنه كان يشارك في حملاتها ضد السودان برسم صور كروكية وهمية عن (المعتقلات وبيوت الاشباح) في السودان . كما كشفت أمنستى عن جوهرها السياسي بصورة متوالية في ازمات البوسنة والهرسك المتسلسلة ومأسى الشيشان والعراق ورواندا وفلسطين وغيرها.

فلم يحدث ان اصدرت تقارير مطولة كمثل الذي اصدرته ضد القوانين الاسلامية في السودان، إذ بلغ ١٣٢ صفحة . وتجلت في ذلك التقرير شهوة الثأر والانتقام الغربي وحنون التطرف المعادي للاسلام.(٣٤).

أعقب حملة منظمة العفو الدولية حملة اخرى قادتها منظمة تسمى (منظمة الحقوق الافريقية) (African Rights) رئاستها في لندن ، اصدرت هي الاخرى في اطار حملتها ضد السودان تقريراً من ٣٤٦ صفحة عما سمته التطهير

العرقي في جبال النوبا ، تجدر الاشارة الى ان رئيس هذه المنظمة (اليكس دوفال) كان قد طرد من السودان لاسباب امنية قبل أكثر من سبع سنوات. والمنظمة نفسها انفصلت عن المنظمة الام. (Human Right Watch) . وشارك في اعداد ذلك التقرير الصحفية (جولي فلنت) التي لم يسبق لها زيارة السودان في السنوات الثلاث الاخيرة ، لذلك جاءت معلوماتها قديمة. والغريب ان تقريرها نفسه يدل على اسلامية جبال النوبا رغم انف المنظمة، إذ تضمنت المادة احتفالات بعيد الأضحى وتعليما للغة العربية وأوضحت انه حتى المتمردون كانوا يديرون اجتماعاتهم باللغة العربية (٣٥) .. ومازالت حملات البارونة (كوكس) تتوالى على السودان هى الأخرى ، على ذات النمط والنهج.

نتيجة لتلك الحملات زارت العديد من الوفود الاجنبية منطقة جبال النوبا، برغبة منها او من حكومة السودان، لكي تتبين تلك الوفود حقيقة الموقف ودعاوى الآخرين . ومن الوفود التى زارت المنطقة على سبيل المثال لا الحصر :

١- زيارة مساعد الامين العام للامم المتحدة للشوون الانسانية (فاليرى تلاكسلار).

٢- زيارة مبعوثة الرئيس الامريكي السفيرة (ماليسا ولز).

٣- زيارة وفد من اعضاء مجلس العموم البريطاني برئاسة المستر (غرانت) .

٤- زيارة وفد من اعضاء مجلس اللوردات البريطاني برئاسة اللورد (ماكنير) .

٥- زيارة رئيس منظمة كير الامريكية .

٦- زيارة وفد رابطة الاطباء النمساويين .

٧- ست زيارات اخرى مختلفات لبعثات من مكاتب ووكالات الامم المتحدة بالخرطوم وعلى رأسها (اليونسيف ، برنامج الغذاء العالمي ، برنامج الامم المتحدة الانمائي و مكتب الممثل المقيم للأمم المتحدة) .

ويشير الاستاذ احمد هارون مدير ادارة السلام بالولاية الى ان تلك الزيارات ساهمت في تخفيض نبرة الاعلام المعادي الخارجي بشأن قضايا جنوب كردفان خلافا لما كان في السنوات السابقة (٣٦).

وفي هذا الاطار نستمع الى افادة اللورد (ماكنير) عضو مجلس اللوردات البريطاني، احد الذين زاروا المنطقة في لقاء منشور له بصحيفة السودان الحديث عقب الزيارة حيث يقول : ((لقد قرأت تقرير البارونة كوكس وكذلك تقرير كاسبر بيرو وذهبت الى السودان برؤية واضحة لأرى ما يحدث ومدى صحته .. وذهبنا ضيوفاً على الحكومة السودانية رغم ان البعض يمكن ان يلقى ظلال شك على زيارتنا. ولكني اود ان اقول انني وزملائي اعضاء الحزب لدينا من الذكاء ما يمكننا من تقييم الوضع بانفسنا .. اما عما قيل في التقارير السابقة فانني توصلت الى بعض النتائج التي تختلف عما جاءوا به. الا ان هناك حقيقة ارجو توضيحها وهي انني التقيت من يسمون (المعارضة) معارضة الداخل .. و لم اذهب الى نيروبي او اوغندا بحثاً عمن لديهم ما يقولونه عن النظام. ولعل من سبقونا قد فعلوا ذلك، ولعلي بنيت تقييمي على ما رأيته وسمعته داخل السودان. واظن ان هذا كاف لتكوين صورة متكاملة للوضع)). وعن زيارته لجنوب كردفان قال : ((توجهنا الى جنوب كردفان وقمنا بزيارة لقرية، حيث شاهدنا رقصاً شعبياً ورأينا بعض الاشياء مثل نوع جديد من المحاريث ذات الوزن الخفيف، يجرها حمار وكان وقتاً ممتعاً. والتقينا بعد ذلك بمسؤولي الحكومة في جنوب كردفان ، والتقينا قسيساً كاثوليكيا ابدى رضاءه عن الوضع هناك. وقبل زيارتي كان لدي انطباع بان هناك اضطهادا للمسيحين من قبل المسلمين. وعند زيارتي لم أجد دليلاً على ذلك . نعم هناك جماعات ضغط كما في أي مجتمع به صراعات، و آمل أن تتمكن الحكومة من احتواء الوضع المتمثل في اختلاف الآراء. ولذلك لا أرى سبباً يجعل الجنوب يطالب بالانفصال .. وبدا لي ان كل ما هناك قضايا قبلية . اما تسامح الحكومة مع المتمردين فهو شئ فوق التصور. ولا

أرى سبباً ايضاً لأن تكون هناك حرب أهلية، وسأناقش شخصياً هذه القضية مع جهات عدة واتمنى ان نصل الى حلول مباشرة ، وما اود ذكره ايضاً ان هناك اناسا طيبين ومسالمين، سواء معنا او مع بعضهم البعض ، وما أعجبني في هذه الزيارة مقابلة مع طلاب بجامعة افريقيا العالمية بالخرطوم . فقد كانت حقاً جلسة ممتعة وجدتهم اصحاب رؤية حول العلاقات الدولية ورؤية حول دور بلادهم في العالم. وكان لذلك وقع طيب عليّ خلال هذه الزيارة)). (٣٧) وبحديث اللورد ماكنير نختتم هذا الفصل من البحث. وقد رأينا كيف قادت حركة المعارضة السودانية وحركة التمرد حملة شعواء ضد السودان وألبتا عليه العالم واوجدتا مادة تصلح للتسويق في عالم اصبح اليوم كالقرية، إلا ان الزيارات التي قام بها العديد من المسئولين الدوليين وبعض الساسة خففت من وطأة تلك الحملة .

هوامش الباب الرابع

١- العميد مدنى عبد الوهاب - الاوضاع الامنية في جبال النوبا واثرها على التنمية الاكاديمية العسكرية العليا كلية الدفاع الوطني ، دورة رقم (١١) ١٩٩٤م / ١٩٩٥م ، ص ٨٧ .

٢- مشكلة الجنوب والجهود نحو السلام ، اصدار الهيئة القومية للاعلام والانتاج الفني ، ١٢ مايو ١٩٩٤م ، الخرطوم ، ص ٢ .

٣- مصدر رسمي

Kordfan state Gaovernment
Peace Adminstrate And Resettlement Present :
SPLA Violation of Human Rights in South
Kordofan - August - 1993 - P - 5

٤- العميد مدني عبد الوهاب - مصدر سبق ذكره ، ص ٩٠ .

٥- المصدر نفسه ، ص ٩١.

٦- مصدر رسمي - ولاية جنوب كردفان - مكتب الزراعة الالية بالدلنج - ابريل ١٩٩٥.

٧- تقرير محافظ جنوب كردفان - مؤتمر السلام والتنمية - الابيض - من ٣ - ٧ مارس ١٩٩٠م .

٨- د. حامد البشير - ورقة حول نشأة وتطور الحركة السياسية في جبال النوبا - مؤتمر السلام والتنمية - كادقلى - يونيو ١٩٩٥.

٩- العميد مدني عبد الوهاب مصدر سبق ذكره ، ص ٩٤.

١٠- مصدر سبق ذكره

SPLA Violation August 1993 P - 6 - Table 5

١١- ورقة عمل قدمها المقدم ركن محمد الطيب فضل محافظ محافظة كادقلي امام مؤتمر المحافظين التداولي الاول - الخرطوم - ١٠ الى ١٣/٢/١٩٩٢م.

١٢- المصدر نفسه.

١٣- العميد مدني عبد الوهاب مصدر سبق ذكره ، ص ٩٧ .

١٤- مؤسسة السلام والتنمية - جنوب كردفان - التمرد والمعالجات ١٩٩٠م ص ٧ ، ٨ .

١٥- اللواء رمضان زايد كوكو - التمرد بجنوب كردفان واثره على الامن القومي - مصدر سبق ذكره - ص ٨١.

١٦- ولاية جنوب كردفان ١٩/٤/١٩٩٥م.

١٧- العميد مدني عبد الوهاب - مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦.

١٨- المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

١٩- العميد مدني عبد الوهاب - مصدر سبق ذكره ، ص ٨٢ .

٢٠- مشكلة الجنوب والجهود نحو السلام - مصدر سبق ذكره - ص ١٢ .

٢١- العميد مدنى عبد الوهاب - مصدر سبق ذكره ، ص ٨٩ .

٢٢- لقاء مع عمدة أم سردبة صحيفة السودان الدولية العدد (٤٠) بتاريخ ١٧ اغسطس ١٩٩٥م .

٢٣- تقرير محافظ جنوب كردفان في مؤتمر السلام والتنمية - فبراير ١٩٩٠م .

٢٤- المصدر نفسه.

٢٥- كتاب وثائقي ، مؤتمر الحوار الوطني حول قضايا السلام في السودان ط ١ -١٩٩٠م ، ص ١٠.

٢٦- المصدر نفسه ، ص ٧٦.

٢٧- نفس المصدر ، ص ٤٨.

٢٨- سراج الدين عبد الغفار عمر - مصدر سبق ذكره ، ص ١١٠.

٢٩- مصدر رسمي ، تقرير زيارة المقرر الخاص للامم المتحدة كاسبر بيرو لجبال النوبا ، ص ٣ .

٣٠- من تقرير لجمعية الثقافة والبحث العلمي بلندن (جمعية سودانية) كتبته بعد زيارة لوفد منها الى جبال النوبا في اطار الرد على الحملة التي قادها الاعلام الغربي ضد الحكومة السودانية . ضم ذلك الوفد كلا من د. عمر بدوي ابو البشر مهندس مقيم بلندن ، وممثل الجمعية ابراهيم ابو كرتيلا باحث سوداني بلندن و(بشير سويا) و (تم وايز) من مؤسسة (جيرنيمان) الاعلامية و (رجر بيرد) من صحيفة (The Voice) الناطقة باسم السودان في انجلترا .نشرت على حلقات بصحيفة السودان الدولية في عددها رقم ٥٠ - بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٩٥.

٣١- صحيفة السوداني العدد (٣٠٧) بتاريخ ٦ يونيو ١٩٨٧.

٣٢- حضر الباحث هذا اللقاء باعتباره مرافقاً للوفد و أحد الذين نسقوا زيارة الوفد الى العاصمة يومها.

٣٣- صحيفة السودان الدولية العدد (٤٠) بتاريخ ١٧ اغسطس ١٩٩٥م .

٣٤- صحيفة السودان الدولية العدد (٣٩) بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٩٥م .

٣٥- التقرير نصف السنوي - لادارة السلام واعادة التعمير - بجنوب كردفان - في الفترة من ١٩٩٤/٦/٣٠م وحتى مطلع يناير ١٩٩٥م .

٣٦- صحيفة السودان الحديث بعددها رقم (١٧٤٤) بتاريخ الاول من نوفمبر ١٩٩٤م .

الباب الخامس

أطروحات نظام الإنقاذ السياسية و الإدارية تجاه جنوب كردفان

الفصل الأول

مساعي السلام و جهود حل المشكلة

تشابكت جذور مشكلة الجنوب السوداني و ضربت عميقاً في تربة عدم الثقة ، تضافرت في بلورتها عوامل مختلفة بين التاريخ القديم و الوسيط و أثر الموقع الجغرافي من حيث البعد و المناخ و العوائق الطبيعية ، اضافة الى حداثة تكوين الدولة الجامعة في السودان التي لم تشكل بعد أمة ذات نسيج واحد سواء في السلالات و الاعراق أو المعتقدات ، ثم نتيجة للأخطاء الادارية و السياسية و سوء تصرف بعض محترفي السياسة من السودانيين الشماليين و الجنوبيين واستغلالهم للقضية اما لكسب شخصي او حزبي او قبلي، إضافة الى تراكم الارث الاستعماري قديما و التدخلات الاجنبية العالمية بإختلاف اشكالها، ثم نتيجة لعدم اتخاذ منهج علمي لمعالجة هذا الصراع عن طريق الحوار الجاد و الموضوعي الذي يحدد ويفصل القول في مختلف جوانب الموضوع بما في ذلك قضايا الهوية و توزيع السلطة و تحقيق التنمية المتوازنة في جميع انحاء الوطن .

من جميع تلك الاسباب انعقد جوهر النزاع الذي ما زال يزداد تضخماً و تعقيداً مع مرور الايام ، و لما كنا في هذا البحث نتحدث عن الصراع في جبال النوبا ، و هو التطور الجديد لقضية جنوب السودان التي تفجرت مرة اخرى في عام ١٩٨٣م ، فاننا سنتناول مساعي السلام التي لازمت تفجر المشكة من جديد ، أي اننا استثنينا المعالجات السابقة المتمثلة في مؤتمر جوبا ١٩٤٧م ، و مؤتمر المائدة المستديرة و لجنة الاثني عشر ١٩٦٥م- ١٩٦٦م و اتفاقية اديس ابابا و قانون الحكم الذاتي الاقليمي ١٩٧٢م ، ذلك لانها عالجت مرحلة من مراحل الازمة، اضافة الى اننا افردنا لها حيزاً في ثنايا البحث عند الحديث عن جذور المشكلة .

أما سياسة الدولة الوطنية تجاه المشكلة في الفترة المعنية فسنتناولها على ثلاثة محاور :

المحور الأول : الفترة من ١٩٨٥م الى ١٩٨٩م

المحور الثاني : مساعي نظام الانقاذ الوطني ١٩٨٩م

المحور الثالث : مساعي السلام التي بذلت في منطقة جبال النوبا على وجه الخصوص .

سياسة الدولة الوطنية تجاه التمرد منذ ١٩٨٥م :

اندلعت في ابريل ١٩٨٥م الانتفاضة الشعبية السودانية و تغير نظام الحكم و تولى السلطة في الفترة الانتقالية لمدة عام واحد مجلس عسكري و مجلس وزراء مدني. ثم أجريت الانتخابات البرلمانية و تشكلت الجمعية التأسيسية و تم انتخاب حكومة حزبية مدنية ، و هذه الاجراءات و الخطوات تمت بعد الاتفاق على الغاء الدستور الرئاسي السابق وإحلال الدستور الانتقالي الموقت لعام ١٩٨٥م محله ، و تمثلت رئاسة الدولة في مجلس السيادة (مجلس رأس الدولة). و استمر هذا الاطار الدستوري البرلماني حتى يوم ٣٠ يونيو ١٩٨٩م ، عندما جاء نظام الانقاذ الوطني، و تولى السلطة (مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني) . و في الاطار المحدد للدراسة تكفي هذه الاشارة المقتضبة . و نتابع مع الدراسة تطورات سياسة الحكومة في الخرطوم تجاه قضية الجنوب و المواقف المختلفة ، و ما قام بين اطراف النزاع من تفاعلات و اتفاقات و اختلافات في اطار المساعي نحو السلام وايجاد حل للقضية .

و لأغراض البحث سنسميها (الجهود نحو السلام) . و عند النظر في معيار التمييز بين تلك الجهود نرى ان أوجه التصنيف متعددة. فبعض تلك الجهود كانت حكومية رسمية و بعضها كان شعبيا و بعضها الآخر حزبيا . و كان بعضها فكرياً نظرياً و بعضها سياسياً عملياً . و بعضها كان معالجات وطنية و اخرى

احنبية و ثالثة جماعية و رابعة فردية ، بينما أعلن بعضها مبادئ عامة، وتناول البعض الأخر المسائل بشئ من التفصيل .

و سنأخذ في هذا البحث بالتصنيف الذي اخذت به لجنة (بحث المعالجات السابقة) المنبثقة عن مؤتمر الحوار الوطنى لقضايا السلام. و لقد صنفت تلك اللحنة محاولات السلام ، الى معالجات موضوعية و معالجات احرائية. و يندرج تحت المعالجات الموضوعية نوعان : معالجات موضوعية حكومية تطبيقية وحدت حظاً من التطبيق، و معالجات موضوعية فكرية نظرية لم تجد حظاً من التطبيق . أما المعالجات الاحرائية - و يصدق عليها أكثر وصف (المبادرات) - فتنقسم بدورها الى نوعين : حكومية او رسمية ، و شعبية .

و نلفت الانتباه الى ان هذا التصنيف ليس حامداً و لا محكماً ، بمعنى ان معالجات موضوعية قد تتطرق الى مسائل احرائية ، و العكس واردٌ ايضاً. كما ان بعض المبادرات الشعبية تبنتها الحكومات لاحقاً، وكذلك فإن المعالجات الحكومية قد تقوم على مبادرة شعبية .

و في اطار هذا التصنيف نلتزم بالتسلسل التاريخي منهجاً بحكم تناولنا لجهود السلام التي بذلت لحل القضية ، و قبل الدخول في تفاصيل تلك الجهود سنوردها مجملة على النحو التالي: (١)

(أ) المعالجات الموضوعية الرسمية و تشمل :

١ _ مؤتمر حوبا ١٩٤٧م .

٢ - مؤتمر المائدة المستديرة و لجنة الاثني عشر ١٩٦٥م-١٩٦٦م .

٣ - اتفاقية اديس ابابا و قانون الحكم الذاتى الاقليمي ١٩٧٢م .

(ب) المعالجات الموضوعية الفكرية و تشمل :

١ - ندوة معهد ودرو ويلسون بواشنطن فبراير ١٩٨٧م .

٢ - ورشة عمل امبو بأثيوبيا فبراير ١٩٨٩م.

٣ - سمنار قضية الجنوب يونيو ١٩٨٩م .

٤ - ندوة بيرجن بالنرويج ١٩٨٩م .

٥ - ملتقى جوبا لقوى السلام ١٤ مايو ١٩٩٤م .

(ج) المعالجات الاجرائية الحكومية :

١ - مبادرة رئيس الوزراء الانتقالي يونيو ١٩٨٥م .

٢ - اجتماع لندن مارس ١٩٨٧م .

٣ - مبادرات نظام الانقاذ الوطني.

(د) المبادرات الاجرائية الشعبية :

١ - اعلان كوكادام مارس ١٩٨٦م.

٢ - مبادرة رئيس حزب الامة القومي يوليو ١٩٨٦م.

٣ - مبادرة الاحزاب الافريقية سبتمبر ١٩٨٧م.

٤ - ندوة هراري نوفمبر ١٩٨٧م.

٥ - مبادرة السلام الوطنية - نوفمبر ١٩٨٨م.

و سنتناول المعالجات السابقة وجهود السلام وفق تسلسها التاريخي في اطار التصنيف المتقدم و وفقا للمحاور التي ذكرناها .

المحور الأول :

الفترة من ١٩٨٥م حتى ١٩٨٩م :

(أ) المعالجات الموضوعية الفكرية - اللقاءات الأكاديمية :(٢)

١- ندوة واشنطن حول معضلات و فرص السلام في السودان ١٦ - ١٧ فبراير ١٩٨٧م .

نظم الندوة مركز ودر ويلسون الدولي للعلماء. و شارك فيها مجموعة من الباحثين والمثقفين السودانيين بصفتهم الشخصية، اضافة الى مجموعة من الباحثين

والمتخصصين في شوون السودان من الامريكيين و الاوربيين ، تبلور خلال المناقشات الآتي :

١ - تأكيد الحاجة الى السلام و الوحدة و استبعاد خيار الانفصال .

٢ - علمانية الدستور تضمن حرية الاعتقاد للجميع ، و اعتماد الدين كأساس لدستور قومي في مجتمع متعدد الاديان و الثقافات ، أمر في غاية الخطورة .

٣ - المبادئ الواردة في اعلان كوكادام تشكل اساساً ايجابياً لوقف اطلاق النار وبداية عملية السلام .

٤ - تنبع شرعية و فعالية المؤتمر الدستوري من تمثيله لمختلف الاحزاب والفعاليات .

٥ - وضح للمشاركين في الندوة تنامي تأثير القوى الاجنبية على مجريات الصراع، و مع ذلك اشاروا الى امكانية الوصول الى سلام إذا ما اتفقت الاطراف السودانية على وقف اطلاق النار و بدء المفاوضات الجادة .

و يلاحظ ان المشاركة تمت بالصفة الشخصية و ليست الحزبية ، و رغم دعوة ممثلين لكافة و جهات النظر الا ان بعض المدعوين تخلفوا، مما غيب وجهة نظر الاغلبية السياسية في السودان .

اهتمت الندوة بتقوية المركز صونا للوحدة الوطنية وأكدت مضمون الدستور وروحه أكثر من شكله.

٢ - ورشة عمل امبو : اثيوبيا ٤-٧ فبراير ١٩٨٩م :

كان موضوع امبو (Sudan : Problems and Prospects) ونظمها مجموعة من الاكاديميين بهدف وضع تصور مشترك لمشاكل السودان ، وذلك باعتبار ان ازمة السودان تفرض على من أشاروا اليهم بالقوى الديمقراطية رسم برنامج لحلها.

حول مشاكل التكوين القومي وهيكل السلطة خرجت ورشة عمل امبو بما يلي فيما يتصل بمشاكل البلاد الجوهرية.:

١. السودان قطر متعدد القوميات والثقافات ولا يحق لأي قومية فرض ذاتيتها على الآخرين .

٢. السودانيون تجمع بينهم المواطنة .

٣. الحاجة الى تحقيق التفاعل بين ثقافات القوميات المختلفة .

٤. علي هيكل الحكم ان يعكس التنوع القومى بما يمكن السودانيين جميعاً من المشاركة في ادارة بلادهم .

٥.عدم صلاحية ديمقراطية ويستمنستر الليبرالية لحكم السودان .

٦.اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية مع اعتبار لغة أخرى للتعليم وتطوير اللهجات المحلية .

٧. يلتزم السودان بجميع المواثيق الدولية والاقليمية لحقوق الانسان .

اقتصرت ورشة عمل امبو على تيار فكري معين ، وهو ما اشار الى نفسه بالقوى الوطنية الديمقراطية (اليسار) وشارك فيها عدد ملحوظ من المنتمين الى الحركة الشعبية ، وبالرغم من ان مقررات الندوة لمست طرفا من مشاكل البلاد الجوهرية كما (حدد اعلاه) الا ان التصورات التي قدمت لحلها قدمت من منظور التيار السياسي الذى شارك في توجيه الورشة من مبدأ السعي الى حل مشاكل السودان الجوهرية الى الدعوة لتحقيق اهداف ما اسمته بالثورة السودانية الديمقراطية التي ستقودها القوى الوطنية الديمقراطية .

ويبدو ان هذا التوجه الذى طغى على ورشة العمل أدى الى مناهضتها بشدة من قبل الحكومة القائمة آنذاك ، فقد اعتبرتها عملا عدائيا موجها ضد الدولة.

٣ - ملتقى بيرجن بالنرويج ٢٣ - ٢٤ فبراير ١٩٨٩م

كان موضوع الملتقى (إدارة الأزمة في السودان) وحضره اربعة عشر سودانيا، تسعة منهم معروفون بولاءاتهم الحزبية، اضافة الى اربعة جنوبيين، كما حضره عدد من النرويجيين من المتخصصين في الدراسات السودانية كمرافقين. وروعي في اختيار الحضور الوزن السياسي والالتزام الحزبي لغير المستقلين والتمثيل الاقليمي. تناول الملتقى مسائل منها :

١) ضرورة ايقاف الحرب .

٢) ايقاف زحف المجاعة .

٣) ضرورة عقد المؤتمر الدستوري .

٤) نظام الحكم ، نوقش النظام الفيدرالي ونظام الحكم الذاتي الاقليمي على ان يخضع الخياران لمزيد من البحث .

٥) عدم الثقة بين القيادات المختلفة، خاصة بين القيادات الشمالية والجنوبية .

٦) الحلول الجزئية لا تجدى بقدر ما تعقد المشكلة .

٧) عدم توازن التنمية والحاجة الى تصحيح الوضع .

٨) قضايا الهوية واقتسام الثروة والمشاركة في السلطة ونظام الحكم وعلاقة الدين بالسياسة تحتاج الى مناقشات تفصيلية لاحقة .

٩) صدر اعلان صحفي في نهاية الملتقى دعا الى عدم استعمال الطعام كسلاح. كما وجه نداء الى كل القوى السياسية للتعاون لعقد المؤتمر الدستوري .

ملاحظات حول ملتقى بيرجن :

رغم انه لم يتم تمثيل الجنوبيين الذين كانوا يشاركون في الحكومة آنذاك ، كما لم يتم تقديم الدعوة الى أحد من شرق السودان، الا ان الملتقى ضم تقريبا معظم الوان الطيف السياسي .

نوقشت القضايا باعتبار انها مترابطة، على الرغم من الشعور العام بان مشكلة الجنوب ربما تمثل المركز الاساسي لعناصر الأزمة، وانه بحل المشكلة ربما تتداعى بقية الجوانب وتنفرج الازمة .

لم تقدم معظم الاتجاهات الحزبية رؤية واضحة حول القضايا موضوع الخلاف مثل اقتسام السلطة والثروة ... الخ . مما ركز النقاش حول ورقتي العمل المقدمتين من الجبهة الاسلامية القومية والحركة الشعبية لتحرير السودان .

أثار النقاش حول الديمقراطية تساؤلات حول الحاجة الى مراجعة مفهوم الديمقراطية واسلوب التمثيل وربط ذلك بالواقع. و لم تجنح الندوة الى تقديم توصيات محددة بشأن القضايا موضوع النقاش، واصدرت نداءا بعدم استخدام الطعام كسلاح وضرورة وصوله الى كل المتضررين .

<u>٤ - سمنار قضية الجنوب ١٥ - ١٧ يونيو ١٩٨٩م :</u>

نظم هذه السمنار قسم الدراسات الافريقية بجامعة (هاورد) والجمعية الاسلامية بواشنطن واشترك فيه حزب الامة ، الجبهة الاسلامية القومية ، حزب سانو ، حزب التجمع السياسي ، حزب سابكو. و أكد البيان الصادر عن المؤتمر على ما يلي :

أ - السودان دولة موحدة متعددة الأعراق و الثقافات .

ب- نادي بالسعي الحثيث للسلام وناشد كل الاطراف المشاركة والدول المحبة للسلام الوقوف مع السودان لتحقيق السلام .

ج- طالب باستمرار عمليات الاغاثة لكل الاطراف المتضررة من المجاعة .

د - لا بديل للحوار للوصول الى سلام عادل .

هـ- ان أنسب صيغة للحكم لتحقيق طموحات القوميات والثقافات المختلفة هي الصيغة الفيدرالية .

يلاحظ انه رغم عـدم اشـتراك ثلاثـة مـن الاحـزاب السياسـية القائمـة آنـذاك في السمنار الا ان المردود كان في صالح السلام والوحدة والحوار. والجديد كان طرح الصيغة الفيدرالية لنظام الحكم في السودان .

ب - المعالجات الاجرائية الحكومية :

تشـمل المبـادرات الـتي هدفـت الى جمـع الحكومـة والحركـة الشـعبية علـى مـائدة التفاوض .

١ - مبادرة رئيس الوزراء الانتقالي - يونيو ١٩٨٥م :

جاءت مبادرة رئيس الوزراء ضمن فترة الحكم الانتقالي، إذ كانت قضيـة جنـوب السودان من القضايا الاولى التي شغلت القوى السياسية السـودانية ، بجـوار قضايـا ترتيب واعادة تنظيم الحياة السودانية و خطوات المستقبل بعد الانتفاضـة . خاصـة وان التغيير جاء نتيجة لعمل ساهمت فيـه القـوى الوطنيـة المختلفـة بالإضافـة الى حركة التمرد وحركة أنانيا الثانية ، لذلك فقـد وجهـت الدعـوات والنـداءات الى قيادة التمرد وخاصة جون قرنق للمشاركة في ترتيبـات الفـترة الانتقاليـة والتعـاون مع القوى الشـعبية والجيـش في ترتيـب خطـوات المسـتقبل ، ولكـن قرنـق رفـض الحضور الى الخرطوم او المشاركة بمعناها السياسي العام .

إلا أن الموقف العام لم يمنع المجالس الحكوميـة الانتقاليـة مـن اعـلان سياسـتها تجـاه قضية الجنوب في الفترة الـتي تلـت الانتفاضـة ، فقـد ارسـل وزيـر الدفـاع خطابـاً مكتوبا الى قرنق ، ثم ارسل رئيس وزراء الحكومة الانتقاليـة ايضـا خطابـاً في اول يونيو ١٩٨٥م ، الى رئيس الحركة الشعبية جاءت نقاطه في اطار مبادرة الحكومـة آنذاك على النحو التالي : (٣)

١) أدت الحركة الشعبية دورها في اسقاط نظام نميري، ومكانها الطبيعي هو بين قوى الانتفاضة لتشارك في عملية الحوار الوطني .

٢) قرر ميثاق الانتفاضة ان قضية جنوب السودان يجب ان تعالج في اطار حكم ذاتي اقليمي يقوم على أسس ديمقراطية بموجب صلاحيات محددة تحقق المشاركة الحقيقية لكافة القوى السياسية الممثلة لجنوب السودان .

٣) الالتزام باتفاق اديس ابابا كأساس لادارة شؤون الوطن في الوقت الراهن .

٤) الاعتراف بالحقائق الثقافية والاثنية لجنوب السودان .

٥) تأكيد بذل جهود صادقة للإرتقاء بالجنوب وتضييق فجوة التخلف فيه .

٦) بالرغم من ان قضية جنوب السودان لم تبدأ بالقوانين المسماة بالاسلامية ، يقرر رئيس الوزراء انه يعلم بصدى أثرها في تعقيد القضية. على انه اذا تم الاتفاق على الجوانب الاخرى للقضية فانه يعتقد بان تلك القوانين لن تسبب حاجزا في طريق الحل .

٧) وجه رئيس الوزراء الانتقالي نداءا الى الحركة الشعبية للدخول في هدنة تمكن الحكومة من اغاثة المتضررين .

٨) عبر رئيس الوزراء عن ان ارض السودان هي المكان الطبيعي للتفاوض والحوار.

كانت هذه اول مبادرة حكومية بعد الانتفاضة ، ولكن امام اصرار قرنق على موقفه من عدم التعاون او المشاركة أصدر مجلس الوزراء الانتقالى اعلاناً سياسيا عن القضية فصّل معظم النقاط التي وردت في مبادرة رئيس الوزراء وأضاف اليها نقاطا جديدة. فقد أكد ان السودانيين مدعوون لحوار جاد حول مشكلات بلادهم ، وان الحكومة تلتزم باتفاقية اديس ابابا والحكم الذاتى الاقليمي للجنوب ، وان قانون العفو العام واعلان وقف اطلاق النار من جانب القوات المسلحة ما زالا ساريين، وان الحكومة ترى حل قضية الجنوب في التنمية المتكافئة ومراجعة بعض التشريعات التي صدرت في ١٩٨٣م ، وازالة كل ما يفرق بين المواطنين .

ولكن حركة التمرد دخلت في موقف جمود تجاه هذه الدعوات السلمية وانهمكت فى نداءات الى القوى الشعبية لارغام المجلس العسكري الانتقالي على تسليم السلطة، بمقولة ان القضية في السودان لم تعد قضية الجنوب وانما هي قضية قومية تتعلق بجميع اقاليم وشعوب السودان ، وانه لا بد من الغاء قوانين الشريعة الاسلامية وإقامة نظام ديمقراطي علماني في السودان .

مما يلفت النظر ان المبادرة دعت الحركة الشعبية الى المشاركة في الحوار الوطني من الداخل واعترفت لها بدورها في اسقاط نظام نميري ، وكانت استجابة الحركة لهذه المبادرة ضعيفة، بل وسلبية، لموقفها المعادي للمجلس العسكري الانتقالي ومخاطبتها للنقابات والإتحادات لتواصل التظاهر لارغام المجلس على تسليم السلطة .

٢- اجتماع لندن ١٦ - ٢٩ نوفمبر ١٩٨٧م

تم في ذلك الاجتماع الذي ضم وفدا حكوميا ووفدا من الحركة الشعبية لتحرير السودان استعراض اعلان كوكادام وما نفذ منه فعلا. واتفق الطرفان على الآتي :

أ. القضية المطلوب بحثها في المؤتمر القومي الدستوري قضية قومية و ليست اقليمية .

ب. الموافقة على ربط رفع حالة الطوارئ بوقف اطلاق النار .

ج. تكوين لجنة متابعة موسعة تشمل كل الأحزاب التي اشتركت والتي لم تشترك في كوكادام لتصبح بمثابة لجنة متابعة قومية يوكل اليها متابعة تنفيذ ما اتفق عليه والتحضير للمؤتمر الدستوري .

د. الغاء قوانين سبتمبر ١٩٨٣م. وقد اختُلف فيما سيحل محلها رغم بروز دليل علي مرونة في الموقف .

يلاحظ ان الاجتماع لم يزد على كونه متابعة لتنفيذ بنود اعلان كوكادام، عدا ما استحدث فيه من اتفاق على توسيع المتابعة وتنشيط حركة التفاوض .

ج - المعالجات الاجرائية الشعبية : (٤)

١ - اعلان كوكادام ٢٤ مارس ١٩٨٦م :

صدر اعلان كوكادام من التجمع الوطني لانقاذ الوطن والحركة الشعبية لتحرير السودان. واتفق الطرفان على شروط مسبقة تمهد لخلق مناخ ملائم لعقد مؤتمر دستوري قومي هي :

١) التزام القوى السياسية والحكومة بمناقشة مشاكل السودان الاساسية وليس مشكلة الجنوب وحدها.

٢) رفع حالة الطوارئ .

٣) الغاء قوانين سبتمبر ١٩٨٣م ، والقوانين الاخرى المقيدة للحريات .

٤) العودة الى دستور ١٩٥٦م المعدل ١٩٦٤م .

٥) الغاء المعاهدات العسكرية الماسة بسيادة السودان (المعاهدات مع مصر وليبيا).

٦) سعي الطرفين المستمر لاتخاذ الاجراءات الضرورية لوقف اطلاق النار .

٧) ان ينعقد المؤتمر القومي الدستوري بالخرطوم في الاسبوع الثاني من يونيو ١٩٨٦م لمناقشة :

أ. مسألة القوميات .

ب. مسألة الدين .

ج. حقوق الانسان الاساسية .

د. نظام الحكم .

هـ. التنمية والتنمية غير المتوازنة .

و. الموارد الطبيعية .

ز. القوات النظامية وترتيبات الأمن .

ح. قضية الثقافة والتعليم والاعلام .

٨) تكوين لجنة مشتركة للاتصال بين الطرفين .

كان اعلان كوكادام اول اتفاق يبرم بين القوى السياسية والحركة الشعبية لتحرير السودان ، وكان التجمع الوطني في ذلك الوقت قبل اجراء الانتخابات العامة ، يشكل قوة سياسية مؤثرة في الأحداث في السودان .

لم يشترك حزبا الاتحادي الديمقراطي والجبهة القومية الإسلامية في إعلان كوكادام . وبعد قيام الحكومة المنتخبة في ابريل ١٩٨٦م أبدت تلك الحكومة بعض التحفظات على اعلان كوكادام، منها: انه تم على عجل، و لم يقم مندوبو الاحزاب باعتماد الاعلان من جانب السلطات ذات التفويض الدستوري، مما ادى الى تعثر تنفيذ الاعلان. ثم توقف الاتصال كلية عقب اسقاط الطائرة المدنية بملكال في ١٦ اغسطس ١٩٨٦م .

كان اعلان كوكادام – الذي استمد معظم بنوده من ميثاق الانتفاضة الذى وقعته الاحزاب والنقابات الرئيسية، باستثناء الجبهة الاسلامية القومية – نقطة هامة في طريق السلام، احتوى على خطوات محددة للوصول الى طاولة المفاوضات، من أهمها اقتناع الحركة الشعبية بعقد المؤتمر القومي الدستوري في الخرطوم. و أدى مناخ الانفتاح نحو السلام الذي تحقق الى توالي المبادرات التي اتخذ بعضها اعلان كوكادام نقطة مرجعية له .

٢- مبادرة رئيس حزب الامة القومي يوليو ١٩٨٦م

التقى السيد رئيس حزب الامة القومى بعد نهاية اجتماعات الدورة العادية لمنظمة الوحدة الافريقية باديس ابابا، بقائد الحركة الشعبية، واوضح رئيس حزب الامة القومي مواقف حكومته حول بنود كوكادام على النحو التالي :

١) مهمة المؤتمر القومي الدستوري ليست محصورة في مناقشة مشكلة الجنوب ، بل هي مهمة قومية تعالج كافة المشكلات القومية .

٢) رأي الحكومة هو تزامن رفع حالة الطوارئ مع وقف اطلاق النار .

٣) الموافقة على الغاء قوانين سبتمبر ١٩٨٣م والقوانين المقيدة للحريات ، على ان تضاف العبارة التالية (ان تكون القوانين التي تحل محلها قوانين تراعي حقوق جميع المواطنين المدنية والانسانية والدينية وتستثني المناطق التي تسكنها اقليات غير اسلامية من القوانين ذات المحتوى الديني الاسلامي) .

٤) تضمن الدستور الانتقالي ١٩٨٥م التعديلات المطلوبة بما يغني عن مطلب العودة الى دستور ١٩٥٦م المعدل ١٩٦٤م .

ملاحظات حول اللقاء :

يلاحظ ان رئيس الحركة الشعبية رفض مقابلة السيد الصادق المهدي بصفته رئيسا للحكومة وانما فقط كرئيس لحزب الامة القومي . ومن المفارقات ان رئيس حزب الامة القومي لم يشرح في اللقاء موقف حزب الامة القومي، بل موقف الحكومة من مبادرة كوكادام التي شكلت موضوع اللقاء الرئيسي .

لم يتمخض اللقاء عن نتائج، بسبب استهداف الحركة الشعبية للطائرة المدنية في سماء ملكال، مما ادى الى وقف الاتصالات بين الطرفين الى حين.ن من ناحية ثانية استمرت الحكومة في مواقفها المعلنة حول السعي الى تسوية سياسية تفاوضية للقضية ، خاصة فى خطاب رئيس الوزراء في ابريل ١٩٨٧م أمام الجمعية التأسيسية في الذكرى الثانية للانتفاضة ، ولكن لم تتم اية خطوات تطبيقية لتنفيذ الرغبات المعلنة . (٥)

٣ - مبادرة الاحزاب الافريقية - سبتمبر ١٩٨٧م

امام استمرار الحرب واتساع دائرة العنف والعنف المضاد وما ترتب على هذا من دمار وتدفق للاجئين ومأساة غير المحاربين ، ظهرت جهود واتصالات واعلان آراء ومقترحات من جانب قيادات الاحزاب الجنوبية . فقد زار وفد الاحزاب الأفريقية (الاحزاب الجنوبية) اديس ابابا وكمبالا ونيروبي والتقى بوفد من الحركة الشعبية وتمخض اللقاء عن الآتي :

أ - الاسباب الجذرية للصراع هي : مشكلة الدين ، المشاركة في السلطة ، مسألة القومية والتنمية غير المتوازنة ، غياب العدالة الاجتماعية في السودان .

ب - أكد الطرفان التزامهما بالوحدة الوطنية وعقد المؤتمر الدستوري القومي واعتماد اعلان كوكادام كأساس لهذا المؤتمر .

ج - ضرورة توفر الاغاثة للمواطنين المتضررين من جراء الحرب وعدم استخدام الطعام كسلاح.

يلاحظ ان الاعلان المشترك بين الحركة الشعبية والاحزاب الافريقية كان تأكيدا للالتزام بما ورد في اعلان كوكادام، باستثناء موضوع الاغاثة الذي استجد . وأبدت حكومة السيد الصادق المهدي يومها امتعاضها من بعض ما تمخضت عنه تلك الاجتماعات .

<u>٤ - الوفد الشعبي السوداني الى (الانتراكشن) هراري - زمبابوي ٢٠- ٢٢مارس ١٩٨٨م :</u>

شاركت في اللقاء كل القوى السياسية في الحكومة وفي المعارضة، بجانب الحركة الشعبية . وحضر اللقاء اعضاء بمجلس الانتراكشن الدولي، وهم من الشخصيات البارزة في اوطانها ومعظمهم شغل مناصب عليا في حكومات بلاده.

ركز الوفد السوداني على المحاولات العديدة التي قامت بها حكومات السودان منذ الانتفاضة و الى قيام لقاء هراري في سبيل السلام، والتشدد الذي قابلت به الحركة تلك المحاولات ، كما ادان العنف وأكد أهمية الحوار وطالب بتأمين سير الاغاثة.

أما وفد حركة التمرد فهاجم الحكومات السودانية ووصفها بأنها داعية حرب وتضطهد الجنوبيين وتسكت عن ممارسات الرق ، كما حاولت الحركة دون جدوى الحيلولة دون مشاركة الوفد الشعبى السوداني في الندوة .

لم يخرج لقاء هراري باي بيان او إعلان او توصيات . كما يلاحظ انه اول ملتقى تتوحد فيه الجبهة الداخلية وتتشارك في وفد موحد في مواجهة الحركة الشعبيه .

٥ - مبادرات جنوبية وافريقية : (٦)

ظهرت في تلك الفترة ايضا جهود واتصالات واعلان آراء ومقترحات من جانب قيادات جنوبية مثل ابل ألير وجوزيف لاقو وفرانسيس دينق ، ومن جانب وسطاء افارقة مثل الرئيس النيجيري السابق اوباسانجو وقيادات من احزاب وقوى سياسية افريقية . وتدور هذه المقترحات حول المبادئ والخطوات التالية :

١) المؤتمر الدستوري القومي هو الاسلوب الامثل للتوصل الى حل سياسي عام في السودان ، وهناك اجماع عام على أهمية المحافظة على وحدة السودان . الا ان الاسباب الاساسية للنزاع المسلح هي قضايا الدين و السلطة والقومية و الدولة والهوية والتنمية المتكافئة والشريعة والعدالة الاجتماعية ، وان بين الجانبين خلافا حول منطلقات الحركة والحل المستقبلي. فالحكومة تتبنى نظاما ليبراليا والحركة تعلن عن الفكر الاشتراكي والماركسي .

٢) وقف اطلاق النار وتشكيل حكومة قومية مؤقتة وزيادة عضوية مجلس رأس الدولة لتمثيل الجنوبيين بصورة أكثر عددا واعادة بناء الجيش السوداني على أسس التمثيل النسبي للقوميات والشعوب المختلفة في الدولة .

٣) يؤخذ في الاعتبار حل مشكلات اللاجئين والمتضررين و تعويضهم في اطار خطط ومشروعات التنمية التي تتم في اطار فيدرالي يأخذ في اعتباره الاحتياجات والاوضاع العاجلة .

٤) اعتماد اتفاق كوكادام اساسا للتسوية السياسية وخطوات الحل السلمي التفاوضي .

لم يقتصر الامر على هذه المبادرات او المقترحات. فقد تمت لقاءات بين الجانبين شارك في ترتيبها بعض رجال الاعمال الاجانب مثل (تايني رولاند) صاحب

شركة (لونرو) ذات المصالح الاقتصادية الكبرى في افريقيا . واحيانا تصدر بيانات مشتركة ، ولكن التنفيذ لم يتم لاي من هذا الاتفاقات او البيانات المشتركة .

٦ - مبادرة السلام السودانية ١٦ نوفمبر ١٩٨٨م :

كان طرفا المبادرة الحزب الاتحادي الديمقراطي والحركة الشعبية لتحرير السودان. واتفق الطرفان على ان العوامل الاساسية والضرورية لتهيئة المناخ الملائم لعقد المؤتمر الدستوري تتمثل في: (٧)

١) تجميد مواد الحدود وكافة المواد ذات الصلة المضمنة في قوانين سبتمبر ١٩٨٣ ، ولا تصدر اية قوانين تحتوي على مثل تلك المواد، وذلك الى حين انعقاد المؤتمر الدستوري والفصل نهائيا في مسألة القوانين .

٢) الغاء كل المعاهدات العسكرية المبرمة بين السودان والدول الاخرى و التي تؤثر على السيادة الوطنية (مصر وليبيا).

٣) رفع حالة الطوارئ .

٤) وقف اطلاق النار .

٥) تشكيل لجنة تحضيرية قومية لتقوم بالتمهيد والاعداد لانعقاد المؤتمر الدستوري .

٦) انعقاد المؤتمر الدستوري في مكان تقرره اللجنة التحضيرية ، تتوفر فيه كل الضمانات الامنية.

٧) ينعقد المؤتمر الدستوري القومي فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٨م في حال تنفيذ البنود السابقة بما يرضي الاطراف المعنية .

٨) مناشدة جميع الاطراف السودانية الانضمام الى هذا الاتفاق ويسمى الاعلان بـ (مبادرة السلام السودانية) من اجل تحقيق السلام والاستقرار .

قررت الحكومة تشكيل لجنة وزارية للسلام ، وتم اجراء اتصالات مع الدول ذات الاهتمام بالموضوع مثل مصر وكينيا واثيوبيا واوغندا ، ولكن على الجانب الآخر من الاحداث كانت هناك اختلافات سياسية تنمو وتتعقد بين الاحزاب المشاركة في حكومة الوفاق الوطني (حزبى الامة والاتحادي الديمقراطي) وأبدى رئيس الوزراء تحفظات على بنود هذه المبادرة. كما كانت هناك نتائج لاشتداد القتال في الجنوب وتصاعد الاعمال العسكرية من جانب حركة التمرد، اضافة الى اصابة طائرة وزير الدفاع فوق سماء مدينة واو عاصمة اقليم بحر الغزال. وفي ذلك العام تمكن التمرد من السيطرة على مناطق كثيرة في المديرية الاستوائية وعلى مدن ذات أهمية عسكرية مثل كبويتا والناصر و ليريا ... الخ .

كما ان الحركة الشعبية نكصت عن قبولها بتجميد القوانين الوارد في المبادرة وطالبت لاحقا بالغائها بقانون، مما بذر الخلاف بين طرفي المبادرة .

كما ان الجبهة القومية الاسلامية كانت تقف موقف المعارضة الشديدة لاي مساس بقوانين الشريعة الاسلامية سواء بالتعليق او التجميد او التعديل. وهذا التفاعل ظهر في الجمعية التأسيسية التي وافقت على تعليق القوانين الاسلامية الى ما بعد انعقاد المؤتمر الدستوري ، مماحدا بالجبهة الاسلامية ان تعلن ثورة المصاحف والجهاد ،كما اعلنت انها لن تشارك في حكومة جبهة وطنية او قومية الا اذا كان في برنامجها تطبيق القوانين الاسلامية .

وعلى الجانب الآخر عرضت المبادرة على الجمعية التأسيسية لاقرارها. فلم تحظ بالموافقة والاجازة، مما ادى الى انسحاب وزراء الحزب الاتحادى من حكومة الوفاق .

لم تربط المبادرة ربطا مباشرا بين وقف اطلاق النار ورفع حالة الطوارئ. كما لم تحسم المسائل الخاصة بتكوين اللجنة التحضيرية وعضويتها واسس المشاركة فيها وسلطاتها، على الرغم من المهام الجسيمة التي اسندت الى تلك اللجنة ومن بينها

تحديد مكان الانعقاد خلال اسبوعين من تاريخ المبادرة، وهي فترة ضيقة للغاية تعكس عدم الواقعية في تقدير المتطلبات العملية لمشروع السلام .

وهكذا اصبحت المبادرة جزءا من التاريخ و لم تطبق .

مذكرة القوات المسلحة :

قبل ان نختتم هذا السرد لا بد ان نشير الى المذكرة التي قدمت في مطلع ١٩٨٩م من قيادة القوات المسلحة السودانية الى رئاسة الوزراء ورئاسة مجلس الدولة حول الازمة العسكرية والسياسية التي وصلت اليها البلاد ، و في مقدمة اسباب هذه الأزمة استمرار الحرب في الجنوب والوضع السيء للقوات المسلحة في هذه الحرب الاهلية ، لان البعض اعتبر هذه المذكرة البيان رقم واحد لتغيير النظام الديمقراطي في تلك الفترة، حين تعقد الموقف السياسي في العاصمة، ثم حدث التغيير في ٣٠ يوليو ١٩٨٩م بقيادة الفريق عمر حسن احمد البشير. وتشكل مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني .

خلاصة عناصر جهود السلام السابقة :

من خلال تدقيق النظر في الجهود السابقة لمعالجة المشكلة ووضع حل لها يتضح انها تشتمل على قضايا الخلاف الجوهرية. وتتلخص عناصر المعالجات بالرغم من اختلاف توجهات المشاركين فيها ودوافعهم للحوار، تتلخص في العناصر الموضوعية التالية: (٨)

أ - الوحدة الوطنية :

أكدت المبادرات والمعالجات السابقة على الوحدة الوطنية ووحدة التراب السوداني ومبدأ التعايش السلمي في ظل التنوع، واستبعدت الانفصال.

ب - التنمية الاقتصادية واقتسام الثروة :

تعترف الجهود السابقة بالفجوة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعدم التوازن بين مختلف الاقاليم، وضرورورة ازالة تلك الفجوة من خلال توزيع عادل للثروة والدخول والموارد وفق برامج تنموية تحقق عائدا متوازنا لجميع اقاليم البلاد .

ج - المشاركة في السلطة :

تناولت بعض المعالجات خيارات الحكم الأمثل الذي يكفل تحقيق العدالة المطلوبة، فطالب البعض بالحكم الفيدرالي، بينما طالب البعض الآخر بنظام الحكم الذاتي الاقليمي بعد تجريده من سلبيات وشوائب التجربة السابقة .

د - التنوع الثقافي والهوية :

اعترفت معظم المعالجات السابقة بالتنوع الثقافي ونادت بإتاحة فرص النمو والتعبير العادلة لثقافات القوميات المختلفة. كما اعترفت معظم المعالجات السابقة بتعدد القوميات السودانية وبجذورها الافريقية والعربية. ودعا بعضها الى اعتماد المواطنة اساسا للقومية السودانية .

هـ- اللغة :

أكدت جميع المبادرات التي تطرقت الى موضوع اللغة ان اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية. كما اشار بعضها الى ضرورة اعتماد اللغة الانجليزية كلغة ثانية لاغراض التعليم، مع اتاحة الفرصة لترقية اللغات الوطنية .

و - التشريع الجنائي :

ركزت بعض المعالجات التي اعقبت عام ١٩٨٥م على الغاء قوانين سبتمبر ١٩٨٣م او تجميدها، الا انها اختلفت في البديل الذي يحل محلها. فهناك من يدعو الى العودة الى قوانين ١٩٧٤م واستبعاد أية قوانين دينية الى حين انعقاد المؤتمر الدستوري والفصل النهائي في امر القوانين ، وينادي آخرون باستبدال قوانين سبتمبر بقوانين اسلامية تتجنب السلبيات التي واكبت التطبيق.

ونادى آخرون بسن قوانين تقوم على التنوع، بحيث ترضى تطلعات المسلمين في المناطق ذات الاغلبية المسلمة وترضى في ذات الوقت تطلعات غير المسلمين في المناطق الاخرى، على ان تكفل القوانين حقوق المواطنة المدنية والدينية .

ويجدر بالذكر ان الاشارة الى موضوع الدين لم ترد في المؤتمرات الثلاثة الاولى بالصورة الضاغطة التي وردت بها بعد عام ١٩٨٥م. ويبدو ان تطبيق التشريعات الاسلامية كان له دور في ظهور هذه المسألة، لان اول معالجة تناولت هذا الأمر بالكيفية التي ذكرت اعلاه هي اعلان كوكادام عام ١٩٨٦م ، مع ملاحظة ان تمرد عام ١٩٨٣م بدأ قبل اصدار هذا التشريعات .

ز - أتفقت بعض المعالجات السابقة على أن شكلا من اشكال اللقاء الذي يجمع الآراء السودانية، سواء كان مؤتمرا دستوريا او مؤتمرا قوميا موسعا، هو المنبر المناسب لطرح جذور واسباب الخلاف للبحث والوصول الى اتفاق يضمّن في دستور البلاد الدائم. ومع ان العناصر الموضوعية السابقة جميعها اتسمت بايجابيات تمثل رصيدا وطنيا مقدرا واحتهادات واراء مخلصة هدفت الى حسم النزاع، الا ان بعض المعالجات السابقة، وعلى وجه الخصوص تلك التي اعقبت انتفاضة ابريل ١٩٨٥م ، قد صحبتها عوامل وظواهر سلبية نخلص منها الى المؤشرات السلبية الآتية :

١) استفحال أزمة الثقة بين اطراف النزاع .

٢) ضعف الارادة السياسية لدى الحكومات المتعاقبة، والصراعات الحزبية وتفكك الجبهة الداخلية وعدم استقرار الاوضاع السياسية.

٣) التدخل الاجنبي وما يصحبه من ضغوط تتصل بمصالح الجهات الاجنبية التي تهمها مصالح السودان .

٤) أدى العاملان اعلاه (٢ ، ٣) الى مظهر سلبي رابع هو تعدد محاور الاتصال وتعدد وتنوع الاسباب والدوافع لكل مفاوض، مما افرز الكثير من المعالجات المحلية

والاجنبية، الرسمية والشعبية والحزبية والفردية ،السياسية والاكاديمية، دون وجود آلية مركزية للاتصال، فضاعت مصلحة البلاد العليا وانطمست معالم التوجة الحكومى نحو السلام .

٥) أدت جميع السلبيات اعلاه الى احداث تغيير جذري في طبيعة واهداف ووسائل التمرد، فبينما نجد ان أي تمرد حدث قبل عام ١٩٨٣م كانت دوافعه رفض المظالم التي عالجتها المفاوضات قبل ١٩٨٥م بطريقة ادت الى انهاء النزاع في كل مرة مراعاةً لمصلحة البلاد عامة والجنوب خاصة، الا اننا نجد ان تمرد قرنق قد استغل جميع السلبيات المذكورة اعلاه بطريقة قضت على معالم القضايا الجوهرية وابتعدت عنها الى اهداف لا صلة لها بمشاكل السودان . هذا التغيير فى طبيعة واهداف التمرد أثر سلبا على محاولات التفاوض لحسم النزاع. ونلخص هذه التغييرات في الآتي :

أ. استغلال السلبيات اعلاه لخلق نفوذ سياسي تمثل في العلاقات بين المتمردين والدول الاخرى.

ب. استغلال الاطروحات السياسية بداخل السودان التي تتفق مع توجه التمرد وذلك لخلق طابور خامس يكون اداةً لاضعاف الوضع السياسي وتكبيل محاولات التفاوض واخضاعها لشروط التمرد المسبقة ، وضغط الجهة المفاوضة لتقديم التنازلات دون مقابل .

ج. استغلال اصحاب الاطروحات السياسية التي تتفق مع توجه التمرد في مفاوضات تخرج باتفاقيات تخدم اهداف التمرد واصحاب هذه الاطروحات معا ، دون مراعاة للمشكلة الاساسية او لمصلحة السودان .

د. استغلال الخلاف حول المسائل الاجرائية المتصلة بالتفاوض لتبديد الجهود وتفتيت الجبهة الداخلية وكسبا للزمن باطالة امد الصراع والذي بدوره يخلق

مزيدا من التفتيت وتغير المواقف مع تغير الحكومات، خاصة اذا علمنا ثبات موقف التمرد على سياساته تلك .

ه. اقحام قضايا وهمية مثل الاضطهاد والرق لتصعيد الامور (انظر لقاء هرارى انتراكشن مارس ١٩٨٨م).

و. لقد ساهمت هذه التغييرات في طبيعة واهداف واساليب التمرد في ان يتخذ التمرد مواقف سلبية حيال أية مبادرة للتفاوض. وتمثلت هذه المواقف السلبية في :

١. رفض الاعتراف بالحكومات والجنوح الى التفاوض والاتفاق مع القوى الشعبية والحزبية والقوى الموالية للتمرد .

٢. التمسك بشروط مسبقة لا تنازل عنها ولا مرونة فيها واجبار الطرف الآخر على تقديم التنازلات .

٣. تغيير الشروط والمناورة فيها إثر كل تنازل من الحكومة

٤. تصعيد العمليات العسكرية كلما لاحت بوادر الاتفاق (مثلا محاولة احتلال الناصر، واسقاط الطائرة المدنية في ملكال، ومحاولة اسقاط طائرة وزير الدفاع الاسبق .. الخ) .

يتضح من تحليل وتحديد المؤشرات الايجابية ، ان قضايا الخلاف الجوهرية متفق عليها، الا ان المؤشرات السلبية تؤكد ان حل مثل هذه القضايا لا يمكن ان يتم ويتحقق اذا صحبته مثل هذا السلبيات،كما انه لا يمكن ان يتم عن طريق المحاولات المرتجلة والمرتبطة بتوجهات ومصالح معينة منفصلة عن النظام السياسي والجبهة الداخلية بصفة عامة ، وبمقارنة يسيرة بين اطراف التفاوض بعد الانتفاضة ١٩٨٥م ، نجد ان اهداف ودوافع التفاوض والعوامل المؤثرة فيها داخليا وخارجيا تتغير بتغير الفئة المفاوضة وتوجهها الفكري ،اما الآخر (تمرد قرنق) فاشخاصه واهدافه ومؤثراته الخارجية ثابتة دائما، بينما تتغير مواقفه وشروطه ومناوراته طبقا

لمواصفات الطرف المفاوض، وطبقا لما يمكن كسبه سياسيا وعسكريا على حسابه.
وهذا يمثل قمة الاستغلال للسلبيات .

المحور الثاني : :

نظام الانقاذ الوطني وقضية الجنوب :

قبل الدخول في تفاصيل الاتفاقيات والمساعي التي بذلت لاحلال السلام في الجنوب في هذه الفترة ، سنلقى نظرة عامة علي اطروحات وافكار الاطراف المعنية بالمشكلة ومسرح الاحداث في تلك الفترة .

(أ) نظام الانقاذ الوطني

يتضح من البيان الاول يوم ٣٠ يونيو ١٩٨٩م وما تلاه من اعلانات واجراءات ان قضية الجنوب تقع في قائمة اولويات الاهتمامات، خاصة وانها ترتبط بازمة المواجهة في الحرب الاهلية وما ترتب عليها من خسائر مادية وبشرية ، وافتقاد القوات المسلحة للمساندة السياسية من اجهزة الحكم في الدولة قبل الانقاذ الوطني.

وبذلك اكدت الحكومة على جملة من المبادئ علي رأسها :

١. السعي الدائم الى السلام باسلوب المفاوضات مع الحركة الشعبية بدون شروط مسبقة .

٢.اعلنت العفو العام عن كل من رفع السلاح ضد الدولة منذ ١٩٨٣ .

٣.مددت وقف اطلاق النار من جانب الجيش السوداني .

٤.عندما تسلمت الانقاذ السلطة دعت الحركة الشعبية كتابة الى المشاركة في تكوين مجلسي قيادة الثورة والوزراء وتأخر تكوين المجلسين اسبوعين في انتظار رد الحركة التي لم تستجب .

٥.اجريت اتصالات باساليب منوعة مع قيادات الحركة الشعبية، الأمر الذي ادى الى عقد محادثات بين الجانبين في اديس ابابا في اغسطس ١٩٨٩م ، أي بعد اقل من شهرين من توليها السلطة ، اظهارا لجديتها في تحقيق السلام .

على الجانب الاخر بدأت الحكومة في تحديد موقفها بصورة حاسمة تمهيدا لأية مفاوضات اولقاءات مع المتمردين الجنوبيين ، فعقدت مؤتمر الحوار الوطني حول قضايا السلام الذي دعت اليه جون قرنق ، واوصي ذلك المؤتمر بالحفاظ على وحدة التراب الوطني واعتماد الحوار والتفاوض منهجا لحل الخلافات الداخلية والسعي الى تجديد وقف اطلاق النار بين الجانبين والاستمرار في ايصال الاغاثة والمعونات للمتضررين من الحرب والمجاعة.

ومع تطور الاوضاع السياسية و تأكيد سلطة الانقاذ الوطني والنخبة الحاكمة ، وفي ضوء المساندة والتأييد الذي لقيته الحكومة من قطاعات الشعب السوداني بصفة عامة ، والحركة الاسلامية على وجه الخصوص ، حسمت الحكومة موقفها في ثلاث مباديء هي:

١/ عدم الرجوع عن تطبيق الشريعة الاسلامية، مع استثناء التطبيق في المناطق التي تسكنها اغلبية من غير المسلمين.

٢/ اعتماد النظام الفيدرالي شكلا وتطبيقا لتوزيع السلطات داخل الدولة بين العاصمة والاقاليم.

٣/ نظام الحكم في الدولة لا يقوم على الديمقراطية متعددة الاحزاب الموروثة عن النظام الاوروبي الليبرالي .

وفي نفس الوقت عمدت الحكومة الى تحسين علاقاتها الخارجية مع الدول الافريقية، خاصة دول الجوار الجغرافي، حتى تمنع المعونات والدعم المقدم الى المتمردين الجنوبيين عبر هذه الحدود السياسية . وقد استخدمت اسلوب المعاملة بالمثل مع اثيوبيا في عهد الرئيس السابق منقستو الذى لم يتوقف عن دعم

قرنق، فقامت الحكومة السودانية بدعم حركة التيجراي المناهضة لنظام منقستو بقيادة ملس زناوي ، كما واصلت دعمها للجبهة الشعبية لتحرير ارتيريا . وبدون الدخول في التفاصيل السياسية نقول ان هذه السياسة قد اظهرت نتائجها بعد سقوط نظام منقستو في اثيوبيا ، اذ اصبحت الحكومة السودانية صديقا وحليفا للنظام السياسي الانتقالى المؤقت في اديس ابابا بقيادة ملس زناوى ، وصديقا للحكومة الانتقالية في اسمرا بقيادة اسياس افورقي ، كما عقدت اتفاقيات وتفاهمات مع كل من اوغندا وكينيا . وهكذا خسر جون قرنق التأييد والدعم الذي كان يحصل عليه من اثيوبيا. بل أكثر من هذا، انسحب بقواته نهائيا من الاراضي الاثيوبية، ومنعت عنه كل التسهيلات والمعونات. ولكن الأثر الأكبر بالنسبة لقضية الجنوب كان الانشقاق الذي حدث داخل القيادة العسكرية والمدنية لجيش التحرير الشعبي نفسه .

وعلى الجانب الآخر اتخذت الحكومة في الاستعداد العسكري لشن هجوم واسع النطاق على المتمردين في الجنوب ، وهذا ما حدث في عام ١٩٩٢ فيما عرف بعمليات (صيف العبور)، مما نتج عنه تغيُّر في الميزان العسكري في الحرب الاهلية.

فيما بعد ساءت العلاقات السودانية الاثيوبية بعد محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في السادس والعشرين من يونيو / حزيران ١٩٩٥ على النحو الذي سارت به تلك الاحداث، وقد واكب هذا الموضوع التحرك النشط الذي قامت به بعض القوى الاقليمية والدولية لعرقلة مسار التعاون والتكامل بين دول القرن الافريقي وشعوبه ، في محاولة لعزل السودان عن محيطه، خدمةً لاهداف تلك القوى و خوفا من الشعار الاسلامي الذي رفعته الانقاذ الوطني . مما ادى فيما بعد الى قطيعة مع نظام اسياس افورقي ونظامي يوغندا واثيوبيا ، وادى الى فتح جبهة جديدة في شرق السودان ، تتويجاً لمؤتمر المعارضة السودانية الذى عقد بأسمرا فى

يوليو ١٩٩٥م ، إضافة الى التدخل اليوغندى فى الجنوب الذى إستطاعت القوات المسلحة و الدفاع الشعبى صده .

(ب) وجهات نظر القيادات الجنوبية : (٩)

إن الطرح الفكرى أو المواقف العملية لمجموع القيادات الجنوبية هى تراكمات و وتطور تاريخية منذ استقلال السودان . ففى عام ١٩٥٤م ، ظهر بين القيادات الجنوبية مطلب الحكم الذاتى أو الفيدرالية ، و فى إتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢م ، تم الاتفاق على تطبيق الحكم الذاتى ووحدة إقليم جنوب السودان ، فلما انهارت التسوية و نشبت الحرب الأهلية كما سبقت الاشارة إلى ذلك ، طرحت مطالب وآراء منوعة فى عام ١٩٨٣م ، و زيدت عليها مطالب أخرى. و تنوعت الآراء بين القيادات الجنوبية ، و فى هذا المقام نشير إلى أربع مجموعات من الآراء بصفة عامة و بصرف النظر عما فى داخل كل مجموعة من إختلافات بشأن التفاصيل، وذلك على النحو التالى :-

١. الجيش الشعبى لتحرير السودان (قرنق - مجموعة توريت) :

بدأ قرنق و مؤيدوه عام ١٩٨٣م بالإعتراض على قرارات الحكومة الخاصة بتقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقاليم و انتهاك نصوص إتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢م . و بجانب ذلك يشير رأى هذه المجموعة إلى التقصير أو سوء النية من جانب الحكومة فى تطبيق الاتفاقية. ثم أضيفت إلى هذه الآراء معارضة المجموعة لتطبيق قوانين الشريعة فى عهد جعفر نميرى . و من هنا أجملت هذه المجموعة مطالبها فى رفض مبدأ إنفصال الجنوب و الإصرار على وحدة التراب الوطنى السودانى فى ظل دولة علمانية ديمقراطية فيدرالية .

و قلنا أن قرنق أصدر (منفستو الحركة) فى يوليو ١٩٨٣م ، يشرح فيه الأهداف و التصورات فى تفاصيل متعددة ، و كان اللون الفكرى الواضح فى صياغة هذا البيان هو التوجهات الاشتراكية الماركسية التى تأثر بها نتيجة للتعاون

الذى قام بينه و بين الرئيس الأثيوبى السابق منقستو هايلى ماريام ، و ظهر هذا التوجه فى التصورات المطروحة من جانبهم لبناء السودان الموحد فى المستقبل الاشتراكى وفى المبادئ التى يرى إدراجها فى الدستور و قواعد النظام السياسى و الإقتصادى والإجتماعى للبلاد مثل الفصل بين الدين و الدولة و إلغاء قوانين الشريعة الاسلامية، و أعلن أن حركته لا تمثل الجنوب فقط من حيث المطالب و المظالم ، و إنما هي تتحدث باسم جميع أقاليم السودان و الشعوب و الأقليات الموجودة فى البلاد ، و أن السودانيين هم عرب و أفارقة و أن اللغة العربية هى إحدى اللغات الأساسية فى البلاد و بجوارها توجد لغات و ثقافات أخرى ، و بالنسبة للسياسة الخارجية للسودان طالب بإلغاء الإتفاقيات المعقودة مع مصر، و هى إتفاقيات التكامل و الإتفاقية العسكرية ، و كذلك الإتفاقية العسكرية مع ليبيا. و مع تطور الأحداث و الأوضاع فى العاصمة السودانية أدخل قرنق إشتراطات و مطالب جديدة مع مجئ الديمقراطية الثالثة، فقد تحولت الحركة إلى حركة ضد الطائفية و التعددية الحزبية متهمة اياها بأنها لا تكفل الديمقراطية فى السودان ، و أن منطق الأغلبية لا يحل مشاكل السودان. و بعد تسلم حكومة الانقاذ الوطنى لمقاليد الأمور فى السودان تحولت الحركة مرة أخرى إلى داعية للديمقراطية و تحالفت مع نفس الأحزاب التى كانت تحاربها لأربع سنوات، و أصبح قرنق منظراً للديمقراطية فى السودان، و أخرج فى ذلك (كتاباً) ، و انتهى به المطاف إنفصالياً يغلف دعوته للإنفصال بـ (الكونفدرالية) . و هكذا أعادت الحركة مرة أخرى الأطروحات القديمة الأولى ورجعت الى حيث بدأت المسيرة . و عليه فإن الحركة ما زالت تراوح مكانها بعد كل سنين الحرب التى راح ضحيتها الكثير من أبناء السودان. فالحركة ما زالت تبحث عن مضمون سياسى تجمع به الأنصار والمؤيدين .

لقد مرت على السودان أربع حكومات و قرنق لم يتوصل مع أي منها إلى سلام ، بل و لم يجلس حتى لمجرد التفاوض مع ثلاث منها. و ظل باستمرار يقف ضد كل حكومة فى السودان . و حتى الأحزاب التى يتحالف معها الآن رفض أن يتفاوض معها كحكومة و فضل التفاوض مع كل حزب على حدة. بل إن تاريخ قرنق فى التعامل مع رؤساء وفوده الى جولات المفاوضات المختلفة يشير بوضوح إلى أن قرنق لا يلتزم بما يتوصلون إليه من نتائج و اتفاقيات . و قد إنتهى جميع قادة وفود قرنق للمفاوضات السابقة إما إلى السجن أو إعلان الإنشقاق عليه. ومن ذلك على سبيل المثال:

١- بعد جولة المفاوضات السرية التى قادها أروك طون أروك عضو القيادة العليا الدائمة و نائب قرنق للإمداد مع وفد عسكرى من السودان فى لندن عام ١٩٨٧م ، تم استدعاؤه و اعتُقل .

٢- ألفرد لادو قورى قاد وفد الحركة فى المفاوضات مع مجموعة الأحزاب الأفريقية السودانية فى كمبالا عام ١٩٨٧م ، فألقي فى السجن وأُطلق سراحه وأعلن انضمامه إلى مجموعة وليم نون .

٣- د. لام اكول مفاوض قرنق الرئيسى فى جولات المفاوضات مع حكومة السودان فى كل من أثيوبيا فى أغسطس ١٩٨٩م ، نيروبى ديسمبر ١٩٨٩م ، إنشق عليه وكوّن مع رياك مشار مجموعة الناصر .

٤- و أخيراً وليم نون نائب جون قرنق الذى قاد وفد المفاوضات فى أبوجا مايو - يونيو ١٩٩٣م ، إنشق عليه و قاد معارك ضارية ضد قرنق. و كان الأخير قد أعلن أن رئيس وفده قد تجاوز التفويض الذى منح له (مات وليم نون فيما بعد فى إحدى المعارك فى الجنوب). هذا السلوك يؤكد أن قرنق لا يثق فى مبعوثيه. والسؤال هو: إذا كان لا يثق فى نائبه و أعضاء قيادته العليا، فمن سيكون محل ثقته؟ .. و الطريف أن القيادة الدائمة للحركة و المكونة من خمسة أعضاء لم يبق

منها مع سوى قرنق و سلفاكير، بعد فصل ثلاثة أعضاء هم كاربينو ، وليم نون واروك طون أروك (١٠). و بدون الدخول فى تفاصيل الأحداث و المواقف التى إستمرت منذ عام ١٩٨٣م ، نشير إلى أن مواقف قرنق كانت تتأثر بعاملين ، الأول هو الموقف العسكرى لقواته التى تمكنت من بسط سيطرتها على مناطق و مدن عديدة في الجنوب بوجه عام ، و الثانى هو الدعم الذى يتلقاه من دول و جهات خارجية مثل ليبيا أولاً ثم أثيوبيا ثانياً و المنظمات الانسانية و الدينية و القوى الأفريقية المتنوعة ثالثاً و الدول الغربية و على رأسها أمريكا رابعاً و أخيراً إسرائيل. و على الرغم من إعتقادى بأن القضية و المشكلة هى فى الأساس أوضاع سودانية داخلية ، إلا أن الدعم الخارجى كان عاملاً اساسياً فى إستمرار القضية والنزاع المسلح و الحرب الأهلية منذ ١٩٨٣م ، حتى اليوم .

٢. مجموعة الناصر - د.رياك مشار :-

و فى ٢٨ أغسطس ١٩٩١م ، أعلنت مجموعة من قيادات حركة الجيش الشعبى أنها تختلف مع جون قرنق و تعلن إنفصالها عنه ، و تألفت هذه القيادة من د. رياك مشار و د.لام أكول و القائد العسكرى قوردون كونق ، و قد تم فى بيان سُلم إلى مراسل الاذاعة البريطانية (بى بى سى) الذى وصل فى أواخر أغسطس على متن طائرة كان يستقلها مجموعة من المسؤولين الأمريكيين الذين زاروا جنوب السودان قادمين من نيروبى، و كان اللقاء فى مدينة الناصر فى منطقة أعالى النيل. و اشتمل البيان الشهير الذى حمل عنوان (لماذا يجب أن ينزاح قرنق الآن ؟) على العديد من الأسباب و الانتقادات التى تتعلق بالأوضاع الديمقراطية فى تنظيم و قيادة حركة التمرد ، و مطلب إنتخابات القيادات و إطلاق سراح المعتقلين فى سجون قرنق من القيادات السياسية و العسكرية الذين سبقت لهم معارضة سياسات و مواقف قرنق ، و المطلب الثالث هو إعادة تعريف أهداف الحركة السياسية و العسكرية بالنسبة للمستقبل .

و الهام بالنسبة لهذه الدراسة هو المطلب الثالث. إذ طالبت القيادة المنشقة بالدعوة إلى قيام دولتين مستقلتين فى الشمال و الجنوب ، إضافة إلى المطالبة بحق تقرير المصير لمنطقة جبال النوبا و لمنطقة الأنقسنا بجنوب النيل الأزرق. و قد أحدث هذا البيان رد فعل فوريا واسع المدى على مستوى الجنوب وعلى مستوى السودان. فعلى مستوى الجنوب نشب قتال عنيف بين الجانبين الجنوبيين و فشلت جميع المحاولات للصلح أو إيقاف إطلاق النار بين قواتهما، و هى المحاولات والوساطات التى قام بها مجلس كنائس كينيا و عدد من القيادات الجنوبية والأفريقية و بعض الجهات الغربية . و أشارت وسائل الاعلام العالمية حينها إلى أن القيادة المنشقة كانت لديها تصورات بأن الدعوة الى الإنفصال سوف تلقى تأييداً و اعترافاً دولياً من جانب قوى سياسية أوربية و أمريكية، بشرط تمكن مجموعة الناصر من السيطرة الكاملة على الموقف العسكرى و السياسى فى الجنوب و تصفية قرنق و مؤيديه .

و إزاء هذه التطورات أعلنت مجموعة توريت تمسكها بقيادة قرنق فى اجتماعها الذى عقدته فى آخر شهر أغسطس ١٩٩١م و بأهداف و مطالب الحركة المعلنة منذ يوليو ١٩٨٣م. و لكن بعد مرور أقل من إسبوعين على هذا الاجتماع ، إجتمعت القيادات العليا مرة ثانية فى توريت يوم ١٢ سبتمبر ١٩٩١م ، وأصدرت قرارات تشمل تعديلاً على الأهداف و المطالب المعلنة و تقضى بأنه إذا لم توافق حكومة الخرطوم على مطلب السودان الموحد العلمانى الديمقراطى الفيدرالى ، فإن الحركة تطرح بديلين آخرين هما الكونفدرالية بين دولتين مستقلتين ذواتي سيادة، أو حق تقرير المصير من خلال الاستفتاء على المستقبل لجنوب السودان، كما أوضحنا ذلك من قبل .

و ليس هنا مجال لتفصيل الاتهامات و الاتهامات المضادة التى تبادلها الطرفان والتغير الذى حدث فى المواقف المعلنة لكل منهما . و لكن ما يهم أن الحكومة

السودانية قد استفادت من هذا الخلاف و استطاعت إستثماره عسكرياً و سياسياً. فعلى المستوى العسكرى استطاعت أن تلحق هزيمة قاسية بقوات جون قرنق كما أسلفنا القول ، أما على المستوى السياسى فقد أجرت إتصالات فى عواصم أفريقية و أوربية مع مجموعة الناصر ، كما أجرت إتصالات مع مجموعة توريت . وترتب على هذا تحسّن الموقف التفاوضى للحكومة، مما أدى فيما بعد الى توقيع الميثاق السياسى فى العاشر من أبريل ١٩٩٦م ، مع مجموعة رياك مشار التى شهدت هى الأخرى انفصال د. لام أكول عنها .

٣. مجموعة إعلان أدير – سبتمبر ١٩٩١م :

فى نفس الفترة الزمنية من عام ١٩٩١م ، إتفقت مجموعة من المثقفين و السياسيين الجنوبيين غير الملتزمين (رسميا) بعضوية هاتين المجموعتين (مجموعتي توريت والناصر) و هم يقيمون خارج أراضى السودان فى أوربا و أمريكا، على تنظيم إجتماع لتداول الرأى بشأن قضية جنوب السودان ، و قد تم الاجتماع فى الفترة من ٣ الى ٨ سبتمبر ١٩٩١م ، فى قصر أدير بجمهورية إيرلندا . و تقول وكالات الأنباء العالمية أن موعد ذلك الاجتماع و أسماء المشاركين فيه كان قد تحدد قبل إعلان مجموعة الناصر لموقفها و بياناتها تجاه مجموعة توريت . و يستندون فى هذا الرأى إلى أن إعلان أدير لم يشر من قريب أو بعيد إلى دعوة القيادة المنشقة للانفصال أو التغيير الذى حدث فى طروحات قرنق الفكرية تجاه مستقبل الجنوب خاصة و السودان عامة .

و من بين الأسماء المشاركة : بونا ملوال ، د.فرانسيس دينق ، د.لوال أشويك ، د.دنستان واى ، غوردون مورتات ، كلمنت جانرا ، ديفيد شان . و قد أصدر المجتمعون وثيقة بعنوان (إعلان أدير حول مستقبل السودان) ، وقد أصبحت فيما بعد تشكل رأى قطاع من المثقفين الجنوبيين ، لذلك نورد بعضا مضامينها فى إطار استعراض آراء القوى السياسية السودانية لحل مشكلة

الجنوب.. جاء في الإعلان ((إن بلادنا في عبارة موجزة تطورت على هدى خطوط متوازية تقسيمية أساسها العروبة في الشمال و الأفريقية في الجنوب. و تقوم اللغة العربية والاسلام و الثقافة العربية بتعزيز العروبة و مساندتها و تقويتها . أما العامل الأفريقي فناتج من وحي كفاح الشعوب الأفريقية من أجل التحرر من الهيمنة الخارجية ، و حق تقرير المصير هو فكرة حديثة بشأن بناء الأمة تخترق كل الحواجز المبنية على التعريف العنصرى و العرقى و الثقافى أو الدينى مع وجود فكرة (السودان) إطاراً عملياً يحيط تلك الفكرة .

تبلور هذان التطوران المتوازيان لينشأ عنهما – من جهة – النظام القائم على الدين الذى تسميه الخرطوم (ثورة الانقاذ الوطنى)، و من الجهة الأخرى (الحركة الشعبية لتحرير السودان) العلمانية التوجه و جناحها العسكرى (الجيش الشعبى لتحرير السودان) . إننا نعتقد على وجه راسخ بأنه لن تكون هنالك مساواة فى أي نظام يقوم على عنصر بعينه أو عرقية أو ثقافة أو جنس ، مهما كان نبل خلق أو عدل الجماعة المهيمنة عليه .... إننا نرى أن هنالك على الأقل ثلاثة خيارات لإنهاء الحرب التى دمرت بلادنا و سلبت شعبنا إنسانيته بالمجاعة والانحطاط الخلقى و اليأس المقرف . أحد تلك الخيارات : أن نعيد تعريف فلسفتنا القومية ، و المبادئ الدستورية و البرامج العملية بطريقة تخلو حقاً من أي نوع من التمييز يقوم على العنصر ، العرقية ، الثقافة ، الديانة أو الجنس. ليقوم نظام يشعر فيه جميع السودانيين بروح انتماء و مساواة حقيقية. و تتطلب ترتيبات من هذا القبيل ، إطاراً عملياً دستورياً تتمتع فيه الأقاليم المختلفة – خصوصاً الجنوب و الشمال التى ستقرر حدودها بناء على عوامل الهوية و الاعتبارات الأمنية الميدانية – بالحرية و الاستقلال فى نطاق وحدة رمزية أو اسمية، و سواء سميت هذه الترتيبات فيدرالية أو كونفيدرالية أو أطلقت عليها تسمية جديدة ، فذلك أقل أهمية من التوزيع الفعلى للسلطات التى ستنجم عنها.

و إذا فشل هذان النموذجان فلن يكون الخيار المتبقى سوى التقسيم الذى يرفضه الطرفان المتحاربان حالياً ، على أن يُدرس بعقل ، و توضع شروطه بطريقة إيجابية و يصمم بطريقة بناءة لتشجيع نمو أُسس جديدة للتعايش و التعاون)).

٤- السياسيون المستقلون :

تشتمل هذه المجموعة على شخصيات و أسماء من الجنوبيين مثل جوزيف لاقو وجوزيف طمبرة و ماثيو أبور و أبل ألير. و قد سبقت لهم المشاركة فى الحياة السياسية السودانية أو تقلدوا مناصب تنفيذية و إدارية عليا فى البلاد، و يقيم عدد منهم فى السودان و يقيم البعض الآخر خارج البلاد ، و الرأى العام السائد بين هذه الشخصيات هو أن الفيدرالية هى الحل المناسب للموقف ، و أن طرح شعار الفيدرالية لا يكفي، لأن جوهر الفيدرالية هو معرفة تفاصيل توزيع السلطة بين الشمال و الجنوب ، و مدى و نوعية السلطات التى تمنح للولايات الجنوبية، و ليس هذا فى مجال السلطة التنفيذية فحسب و إنما يمتد إلى السلطات التشريعية و النظم التعليمية و الثقافية و توزيع الثروة و الدخل و الميزانية، خاصة عائدات البترول المنتظر فى مناطق الجنوب ... إلخ . و يرى البعض منهم أن أهل الجنوب أفارقة وسيكون من الصعب عليهم التعايش مع أهل الشمال العرب الذين يتمسكون بتطبيق الشريعة الاسلامية ، و أنه لا فرق بين الحكومة الحالية و المعارضة الحزبية ، فالحكومة تطبقها و لا رجعة عندها فى هذا، بينما المعارضة ترى التأنى و التدرج فى التطبيق .

بالإضافة إلى هذه المجموعة يمكن الاشارة إلى بعض التنظيمات الفكرية و السياسية أو العسكرية التى أفرزتها الأزمة، و إن كانت على مستويات من حيث التأثير والفاعلية بالنسبة لوجهات النظر أو المجموعات التى سبق الاشارة إليها. و من أبرز هذه المجموعات منظومة انانيا الثانية التى وقعت إتفاقاً مع الحكومة السودانية كما فصلنا من قبل . و إستطراداً تجب الاشارة إلى وجود مجموعات تعمل

أو تؤمن بوجهة النظر المعلنة من جانب الحكومة و هم من نسميهم بالمجموعات الجنوبية بالداخل ، و من ثم فتأثيرها يأتى فى إطار الموقف الحكومى للدولة السودانية. و هى المجموعات التى إرتضت بالعمل داخل الأُطر الموجودة و شاركت و ما تزال فى نظام الانقاذ ، و يمكن أن نرى وجهة نظرهم مفصلة فى (ملتقى جوبا للسلام) الذى سنورده فى نهاية هذا الفصل.

مساعى السلام فى عهد الانقاذ الوطنى :

منذ مجئ نظام الانقاذ الوطنى ، حرصت الحكومة على المضي قدماً فى طريق الحل السلمى لمشكلة جنوب السودان ، و ذلك بإعتماد أُسلوب التفاوض الهادئ لسبر غور العقد و الجزئيات التى تحيط بالمشكلة.، مع مراعاة تكامل الجهد العسكرى الميدانى و الجهد التفاوضى السلمى .

إن السمة المائزة لنهج التفاوض منذ ١٩٨٩م ، هى أن كل جولات التفاوض تتم بين الحكومة و المتمردين ، وقد ضمنت ريادة الحكومة الى طاولة المفاوضات والحوار مع الحركة بأجنحتها المتصارعة، للموقف الرسمى الوحدة والتجانس والاستمرارية و البعد عن التناقض .

بهذه الروح فاوضت الحكومة التمرد فى جولات كثيرة ، داخلية و خارجية ، وكان وفد الحكومة يؤكد دائماً على ضرورة ربط جولات التفاوض بعضها ببعض لبناء موقف عام على ما تم التوصل إليه إتفاقاً أو إختلافاً .

و فيما يلى أبرز تلك الجولات و مساعى السلام المبذولة و ما تمخضت عنه من نتائج :

١. لقاء أديس أبابا :

عُقد ذلك اللقاء، الذى كان بمثابة اختبار لحسن النوايا ، فى الفترة من ١٩ الى ٢٠ أغسطس ١٩٨٩م ، و الانقاذ ما زالت فى أسابيعها الأولى ، و ترأس وفد

الحكومة فيه العقيد الركن محمد الأمين خليفة عضو مجلس قيادة الثورة ، بينما قاد وفد الحركة الشعبية د. لام أكول .

و قدّم وفد الحكومة مشروعاً تضمن النقاط التالية :

أ. وقف إطلاق النار .

ب. ضمان إستمرار عمليات الاغاثة، خاصة (شريان الحياة) .

ج. وقف الحملات الأعلامية بين الأطراف المختلفة .

د. تأمين وسيلة إتصال مضمونة و سريعة بين الجانبين لتبادل وجهات النظر .

وبعد مداولات مكثفة في اربع جلسات متتالية طُرحت خلالها وجهات النظر حول أبعاد الموضوع وتركز النقاش على المسائل المتعلقة بإجراءات تهيئة المناخ الملائم لعملية السلام. إتفق الجانبان فى نهاية اللقاء على الآتى :

أ - إستمرار تأمين عملية الاغاثة لمتضرري الحرب .

ب- ايجاد وسيلة إتصال مضمونة و سريعة بين الجانبين .

ج- مواصلة الحوار فى وقت لاحق يتم الاتفاق عليه .

٢- مؤتمر الحوار الوطني حول قضايا السلام : (١٢)

عقب لقاء أديس أبابا جاء مؤتمر الحوار الوطنى حول قضايا السلام بالسودان الذى عقد بقاعة الصداقة بالخرطوم فى الفترة من ٩ ديسمبر الى ٢١ اكتوبر ١٩٨٩م شارك فيه ممثلون لقطاعات الشعب المختلفة وكل ألوان الطيف السياسى و الفكرى والثقافى و الدينى و الاجتماعى .

وقد خرج المؤتمر بتوصيات محددة تبنتها الحكومة وأقرتها برنامجاً للسلام. وركزت هذه التوصيات على وضع تصور لحل القضايا الهامة مثل المشاركة فى السلطة واقتسام الدخل القومى والتعبير عن التنوع الثقافى ، والهوية ، وعلاقة الدين بالدولة .

وحدد المؤتمر توزيع السلطات والاختصاصات بين الاجهزة الاتحادية والولائية بتفصيلات شاملة، وأوصى أن تراعى الدولة عند تقسيم الدخل القومى بين الولايات الاعتبارات التالية :

إختيار المشاريع التنموية الكبرى، منح الافضلية للمناطق الاقل نمواً بحسب درجة تخلفها، ثم الجدوى الاقتصادية للمشروع وكفاءة التوظيف وأثر المشروع فى تحقيق الاكتفاء الذاتى لحاجات البلاد الاساسية، وتناسب التنمية مع الكثافة السكانية، على أن يكون الاساس فى التنمية بناء الاقاليم، وتُنشأ المشاريع الكبرى فى شتى المجالات، على ان تحدد نسبة من عوائد المشروع للولاية المقر ، أما مشروعات التعدين الكبرى كالبترول وغيرها فتعتبر ثروة قومية تستفيد منها كل البلاد. وعلى الدولة الفيدرالية توجيه جزء هام من عائد تلك المشروعات لتنمية الولايات الأقل نمواً .

وحول التعبير عن التنوع الثقافى رأى المؤتمر أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد ، وهو ما انعقد عليه الاجماع منذ قيام الجمعية التشريعية فى العام ١٩٤٨م وتضمنته الدساتير المتعاقبة ، أما لغات السودان وثقافاته ووقائعه التاريخية فأسرة متضامنة متساوية.

أما بالنسبة للدين والدولة فقد أكد المؤتمر أن السودانيين أمة واحدة تجمع بينهم المواطنة ويشكل الايمان بالاديان عنصراً أساسيا فى تكوينهم وثقافتهم ، وعلى ذلك تكفل الدولة حرية العقيدة والعبادة لكل السودانيين، إذ لا أكراه فى الدين. ومن حق كل شخص مؤمن أن يسعى الى التعبير الكامل عن دينه ، وتُكفل حرية الدعوة والتبشير الدينى للجميع ، وأكد المؤتمر أن الاسلام عبادة ومعاملة. ومن حق المسلمين إتباع تشريعات دينهم فى مجالات الحياة المختلفة دون غمط لحقوق الآخرين والاضرار بهم ، والشريعة الاسلامية والعرف هما المصدران الرئيسيان للتشريع فى السودان ، أما القوانين المدنية والجنائية فتكون قومية المنشأ

والتطبيق، على أن تراعى أعراف المجموعات الاقليمية،وللولايات الحق فى إصدار تشريعات فى حدود إختصاصاتها ، ويجوز للولاية استثناء نفسها من المواد التشريعية ذات الصبغة الدينية، أما قوانين الاحوال الشخصية فتخضع للدين أو العرف الذى يتبعه الزوجان .

وقد أصدر مجلس قيادة الثورة آنذاك فى احتماع مشترك مع مجلس الوزراء فى الاول من نوفمبر ١٩٨٩م قراراً أجاز بموجبه توصيات المؤتمر واعتبرها موشرات لسياسة الدولة ، وأعتبر النظام الفيدرالى الخيار الأمثل للحكم فى السودان . وفيما بعد أصبحت مقررات هذا المؤتمر الارضية الثابتة للوفود الحكومية فى مفاوضاتها مع الاطراف الاخرى .

لقاء نيروبى الاول : (١٣)

فى أعقاب مؤتمر الحوار الوطنى حول قضايا السلام الذى أعدت فيه الحكومة برنامجها للمفاوضات مع حركة التمرد، انعقدت بالعاصمة الكينية نيروبى فى الفترة من ٢٨ نوفمبر الى ٥ ديسمبر ١٩٨٩م محادثات بين وفد الحكومة برئاسة السيد محمد الامين خليفة ووفد يمثل حركة التمرد قاده د. لام أكول ، وجرت تلك المحادثات تحت رعاية الرئيس الامريكى الاسبق جيمى كارتر. وفى هذه الجولة طرحت الحكومة برنامجها لأول مرة لحركة التمرد. وقد اعترفت حركة التمرد بأن مقررات مؤتمر الحوار الوطنى حول قضايا السلام تشكل مجموعة من المقترحات البناءة التى تصلح كأساس لحل قضايا السودان . وضُمِّنَ هذا الاعتراف فى البيان الختامى للمفاوضات. كما أكد الرئيس الاسبق جيمى كارتر أن حركة التمرد ليست لها أية أعتراضات على برنامج الحكومة .

كما تناولت المفاوضات عدداً من الموضوعات وتم الاتفاق في ختامها على الاتي:

١. عقد مؤتمر دستورى ليضع دستوراً جديداً للسودان، على أن يضم المؤتمر مختلف قطاعات الشعب السودانى، ويشمل كذلك النقابات والمثقفين ومن يعتنقون فلسفات سياسية مختلفة .

٢. عرض الدستور الذى يضعه المؤتمرون على الشعب للموافقة عليه وفق قرارات المؤتمر الدستورى .

٣. إعترف وفد التمرد كما أسلفنا بأن مقررات مؤتمر الحوار الوطنى تمثل أساساً بناءاً لحل مشكلة الجنوب .

لضمان نجاح برنامج الحكومة للسلام إتخذت الحكومة الاجراءات العملية التالية:

أ ـ تكوين لجنة النظام الفيدرالى لتفعيل توصيات مؤتمر الحوار الوطنى المتعلقة بالنظام الاتحادى .

ب ـ تم إعلان النظام الفيدرالى بتقسيم السودان الى تسع ولايات ، وقد تم استثناء الولايات الجنوبية الثلاث من تطبيق الشريعة الاسلامية عندما تم إعلانها فى يناير ١٩٨٩م .

ج ـ دعت الحكومة الى عقد مؤتمر قومى حول قضايا الدبلوماسية السودانية فى الفترة من ٧ الى ١٢ ديسمبر ١٩٨٩م بغية تحديد دور الدبلوماسية فى خدمة برنامج السلام الذى توصل اليه مؤتمر الحوار الوطنى .

<u>المبادرة الامريكية :</u>(١٤)

تقدم مساعد وزير الخارجية الامريكى للشؤون الافريقية السابق (هيرمان كوهين) بمبادرة تضمنت الفصل بين قوات الطرفين وإعلان مدينة جوبا بمنطقة منزوعة السلاح. و لم توافق الحكومة على هذه المبادرة لمساسها بسيادة و أمن البلاد .

محاولة أراب موى للجمع بين الرئيس البشير وجون قرنق:

قام الرئيس الكينى دانيال أراب موى بترتيب اجتماع بين الرئيس السودانى عمر البشير ، وقائد حركة التمرد جون قرنق فى منتصف ديسمبر ١٩٩٠م، وسافر الرئيس البشير بالفعل الى نيروبى حيث قضى يومين ، كما حضر قائد التمرد. إلا أنه رفض الاجتماع بالبشير .

مفاوضات أبوجا الاولى : (١٥)

تقدم الرئيس النيجيرى إبراهيم بابانجيدا بمبادرة لرعاية المباحثات مع حركة التمرد، وذلك عند لقائه بالرئيس البشير فى احتفالات إستقلال ناميبيا، وأكد تلك المبادرة أثناء إنعقاد القمة الافريقية بأبوجا فى يوليو ١٩٩١م .

بعد اتصالات نيجيرية مكثفة نجحت الحكومة النيجيرية فى وضع أجندة للمفاوضات بين الطرفين وتحديد موعد عقد المباحثات فى أبوجا. وكانت تلك أول مرة توافق فيها حركة التمرد على الدخول مباشرة فى القضايا الجوهرية بدون شروط مسبقة .

أثناء التحضير لمباحثات أبوجا وقع انشقاق داخل حركة التمرد فى ٢٨ أغسطس١٩٩١م ، وأصبح الفصيل الذى قاد الانفصال يعرف بجناح (الناصر) فى مقابل التيار الرئيسى لحركة التمرد الذى أصبح يعرف بجناح (توريت).

أدى هذا الانشقاق الى اعاقة الوساطة النيجيرية لبعض الوقت بسبب الاطروحات الجديدة لحركة التمرد التى عُرفت بقرارات (توريت) والتى تنادى بالكونفدرالية أو حق تقرير المصير .

على أثر اتصالات نيجيرية مكثفة مع الحركة وفصيلى التمرد عقدت الجولة الاولى من المفاوضات فى أبوجا فى الفترة من ٢٦ مايو الى ٤ يونيو ١٩٩١م ، وقد قاد

وفد الحكومة السيد محمد الامين خليفة رئيس المجلس الوطنى الانتقالى ورئيس وفد الحكومة لمفاوضات السلام، وضم الوفد :

١. العقيد شرطة جورج كنقور أروب والى بحر الغزال .

٢. د.حسين سليمان أبو صالح وزير التنمية والرعاية الاجتماعية .

٣. السيد عثمان عبد القادر عبد اللطيف وزير التشييد والاشغال العامة .

٤. د. على الحاج رئيس الهيئة العامة للاستثمار والناطق الرسمى باسم الوفد .

٥. د.عبد الله ادريس وزير العدل والنائب العام .

٦. السيد أنجلو بيدا عضو المجلس الوطنى ووزير الشؤون السياسية بولاية الاستوائية .

٧. العميد كمال على مختار من القوات المسلحة .

٨. السيد بيتر شارلمان محافظ محافظة السوباط بولاية أعالى النيل .

أما وفد الحركة (مجموعة قرنق) فكان برئاسة وليم نون وعضوية عشرة آخرين، بينما كان وفد مجموعة الناصر برئاسة د.لام أكول وعضوية أربعة آخرين.

وبعد نقاش جاد ومستفيض حول قضايا الوحدة الوطنية والهوية واقتسام السلطة والثروة والتعبير عن التعددية الثقافية والعرقية والدينية خرج المفاوضون بالآتى:

١. أن السودان بلد متعدد الاعراق والعادات والثقافات والديانات. واتفق المجتمعون على ضرورة ايجاد صيغة دستورية وسياسية تواكب هذا التنوع مثلما هو الحال فى نيجيريا .

٢. أن التفاوض السلمى هو الحل الوحيد لمشاكل السودان، واتفق على مواصلة التفاوض تحت رعاية الرئيس النيجيرى إبراهيم بابانجيدا حتى عند تخليه عن رئاسة منظمة الوحدة الافريقية .

٣. العمل على ايجاد صيغة لترتيبات انتقالية تمكن جميع الاطراف من إعادة بناء الثقة واقتسام السلطة والثروة وتحقيق التنمية المتوازنة .

٤. إنشاء لجنة قومية لتوزيع الثروة والدخل القومى على أسس متساوية فى أطار الاجراءات الانتقالية .

٥. مواصلة المفاوضات فى موعد لاحق تحدده الحكومة النيجيرية لمناقشة الاجراءات الانتقالية. تجدر الاشارة الى أن فصائل الحركة توحدت أثناء المفاوضات تحت قيادة وليم نون الرجل الثانى فى جناح توريت.

ومن جانبه أعلن قرنق رفضه لما تم التوصل اليه فى أبوجا الاولى فى مؤتمر صحفى عقده فى كمبالا، بحجة أن وليم نون قد تجاوز التفويض الممنوح له، مما أدى الى انشقاق آخر بقيادة وليم نون لتصبح الحركة منقسمة الى ثلاث فصائل .

تمهيدا للجولة الثانية للمباحثات فى أبوجا قدم جون قرنق ورقة للحكومة النيجيرية أصر فيها على تبنى نظام الكونفدرالية وقيام دولتين منفصلتين فى السودان لكل منهما دستورها ومؤسساتها وقواتها المسلحة وعلاقاتها الخارجية، وذلك فى خروج واضح عن مقررات أبوجا الأولى التى نادت بإيجاد صيغة دستورية فى إطار السودان الموحد .

إزاء هذا الموقف المتعنت من جناح توريت تعثرت جهود نيجيريا لعقد جولة جديدة لمفاوضات أبوجا لبعض الوقت، كما تعثرت جهود ومبادرات عديدة تقدم بها الرئيسان دانيال أراب موى رئيس كينيا ويورى موسفينى رئيس يوغندا ، ولم يحدث انفراج إلا بعد لقاء د. على الحاج محمد الناطق الرسمى باسم وفد الحكومة لمفاوضات السلام مع العقيد جون قرنق قائد جناح توريت فى عنتيبى بيوغندا فى ٢٣ فبراير ١٩٩٣م .

مفاوضات فرانكفورت : (١٥)

قدمت الحكومة مبادرات للالتقاء بقادة مجموعة الناصر لاستجلاء الموقف في سبيل البحث عن السلام أثمرت عنها عدة لقاءات في لندن ونيروبي وتوجت أخيراً ببيان فرانكفورت الذي صدر في ٢٥يناير ١٩٩٢م والذي وافقت فيه مجموعة الناصر على قبول النظام الفيدرالي كأساس لحل مشكلة الجنوب .

مفاوضات عنتيبي ١٩٩٣م :

تمت هذه المفاوضات مع حركة التمرد (فصيل توريت) خلال يومي ٢٣~٢٤ فبراير ١٩٩٣م بمدينة عنتيبي اليوغندية بدعوة من الحكومة اليوغندية، وقاد د. على الحاج وفد الحكومة، بينما ترأس وفد الحركة جون قرنق نفسه. جرت هذه المفاوضات تحت الاشراف المباشر للرئيس اليوغندي يوري موسيفني بقصر الرئاسة. وقد ناقش الوفدان العديد من الموضوعات ، وتمخض ذلك عن بيان حوى النقاط التالية :

١. التيار الرئيسي للجيش الشعبي لتحرير السودان مستعد وراغب في الذهاب الى أبوجا الثانية دون شروط مسبقة .

٢. الحكومة السودانية أيضاً مستعدة للذهاب الى أبوجا الثانية ولكن بعد عقد مباحثات أولية مع التيار الرئيسي للجيش الشعبي .

٣. دون إخلال بما ورد في الفقرة الأولى ، وافق الجيش الشعبي لتحرير السودان على عقد المباحثات الأولية في أبوجا ووافق وفد الحكومة السودانية على ذلك .

وفق لقاء عنتبي أكد جون قرنق إلتزامه التام بما ورد في اتفاق أبوجا الأولى، بل أعلن التزامه باى إتفاق يتم التوصل اليه مع ممثليه في مفاوضات أبوجا الثانية. كما أكد التزامه ببحث القضايا في إطار السودان الموحد، وأنه سيحضر أبوجا الثانية بدون شروط مسبقة .(١٧)

٩. إجتماع نيروبى مع وفد الحركة (الفصيل الموحد) :

عقدت هذه المفاوضات بالعاصمة الكينية نيروبى فى الثالث والعشرين من أبريل ١٩٩٣م ، بين وفد الحكومة برئاسة الأستاذ على عثمان محمد طه عضو المجلس الوطنى الإنتقالى ووفد حركة التمرد (الفصيل الموحد) برئاسة كاربينو كوانجين ، وذلك فى أعقاب الاجتماع الأول الذى عقد تحت رعاية الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر مع وفد التمرد برئاسة كاربينو كوانجين .

ناقش الوفدان ورقة مقدمة من الفصيل الموحد حول الخطوات الإجرائية، وصدر بيان مشترك عن الإجتماع جاء فيه أن المباحثات هدفت الى بحث سبل تحقيق السلام وحل مشكلة الصراع الحالى فى السودان ، ووصف البيان المباحثات بأنها كانت صريحة وجادة . وجدد الجانبان تأكيد التزامهما بالمبادئ التى وضعت فى مؤتمر السلام بأبوجا مايو / يونيو ١٩٩٢م بإعتبارها الأساس للوصول الى السلام فى البلاد .

وقد ناقش هذا اللقاء ورقة تفصيلية عن الخطوات الإجرائية قدمها وفد الحركة، واتفق الجانبان على عقد إجتماع آخر فى مايو من ذات العام. (١٨)

١٠.مفاوضات نيروبى مع الفصيل المتحد : مايو ١٩٩٦م :

إستكمالاً للمحادثات السابقة مع الفصيل الموحد عقد إجتماع نيروبى فى الفترة من ١٠ الى ٢٥ مايو ١٩٩٣ ، وقد تزامن مع مفاوضات أبوجا الثانية ، وأعلن عن قيام الفصيل المتحد فى مارس ١٩٩٣ م، وذلك إثر إتحاد جناح الناصر ومجموعة وليم نون ومجموعة كاربينو كوانجين، وجميعهم من المنشقين على جون قرنق. بدأت مفاوضات نيروبى من حيث انتهت مفاوضات أبوجا الأولى، وركزت على موضوع الإجراءات السياسية الإنتقالية التى من شأنها الإفضاء الى حل سلمى وإستقرار دائم .وتناولت موضوعات اقتسام السلطة

والثروة وإعادة التعمير والإجراءات الأمنية ودور الديـن وموضـوع الإسـتفتاء فـى نهاية الفترة الإنتقالية .

وكان قد ترأس وفد الحكومة الأستاذ أحمـد ابراهيـم الطـاهر رئيـس لجنـة الحسبة الإدارية بـالمجلس الوطنـى الإنتقـالى، وكـان وفـد الحركـة الموحـدة برئاسـة د. لام أكول.

إتفق الطرفان على أن الإجراءات الإنتقالية ستكون فى إطار السودان الموحد تحت حكم إتحادى، واتفقـا علـى إقتسـام السـلطة ومشـاركة الجنـوب فـى المؤسسـات الدسـتورية والسياسية على المستوى القومـــى ، وضمانــات حقــوق الإنســان والاستفتاء فى الجنوب .

ولم يتفق الطرفــان علـى موضـوع الاجـراءت الأمنيـة فـى الجنـوب خـلال الفـترة الإنتقالية ،كما لم يتم حسم موضوع الجنوب وما إذا كان سيبقى كياناً واحـداً أم يقسم الى كيانات أصغر .

فيما يتعلق بموضـوع الشـريعة الإسـلامية إتفـق الطرفـان علـى صيغـة تكـون فيهـا القوانين القائمة على المبادئ الأساسـية مطبقـة علـى المسـتوى القومـى شـريطة أن يكـون للولايـات الحـق فـى سـن التشـريعات المكملـة للتشـريعات الفيدراليـة فـى الموضوعات الخاصة بها . وتمارس الولايات هذه السلطة فى الموضوعـات المصنفـة تحت سلطتها أصلاً. ويشمل ذلك التقرير القوانين العرفية . كما لم يتفق الطرفـان على مدة الفترة الإنتقالية التى يجرى الإستفتاء خلالها. (١٩)

١١.مفاوضات أبوجا الثانية :

التقى وفد الحكومة مع وفد التيار الرئيسـى لحركـة التمـرد فـى مباحثـات تمهيديـة حسبما تم الإتفاق عليه فى عنتبى ، وجـرت المباحثـات التمهيديـة فـى الفـترة مـن ٢٦ – ٣٠ أبريل ١٩٩٣م، تلتها المباحثات الرسمية فى الفترة مـن ١ الى ١٧ مـايو ١٩٩٣م ، وهى ما عرف بمفاوضات أوجا الثانية، وهـى إمتـداد لأبوجـا الأولى .

ترأس وفد الحكومة السيد محمد الأمين خليفة رئيس المجلس الوطنى الإنتقالى، بينما ترأس وفد الحركة سلفاكير .

بذلت نيجيريا جهوداً مقدرة لتقريب وجهات النظر فى المسائل المختلف عليها. وعندما أوشكت هذه الجهود أن تكلل بالنجاح وشرع الوسطاء النيجيريون فى وضع مسودة البيان الختامى، وصل جون قرنق الى أبوجا وأصر على إدخال بند جديد ينص على أيلولة السلطات المتبقية - بعد توزيع سلطات المركز والولايات - إلى الولايات، ورفض وفد الحكومة هذا الطرح واعتبره مزايدة، نظراً لأن الموضوع مقحم ولم تتم مناقشته من قبل، فضلاً عن أن الطرح مخالف لطبيعة النظم الاتحادية التى تقضى بأيلولة صلاحية السلطات المتبقية الى المركز وليس الولايات . واعتبر وفد الحكومة هذا الموقف ذريعة لابطال المفاوضات، وهو الهدف الذى جاء من أجله قرنق قبل يوم واحد من نهاية المفاوضات بعد ان كان فى زيارة لأمريكا . إنفضت مفاوضات أبوجا الثانية دون الوصول الى بيان مشترك. على أن فريق الوساطة النيجيري أصدر بياناً صحفياً أجمل فيه سير المحادثات وعدد نقاط الاتفاق والاختلاف واقترح عودة الوفدين الى رئاستيهما للحصول على توجيهات جديدة بشأن المسائل المعلقة. وجاءت حصيلة البيان الصحفى النيجيرى على النحو التالى :

١. إتفق الطرفان على أن يتم حل المشكلة بالوسائل السلمية .

٢. واتفقا على ان السودان قطر متعدد الثقافات والاعراق والاديان .

٣.وعلى توزيع الثروة واقتسام السلطة بعدالة .

٤. وعلى تأكيد الاهتمام باعادة تعمير المناطق المتأثرة بالحرب واعادة توطين النازحين من مواطنيها .

٥. واتفقا على ان تقدم الحكومة والامم المتحدة والمنظمات غير الحكومية الاغاثة الى المتضررين من الحرب .

٦. أعرب المشاركون فى المفاوضات عن نية متبادلة من أجل إقامة السودان الموحد الذى تكون المواطنة فيه والعلاقات الاخوية على أساس المشاركة فى السلطة والثروة.

٧. يكون النظام الديمقراطى مؤسساً على المشاركة فى المؤتمرات الشعبية والنظام السياسي للحركة الشعبية لتحرير السودان.

٨. المواطنة هي أساس الوحدة الوطنية وأساس المشاركة فى العمل السياسى والاقتصادى والاجتماعى دون تمييز على أساس العرق أو الدين أو النوع .

٩. تعمل الاجهزة الحكومية على إبراز كل الاوجه الثقافية والعرقية المتعددة والقيم الاجتماعية وإتاحة الفرصة لها للتعبير عن ذاتها دون تعصب أو محاباة .

١٠. حق الاعتقاد وممارسة العبادة مكفول لكل المواطنين مع حرية تربية النشء وفقاً للقيم الدينية التى يعتنقها الابوان .

المواضيع التى تم الفصل فيها :

١. أكدت الاطراف المتفاوضة تمسكها بوحدة الاراضى السودانية وأن يتم حكم السودان فى الفترة الانتقالية بنظام لامركزى .

٢. اتفقت الاطراف على تضييق هوة الصراع وفقدان الثقة بينها والعمل من أجل بناء الثقة حتى تتم إدارة السودان جماعياً أثناء الفترة الانتقالية على أساس السلام المرتقب .

٣. جددت الاطراف العهد على إحلال السلام والاستقرار فى البلاد .

٤. تعين لجنة لتوزيع الدخل فى الفترة الانتقالية وإقامة مفوضية للتعمير .

٥. اتفقت الاطراف على توزيع السلطات بين الاجهزة الاتحادية والولائية حسب التفاصيل التالية :

أولاً :- السلطات الاتحادية :

١. المواطنة والجنسية والاجانب .

٢. العملة وسك النقود .

٣. الهجرة من والى السودان .

٤. الاحصاء السكاني واللجنة الدائمة للإنتخابات .

٥. خطوط النقل: المائي - والطيران - والسكك الحديدية - والملاحة البحرية

٦. الجوازات والتأشيرة .

٧. البريد والبرق والتلفون .

٨. الدّين القومي على السودان .

٩. خدمات الأرصاد الجوية.

١٠. الموازين والمكائيل ومقاييس الزمن.

١١. صيد الاسماك خارج المياه الإقليمية .

١٢. التعدين في المياه الاقليمية والشريط القارى .

١٣. تنظيم المهن والمستويات الوظيفية بما فى ذلك وسائل التوجيه. ويتم وضع الامتحانات باللغتين العربية والانجليزية .

١٤. يجوز للولايات إبرام الاتفاقيات فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع أطراف خارجية بما لا يتعارض مع السياسة الاتحادية فى هذه المجالات .

ثانياً :- السلطات المشتركة :-

١. الاذاعة والتلفزيون. إذ يجوز لكل ولاية اعداد البرامج التى تخدم قضاياها المحلية طبقاً لموجهات قانونها .

٢. جباية الضرائب ووسائل الدخل الاخرى .

٣. توليد الطاقة الكهربائية .

٤. تجارة الحدود مع دول الجوار .

٥. البحث العلمي والتقنى والتخطيط القومى .

٦. التخطيط التربوى على كل المستويات من مستوى الاساس وحتى الجامعى وتطوير المناهج وتحسين إدارة مؤسسات التعليم .

٧. التنمية التجارية والصناعية .

٨. موضوع صيد الاسماك .

ثالثاً :- المواضيع التى لم يتم الاتفاق حولها :

١. رقابة التبادل النقدى .

٢. الجمارك والتجارة الخارجية .

٣. ضرائب الصادر .

٤. تطبيق الاتفاقيات .

٥. البنوك وإدارتها .

٦. التعدين فى اليابسة .

٧. نشاط الارساليات .

٨. الوضع القانونى للجنوب خلال الفترة الانتقالية :من حيث الترتيبات المتعلقة بالأمن والشوون العسكرية .

٩. القضاء .

١٠. السيادة فى السلطات المشتركة في حالة التنازع .

١١. قوانين الشريعة الاسلامية .

١٢. الاستفتاء .

١٣. دستور الحكومة الاتحادية خلال الفترة الانتقالية .

١٤. أمد الفترة الانتقالية .

أكدت مفاوضات أبوجا الثانية بما لايدع مجالاً للشك دور التدخلات الخارجية فى عرقلة مساعى السلام ، كما أكدت وقوع حركة التمرد تحت تأثير

الضغوط الخارجية. وقد اتضح ذلك من خلال تردد الحركة فى اتخاذ مواقف واضحة ، وذلك انتظارا لما ستسفر عنه الضغوط على السودان .

الحملة الاعلامية الغربية المعادية والمكثفة على السودان إبان إنعقاد المفاوضات أفرزت ظلالاً من الشك فى مصداقية الحكومة وجديتها فى البحث عن سلام عادل ودائم ، وبالتالى خلقت مناخاً غير صحى للمفاوضات. ففى الوقت الذى كان فيه المفاوضون ينتظرون جون قرنق قائد الحركة للحضور الى أبوجا حسب اتفاق عنتيبى السابق ذكره ، كان هو يتحرك بحرية تامة فى الساحتين الامريكية والاوروبية ويقابل كبار المسؤولين هناك ، وتقدم اليه كل التسهيلات لترويج دعاواه بشأن المناطق الآمنة بالجنوب وكفالة حق تقرير المصير للجنوب ، إضافة الى وضع السودان فى قائمة الدول الراعية للارهاب .

وفى ختام تلك المباحثات أبدت نيجيريا استعدادها لمواصلة جهودها فى التوصل الى حل عادل للنزاع فى جنوب السودان. (٢١)

١٢- مبادرة دول الايقاد : مارس ١٩٩٤م :

تواصل ترحيب نظام الانقاذ بكل جهد مخلص لتحقيق السلام فى السودان بدءاً بمبادرة الرئيس النيجيرى الاسبق ابراهيم بابانجيدا ومرورا بجهود الرئيس اليوغندى يورى موسيفنى، ومن قبل الرئيس الامريكى الاسبق جيمى كارتر. لهذا جاء ترحيب الحكومة السودانية بالمبادرة التى طرحتها قمة الهيئة الحكومية للتنمية ومكافحة التصحر (إيقاد) التى عقدت فى الفترة من ٦ الى ٨ سبتمبر ١٩٩٣م بأديس أبابا والتى تضم فى عضويتها بجانب السودان رؤساء كلٍ من كينيا، يوغندا ، أثيوبيا ، أريتريا ، والصومال وجيبوتى.

تكونت لجنة رباعية من هذه الدول برئاسة الرئيس الكينى دانيال أراب موى وعضوية كلٍ من رؤساء يوغندا، أريتريا ، أثيوبيا لتقديم المساعدة للاطراف المتنازعة لتحقيق السلام فى جنوب السودان. وقد أعرب السودان من خلال

تصريحات رأس الدولة فى المؤتمر الصحفى الذى عقده بـأديس أبابا عقب انتهاء تلك القمة عن ترحيبه وتقديره للمبادرة الرباعيـة. وعـبر عـن الامـل فـى أن تـأتى مكملة لجهـود نيجيريـا (كـانت مفاوضـات نيجيريـا قـد توقفـت بعـد التطـورات السياسية التى حدثت فى نيجيريا وتنازل الرئيس بابانجيدا عـن السـلطة فـى نهايـة أغسطس ١٩٩٣م) .

عقدت اللجنة عدة لقاءات بالعاصمة الكينيـة نـيروبى فـى السـابع عشـر مـن مارس ١٩٩٣م شارك فيها الرئيـس عمـر حسـن أحمـد البشـير رئيـس الجمهوريـة بالسودان وقادة فصيلى حركة التمرد . وفى أعقاب لقاءات منفردة للفريق البشير مع الرئيس الكينى من جانب، ولقاءات مماثلة بـين قـادة فصيلـى التمـرد والرئيـس موى من جانب آخر ، وبعد نقاش مستفيض، صدر بيان من لجنة الايقـاد حـول تلك الاتصالات تضمن النقاط المحورية التالية :

١. مع الاخذ فى الاعتبار كل مساعى السلام السابقة ترى اللجنة أنـه تم الاتفـاق على خلق مناخ ملائم للمحادثات. وعلى أطراف النزاع أن تتحلى بضبط النفـس وأن تمتنع عن أى تصرف يؤدى الى تصعيد العداء ويعوق مبادرة الايقاد للسلام .

٢. علـى أطـراف الـنزاع أن ترسـل وفـوداً ذات مسـتوى عـال للاشـتراك فـى المفاوضات، على أن تكون مفوضة تفويضاً كاملاً للبت فى الامور .

٣. أن تسمح أطراف النزاع لوكالات الاغاثة بالوصول الى المناطق المتأثرة بالحرب لإيصال الاغاثة الى المحتاجين اليها .

٤. أن تصادق أطراف النزاع على الطلب المرفوع من قبل لجنة الايقاد الى المجتمـع العالمى لإيصال الاغاثة الى المحتاجين اليها.

٥. أن يوافق أطراف الـنزاع علـى التفويـض الممنـوح للجنـة وزراء خارجيـة دول الايقاد لوضع إطار وبرنامج عمل لإجراء مباحثات السلام اعتباراً من تـاريخ هـذا البيان .

وقد تم تكوين اللجنة المشار اليها فى البند (٥) وعقدت احتماعاً بين أطراف النزاع فى ذات الشهر ، وكان وفد الحكومة برئاسة الدكتور على الحاج محمد الناطق الرسمى باسم وفد السلام والوزير بديوان الحكم الاتحادى . وقد وافق الاجتماع على فصل موضوع الاغاثة عن بقية المواضيع. وتم تشكيل لجنة مختصة لذلك ، وحدد تاريخ السادس عشر من مايو ١٩٩٤م موعداً للإجتماع الثانى للجنة نيروبى . (٢٢)

١٣- إجتماع نيروبى فى إطار مبادرة الايقاد - مايو ١٩٩٤م :

مواصلة لمفاوضات نيروبى الاولى وما تلاها من لقاءات، عقدت جولة جديدة من المفاوضات بالعاصمة الكينية فى الثامن عشر من مايو ١٩٩٤م لمدة يومين بعد أن تأخرت ثلاثة أيام عن موعدها المتفق عليه بسبب تأخر وفد التمرد (فصيل قرنق). وقد رأس وفد الحكومة السيد محمد الامين خليفة رئيس المجلس الوطنى الانتقالي، ورأس وفد فصيل قرنق سلفاكير، وقاد وفد الفصيل المتحد ريتشارد مولا .

وتناولت المفاوضات القضايا الاساسية وخرجت بمشروع لاعلان المبادئ غير ملزم لكافة الاطراف . طرحت حركة التمرد فى هذه الجولة ولأول مرة حق تقرير المصير، وهو الامر الذى رفضه وفد الحكومة واعتبره مناورة جديدة تهدف الى عرقلة جهود السلام ، وكانت الحكومة السودانية قد قدمت ورقة حول قضايا الدين والدولة والتنوع الثقافى وحقوق المواطنة فى السودان . وأدى تأخر وصول وفدى حركة التمرد ثلاثة أيام عن الموعد المحدد للمفاوضات الى عدم التمكن من بحث هذه القضايا الاساسية التى طرحها وفد الحكومة .

وفى ختام تلك الجولة تم الاتفاق على عقد جولة جديدة من المفاوضات فى الثامن من يوليو ١٩٩٤م. (٢٣)

١٤- اتفاقية الاغاثة للمتضررين من الحرب :

إلتزمت الحكومة السودانية بنقل الاغاثة الى المتضررين من المواطنين فى مناطق العمليات والمناطق غير المحررة، وذلك فى إطار عمليات شريان الحياة ١/٢/٣ التى تتم بالاتفاق بين حكومة السودان والامم المتحدة وحركة التمرد .

ومما يثبت جدية الحكومة، سماحها لكثير من المنظمات بالاستمرار فى عملية شريان الحياة مع علمها بالتجاوزات الخطيرة التى تحدث نتيجةً لذلك بالجنوب. وفى هذا الاطار قامت الحكومة بتكوين لجنة عليا لإغاثة المتضررين بمنطقة السوباط، فكانت إنطلاقة البوارج محملة بالإغاثة من كوستى الى تلك المناطق خير دليل .

وقد وقعت الحكومة على مجموعة من الاتفاقيات داخل السودان وخارجه فى إطار توصيل الاغاثة الى الجنوب نذكر منها : الاتفاق الذى تم بنيروبى فى ديسمبر ١٩٩٢م بين حكومة السودان وفصائل حركة التمرد الثلاث والامم المتحدة والذى يقضى بفتح طرق برية ومائية وجوية لايصال المعونات الغذائية، ومن ثم اعقبتها مجموعة الاتفاقات الموقعة بين الحكومة من جانب والامم المتحدة والمنظمات الدولية غير الحكومية من جانب آخر والتى كانت بالخرطوم فى يناير ١٩٩٣م واشتملت على الجوانب الاجرائية والسياسات والضوابط المتفق عليها لعمل المنظمات غير الحكومية .

وفى السابع عشر من مايو ١٩٩٤م تم التوقيع على اتفاق بين الحكومة وفصيل حركة التمرد على فتح الممرات لنقل الإغاثة الى المناطق المتأثرة بالحرب والجفاف بالجنوب حسبما اتفق عليه فى الجولة الاولى لمفاوضات نيروبى عندما تم فصل القضايا الاساسية عن القضايا الانسانية المتمثلة فى الاغاثة والغذاء، وذلك تحت أشراف لجنة الايقاد .

ووقع على الاتفاق من جانب الحكومة ابراهيم أبوعوف وزير الدولة بوزارة التخطيط الاجتماعي، وعن مجموعة قرنق دينق ألور، وعن المجموعة الموحدة سايمون موري، وشهد على الاتفاق زكريا أولي يونكا رئيس اللجنة المصغرة للإغاثة والمساعدات الانسانية، ووزراء خارجية دول الايقاد، وتلاكسلار ممثل السكرتير العام للامم المتحدة للشؤون الانسانية في السودان، وسفراء دول أثيوبيا ، يوغندا وأريتريا بنيروبي وسفير كينيا بالسودان .

ونص الاتفاق على نقل الاغاثة بالممرات الجوية والبرية والنهرية والسكك الحديدية وفقاً لمسارات محددة، على أن تضمن كل الاطراف سلامة العاملين في نقل الاغاثة ووسائل نقلها، ويتم ذلك وفق الشروط التي يتفق عليها في ما يتعلق بكل ممر على حدة.

وبجانب الاغاثة تم الاتفاق على مبادىء وجداول زمنية لفتح ممرات جوية منفصلة لتطعيم الاطفال دون الخامسة حسبما ورد في اتفاقية الايقاد في مارس ١٩٩٤م .

وقد نص الاتفاق ايضاً على أن تكون لجنة الايقاد للوساطة وعملية شريان الحياة مسؤولة عن متابعة تنفيذ الاتفاق .

ومن خلال تلك المفاوضات أكد وفد الحكومة أن الحكومة السودانية اتخذت كل السبل لانجاح عملية شريان الحياة وتحسينها، باعتبارها تجربة سودانية فريدة أصبحت ملكاً للسودان، وأهداها الى العالم. إذ أصبحت تطبق في كثير من مناطق النزاع في العالم . وأكدت الحكومة التزامها الكامل بتنفيذ هذه الاتفاقات .

١٥- مفاوضات السلام في اطار الايقاد (نيروبي) يوليو١٩٩٤م :(٢٤)

لقد كانت أبرز نتائج الجولة الاولى من مفاوضات ايقاد ـ نيروبي هو الاتفاق على ممرات الاغاثة في اطار عملية شريان الحياة ـ السودان .

أما هذه الجولـة فقـد أنيطـت بهـا مناقشـة أشـكال التسـوية النهائيـة للحـرب فـى الجنوب. ويشمل ذلك:

١. شكل الدولة وهويتها .

٢. مصدرية القانون .

٣. الترتيبات الانتقالية .

٤. وقف إطلاق النار .

تشكيل الوفود :

تشكل وفد الحكومة الى محادثات الايقاد بنيروبى فـى جولتهـا الثانيـة علـى النحـو التالى :

١. السيد محمد الامين خليفة رئيس المجلس الوطنى الانتقالى رئيساً للوفد .

٢. د. على الحـاج محمـد الوزيـر بديـوان الحكـم الاتحـادى عضـواً وناطقـاً باسـم الوفد .

٣. د. نافع على نافع وزير الدولة برئاسة الجمهورية عضواً.

٤. السيد أحمد ابراهيم الطاهر وزير الدولة للشـؤون القانونيـة برئاسـة الجمهوريـة عضوا .

٥. السيد جوانج تونج رئيس لجنة السلام بالمجلس الوطنى الانتقالى عضوا.

٦. السيدة أقنس لوكودو والى ولاية بحر الجبل عضواً .

٧. السفير ميثانق ملوال مدير إدارة السلام بوزارة الخارجية عضوا.

٨. السيد بيتر شارلمان وزير السلام واعادة التعمير بأعالى النيل عضوا.

٩. السيد موسى سيد أحمد مقرر لجنة السلام بالمجلس الوطنى عضوا.

١٠. الاستاذ أحمد كمـال الديـن عضـو المجلـس الوطنـى الانتقـالى ورئيـس تحرير صحيفة (سودان ناو) عضوا.

تشكيل وفد التمرد :-

* تشكل وفدا حركة التمرد على النحو التالى :

جناح قرنق :

سلفاكير رئيساً ، وعضوية كلٍ من يوسف كوة مكى ، دينق ألور، بيتر نيوت كوت، باقان أموم ، اليجا ملواك .

جناح مشار :

ريتشارد مولا رئيساً ، وعضوية كلٍ من دول أشول ، سايمون مورى ، دانيال كوت ماثيوس ، بيتر عبد الله سولي ، بيتر أدوك .

كلمة الرئيس دانيال أرب موى :

* افتتح الرئيس الكينى دانيال أراب موى المؤتمر رسمياً نيابة عن رؤساء دول الايقاد بكلمة افتتاحية القاها فى الجلسة الاولى فى مبنى (دار الدولة) فى نيروبى وذلك فى ١٩يوليو ١٩٩٤م . واعرب فيها عن سعادته بتجاوب وفد حكومة السودان ووفدي حركة التمرد مع وساطة (الايقاد) بعقد هذه الجلسة من المفاوضات . وأبلغ موى الوفود المتفاوضة بأن هناك انطباعاً عاماً بأن محادثات السلام السودانية قد طال زمانها دون نتائج ملموسة. وتمنى أن تكون هذه الجولة هى النهائية التي يتحقق فيها السلام الشامل فى السودان . وأشاد موى بكلٍ من بريطانيا التى تبرعت بمبلغ ٢٥ الف جنيه استرلينى ، هولندا التى تبرعت بمبلغ ٤٠ الف دولار ، النرويج التى تبرعت بمبلغ مائة الف دولار .. وذلك دعماً لمبادرة الايقاد .

* وأعلن موى أن وزير البحث العلمى والتكنولوجيا فى حكومته د. زكريا اونيوكا، سيرأس جلسات المؤتمر عوضاً عن وزير خارجيته الذى غادر فى جولة خارجية .

مسودة إعـلان المبادئ :

بـدأت المفاوضـات رسمياً بـين الوفـود فـى ٢٠ يوليـو ١٩٩٤م . وقـد اعتـبرت سكرتارية الايقاد ، المكونة من وزراء خارجية كل من أريتريا ، يوغندا ، كينيـا ، أثيوبيا مسودة إعلان المبادىء الصادرة عن المجموعة فـى ٢٠ مـايو ١٩٩٤م ـ أى عقب نهاية الجولة الاولى ـ اساساً لأجندة المؤتمر . ومن أهم معالم تلك الورقة:

* أن طبيعة وتاريخ الصراع فى السودان تفيد بأنه لايمكن الركـون كليـة الى الحـل العسكرى .

* على جميع أطراف الصراع أن تتفق على أن الحل السياسى والسلمى العادل هـو المبدأ المشترك بينهما .

* يجب التأكيد على حق شعب جنوب السودان فى تقرير المصير عبر استفتاء يتـم فيه تحديد وجه المستقبل .

* يجب أن تعطى الاولوية للحفاظ على وحدة السودان ، ولكن شريطة أن تراعـى الاطر القانونية والسياسية والاقتصادية بتضمين المبادىء الآتية :

١. السودان مجتمع متعدد الاعراق والثقافـات والاديـان . ولذلـك يجـب التشـديد على ضرورة الاعتراف والاستيعاب لهذا الواقع المتنوع .

٢. المساواة الكاملة فى المجالين السياسى والاقتصادى يجب أن يضمنها القانون .

٣. يجب أن يعطى جميع سكان السودان الحق فـى الادارة الذاتيـة الموسـعة سـواء كان ذلك على قاعدة الحكم الاتحادى أو الذاتى أو غيره .

٤. يجب أن تنشأ دولة علمانية ديمقراطيـة فـى السـودان ، علـى أن تضمـن حريـة العقيدة والممارسة الدينية لكافة مواطنى السودان .وعلى هـذا المنـوال يجـب فصـل الدين عن الدولة ، مع جواز بقـاء الديـن والعـرف كمصدريـن لقوانـين الاحـوال الشخصية والاسرة .

٥. يجب تحقيق الاقتسام العادل للثروة بين كافة شعوب السودان .

٦. إن حقوق الانسان المشروعة دولياً يجب أن تكون جزءاً لا يتجزأ من هذه الترتيبات ، ويجب أن تضمن فى الدستور .

٧. يجب تقرير مبدأ استقلال القضاء فى نصوص دستور وقوانين السودان .

* اذا لم يتوفر الاتفاق حول البنود من ١ الى ٧ أعلاه ، يحق لمن يعنيهم الامر اللجوء الى خيار تحديد مستقبلهم، بما فى ذلك (الاستقلال) عبر استفتاء .

* يجب السعى الى الاتفاق على الفترة الانتقالية، على أن يتم التفاوض بين الاطراف على المهام والفترة الزمنية .

* يجب على الاطراف مناقشة اتفاقية وقف إطلاق النار لتكون جزءاً من التسوية الشاملة للصراع فى السودان .

* لقد أفادت سكرتارية المؤتمر وفد الحكومة السودانية بأن مسودة إعلان المبادىء هى فى الواقع صياغة لاوراق المواقف التى تقدمت بها كلٍ من الاطراف الثلاثة ، وذلك فى نهاية الجولة الاولى . وبعد نقاش مركز رفض وفد الحكومة السودانية النقاط التالية من ورقة الاعلان :

- حق تقرير المصير .
- علمانية الدولة .
- الاستقلال ، فى حالة عدم الاتفاق ، عبر استفتاء .

<u>كان رد وفد الحكومة على مسودة إعلان المبادىء على النحو التالى :</u>

لخص الوفد وجه نظر الحكومة السودانية حول مسودة إعلان المبادىء بورقة مكتوبة سلمت الى اللجنة الدائمة للايقاد التى تدير جلسات المؤتمر . قبل فيها معظم ماجاء فى الورقة، ورفض النقاط المتعلقة بالعلمانية ، وحق تقرير المصير والاستفتاء فى صيغته العمومية . واقترح الوفد النقاط البديلة التالية :

* الشريعة والعرف هما مصدران للتشريع .

* حقوق الانسان المتعارف عليها دولياً والتى يقرها الجهاز التشريعى السودانى تعتبر جزءاً لايتجزأ من هذه الترتيبات .

* التأكيد على وحدة السودان .

اتجهت جلسات المؤتمر الى مناقشة المسائل الخلافية بشكل مفتوح من الوفود الثلاثة تحت رعاية الوسطاء وإدارتهم . ودار أكثر الحديث حول علمانية الدولة وحق تقرير المصير ثم الاستفتاء . وهذه هى النقاط الثلاث التى وردت فى إعلان المبادئ الذى تقدمت به الايقاد .

* كان موقف وفد الحكومة السودانية واضحا فى مسألتي علمانية الدولة وتقرير المصير . ففى موضوع العلمانية رأى أنه تم نقاشها وبحثها فى اللقاءات السابقة خاصة أبوجا الاولى والثانية . وأكد أنه لاتنازل عن مبدأ حق الاغلبية المسلمة في العيش حسب الشريعة الاسلامية وتطبيق الاحكام المنظمة للدولة ومعاملاتها، مع جواز استثناء غير المسلمين من أى أحكام ذات صبغة دينية، بما فى ذلك القانون الجنائى أو النصوص المشرعة للحدود فيه .

ويبدو أن حركة التمرد بجناحيها هذه المرة لم تجد منطقاً مقنعاً يدعم دعوى علمانية الدولة. واستخدمت ذلك للمناورة حول وحدة السودان . واستطاع وفد الحكومة تبديد مخاوف بعض وسطاء الايقاد ، الذين ظنوا أن أمر الاسلمة فى السودان يعنيهم، باعتبار أن شعوبهم المسلمة قد تتأثر ايجابياً بما يدور فى السودان مستقبلاً ، وأن لا ضمانات فى ذلك . وأكد أنه ليس من العدل أن تهضم الأقلية حقوق الاغلبية بأن تمحو تاريخها ، بل العدل هو أن تتمتع كل من الاغلبية والاقلية بكافة الحقوق السياسية والاقتصادية وتتبادلا الاحترام. واستقر راى الوفود الثلاثة على أن لا يشار فى دستور جمهورية السودان الاتحادية المقترح الى دين الدولة الرسمى. ولكن يجب النص على أن الشريعة الاسلامية والعرف هما مصدران رئيسيان للتشريع .

* وفشل وفدا حركة التمرد فى إقناع المؤتمر بأن تطبيق الشريعة تسبب فى أى نوع من أنواع الاضطهاد الدينى أو التفرقة لمواطنى الجنوب. وعموماً تم تجاوز هذه النقطة بقبول مقترح وفد الحكومة وعدم اعتبار العلمانية شرطاً لازماً للوحدة .

* اما النقطة التى نالت جدلاً كثيراً ، فهى قضية (تقرير المصير). إذ أصر وفدا حركة التمرد على اعتبار موافقة الحكومة على حق تقرير المصير لشعب الجنوب وشعوب جبال الانقسنا وجبال النوبا ،مفتاحا لأية تسوية فى السودان. وابدى جناح قرنق بعض المرونة فى هذه النقطة رغم محاولة بيتر نيوت كوت ممارسة التشدد وتضييق مساحة الاتفاق بالاصرار على كلمة (تقرير المصير).

* وعموما تمثل موقف وفدى التمرد بالتأرجح حول نقطة تقرير المصير للدرجة التى وافقا فيها على حذفها لغوياً مع بقاء المضمون فى سياق الاستفتاء . ومع ذلك رفض وفد الحكومة فكرة تقرير المصير شكلاً ومضموماً. وأكد أنه ليس على استعداد للمساومة حولها .

* وعندما أصر كل طرف على موقفه ، طلب وزير الخارجية الاثيوبى سيوم مسفن من كل وفد كتابة ملخص لموقفه على الوثيقة غير الرسمية التى كتبها هو بنفسه والتى كان يعتقد أنها حوت الحد الادنى لمواقف كل طرف مع حذف كلمة تقرير المصير .

* وكان رد الحكومة على النحو التالى :

١. التأكيد على حق مواطنى جنوب السودان فى التعبير بحرية عن وضعهم المستقبلى والسير فى الطريق الذى يضمن تقدمهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى.

٢. فى نهاية الفترة الانتقالية يمكن لمواطني جنوب السودان ممارسة ما أتفق عليه فى البنود أعلاه عبر استفتاء .

٣. بخصوص الاستفتاء المشار اليه فى أعلاه يجوز لمواطني جنوب السودان الاختيار بحرية من كل الخيارات مع عدم إستبعاد أيٍ منها.

٤. على جميع الاطراف الاتفاق على الاحترام والالتزام بنتائج الاستفتاء المذكور فى مناخ يسوده حسن النية.

٥. يحق لجميع الاطراف الدعوة الى خياراتهم وسط الشعب .

٦. تكون الفترة الانتقالية فى إطار السودان الموحد.

فيما بعد إقترح وفد الحكومة أيضاً أن تكون الفقرة التالية من اتفاقية فرانكفورت هى احدى نقاط الارتكاز فى الحل :

١ـ (أ) تكون هنالك فترة إنتقالية تبدأ من يوم التوقيع على إتفاق بين حكومة السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان يتمتع خلالها جنوب السودان بوضع دستوري وسياسي خاص فى إطار السودان الموحد ، وبعد الفترة الانتقالية يمارس اهل الجنوب حقهم فىالاختيار الحر للوضع الدستورى والسياسى الذى يتفق مع تطلعاتهم دونما استثناء لاى خيار .

(ب) من أجل تجنب اللجوء الى المواجهة المسلحة فى المستقبل بين أهل الجنوب والحكومة المركزية كسبيل لحل الخلافات الدستورية والسياسية وغيرها ، يتم تدبير إجراءات قانونية ودستورية مفصلة والاتفاق عليها لأجل تحديد رأي الجنوب عبر استفتاء حول وضعه السياسى والدستورى بعد الفترة الانتقالية .

لم يتمكن وفدا حركة التمرد من الرد بوضوح على هذه المقترحات ، الامر الذى جعل سكرتارية المؤتمر تسعى الى تقريب وجهات النظر. وبدا جلياً أن حركة التمرد تحتاج الى مزيد من الوقت لدراسة مقترحات الحكومة بعد ان تأكدت انه لا مساومة حول وحدة السودان ، وان أى حل يجب ان يكون فى إطار الوحدة والنظام الفيدرالى .

إزاء ذلك أجرى رئيس المؤتمر ووزراء خارجية الايقاد اتصالاً بالرئيس دانيال اراب موى تم فيه إطلاعه على نتائج المفاوضات . واستقر الرأى على تأجيل المحادثات، على ان تبدأ الجولة القادمة يوم الاثنين الخامس من سبتمبر وتنتهى يوم السابع منه.

وتم الاتفاق ايضاً على ان تنشط سكرتارية المؤتمر خلال شهر أغسطس وتوالي الاتصال مع الحكومة السودانية ووفدى حركة التمرد بغية تحقيق مزيد من التقارب وحصر اجندة المؤتمر على إشكاليات الاستفتاء والفترة الانتقالية .(فيما بعد لم تنعقد جلسة للمباحثات تحت مظلة الأيقاد نسبة لتوتر علاقات السودان بعدد من دول الايقاد نفسها الشيء الذى يجعل وساطتها امرا مشكوكا فيه) .

اللقاءات والاتصالات التى تمت على هامش المؤتمر :

ـ جرت لقاءات وإتصالات كثيرة على هامش المحادثات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر .. اللقاء الذى تم بين كل من الدكتور فرانسيس دينق وبونا ملوال والسيد محمد الامين خليفة وتناول بالبحث السبل الكفيلة بانجاح المفاوضات وتحقيق السلام الشامل . وقد اوضح رئيس وفد الحكومة ان الحكومة تعول كثيرا على محادثات (الايقاد). ولكنها ترى ان الحل يجب الا يتعدىالنظام الفيدرالى .

وتم لقاء آخر ضم المذكورين (دينق وملوال) مع الدكتور نافع على نافع الوزير برئاسة الجمهورية يومها ، وقد شدد الوزير على ثوابت التسوية لدى الحكومة ، وهى الوحدة والفيدرالية وعدم قبول فكرة تقرير المصير .

ـ حرصت المبعوثة الامريكية لدى السودان يومها السفيرة ميلسيا ويلز، يصحبها كل من السفير المقيم دونالد بيترسون والقائم بالاعمال لدى كينيا، على زيارة الوفد السودانى بمقر إقامته والتشاور معه من أجل تقريب وجهات النظر، وتطرق اللقاء ايضاً الى قرار وقف اطلاق النار من جانب الحكومة الذى أعلن فى ذلك الوقت متزامناً مع المفاوضات ، وأبلغت الوفد ترحيب الجانب الامريكى بذلك

وأمله في استمراره ، وأكدت ويلز انها مارست ضغوطاً على جناح قرنق لضمان رد إيجابي على قرار الحكومة بوقف اطلاق النار، الامر الذى جعله يذعن لذلك ويصدر بياناً بالموافقة أثناء سير جلسات التفاوض .

١٦ــ مبادرة الرئيس الامريكي الاسبق جيمي كارتر ـ مارس ١٩٩٥م :

بمبادرة من الرئيس كارتر اعلن الرئيس السوداني عمر حسن البشير في ٢٧مارس ١٩٩٥م ، وقفاً لاطلاق النار لمدة شهرين، في محاولة لفتح فرصة اخرى للسلام في السودان ، واعرب كارتر يومها عن امله في ان يساهم القرار في دفع جهود السلام والتنمية في السودان .

وفي ذات الاطار وقع السودان مع مركز كارتر الدولي في ١٨ مايو ١٩٩٥م، مذكرة تفاهم (بالفندق الكبير) بهدف إستئصال الدودة الغينية (الفرنديد) ، وفتح مكتب للمركز بالخرطوم لمدة عامين، الى جانب تشكيل لجان فنية لمناطق الجنوب بهدف وضع خطة عمل لمكافحة عمى الانهار . كما اعلن السودان موافقته في ٢٥ مايو ١٩٩٥م، على تمديد فترة وقف اطلاق النار لشهرين آخرين إستجابة لطلب الرئيس الكيني دانيل آراب موى رئيس لجنة الايقاد ، إستمراراً لمبادرة الرئيس كارتر، وسعيا من السودان الى تنشيط مبادرة الايقاد .

من جانبه اشاد كارتر باعلان السودان مد وقف اطلاق النار لفترة اخرى وقال ان الاعلان سيكون دعماً ملموساً لبرنامج المعونة الانسانية الرامية الى مكافحة عمى الانهار والدودة الغينية . (٢٥)

١٧ ـ جهود السلام من الداخل :

واكبت جهود الإنقاذ الدؤوبة لاقرار السلام ولقاءاتها المتعددة مع حركة التمرد في الخارج تحركات فاعلة في الداخل إيمانا منها بالدور المتعاظم للأغلبية الصامتة من أبناء الجنوب التي تقف ضد الحرب وتؤمن بوحدة الوطن .

أ ـ احتماعات فشودة : أغسطس ١٩٩٣م :

تعتبر احتماعات فشودة هي البداية الحقيقة للسلام من الداخل ، ولم تأت من فراغ، فقد سبقتها اتصالات بين الحكومة السودانية ووفد الفصيل المتحد. وأثمرت تلك الاتصالات عن عقد اتفاقات عدة تتعلق بفتح الطرق لتمرير الاغاثة الى المواطنين وتمكينهم من النزوح عن ميادين القتال ومن المناطق التي حوصروا فيها بفعل الاقتتال ، وما صاحب هذا من لقاءات أدت الى حوار بين الحكومة ووفد الفصيل المتحد، مما ساهم في خلق مناخ سياسي مريح أدى الى كسر حواجز عدم الثقة بين هؤلاء والحكومة السودانية .

جاء لقاء فشودة تتويجا لتلك اللقاءات، حيث قام وفد حكومي برئاسة الشهيد العقيد شرطة بول ريث كوانج والى ولاية أعالي النيل وعضوية السادة احمد الرضى جابر رئيس لجنة السلام بالمجلس الوطني الانتقالي وفضل السيد أبو قصيصة وزير الدولة والمدير العام لمؤسسة السلام والتنمية بعقد احتماع مع وفد حركة التمرد (الفصيل المتحد) في منطقة فشودة بولاية أعالي النيل في الرابع من أغسطس ١٩٩٣، وكان الطرفان وصلا الى فشودة لتهنئة رث الشلك الجديد بمناسبة تنصيبه. وعقد اللقاء في منزل الرث وتباحث الجانبان حول تأمين ما تحقق من السلام بالولاية وتوصيل الإغاثة الى المتضررين والحفاظ على الأمن والاستقرار، وترأس وفد الحركة د.لام أكول وضم في عضويته جعفر بانق وجون بوث، أكد اللقاء الاستمرار في المساعي الرامية الى تحقيق وتطوير مرحلة الاستقرار

والسلام التي تعيشها ولاية أعالي النيل والعمل على تجاوز الخلافات التي برزت في مفاوضات الطرفين بنيروبي في مايو ١٩٩٣م .

واتفق الطرفان على ضرورة توصيل الغذاء والاغاثة الى المتضررين بالولاية وحماية الجرارات النهرية، كما اتفقا على تكوين لجنة من عشرة أشخاص، خمسة من كل طرف، لتأمين وصول الاغاثة، وإصدار وثيقة فشودة للسلام. أعرب الجانبان عن قناعتهما بأن السلام سيبدأ من أعالي النيل وينطلق ليعم جميع أنحاء جنوب الوطن بعون الله .

واعلن د. لام اكول عقب المفاوضات أن اللقاء سادته روح طيبة وحقق تقدما كبيرا في القضايا التي طرحت للنقاش. وقال العضو جعفر يانق :((نحن نعتبر هذا الاجتماع بداية جادة في طريق السلام. ونتمنى أن ينتهي بإيجابيات نحو السلام للسودان كله)).

كان من المقرر أن تستأنف المفاوضات التي بدأت بفشودة في الخامس من سبتمبر ١٩٩٣م. لكن إرادة الله شاءت أن يستشهد أعضاء الوفد الحكومي المفاوض في حادث طائرة (السيسنا) بمطار ربكونا بمحافظة بانتيو في الخامس من سبتمبر ١٩٩٣م عندما كانوا في طريقهم الى استئناف تلك المفاوضات والشهداء هم :

١ ـ العقيد شرطة بول ريث كوانج والى ولاية أعالي النيل .

٢ ـ احمد الرضى جابر رئيس لجنة السلام بالمجلس الوطني الانتقالي.

٣ ـ فضل السيد ابو قصيصة مدير عام مؤسسة السلام والتنمية.

٤ ـ موسى علي سليمان المحافظ بديوان الحكم الاتحادي .

٥ ـ العميد ركن كمال علي مختار .

٦ ـ النقيب طيار محمد احمد محمد خير .

٧ ـ النقيب طيار الوليد عبدالسلام المحبوب.

٨ ـ الهادي عمر، المصور بالتلفزيون.

باستشهادهم انضموا الى قائمة أبناء الوطن الذين قدموا أرواحهم مهرا لترابه.

(٢) ملتقى جوبا لقوى السلام :

انعقد الملتقى في الرابع عشر من مايو ١٩٩٤م بمدينة جوبا عاصمة ولاية بحر الجبل، حضره ألف مواطن سوداني بينهم ٦٤٠ مواطناً من ولايات الجنوب يمثلون الفعاليات الشعبية ،الى جانب شخصيات قومية سودانية ووفود تمثل إنجلترا وإثيوبيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وعدد من رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدة بالخرطوم .

واصدر الملتقى إعلان جوبا الذي تضمن ما يلي :

أولاً : التمسك بوحدة الوطن باعتبارها العروة الوثقى، والبعد عن مؤامرات الانفصال لكونها دعاوىً تجاوزها الزمن وتخطاها الواقع .

ثانياً : أن المبادئ التي تدعو لها ثورة الإنقاذ الوطني والمرتكزات التي تستند عليها لتؤمن خقوق المواطن السوداني وتستجيب لحاجاته وتطلعاته هي المنهج الذي ينبغي أن يتبع .

ثالثاً : الإشادة بالخطوات الجادة التي اتخذت لتطبيق النظام الاتحادي في السودان عامة، والجنوب خاصة. الأمر الذي أدى الى نقل السلطة من المركز الى الولايات . والتأكيد على التمسك بهذه المطالب وتأكيد المشاركة الفاعلة لإنجاح هذه التجربة الفريدة في تاريخ الوطن ، والتي جاءت تلبية لمطلب السودان التاريخي الذي نودي به في جوبا عام ١٩٤٧م وداخل البرلمان السودان عام ١٩٥٥م.

رابعاً : أدان المؤتمرون الحرب، وناشدوا الأطراف المتحاربة العمل على تحقيق السلام ،كما أعربوا عن تأييدهم للجهود المخلصة المبذولة لإثراء الحوار من الداخل بهدف تحقيق السلام .

كما حدد المجتمعون في الملتقى من ممثلي القوى السياسية والاجتماعية في جنوب السودان بمختلف أعراقهم ومعتقداتهم الدينية وثقافاتهم عزمهم على :

١ ـ التمسك الذي لا يلين بوحدة الوطن .

٢ ـ العمل المثابر على استكمال تطبيق النظام الفيدرالي وتوسيع مداه .

٣ ـ إحلال السلام للتعجيل بوضع نهاية للحرب وفتح آفاق التقدم والبناء .

٤ ـ إدانة ونبذ التدخل الأجنبي في شؤون الوطن والدفاع عن استقلال قراره .

٥ ـ الإشادة بانجازات ثورة الانقاذ الوطني والتمسك بسياساتها ومبادئها .

(ج) التوقيع على الميثاق السياسي ١٩٩٦م :

تم توقيع الميثاق السياسي بين حكومة السودان وحركة استقلال جنوب السودان بقيادة د. رياك مشار والحركة الشعبية لتحرير السودان مجموعة بحر الغزال برئاسة كاربينو كوانجين بول بتاريخ ١٠ ابريل ١٩٩٦م بباحة القصر الجمهوري بالخرطوم بحضور الفعاليات السياسية ورجال السلك الدبلوماسي المعتمدين بالخرطوم .

وقد سبق توقيع الميثاق مفاوضات واتصالات مضنية بالداخل شملت كل القادة العسكريين الميدانين لقوات رياك مشار في جولات مكوكية داخل غابات الجنوب قام بها الافراد المكلفون بعملية السلام ،حيث كانت النتيجة تجاوب جميع القادة الميدانيين لصوت السلام، مما شجع رياك مشار على الدخول في برنامج السلام ، اضافة الى ذلك فان وفداً من مثقفي النوير الذين الموجودين خارج السودان كان قد قام هو الآخر بدفع العملية من خلال لقاءات اجراها فى نيروبي العاصمة الكينية مع قادة هذا الجناح. ومن ثم انتقلت مساعيهم الى المقاتلين في الجنوب وأسفرت كل هذه الجهود عن توقيع ذلك الميثاق .

ومما أكد جدية الحكومة لهذا الفصيل ذهاب اللواء الزبير محمد صالح نائب رئيس الجمهورية بنفسه للقاء د. رياك مشار في رئاسته بالجنوب، إذ كان للزيارة وقع

خاص في نفوسهم ، وقال مشار انه لمس حدية الحكومة للسلام وزادت قناعته بذلك عندما عرّض الرجل الثاني في الدولة حياته للخطر من اجل السلام ، وكان ذلك قبل أسابيع من توقيع الميثاق الذي تم التوقيع عليه بالأحرف الاولى هناك . كما قام المهندس موسى سيد احمد مدير إدارة السلام واحد مهندسي عملية السلام بزيارات عدة لرياك مشار في رئاسته ، ومن ثم اصطحبه معه بطائرة إلى الخرطوم.(٢٦)

وجاء الميثاق السياسي، الذي سيعقبه توقيع اتفاقية السلام، على النحو التالي :

تم عقد هذا الميثاق بين :

١ ـ حكومة السودان

٢ ـ حركة تحرير جنوب السودان (SSIM / A)

٣ ـ الحركة الشعبية لتحرير السودان (مجموعة بحر الغزال) (SPLM / AB . G.G)

اعترافا بسلسلة محادثات السلام الجادة السابقة اتفق الأطراف على وضع حد للقتال الدائر في السودان بناءاً على بنود هذا الميثاق والاتفاقية اللاحقة المبرمة بينهم.

اتفق الأطراف على الالتزام بالمبادئ الآتية :

١ ـ اللجوء إلى الحل السلمي والسياسي لمشكلات السودان .

٢ ـ الحفاظ على وحدة السودان بحدوده المعروفة وصيانة كيانه ضد المهددات والأخطار الداخلية والخارجية. وعلى الأطراف بذل كافة الجهود لتحقيق السلام والعدل وسيادة قيم الحق والفضيلة .

٣ ـ بعد تحقيق كامل للسلام والاستقرار وتحقيق قدر معقول من التنمية الاجتماعية في جنوب البلاد وفي نهاية الفترة الانتقالية ، يجري استفتاء بين مواطني الولايات الجنوبية وذلك لتحقيق التطلعات السياسية للمواطنين .

٤ - اعترافاً بالتطور الدستوري وبتطبيق النظام الاتحادي والممارسة السياسية الموسسة على قيم المشاركة الديمقراطية الشعبية ، يعمل الأطراف على دفع تقدم العمل في هذه المجالات في ضوء الظروف والمتغيرات.

٥ - المواطنة هي منشأ الحقوق والواجبات في البلاد في سبيل سيادة العدالة والمساواة والحرية وحقوق الإنسان .

٦ - الشريعة والعرف هما مصدرا التشريع. ويجوز للولايات سن تشريعات مكملة للقانون الاتحادي في المسائل ذات الخصوصية في تلك الولايات .

٧ - يعترف الأطراف بالتنوع الثقافي في السودان وبحق السودانيين في التعبير بحرية عن قيم هذا التنوع .

٨ - يلتزم الجميع بحرية التدين والاعتقاد ويهيأ المناخ المناسب لممارسة التعبد ونشر الدعوة والتبشير والوعظ . ولا يجوز إكراه أي مواطن على اعتناق أي دين أو عقيدة .

٩ - التنمية الاجتماعية أسبقية قصوى في البلاد. وعلى الحكومة وضع الخطط لبناء الثقة بين المواطنين والقضاء على الفقر والجهل والأمية . وتسعى الولايات أيضا إلي بسط المعرفة وتحقيق الاكتفاء .

١٠ - توزع السلطات والموارد بعدالة لمصلحة المواطنين في البلاد. ويقوم الأطراف بوضع التفاصيل لذلك .

١١ - ينشأ مجلس تنسيق في الولايات الجنوبية للمساهمة في تنفيذ أكمل لهذه الاتفاقية

١٢ - يعمل الأطراف سوياً على استقرار الأوضاع ولتحسين الوضع المعيشي في المناطق المتأثرة بالحرب وفق بنود الاتفاقية اللاحقة . ويقومون سوياً بعبء تنفيذ الترتيبات الأمنية وإعادة التوطين وإعادة التعمير والتنمية والحفاظ على الحقوق الواجبات .

١٣ - يتفاعل السودان مع الشعوب الأفريقية والعربية والمجتمع الدولي من منطلق ذاتيته السودانية وتحقيقاً لمصلحة السودان.

١٤ - تتم تعبئة المواطنين عامة ومواطني الجنوب خاصة للوقوف خلف هذه الاتفاقية .

توقيع

عن حكومة السودان — عن حركة استقلال جنوب

اللواء الركن / الزبير محمد صالح — القائد رياك مشار تني داوقون

النائب الأول لرئيس الجمهورية

عن الحركة الشعبية لتحرير السودان

القائد كاربينو كوانجين بول

رئيس وقائد الحركة الشعبية لتحرير السودان

التاريخ ١٠ إبريل ١٩٩٦م الخرطوم .

ويلاحظ على هذا الميثاق الآتي :

١ - أن المجموعة التي وقعته كانت هي الأكثر تصلباً في مواقفها تجاه اطروحات السلام بصفة عامة، حيث كان طرحها يتمثل في الانفصال ، وعلى أساسه خرج هذا الجناح من الحركة الأم ، وهو الأمر الذي لم تكن حكومة السودان تساوم عليه، مما كان يجعل المراقبين يعتقدون أن الحركة الام ربما تأتي الى السلام اولاً باعتبار انها الأكثر ميلا الى الاطروحات الوحدوية .

٢ - لم يشترك رياك مشار بنفسه في أية جلسة للمفاوضات عقدتها حكومة السودان الحالية والسابقة وعلى أي مستوى من المستويات، حيث كان دائماً بعيداً عن اجواء التفاوض .

٣ ـ الموقعون على الميثاق هم من أسّس حركة التمرد ، حيث كان كاربينو واروك طون اروك ضمن خمسة اسسوا الحركة، كما ان رياك مشار كان في بادئ الامر يمثلها بلندن ومن اوائل المنضمين اليها من مثقفي الجنوب .

٤ ـ توقيع ابناء النوير بقيادة رياك مشار على الميثاق و دخولهم في برنامج السلام يعتبر دعماً قوياً للعملية في اطارها السياسي والعسكري ، اذ ان ابناء النوير عُرفوا بشدة بأسهم في القتال ، بل هم أكثر مقاتلي الجنوب شراسة والأكثر عدداً حتى من قوات الحركة الام، وذلك لان قبيلة النوير تعتبر كلها مقاتلة، لانهم استحدثوا نظاماً أشبه بنظام الدفاع الشعبي ، إذ تسلح معظم ابناء القبيلة . اضافة الى ان انحياز ابناء بحر الغزال من قبيلة الدينكا – وهم قاعدة التمرد – الى صف السلام مع قائدهم وابن المنطقة كاربينو كوانجين ، بجانب بعض ابناء بور ومثقفيها ، الذين جاءوا ضمن مجموعة اروك طون اروك بكل ما تمثله من ثقل على اعتبار انها معقل جون قرنق ومسقط رأسه والمكان الذي شهد انطلاقة التمرد الجديد في عام ١٩٨٣م ،(جاء انحياز ابناء بور خاصة بعد قتل قرنق لاحد مثقفي الدينكا وابناء بور وهو القاضي مارتن ماجير).. كل ذلك جاء خصما على قرنق والحركة الام وضربة قوية في خاصرتها .

٥ ـ بدخول ابناء النوير برنامج السلام اصبحت الجبهة الاثيوبية أقل فاعلية وتأثيراً مما كانت عليه في الماضي ، حيث ان انتشار هذه القوات كان على الشريط الحدودي للسودان مع اثيوبيا بطول حدود ولاية اعالي النيل مع هذه الجارة. وقد تبين ذلك بالفعل عندما ساءت العلاقات مع اثيوبيا و لم يستطع قرنق الاستفادة من الحدود الاثيوبية في تحركه كما حدث في السابق. بل ان قوات رياك مشار طاردت بعض قوات قرنق الى داخل الحدود، مما جعل قرنق وافراد المعارضة السودانية يفتحون جبهة من داخل ارتريا ذات الحدود المكشوفة مع السودان التي لا تصلح للقتال وحرب العصابات مثل غابات الجنوب.

٦ - بتوقيع الميثاق السياسي مع هذه المجموعة التي ضمت قبيلة النوير وقسماً هاما من ابناء الدينكا في بحر الغزال وبور انفتح واسعاً باب السلام من الداخل وبدأ توافد افراد الحركة ومجموعاتها الى السلام، فوقّع ابناء الاستوائية وجاء بعدهم ابناء النوبا تباعًا.

٧ - تعاملت القوى السياسية الجنوبية مع الميثاق بموضوعية، حتى مجموعة جون قرنق لم تستطع ان توجه له انتقاداً جوهريا وانما اكتفى المتحدثون باسمها بتوجيه السباب والانتقادات الشخصية للموقعين على الميثاق خاصة رياك مشار وكاربينو واروك طون.

هكذا سارت جهود السلام التي بذلتها الانقاذ منذ تسلمها للسلطة في منتصف عام ١٩٨٩م، حيث تبين لنا ان هذه المساعي لم تتوقف خلال هذه الاعوام من عمر الانقاذ ، بل سلكت كل الطرق والسبل لتحقيق ذلك سواء خارج السودان او داخله. ونستطيع ان نقول في النهاية ان مباحثات السلام من الداخل آتت أكلها وثمارها بحيث حدثت هذه الاستجابة التي فتحت الباب واسعاً نحو السلام ، وعاد من اجل ذلك قطاع واسع من ابناء الجنوب الذين كانوا يشكلون اساساً قوياً لجسم الحركة بجانب القيادات ، واصبح السلام ممارسة يومية وانشئت له عدة مؤسسات تصب كلها في اتجاه تحقيقه وتدعيمه، وعلى رأس ذلك المجلس الاعلى للسلام ومؤسسة السلام والتنمية، اضافة الى عدة وزارات للسلام بولايات البلاد المتأثرة بالحرب، بجانب المنظمات الطوعية الوطنية التي تساهم في ترسيخ السلام بعملها في اعادة تعمير ما خربته الحرب بالجنوب وجنوب كردفان واستقبال العائدين وتوطينهم وخلق بيئة صالحة للسلام.

كان هذا هو محور الاتصالات والمساعي على المستوى القومي، او ما يمكن ان نسميه محور التعامل مع الحركة الام او الفصائل التي انشقت عنها على مستوى جنوب السودان ، حيث تدخل منطقة جبال النوبا ضمن مجموعة قرنق او الفصيل

الرئيسي. ولكن نظام الانقاذ في سعيه الدؤوب لحل مشكلة الصراع في جبال النوبا لم يكتف بالاتصالات على مستوى الحركة الام ، بل ومنذ بدايات الانقاذ جرت مساعٍ للوصول الى حل للمشكلة مع قيادات النوبا داخل وخارج جبال النوبا وهو ما سنتعرض له في الصفحات التالية من الدراسة .

المحور الثالث :

جهود السلام في منطقة جبال النوبا :

لم تقتصر جهود نظام الانقاذ الوطني لايجاد حل لقضية الصراع والحرب في جبال النوبا على الاتصالات والمفاوضات التي كانت تجري مع الحركة الشعبية ممثلة في قيادتها الرئيسية والتي تمت جلها خارج السودان كما بينا ذلك .

وانما بدأت حكومة الانقاذ ومنذ الايام الاولى لقيامها الاتصالات مع قيادة الحركة الشعبية بجنوب كردفان عن طريق الرسائل والوفود المصغرة للالتقاء بقيادة حركة التمرد بالمنطقة بهدف دفعهم ناحية السلام فصل قضيتهم عن قضية جنوب السودان ... واتخذت لذلك واجهات ووسائل متعددة . ولغرض هذه الدراسة يمكن ان نطلق عليها الاتصالات والمفاوضات التمهيدية، باعتبار انها مهدت الطريق الى ما بعدها من خطوات تمت في هذا الاطار.

اولا : الاتصالات والمفاوضات التمهيدية :

تنقسم هذه المبادرات الى :

(ا) مبادرات ذات صيغة شمولية : وذلك لانها استهدفت الحركة بمنطقة جبال النوبا بصفة عامة، أي سعت الى حل القضية بصفة شاملة. ونعدد في هذا الاطار المبادرات التالية :

١ ـ رسالة السيد محمد الامين خليفة رئيس المجلس الوطني الانتقالي الى يوسف كوة قائد الحركة بجبال النوبا .

٢ ـ رسالة العقيد بكري حسن صالح رئيس جهاز الامن العام الى تلفون كوكو، احد قادة الحركة بالجبال .

٣ ـ مبادرة المكتب السياسي للحزب القومي السوداني الممثل في سالم علي عيسى، باكو تالي، يوسف كجو، جيمس تاور، وذلك بالاتفاق مع الاب فيليب عباس غبوش.

٤ ـ مبادرة مجموعة ابناء جبال النوبا بالمجلس الوطني الانتقالي بقيادة حسن كوة وعضوية آخرين .

٥ ـ مبادرة الكنيسة الاسقفية (شمال السودان) بقيادة المطران بطرس كوة ، ويوناثان حماد كوكو .

(تمت كل هذه المبادرات المذكورة أعلاه والاتصالات التي تمت بشأنها داخل جبال النوبا).

٦ ـ مبادرة الحركة المتحدة للسلام والتنمية بجبال النوبا (نيروبي) بقيادة كوكو محمد جقدول ، (التحرك مع هذه المجموعة قاده الشهيد موسى علي سليمان بنيروبي. ومن ثم تواصل بعد استشهاده، وما زالت خطوط هذا المحور تتفاعل، لذلك نمسك عن الخوض في تفاصيله ، لكن من ثمراته استجابة أبناء النوبا وتوقيعهم على(اعلان مبادئ حل قضية جبال النوبا) بقيادة محمد هارون كافي الذي كان ضمن من استهدفتهم هذه المبادرة. (٢٧)

(ب) مبادرات ذات صفة محلية :

ذلك لانها استهدفت قطاعات محددة من قادة الحركة بجبال النوبا، وبادر بها أبناء مناطق الجبال المختلفة، الذين كانوا يتصلون بابنائهم في الحركة. ومن تلك المبادرات:

١ـ مبادرة ابناء ريفي البرام .

٢ ـ مبادرة ابناء الكواليب.

٣ ـ مبادرة الادارة الاهلية بكادقلي .

و تناولت هذه المبادرات والاتصالات الموضوعات التالية :

١ ـ السلام الشامل وعودة الاستقرار الى المنطقة .

٢ ـ الاعلان عن ترفيع جنوب كردفان الى ولاية.

٣ ـ التمثيل السياسي لابناء المنطقة في الحكومة الاتحادية والولائية والمحافظات والمجالس.

٤ ـ التنمية المتوازنة والعادلة.

٥ ـ اعلان العفو العام عن كل من حمل السلاح .

٦ ـ الاغاثة العاجلة لمناطق جبال النوبا المتأثرة بالحرب .

٧ ـ اطلاق سراح المعتقلين السياسيين من ابناء المنطقة أنذاك (تم اطلاق سراحهم فيما بعد وشارك البعض منهم كرسل سلام ومناديب لايصال الرسائل من والى قادة الحركة بجبال النوبا ، امثال ابراهيم محمد بلندية وصالح الياس وعزالدين كوكو وعبد الرسول كجور).

ووجهت هذه المبادرات في باديء الامر بالرفض التام من قبل حركة التمرد بجبال النوبا، باعتبار ان للحركة رئاسة يتعين الاتصال او التفاوض معها وان ابناء النوبا لا يعدون كونهم جزءاً من كل في الحركة. كان هذا هو موقف قائد الحركة بالمنطقة يوسف كوة، ولكن مع ازدياد الرسل والرسائل عبر الوسائط المختلفة من جانب الحكومة، فضلا عن استهداف قيادات اخرى بتلك الرسائل، اضافة الى يوسف كوة ، امثال القائد (تلفون كوكو)، حدثت استجابة جزئية وتقبل للغة الخطاب المنفصل عن رئاسة الحركة (جون قرنق). وفي عام ١٩٩٢م بلغت تلك الاتصالات ذروتها الى درجة الجلوس في مفاوضات مباشرة مع مندوبي الحركة. وشكلت تلك الاتصالات قفزة نوعية وعملية في اطار تحقيق السلام بجنوب كردفان .

ثانيا :تجربة نفير السلام :

مشروع النفير الشعبي للسلام - فبراير ١٩٩٢م : (٢٨)

(النفير الشعبي للسلام) هو الاسم الذي تسمى به ذلك المشروع الذي قاده محافظ كادقلي المقدم الركن محمد الطيب فضل وتجاوب معه المركز ممثلا في الحكومة المركزية. تدرج المشروع وتطور على النحو التالي :

بدأ العمل في النفير الشعبي للسلام على محورين: محور الادارة الاهلية، ومحور المثقفين من ابناء النوبا .

المحور الاول :

تم تقسيم الادارة الاهلية الى خمس لجان :

١ ـ لجنة رئيسية تكونت من الامير عثمان بلال امير قبيلة الرواوقة ، الامير محمد الزاكي الفكي علي امير ادارة النوبا الجنوبية والملك حامد رحال مك قبيلة كادقلي .

٢ ـ لجنة لريفي ام دورين .

٣ ـ لجنة لريفى البرام .

٤ ـ لجنة لريفي هيبان (الريف الشرقي).

٥ ـ لجنة للمنطقة الغربية (كرنقو عبدا لله).

كانت مهمة هذه اللجان هي :

١ ـ الاتصال بالمواطنين في مناطق الحركة لشرح اهداف وسياسات الانقاذ الوطني ونقل رسالة السلام والعفو العام الى كل مواطن .

٢ ـ جذب المواطنين من مناطق التمرد الى معسكرات وقرى السلام وسحب البساط من تحت اقدام المتمردين بتحييد المواطنين وقطع الطريق امام الامدادات الغذائية التي كانوا يجدونها بوجود اولئك المواطنين.

٣ ـ إقناع افراد التمرد بالانخراط فى مسيرة السلام .

قامت كل لجنة من اللجان المذكورة باتصالات بالمواطنين وافراد الحركة الواقعين ضمن دائرة اختصاصها، اتصالا فرديا او عن طريق توزيع المنشورات والرسائل الشخصية ، اضافة الى توزيع اجهزة الراديو (و لم يستثن من ذلك افراد الحركة) ليتمكنوا من سماع نداء السلام الذي كان يبث باللهجات المحلية من (اذاعة الجهاد) بكادقلي .

استمر هذا العمل (حركة الاتصالات) لمدة اسبوعين في باديء الامر، وكانت النتيجة المباشرة ايجابية ومشجعة على الاستمرار فيه ، اذ سلم للقوات المسلحة أكثر من ٤٠ فرداً من الحركة بأسلحتهم، اضافة الى ٥٠٠ مواطن . وتأكد للقائمين على الامر ان رسالة السلام وصلت كل انحاء جنوب كردفان ، وذلك لتسليم ثلاثة من الخوارج من تلشى في اقصى الغرب واربعة من طروجي أقصى جنوب محافظة كادقلي، اضافة الى بقية المناطق بمحافظة كادقلي، واستمر العمل بهذا المحور متزامنا مع المحور الآخر .

المحور الثاني:

ام بهذا الدور المثقفون من ابناء كادقلي الذين كانوا شركاء في اشعال التمرد ولعبوا دوراً بارزاً في دعمه من الداخل، وهم من أُطلق عليهم (اسم الطابور الخامس)، وذلك عندما عقدت السلطات المحلية عدة لقاءات تمخضت عن اقتناعهم بمشروع السلام واتخاذهم قرارا بالانخراط في المشروع ودعمه بتولى عملية الاتصال وايصال الرسائل من والي قيادة الحركة بالجبال . تم ذلك برعاية المحافظ والولاية و الحكومة الاتحادية . ولاغراض البحث سنطلق عليهم (مجموعة الاتصال). بدأت أولى الاتصالات عبر هذا المحور وتوجهت مجموعة الاتصال الى رئاسة يوسف كوة لاول مرة يوم ٢٤ رمضان ١٤١٢ الموافق ٢٧ مارس ١٩٩٢م ، وتبودلت عدة رسائل بين المحافظ وقيادة الحركة ممثلة في يوسف كوة وتلفون كوكو تمخضت عن اتفاق على عقد جلسة للمفاوضات بين الطرفين

تحدد لها الثلاثاء ٢٨ ابريل ١٩٩٢م بمنطقة ام سردبة التي كانت تقع تحت سيطرة الحركة، حيث سارت الامور على النحو التالي :

(ا) مؤتمر ام سردبة :

(أ) بعد تحديد موعد من قبل الحركة الشعبية بجبال النوبا للقاء وفد من الحكومة في ام سردبة على نحو ما ذكرنا شكلت الحكومة الاتحادية وفداً للتفاوض تكوّن من :

١ ـ موسى علي سليمان، المحافظ برئاسة الديوان رئيساً ، وعضوية كل من :

٢ ـ احمد الشين الوالي، محافظ سودري الحالي .

٣ ـ سراج الدين عبدالغفار عمر من ادارة تنسيق الدفاع الشعبي .

٥ ـ المقدم محمد احمد دقنة مدير استخبارات الفرقة الخامسة.

٦ـ المقدم محمود مدير أمن محافظة كادقلي .

(ب) حضر لقاء ام سردبة من جانب الحكومة لجنة أمن محافظة كادقلي. وكان الغرض منه تحديد زمان ومكان واجندة المفاوضات القادمة .

(ج) تم الاتفاق في اللقاء على اختيار منطقة بلنحة (على بعد ١٢كم من كادقلي) مكانا للمؤتمر ، والرابع من مايو ١٩٩٢م موعدا لانعقاده، اضافة الى تحديد ثلاثة اجندة حددتها الحركة لتكون محور اللقاء القادم . وهي :

١ ـ الاغاثة لمناطق الحركة (شريان حياة خاص بجبال النوبا) .

٢ ـ مصير المعتقلين السياسيين من ابناء جبال النوبا الذين اعتُقلوا بتهمة التعامل مع الحركة الشعبية .

٣ ـ القرى الآمنة (حركة تنقل المواطنين بين المناطق الواقعة تحت سيطرة الحركة وتلك الواقعة تحت سيطرة الحكومة) .

هذه النقاط على الرغم من انها اجرائية وتعتبر نتاجا للسلام الشامل وليست مقدمة له، ومع ان الجانب الحكومي كان يرى ضرورة الدخول في النقاط

الاساسية للمشكلة وكيفية حلها، الا انه تحت اصرار افراد وفد الحركة قبل بها، لأن وفد الحركة اعتبر ان مناقشة تلك الموضوعات والوصول الى حلول لها يؤكد لهم (حسبما قالوا) جدية الحكومة في عملية السلام ويساهم في زرع الثقة في نفوسهم، اضافة الى ان الحكومة كانت تريد الجلوس بأي ثمن مع ابناء النوبا لفصل قضيتهم عن قضية جنوب السودان، اضافة الى سعيها الى معرفة آرائهم حول المشكلة عن طريق اللقاء المباشر مع قادة الحركة بالمنطقة، لأن الافراد الذين حضروا اللقاء الاول في ام سردبة من جانب التمرد كانوا من صغار ضباط الحركة بالمنطقة. وكان قد تحدد ايضا حضور تلفون كوكو للقاء القادم في بلنجة .

د ـ تم الاتفاق ايضا في ام سردبة على الترتيبات الامنية والادارية المصاحبة لقيام المؤتمر ، كونه يعقد في منطقة خاضعة ايضا لسيطرة الحركة في ذلك الوقت .

ة ـ تم التأكيد على سرية اللقاء وعدم اعلانه باعتبار انه اتفاق سابق للقاء .

مؤتمر بلنجة ـ مايو ١٩٩٢م: (٢٩)

تكون وفد الحكومة على النحو الذي ذكرناه من قبل، اضافة الى عدد من الشعبيين بالمنطقة، بينما تكون وفد الحركة الشعبية قطاع جبال النوبا من :

١ ـ تلفون كوكو جلحة رئيساً وعضوية كل من :

٢ ـ سايمون كارلو كوني .

٣ ـ القس برنابا انجلو رئيس مجلس الكنائس بمناطق الحركة .

٤ ـ جبرائيل على .

تمت مناقشة البنود التي وضعت من قبل خلال خمس جلسات وأخذ موضوع الاغاثة وقتا طويلا، إذ كانت الحركة تعتقد ان الحكومة السودانية لم تسمح بادراج منطقة جبال النوبا ضمن شريان الحياة ، لكن وفد الحكومة أكد ان الحركة الام هي التي لم تطرح الجبال ضمن مناطقها المحتاجة للغوث ، وكانت

مناطق جبال النوبا الخاضعة لسيطرة التمرد تشهد وضعاً مريعا من ناحية النقص في الغذاء.

تم الاتفاق في المؤتمر على الآتي :

١ ـ وافقت الحكومة على مرور الاغاثة الى مناطق جبال النوبا الواقعة تحت سيطرة الحركة بواسطة الامم المتحدة والمنظمات الطوعية الدولية، على ان تقوم الحركة الشعبية بمهمة الاتصال بالجهات الدولية المانحة في هذا الخصوص .

٢ ـ حرية التنقل داخل مناطق جبال النوبا مكفولة لكل المواطني،ن الا انه لا ضمان لسلامة أحد اثناء العمليات العسكرية.

٣ ـ أكد وفد الحكومة انه لا يوجد معتقل سياسي من ابناء جبال النوبا في ذلك الوقت ، وقد تبين ذلك لافراد وفد الحركة المفاوض من إفادة مجموعة الاتصال، وتم الاتفاق على اطلاق سراح عدد من المتهمين بتهمة التعاون مع الحركة لاثبات حسن النية. وكان اعضاء وفد الحركة قد اشاروا الى ان هنالك اعتقالات لابناء النوبا بتهمة التعامل مع الحركة .

٤ ـ تم الاتفاق على سرية المحادثات وعدم الاعلان عن المؤتمر وما تم فيه الا بعد الاتفاق بين الطرفين على موعد اعلانه (وذلك لان افراد الحركة كانوا يخشون على مصير ابناء النوبا الذين يوجدون بالاستوائية ضمن قوات الحركة الام ،حيث كان من المفترض ان تجري ترتيبات فنية معينة في حالة التوصل الى اتفاق نهائي في منطقة الجبال بشأن اوضاع اولئك المقاتلين).

عند نهاية المداولات وقع رئيسا الوفدين على البيان الختامي الذي حوى النقاط المتفق عليها أعلاه.

نتائج التفاوض في ام سردبة وبلنجة :

١ ـ مؤتمر بلنجة هو اول لقاء جمع الحكومة السودانية وافراد الحركة من جبال النوبا على طاولة مفاوضات واحدة .

٢ ـ تم تحقيق فصل جزئي لقضية جبال النوبا عن جنوب السودان . وكـان تلفون كوكـو يؤكـد في الجلسـات: ((نحـن نتحـدث معكـم كحركـة لجبـال النوبـا ولاتحاسبونا على اننا (SPLA) كحاجة عامة)) عندما يأتي الحديث عـن مسـاعي السلام التي بذلت مع الحركة منذ مجيء الانقـاد وقبلهـا ورفـض الحركـة الام لكـل تلك المبادرات.

٣ ـ أكد تلفون في نهاية المؤتمر جدية الحكومة وقال انها اصبحت في نظرهم جادة في السعي نحو السلام، وقال ان ما توصلوا اليه في بلنجة ، يعتبر خطوة نحو السلام مشيراً الى انه لم يأت احد من قبل ليجلس معهم على مائدة مفاوضات وان هذه هي المرة الاولى .

٤ ـ أحدث مجيء وفد الحكومة الى مناطق الحركة في ام سـردبة وبلنجـة وتحـاورهم مع وفد الحركة صدى واسعاً داخل مناطق جبال النوبـا الخاضعـة لسـيطرة التمـرد وازال الخوف من نفوس اولئك المواطنين الذين كانت دعاية الحركة تؤكد لهـم ان الموت مصير كل من يذهب الى مناطق الحكومة.

كانت النتيجة المباشرة لتلك الثقة :

(أ) ـ عودة حوالي ٣٥ الف مواطن تدفقوا الى مدينة كادقلي.

(ب) ـ عودة ٤١٨ مقاتلاً من افراد الحركة بأسلحتهم .

تم استيعاب العائدين في بادئ الامر في ثلاثة معسكرات ، أكبرها أقامته منظمة البر الدولية (معسكر البر لايواء العائدين) في مدخل مدينة كادقلي ومعسكرا السلام والزيتون التابعان للمحافظة . شاركت العديد من الجهـات في عمليـة الاسـتقبال والايواء ، ومن ثم جاء قرار الترحيل الى شمال كردفان الذي أوردنا خبره من قبل. وانسابت الى الحكومة معلومات هامة عن افراد الحركة مكنتها مـن معرفـة طريقـة تفكيرهم وبناء علاقات مؤثرة معهم .

تطورت الاتصالات بين الحكومة السودانية والحركة وتُبودلت عدة رسائل بين وفد الحكومة من جانب و يوسف كوة وتلفون كوكو من جانب آخر.

و في الفترة من ٢٠ مايو وحتى ٢٤ اغسطس ١٩٩٢م،عقدت مجموعة الاتصال أكثر من خمسة لقاءات مع قادة الحركة. وبلغت الاتصالات ذروتها عندما أرسل يوسف كوة وفدا من خمسة افراد برئاسة مدير دفع ا لله (مدير مكتب يوسف كوة) يوم ٢٤ اغسطس ١٩٩٢ الى مدينة كادقلي بقصد تحديد موعد للتفاوض. واقترح وفد الحكومة يوم ٩٢/٩/٧ موعداً لذلك مع تحديد خمس مناطق مكاناً لذلك اللقاء (كادقلي، اللحيمر ، العتمورة ، دلوكة وبلنجة) على ان يتناول اللقاء القضايا الاساسية .

شكل مجيء وفد الحركة الى كادقلي نقلة نوعية في مسار الاتصالات مع حركة التمرد بجبال النوبا ، مما جعل الحكومة السودانية تعقد جلسة تقويمية بتاريخ ١٩٩٢/٩/١م ضمت ممثلي كافة الاجهزة المعنية على المستوى الاتحادي والولائي. وتم تشكيل لجنة للتفاوض برئاسة المهندس حسب ا لله عمر وعضوية عبد الجبار حسين محافظ الدلنج الحالي واحمد الشين الوالي وسراج الدين عبد الغفار وحافظ سوار (ممثلا لحكومة ولاية كردفان) وعاطف عبدالقادر ضو البيت من مؤسسة السلام والتنمية وممثلين للاجهزة الامنية بالمنطقة والاستاذ احمد هارون مستشاراً للوفد (فيما بعد اصبح مديرا لادارة السلام وقاد عملية السلام التي اسفرت عن توقيع فصيل من الحركة بجبال النوبا على الميثاق السياسي بنيروبي).

شعرت حركة التمرد الام بان ما يدور في جنوب كردفان سيغير من طبيعة الاشياء في حالة توصل الاطراف الى سلام في المنطقة، الامر الذي اصبح يومها وشيكا. إذ سرعان ما تمت ممارسة الضغوط علي يوسف كوة الذي لم يجد مخرجاً من ذلك الا ان يطرح مبادرة السلام في مؤتمر جامع للحركة انعقد بالجبال يوم ١٩٩٢/٩/٣٠م. وكان واضحا من خط سير المؤتمر ان موقفاً متبايناً حول السلام

قد نشأ بين قادة الحركة، فبينما كان تلفون كوكو داعية للسلام في ذلك المؤتمر، وقف يوسف كوة على النقيض، وكانت نتيجة ذلك ان توقفت مساعي السلام بدعاوٍ غير منطقية تتعلق بالاغاثة وغيرها من الموضوعات . فيما بعد و في مطلع عام ١٩٩٣م استدعي يوسف كوة من قبل رئاسة الحركة الى نيروبي من جبال النوبا بدعوى تعيينه رئيساً للجنة التحضير للمؤتمر القومي الاول للحركة الشعبية الذي انعقد في عام ١٩٩٤م ، وبذا انطوت صفحة ومرحلة هامة من الاتصالات مع الحركة بجبال النوبا . ولو قدر لتلك المساعى النجاح ربما كانت قد ساهمت فى إيقاف نزيف الدم بالمنطقة ووفرت الكثير من تكاليف الحرب لحساب اعادة الاعمار .

ويمكن ايراد جملة من الملاحظات علىهذه الفترة اضافة لما ذكر عقب مؤتمري ام سردبة وبلنجة، وذلك على النحو التالي :

١ ـ تم تحقيق فصل جزئي لقضية جنوب كردفان عن قضية الجنوب .

٢ ـ تهيأت القاعدة المقاتلة للخوارج للسلام، إذ وجدت مبادرة السلام استجابة واضحة في صفوف المقاتلين.

٣ ـ تهيأ المواطنون داخلياً للسلام، بعد الاستقطاب الحاد من قبل التمرد، حتى اصبحوا من دعاة السلام وتأكد استعدادهم للتعايش السلمي مرة اخرى.

٤ ـ تم استقطاب ابناء النوبا بالداخل وحشدهم في اطار عملية السلام .

ثالثا : تجربة اللجنة العليا للسلام ـ جبال النوبا :

لعل البداية الحقيقة لانشاء منبر موحد كان الاجتماع الذي عقد في ١٩٩٢/٩/١م والذي ورد ذكره آنفا، حيث تطور ذلك الاجتماع الى لقاء موسع آخر عقد في اول يناير ١٩٩٣م ، وبلور ذلك الاجتماع رؤى استراتيجية واضحة تجاه مشكلة جنوب كردفان (أكثر تحديداً) وشهد ميلاد اللجنة العليا كجهاز تنسيقي برئاسة

اللواء الزبير محمد صالح نائب رئيس الجمهورية لضم كافة الاجهزة المعنية بأمر السلام ، وبالتالي توحدت الرؤى والآلية الخاصة بحل المشكلة.

تواصلت مساعى السلام والسعي إليه بشتى السبل ، وفى هذه الاثناء أعيد تقسيم الولايات فى عام ١٩٩٤م ، وفى مقابل ذلك أعيدت ايضاً هيكلة ادارة السلام بجنوب كردفان بحيث أُلغيت وظيفة مساعد الوالي للسلام وتم الاكتفاء بمدير عام لادارة تُنظِّر له وتشرف عليه في مستوى السياسات العامة للجنة العليا، ويقوم الوالي بالاشراف على الاداء التنفيذي .

وفقاً لذلك تواصلت المبادرات المحلية المختلفة والعمل الايجابي وسط ابناء النوبا حيث كللت المساعي بالتوقيع على (إعلان مبادئ حل قضية جبال النوبا) بنيروبي، وسط حضور إعلامي كثيف، من قبل وفد الحكومة السودانية ووفد اللجنة المركزية للحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان قطاع جبال النوبا برئاسة محمد هارون كافي ووفد هيئة القيادة السياسية لقوة السودان الجديد للسلام برئاسة يونس دومي كالو .

هذا وقد تم التوقيع على الاعلان في وثيقتين منفصلتين: الاولى وقع عليها المهندس اسماعيل علي سعد الدين نائب رئيس اللجنة المركزية للحركة قطاع جبال النوبا ورئيس وفدها للمباحثات. كما وقع عن جانب الحكومة الاستاذ احمد محمد هارون مدير عام ادارة السلام واعادة التوطين بجنوب كردفان . اما الوثيقة الثانية فقد وقع عليها القائد يونس دومي كالو رئيس هيئة القيادة السياسية لقوة السودان الجديد للسلام من جانب الهيئة. كما وقع عن جانب الحكومة العميد ركن (معاش) حمد عبدالكريم وزير مالية ولاية جنوب كردفان .

وقد شهد على التوقيع وفد من الحكومة السودانية ضم السادة : اسماعيل دقليس نائب امين عام حكومة ولاية جنوب كردفان ، وموسى سوى رحمة الله رئيس لجنة السلام بمجلس الولاية ، واحمد موسى حارن عضو المجلس الوطني ، وحسن

كندة عضو المجلس الاعلى للسلام والقس يوناثان حماد كوكو عضو المجلس الاعلى للسلام وعدد من قادة الفصيلين .

جاءت بنود الاعلان الثمانية عشر على النحو التالي :

اعلان مبادئ حل قضية جبال النوبا

إيمانا منا بأن الحوار السلمي والسياسي هو الوسيلة المثلى لحل كافة مشكلات وقضايا الوطن ، واعترافاً منا بقضية جبال النوبا كقضية من قضايا الوطن التاريخية التي يتعين حلها عبر الحوار الموضوعي من اجل تكريس واقع تعايش سلمي وانجاز مستقبل مزدهر للمنطقة .

وادراكاً من الاطراف لخصوصية وتمايز حل مشكلة جبال النوبا عن مشكلة أي اقليم آخر .

واعترافاً منا بالمجهودات التي بذلها ابناء المنطقة في الداخل والخارج.. يعلن الاطراف التزامهم بالمبادئ التالية كوسيلة لوضع حل نهائي للمشكلة :

١ ـ الاعتراف بوجود قضية في جبال النوبا ولفترة طويلة. وهذه القضية هي التي ادت الى دخول النزاع المسلح المنطقة منذ عام ١٩٨٤م .

٢ ـ يؤكد الاطراف التزامهم بالحل السياسي السلمي عبر الحوار البناء وسيلة مثلى لحل كافة مشاكل الوطن .

٣ ـ يتمسك الطرفان بوحدة السودان بحدوده الجغرافية والسياسية منذ عام ١٩٥٦م.

٤ ـ يؤكد الاطراف على ضرورة اتخاذ وقفة اقليمية وطرح اقليمي في اطار السودان الموحد كوسيلة مثلى لحل مشكلة الجبال بعيداً عن طرح الحركة الشعبية لتحرير السودان .

٥ ـ وافق الاطراف على اعتبار الميثاق السياسي للسلام اطاراً عاماً لحل واستيعاب كافة المشاكل والقضايا ذات الطابع القومي .

٦ ـ الشريعة والعرف هما مصدرا التشريع ويجوز للولاية سن تشريعات مكملة للقانون الفيدرالي في المسائل ذات الخصوصية في تلك الولاية .

٧ ـ المواطنة هي الاساس في االواجبات والحقوق التي تتضمن الحرية والمساواة والعدل وحقوق الانسان .

٨ ـ يلتزم الجميع بحرية التدين والاعتقاد ويُهيأ المناخ المناسب لممارسة التعبد ونشر الدعوة والتبشير والوعظ. ولا يجوز اكراه أي مواطن على اعتناق أي دين او عقيدة .

٩ ـ يؤكد الاطراف على الطرح الفيدرالي باعتباره وسيلة حكم من شأنها ان توفر لابناء المنطقة حقهم في المشاركة في ادارة شؤون منطقتهم وتنميتها، علاوة على مشاركتهم في السلطة الفيدرالية بشكل متوازن.

١٠ ـ توزع السلطات الموارد بعدالة بين الولاية والمركز ويقوم الاطراف بوضع التفاصيل لذلك .

١١ ـ ازالة كافة انواع المظالم والغبن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، ويشمل ذلك أي اراضي زراعية او غيرها تم بشأنها تخصيص غير عادل. وعلى رأس ذلك اعادة توزيع المشاريع الزراعية بما يراعى حرمة القرى وحقوق السكان المحليين، وأتاحة فرصة اكبر واولوية لابناء المنطقة في استثمار وتنمية ارضهم .

١٢ ـ العمل على إنهاء كافة اشكال التخلف والامية والجهل التي كانت سبباً نتج عنه الظلم والغبن ، مع تطبيق برنامج تنمية خاص بالمنطقة بما يحقق اغراض التنمية المتوازنة بين هذه المنطقة ورصيفاتها من مناطق السودان الاخرى وبما يحقق رفاهية شعب هذه المنطقة .

١٣ ـ تلتزم الحكومة بتطبيق برنامج خاص لاعادة التعمير والتوطين لمعالجة كافة الافرازات والآثار السلبية الناجمة عن الحرب، علاوة على برنامج طوارئ اسعافي

لمواجهة القضايا الانسانية الطارئة مثل الاغاثة وغيرها حسبما يقتضيه ظرف وجودها .

١٤ ـ الاعتراف بالثقافات المحلية وتطويرها واتاحة فرصة متوازنة لاظهارها والتعبير عنها ضمن الثقافات الاخرى للشعب السوداني في كافة منابرالتعبير الجماهيرية، الولائية منها والفيدرالية .

١٥ ـ أضرت الحرب بحقوق الانسان والبيئة في منطقة جبال النوبا بشكل بالغ. ويلتزم الاطراف بمعالجة الآثار السلبية الناجمة عن الحرب طيلة الاثنى عشر عاما الماضية .

١٦ ـ أمن الاطراف على وحدة السودان والتنديد بالانفصال والنعرات القبلية. ويلتزم الاطراف بتأمين حق مواطني جبال النوبا الديمقراطي لنيل حقهم الاقليمي العادل والوطني المتساوي والمتوازي في إطار السودان الموحد دونما تأثير أو ضغوط داخلية أو خارجية في ظل أية متغيرات سياسية .

١٧ـ هناك قضايا خارج دائرة الاختلاف والنزاع المسلح وهي موضع اتفاق بين الطرفين، تمت معالجتها بوثيقة منفصلة خارج اطار هذا الاعلان .

١٨ ـ يعمل الاطراف سوياً على وضع برنامج تفصيلي لوضع المبادئ العامة الواردة في هذا الاعلان موضع التنفيذ بما يقتضيه ذلك من جهد مشترك للتعبئة لهذه المبادئ وقفا للحرب ووصولاً الى السلام الشامل والاستقرار .

نيروبي ١٩٩٦/٧/٣١م

التوقيع

عميد ركن (م)
محمد عبدالكريم السيد
وزير مالية ولاية جنوب كردفان
رئيس وفد الحكومة

القائد : يونس دومي كالو
رئيس هيئة القيادة السياسية
لقوة السودان الجديد للسلام

(نفس هذا البيان وقع مع المجموعة الاخرى التي يمثلها محمد هارون كافي).
وصف الدكتور حبيب مختوم والى ولاية جنوب كردفان الاتفاق بأنه: ((ثمرة لجهود مضنية واجتماعات متصلة اثمرت عن هذا الاتفاق ببنوده الثمانية عشر والتي تمثل الركيزة المهمة في جهود إنهاء الصراع في جبال النوبا .. وقال ان السلام اصبح اليوم واقعاً معاشاً سيؤتى أكله من الرخاء والتنمية التي تنتظر الولاية في ظل توقيع هذا الاتفاق)) .(٣٠)
بهذا الاتفاق نسدل الستار على حركة الاتصالات الواسعة التي قامت بها حكومة الانقاذ للوصول الى حل لقضية الصراع في جبال النوبا .وقد تزامنت هذه الاتصالات مع ما كان يجري على صعيد المفاوضات مع الحركة الام، وقد اثمرت هذه العملية عن تمتع مناطق واسعة من جبال النوبا بالامن والسلام والاستقرار نتيجة العمل السياسي والتنفيذي والعسكري ، واصبح السلام والاستقرار أمراً واقعاً في أكثر من ٩٠٪ من الولاية . وما زالت مساعي السلام متواصلة من أجل بلوغ الحل النهائي للمشكلة وعودة بقية افراد الحركة وقادتها .(٣١)

الفصل الثاني

محاور العمل السياسي والاداري لنظام الانقاذ بجنوب كردفان :

ان قضية المشاركة السياسية ومبادرات التعامل والاندماج السياسي باشراك أكبر قطاع من المجتمع في صنع واتخاذ القرار، ظلت وما زالت مطروحة في كثير من دول العالم الثالث بشكل واضح، وذلك سعياً لتحقيق التنمية السياسية كمدخل عام للاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

شهد السودان تقلبات عديدة ومحاولات لربط التطور السياسي في البلاد تارة بالنموذج الليبرالي الغربي في الممارسة السياسية وتارة أخرى بالانظمة الشمولية. ونظام الانقاذ منذ مجيئه كان مشغولا بقضية التحديث السياسي واحداث النقلة المطلوبة وسد الفراغ في الحلقة المفقودة، بتوسيع قاعدة المشاركة الجماهيرية ومحاولة المواءمة بين النظام الليبرالي والشمولي، لاخراج البلاد من الحلقة الجهنمية التي كانت تدور فيها منذ الاستقلال .

تدرج نظام الانقاذ في تطبيق النظام الفيدرالي الذي انتقلت بموجبه السلطات الى القواعد وفقاً للقانون حتى مستوى المجالس المحلية التي صارت تمارس سلطات كانت من اختصاص وزارات مركزية في فترة الحكم الإقليمي .

من خلال استعراضنا للمراسيم الدستورية التي أصدرها مجلس قيادة الإنقاذ نتبين أهم ما تضمنته من مبادئ وقيم وموجهات بشأن الحكم الاتحادي ، والتي تدرجت على النحو التالي :

جاءت أبرز توصيات مؤتمر الحوار الوطني حول قضايا السلام الذي انعقد في الفترة من ٩ سبتمبر إلى ٢١ أكتوبر ١٩٨٩ أي بعد شهرين من مجيء الإنقاذ الوطني هو ضرورة اعتماد النظام الفدرالي لحكم السودان .

حيث صدرت المراسيم الدستورية التالية :

في ١٩ رجب ١٤١١هـ الموافق فبراير ١٩٩١ صدر المرسوم الدستوري الرابع وهو المرسوم الخاص بتأسيس الحكم الاتحادي، ألغى هذا المرسوم قانون الحكم الذاتي الاقليمي للمديريات الجنوبية لسنة ١٩٧٢ وقانون الحكم الاقليمي لسنة ١٩٨٠ وقانون العاصمة القومية لسنة ١٩٨٣، وأبقى على التشريعات الصادرة بموجب تلك القوانين .

قسم هذا المرسوم السودان في اطار إقرار الحكم الإتحادي الى تسع ولايات هي : الخرطوم ، الشمالية ، الوسطى ، الشرقية ، كردفان ، دارفور، أعالي النيل ، بحر الغزال والاستوائية . وحدد المرسوم كافة السلطات الولائية والاتحادية واجهزة الحكم الاتحادي والولائي ونظم العلاقة بين الولايات والمركز .

من المراسيم الدستورية الهامة في هذا الاطار، المرسوم الدستوري السابع بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٤١٤هـ الموافق ١٦ اكتوبر ١٩٩٣ (المبادئ والنظم والتطورات الدستورية) لسنة ١٩٩٣م. حدد هذا المرسوم المبادئ الموجهة لسياسة الدولة وأرسى كذلك مبادئ الواجبات والحقوق بلا تمييز في الحق العام لمجرد اعتبار الملة ، ولا تفرقة أو تمييز بمجرد الجنس أو الوضع الاجتماعي أو المالي ،الا عدلا بالقانون، مع كفالة حق الرأي والاجتهاد والنصح العام والحرية في التعبير والمشاركة في العمل، الا بضابط القانون، مع إقرار حق الكسب والربح وحرية الحركة والتنقل الا بضابط القانون .

حدد المرسوم كيفية تعيين رئيس الجمهورية، وكيفية إنعقاد المؤتمرات القومية القطاعية والمؤتمر العام للنظام السياسى ومؤتمرات الولايات القطاعية ومؤتمراتها العامة .

ونظم قيام الانتخابات مع تأكيد حق الانتخاب دون عزل لاحد بسبب ولائه الديني أو السياسي، وكيفية تنظيم المجلس الوطني ومجالس الولايات .

وفي ١٤ رمضان ١٤١٤هـ الموافق ١٥ فبراير ١٩٩٤م صدر المرسوم الدستوري العاشر (تعديل المرسوم الرابع) الذي أُعيد بموجبه تقسيم السودان الى ست وعشرين ولاية بدلا عن تسع ولايات . ثم المرسوم الجمهوري رقم (٧) باعادة توزيع الاصول والموارد بين الولايات، وكان قد صدر في ٤ فبراير ١٩٩١م قانون تقسيم المحافظات لسنة ١٩٩١م الذي قسم ولاية كردفان - وهي التي تعنينا في الدراسة - الى تسع محافظات .

وفي السادس من ذي الحجة ١٤١٤هـ الموافق ١٧ مايو ١٩٩٤ صدر المرسوم الدستوري الحادي عشر (تنظيم اجهزة الحكم الاتحادي بالولايات) لسنة ١٩٩٤م والذي تناول تكوين حكومة الولاية واختصاصاتها وانشاء مجالس الولايات .

وفي ١٩٩٥/٨/١٢م صدر المرسوم الدستوري الثاني عشر (في علاقات الحكم الاتحادي وتعديل نظم الولايات) لسنة ١٩٩٥م الذي ألغى المرسومين الدستوريين الرابع والعاشر ١٩٩٤م ، والذي قسم السودان الى ولايات ومحافظات وحدد حدودها واسماءها وعواصمها، وتم بموجبه توزيع السلطات الاتحادية والسلطات الولائية والسلطات المشتركة، وقسمة الموارد المالية الاتحادية والولائية، والمجالس المحلية .

وفي غرة شهر شعبان ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٥/١٢/٢٤م صدر آخر المراسيم الدستورية ، وهو المرسوم الدستوري الثالث عشر (اجهزة الحكم الاتحادي) لعام ١٩٩٥م الذي حدد كيفية انتخاب رئيس الجمهورية، كما حدد النظم والمؤسسات والهيئات الاتحادية والقومية ، اضافة الى مجلس الوزراء والمجلس الوطني والقضاء. وحدد في بابه الخامس كيفية اختيار الولاة وتعيين وزراء الولايات والمحافظين . (٣٢)

وما يعنينا في هذه الدراسة انه بموجب هذه المراسيم الدستورية تحقق حلم جنوب كردفان بانشاء ولاية خاصة بالمنطقة عاصمتها كادقلي. علما بان ذلك كان احد

مطالب حركة التمرد بجبال النوبـا . وقُسمت الولاية الى خمس محافظات هـي: كادقلي ، الدلنج ، الرشاد ، ابو جبيهة وتالودي ، إضافة الى إنشاء مجلس للولاية يتكون من ٤٠ عضواً ، ثمانية عشر عضوا يتم انتخابهم عبر الدوائر الانتخابية، وثمانية وعشرون بالتصعيد من مؤتمر الولاية، واربعة بالاستكمال.

ووفقاً لهذا الترتيب إنعقدت مؤتمرات الولايات وجرت انتخابات الدوائر الجغرافية وفق الرؤية الجديدة، وكانت المشاركة واسعة بالريف السوداني في هـذه الانتخابات ، كما شهدت المدن حمى الانتخابات بظواهر جديدة صحية .

وانعقدت كل مجالس الولايات في الثالث من يونيو ١٩٩٥م، ثم أُكمل بناء هياكل الحكم الاتحادي بقيام المجلس الوطني المنتخب ، إضافة الى إنتخابات رئيس الجمهورية. ودخلت البلاد مرحلة دستورية جديدة غير مسبوقة .(٣٣)

أما على صعيد ولاية جنوب كردفان. فقد قام الفريق عمر حسن احمد البشير رئيس الجمهورية بافتتاح مجلس الولاية في ابريل ١٩٩٥م كأول مجلس ولائي يتم افتتاحه على مستوى السودان ، مما اعتُبر تكريماً من الانقاذ لاهل هـذه الولاية. إضافة الى ان أول نائب يُعلن فوزه في الدوائر الانتخابية الولائية، كان من جنوب كردفان وهو محمد أبكر محمد نائب دائرة أم دورين التي كانت الى وقت قريب في قبضة الخوارج إضافة الى انها شهدت بداية دخولهم المنطقة بصورة عملية عام ١٩٨٧م . كما يضم مجلس ولاية جنوب كردفان أصغر عضو برلماني ولائي وهو النائب محمد موسى ديوك عن دائرة الدلنج .

وجاء تشكيل حكومة الولاية ومجلسها الجديد (بعد المراسيم الدستورية الاخيرة) واضافة محافظتين للولاية (ابو جبيهة وتلودي) على النحو التالي :(٣٤)

السيد : د. حبيب مختوم والياً .

العميد (م) حمد عبد الكريم وزيرا المالية .

كامل حافظ الامين وزيرا للتربية والتعليم.

د. بدوي بابكر عثمان وزيرا للزراعة .

بدوي الازيرق على وزيرا للشؤون الهندسية .

حماد علي احمد وزيرا للصحة .

جلال الدين المراد وزيرا للشؤون الاجتماعية والثقافية .

الامين عبد الماجد محافظا لكادقلي .

مقدم ركن الامين عبد القادر الامين محافظا لرشاد .

عبدالجبار حسين عثمان محافظا للدلنج.

اللواء شرطة سجون (م) عصام عيسى الفاضل محافظا لأبوجبيهة .

عليان علي محمد محافظا لتالودي .

النور كبسور ابو صليب امينا لحكومة الولاية .

(وعند تشكيل حكومة الولاية في بادئ الامر وقبل إضافة المحافظات الجديدة شغل اثنان من أبناء المنطقة مناصب وزارية بحكومة الولاية هما خيري القديل وزيراً للزراعة ومكي علي بلايل وزيراً للمالية ، كما شغل مجذوب يوسف منصب المحافظ بالدلنج. وقد اختاره أهلها بالاجماع السكوتي - نتيجة للانجازات التي قام بها اثناء توليه للمنصب - نائباً عن مدينة الدلنج بالمجلس الوطني. كما شغل خليل عبدا لله منصب المحافظ بالرشاد ود .محمد عثمان صالح وزيرًا للتربية والتوجيه بالولاية ، إضافة إلى تعديلات أخرى أجريت فيما بعد على التشكيلة الوزارية بالولاية).

وجاءت عضوية أول مجلس ولائي لولاية جنوب كردفان على النحو التالي :

١ ـ محمد الحاج عبد الرزاق رئيسا للمجلس .

٢ ـ محي الدين التوم حامد نائبا لرئيس المجلس .

٣ ـ الشيخ آدم الخليفة رائدا للمجلس .

٤ ـ علي سعد علي امينا عاما للمجلس.

	الاعضاء		الاعضاء
١	عبد الرحمن عبد الله ادريس	١٤	الفكي ابو النو الاباشا
٢	خليل القديل أرشين	١٥	محمد حامد النور
٣	الرضى آدم محمد	١٦	علي مفالم حماد
٤	محمد زياد.حسن	١٧	سليمان شاع الدين سليمان
٥	محمد عمر عبدا لله	١٨	علي الكناني تميم
٦	حماد احمد سليمان	١٩	جامع العداد محمد
٧	ابراهيم سعيد ابراهيم	٢٠	تاور المامون تاور
٨	الجيلي عبدالباقي احمد	٢١	مصطفى محمد صديق
٩	عثمان محمد ثاني	٢٢	كبى كوكو الغزالي
١٠	علي قدوم علي	٢٣	محمد ابكر محمد علي
١١	الشريف محمد علي	٢٤	محمد المكي كاودلة
١٢	موسى سومى رحمة	٢٥	منصور عبدالعظيم
١٣	محمد ابراهيم كرشوم	٢٦	عمر ادم احمد

الاعضاء بمجلس الولاية		الاعضاء بمجلس ولاية جنوب كرفان	
٢٧	عجيب احمد صالح	٢٨	محمد موسي دبركة ادم
٢٩	مصطفى الدومة امام	٣٠	نبيل سعيد بدوي
٣١	الرضية احمد حسن	٣٢	عابدين موسى حسن

المقاصد والموجهات التي قامت عليها سياسة الانقاذ تجاه المنطقة :

قبل الدخول في تفاصيل البرامج الادارية والسياسية التي نفذتها الانقاذ الوطني في منطقة جنوب كردفان، يجدر بنا ان نتناول المقاصد والموجهات العامة التي انبنت عليها تلك السياسة ، والتي يمكن ان نجملها في الآتي :

١ ـ المشاركة في الحكم : وذلك بالتمثيل العادل لابناء المنطقة في أجهزة الحكم الاتحادية والولائية وقيام ولاية لجنوب كردفان .

٢ ـ إعادة توحيد النسيج الاجتماعي ورتقه وذلك بقيام العديد من مؤتمرات الصلح وعودة الاحلاف القديمة بين قبائل المنطقة ، وخلق حالة من التعبئة الايجابية تجاه النوبا .

٣ ـ قيادة العمل السياسي الرامي الى توحيد الجبهة الداخلية ضد دعاوي التمرد .

٤ـ إعادة تعمير المناطق المحررة وتوطين العائدين .

٥ ـ الاتصال بعناصر الحركة فيما عُرف ببرنامج السلام من الداخل وتكريس المفاصلة ما بين قضية جنوب كردفان وجنوب السودان .

٦ ـ إعداد وتنفيذ البرامج الهادفة الى ازالة أسباب وآثار الحرب ، ووفقاً لهذه المقاصد والموجهات. و يمكننا ان نقسم برامج الانقاذ الوطني الى مرحلتين على النحو التالي :

المرحلة الاولى من يونيو ١٩٨٩م ـــ يناير ١٩٩٤م:

(أ) على المستوى الاتحادي:

١ ـ تجلي اهتمام الانقاذ بقضية النوبا في تعيين العميد ابراهيم نائل ايدام عضواً بمجلس قيادة الثورة اضافة الى توليه رئاسة جهاز الامن في السودان ، وهو الامر الذي يحدث لاول مرة في تاريخ السودان، ان يتبوأ احد ابناء النوبا منصباً سيادياً. اضافة الى توليه ايضا لاحدى وزارات الحكومة بجانب د. كبشور كوكو الذي يتولى وزارة التربية والتعليم ، حيث اقتصرت مشاركة النوبا في السابق على وزارة

السياحة والبيئة إبان العهد الديمقراطي والمواصلات على عهد حكومة مايو كما اسلفنا من قبل .

٢ ـ اعلنت الانقاذ عند مجيئها هدنة لمدة ثلاثة اشهر التزمت بها القوات المسلحة، في محاولة لزرع الثقة في نفوس ابناء النوبا تجاه اطروحات الانقاذ. وهي الفترة التي ذكرنا ان التمرد استفاد منها وتمدد في كثير من مناطق الجبال .

٣ ـ بدأت حركة الاتصالات بأبناء النوبا في حركة التمرد و لم تنقطع، على نحو ما اوردنا في الفصل الاول من هذا الباب .

٤ ـ اعادة تكوين الدفاع الشعبي في المنطقة على اساس قوي كفل لابناء النوبا من غير المنضويين تحت لواء الحركة حمل السلاح للدفاع عن مناطقهم وتحريرها مثلهم مثل المجموعات الاخرى .

٥ ـ افردت الاجهزة المعنية اهتماماً واضحاً بقضية النوبا وقادت عملاً استقطابياً متقدماً بالعاصمة استهدف بشكل رئيسى إختراق مجتمع النوبا لاخراجه من دائرة المصطلحات التي اتسم بها تحركه وأداؤه السياسي (النعرة العنصرية ، الاحزاب العنصرية ، المؤامرات والانقلابات العنصرية)، والخروج بذلك المجتمع من دائرة الرصد الامني والعمل الوقائي الى دوائر العمل الايجابي. وقد تحققت نجاحات واضحة في هذا المجال ، أدت الى ان يكون ابناء النوبا اداة فاعلة في برنامج السلام من الداخل ويقودوا عملاً ناجحاً ويحققوا اتصالا مباشرا ومبكرا مع حركة التمرد لصالح مشروع السلام .

ب ـ على المستوى الولائي :

صدر قرار مجلس قيادة الانقاذ الوطني رقم (٤) لسنة ١٩٩١م بانشاء ادارة السلام واعادة التوطين بجنوب كردفان لتضطلع باعباء ومهام معالجة اسباب وآثار التمرد بالمنطقة ، وكانت السمة الرئيسية للادارة في ذلك الوقت انها كانت ادارة ولائية صرفة يشرف عليها ويدير انشطتها مساعد الوالي للسلام وإعادة التوطين ، وقد

تولى ذلك احد ابناء جنوب كردفان وهو الاستاذ عمر سليمان وزير الدولة للنقل الحالي .

وأهم ما تم انجازه في ذلك الوقت : (٣٥)

١ - تخطيط وبلورة فكرة مشروع قرى السلام .

٢ - بداية تنفيذ المرحلة الاولى من مشروع قرى السلام في اطاره الدفاعي. وبمعنى أدق، تثبيت القرى التي تمثل احزمة امنية للمدن لمناهضة استراتيجية التمرد - الرامية الى اخلاء الريف من السكان الذين لم يستطيع السيطرة عليهم او إحتجازهم تمهيداً لاحتلال المدن - وذلك من خلال مشروع توزيع الجرارات الزراعية على القرى الصامدة لربط السكان بالارض، و تم ذلك بالمشاركة مع البنك الزراعي السوداني .حيث استوعبت تلك القرى حوال ١٦٢ الف نسمة من القبائل المختلفة.

٢ - تم البدء في برامج اعادة تأهيل مرافق الخدمات التعليمية والصحية ومرافق المياه وعمل المزلقانات وفتح القرى واقامة السدود .

٣ - ترتيب الادارة الاهلية باعادة تقسيمها وتفصيلها لمواجهة الواقع الذي افرزته الحرب.

٤ - تنشيط ودفع العمل العسكري بتعميم تجربة الدفاع الشعبي لزيادة الرقعة الامنية والمساهمة مع القوات المسلحة في تحرير قرى ومدن المنطقة على نحو ما فصلنا من قبل .

(ج) علي المستوى المحلي :

ونقصد بذلك الاجهزة المعنية على مستوى المحافظات المتأثرة بالحرب ، وهنا تبرز مبادرة محافظ كادقلي المقدم ركن محمد الطيب فضل التي قادها للاتصال بالخوارج في عام ١٩٩٢م وما ترتب عليها من عمل إيجابي كما بينا من قبل ، اضافة الى برنامجه الذي هدف الى اعادة ثقة ابناء النوبا بالداخل في الحكومة بأجهزتها

المختلفة ، ومن ثم مشاركتهم الايجابية من بعد في برامج الانقاذ وأطروحاتها.
وهذا يقف كنموذج صالح للعرض، بجانب المجهودات التي بذلت هنا وهناك على المستوى المحلي لاعادة الاوضاع الى طبيعتها في جنوب كردفان بدءاً بمقاومة التمرد وانتهاءا بإحلال السلام بعد ذلك.

المرحلة الثانية - إنشاء ولاية جنوب كردفان عام ١٩٩٤م:

كان الحكم الفيدرالي مطلب الكثيرين من ابناء المناطق الاقل نمواً في السودان، ليحقق طموحاتهم في المشاركة الواسعة في السلطة وإدارة مناطقهم، اضافة الى تحقيق تنمية متوازنة منشودة لتلك المناطق، وكان إنشاء ولاية جنوب كردفان أحد أهم مطالب المتمردين من ابناء جبال النوبا، وهم يلتقون في ذلك مع عامة ابناء جنوب كردفان. اذ جاء انجاز إقامة الولاية مرضيا لتطلعات ابناء المنطقة جميعا . وقد استطاعت حكومة الولاية في الفترة القصيرة منذ توليها زمام الامور بالمنطقة تحقيق كثير من أطروحات نظام الانقاذ آنفة الذكر.
ففي ظل حكومة الولاية وتنسيقها للمجهودات المختلفة ، تحقق السلام في ربوع الولاية واستطاعت القوات المسلحة والدفاع الشعبي دحر التمرد. ويؤكد د. حبيب مختوم والي جنوب كردفان ان ٩٥٪ من الولاية ينعم الآن بالامن والاستقرار ، وان الاوضاع في كثير من المناطق عادت الى طبيعتها وان قرى السلام التي تبلغ ٥٠ قرية يمارس فيها العائدون حياتهم العادية (٣٦) .
أما من حيث العمل المباشر الذي تحقق في إطار إعادة تعمير المناطق المحررة واستيعاب العائدين، فقد أُعيدت هيكلة ادارة السلام بحيث ألغيت وظيفة مساعد الوالي للسلام وتم الاكتفاء بمدير عام لادارة تُنظّر له وتشرف عليه في مستوى السياسات العامة وموجهات العمل للجنة العليا التي يرأسها اللواء الزبير محمد صالح نائب رئيس الجمهورية ، و يتولى أمر متابعة العمل وتنفيذه الوالي بحكم مسؤوليته الامنية والسياسية ... ومن خلال الوضع الجديد لادارة السلام تم توفير

إمكانات عمل أكبر للادارة عبر الدعم الاتحادي والولائي، اضافة الى ربط العمل السياسي الايجابي بالعاصمة وتجمعات ابناء النوبا خارج السودان بالولاية، وذلك لتوحيد الرؤى والقناة التي يصب فيها العمل تجاه قضية جبال النوبا . وتمت المحافظة على خطوط العمل السياسي الاستراتيجي تجاه هذه المشكلة .. ودون المساس بعموم ذلك فقد تكرس وتحقق أهم عنصر استراتيجي وهو تحقيق المفاصلة بين قضية الجنوب وجنوب كردفان . وقبل الدخول في سرد ما تم تحقيق من عمل في هذه المرحلة نتعرف على أهداف ادارة السلام عبر تكوينها الجديد من خلال حديث المدير العام بالادارة الاستاذ أحمد محمد هارون الذي أشار الى أنه تم انشاء ادارة السلام في عام ١٩٩١م لظروف استثنائية بغرض العمل على اعادة توطين العائدين الذين شردتهم الحرب من ديارهم التي تركوها بعد استحالة بقائهم فيها، وكانت الادارة تتخذ من مدينة الابيض عاصمة ولاية كردفان مقراً لها قبل قيام النظام الفيدرالي . وبعد تطبيق النظام الفيدرالي واقامة ولاية لجنوب كردفان، كان لابد للادارة من ان تنتقل الى كادقلي عاصمة الولاية الجديدة ، وذلك لمواكبة التطورات وقيادة مسيرة السلام من الداخل. وتم فتح مكاتب للادارة في محافظات الولاية المختلفة لمواكبة التطورات الفيدرالية. وهدفت الادارة عند قيامها الى تحقيق الاهداف الاتية :(٣٧)

١ ـ قيادة وتنفيذ برنامج السلام من الداخل الذي من أهم سماته :

(أ) ـ استقطاب المقاتلين والمواطنين من حركة التمرد للعودة الى حظيرة الوطن .

(ب) ـ قيادة العمل السياسي الرامي الى توحيد الجبهة الداخلية ضد دعاوي الخوارج .

(ج) ـ رتق النسيج الاجتماعي للمنطقة .

(د) ـ إعادة تعمير المناطق المحررة .

٢ ـ إعداد وتنفيذ المشروعات والبرامج الهادفة الى ازالة أسباب وآثار الحرب.

٣ ـ العمل على تكريس المفاصلة بين قضيتي جنوب كردفان وجنوب السودان .

٤ ـ توفير الاحتياجات الاساسية للعائدين من مأكل ومشرب ، وتطبيع الحياة المدنية في المناطق المحررة باعادة تأهيل العائدين برفع مستواهم الاقتصادي واكسابهم مهناً وحرفاً جديدة .

٦ ـ إستيعاب مقاتلي الحركة .

محاور العمل وما تحقق منها في هذه المرحلة :

اولاً : محور العمل السياسي :

١ ـ في إطار تحقيق السلام من الداخل قادت حكومة الولاية ممثلة في إدارة السلام عدداً من المبادرات المحلية، سواء عن طريق الاتصال المباشر أو غير المباشر بقيادات حركة التمرد بالمنطقة ، (كالتحرك الذي قاده أبناء البرام ، وتحرك أبناء الكواليب بقيادة نائبهم السابق على جرو .. . الخ) على نحو ما فصلنا في الفصل السابق. وكان من نتيجة ذلك :

ـ تسليم عدد من القياديين والمقاتلين بحركة التمرد للحكومة .

ـ تسليم عشرات الآلاف من المواطنين (وقد بلغ عدد العائدين من حركة التمرد من كل محافظات الولاية أكثر من ٢٦٠ الف عائد خلال أقل من عام وهناك تدفقات يومية للعائدين من قرى السلام والنقاط الخارجية بمعدل ٣٠٠ الى ٥٠٠ يوميا).

ـ كسر روح العداء داخل صفوف القاعدة المقاتلة بحركة التمرد وتهيئة القاعدة للسلام .

ـ بيد أن أهم انجاز تحقق في هذا الجانب هو تأكيد ان السلام يمكن الوصول اليه بهذه المنطقة دون اللجوء الى الطرق التقليدية المتبعة في مثل هذه المنازعات (الاتفاقيات الخارجية) .

٢ - في إطار إعادة توحيد النسيج الاجتماعي قادت إدارة السلام بالتنسيق مع حكومة الولاية والمحافظين مبادرات استهدفت إعادة الاحلاف القديمة بين قبائل المنطقة ، وقد شملت هذه الاحلاف كافة المجموعات القبلية بمحافظة كادقلي اضافة الى بقية المحافظات . ومثال على ذلك الاتفاق الذي وقعته إمارة الرواوقة (حوازمة) وإمارات النوبا الممثلة فى إمارة قبائل كادقلي ، إمارة قبائل ريفي البرام، إمارة النوبا الوسطى ، وإمارة ميري. وهو الاتفاق الذي يقضي باعادة الأحلاف القديمة وتأكيد التعايش السلمي بين المجموعات القبلية بالمنطقة. وقد شهد التوقيع على الاتفاق اللواء الزبير محمد صالح نائب رئيس الجمهورية والدكتور حبيب مختوم والي جنوب كردفان والمقدم الركن الامين عبدالقادر محافظ محافظة كادقلى، تأكيداً لمباركة الدولة وقيادتها لخط التعايش السلمي بين مواطني جنوب كردفان، وذلك وسط حشد جماهيري لم يسبق له مثيل . وقد جاءت وثيقة الاتفاق على النحو التالي :(٣٨)

((تبايع قبيلة دار جامع أهلها (كادقلي ، ميري ، كيقات ، شاتات أم لوبه ، كافينا ، كرنقو) على كتاب الله وسنة رسوله، على ان يكون بينهم تعايش سلمي وطناً وزراعةً وبيتاً وان لا يتعدى احد على حليفه، بأي حال من الاحوال، وتشجيع النسيج الاجتماعي كما فعل أجدادنا ، والمعتدي من الطرفين تتعامل معه كل الاطراف كما جاء بالقوانين ، والدية بين الطرفين خمسة عشر رأساً من البقر، وإدانة التمرد ، ونبذ الذي لا يليق مع تعايشنا واخلاقنا كسودانيين والمحافظة على السودان الموحد وإدانة كل من يحاول تفتيته ، والتمسك بالدين الاسلامي والاحتكام له في السلم والمصائب ، وتكوين لجنة للتعايش السلمي بين الامراء والاعيان لحل الاشكالات).

وقد وقع على الاتفاق عدد من الاعيان الذين يمثلون تلك المجموعات، كما وقع عليه أمراء تلك القبائل وهم :

الامير عثمان بلال عن قبيلة الرواوقة .

الامير حازم يعقوب رحال عن قبيلة كادقلي .

الامير محمد الزاكي الفكي على الميراوي عن قبيلة ميري .

الامير كافي طيارة عن قبائل ريفي البرام.

الامير محمد رحمة عن إدارة النوبا الوسطى.

٣ ـ قامت الحكومة الولائية بدعم وقيادة المبادرات الشعبية لعقد مؤتمرات السلام بالمجالس الريفية والمحافظات والتي تحقق من خلالها :

- توحيد الجبهة الداخلية .
- تعبئة الرأي العام بالمنطقة لصالح قضية السلام.
- تأكيد التعايش السلمي بين قبائل المنطقة .

هذا وقد تم تنفيذ المؤتمرات التالية:(٣٩)

(أ) مؤتمر سلام قرى الحمرة .

(ب) مؤتمر سلام ريفي البرام .

(ج) مؤتمر سلام ريفي أم دورين .

(د) مؤتمر سلام محافظة كادقلي .

(هـ) مؤتمر الروابط والهيئات الشعبية لابناء منطقة جنوب كردفان بولاية الخرطوم الذي انعقد بالفندق الكبير .

(و) مؤتمر ادارة الرواوقة.

٤ ـ تفعيل الادارة الاهلية واستقطابها وتوجيهها لخدمة قضية السلام بالمنطقة. وقد تم الاستفادة منها في برامج الإحلاف القبلية والاتصالات غير المباشرة بقادة التمرد بالمنطقة .

٥- قامت حكومة الولاية بزيارات متكررة لكل المنـاطق الـتي ظلـت لسنين تحـت سيطرة الحركة (تعد من المنـاطق المقفولـة) حيـث كـان لتلـك الزيـارات أثرهـا الكبير في دعم مسيرة السلام . وقد شملت المناطق التالية على سبيل المثال لا الحصر

- قرى ريفي البرام : الاحيمر /التيس /البرام/ الريكة / طروجي / انقولو
- ريفي هيبان :هيبان المرات وأم لوبيا .
- ريفى سلارا :جلد /مندى/ ماجدة/ ود أبودحشى/ كجورية .
- ريفى هبيلا : كوكاية/ كدبر/ دلامى/درى/ عبرى .

إضافة الى الزيارات المتكررة التي قام بها النـائب الاول لرئيـس الجمهوريـة رئيـس اللجنة العليا للسلام بالولاية للمناطق المذكورة اعلاه، حيث عززت تلك الزيارات من مفهوم السلام وبسطه في ربوع المنطقة وأكدت الاستقرار في كامل الولاية .

٦- في جانب إعادة التوطين:

إستهدفت خطة الحكومة في هذا المجال التركيز على الآتي :

(أ) إعادة المواطنين من مناطق سيطرة الحركة الى مناطق سيطرة الحكومة.

(ب) إعادة المواطـنين النـازحين بقـرى ومـدن الولايـة الى منـاطقهم الاصليـة الـتي هجروهـا ،وذلـك بغـرض توسـيع الدائـرة الامنيـة وتعميـق روابـط الامـن والاستقرار ، وقد تم في بادئ الأمر فتح المناطق التالية بالتنسيق مع الاجهزة الامنية بالولاية (القوات المسلحة ،الامن والدفاع الشعبي):

- محافظة الدلنج :

قرية ود ابو دشي ، قرية ماجدة ، قرية عبرى ، قرية دري ، قرية كجورية ، قريـة الهدرة ، قرية اطو و قرية كتلا .

- محافظة كادقلي :

قرى ابوهشيم ، دامبا ، مدينة هيبان ، الازرق، المرات ، تمبيرا ، ام عدارة الكوك ، مندي وام لوبيا .

ـ محافظة السلام : (لقاوة)

قرى البطاية ، نمر شاغو ، سليحي و ام كريشة .

كانت البداية في هذه القرى التي هجرها أهلها بسبب الحرب، وظلت طيلة السنين السابقة قرى مهجورة . تم استنفار أهلها وإستيعابهم فى الدفاع الشعبى وتسليحهم وتوفير متطلبات إستقرارهم فى تلك القرى، وشاركت القوات المسلحة في تأمين وصولهم الى قراهم والاستقرار بها، وكانت هي البدية الحقيقة لقرى السلام التي شملت مناطق الولاية المختلفة .

٧ ـ تم إعادة فتح جميع المجالس المحلية بالمناطق المحررة والتى كانت مغلقة في السابق، وتم إستكمال تأسيسها الاداري والسياسي وذلك على النحو التالي :

١ ـ مجلس ريفي البرام .

٢ـ مجلس ريفي أم دورين.

٣ ـ مجلس ريفي هيبان .

حيث تولت إدارة السلام أمر تشييد تلك المجالس وبإنشائها ومباشرة مهامها تم إعادة تطبيع الحياة المدنية بتلك المناطق، وذلك نتيجة للتواجد الحكومي الرسمي المدني من ضباط إداريين / مجالس محلية منتخبة / خدمات تعليم وصحة وخدمات عامة ... الخ .

٨ ـ إستطاعت حكومة الولاية في اطار استيعابها للعائدين من حركة التمرد ان تجعل منهم قوة دفع جديدة في اطار حركة السلام من الداخل ، وذلك بمساهمتهم الفعالة في إعادة ذويهم الذين ما زالوا تحت قبضة الحركة. وبالتالي اصبح اولئك العائدون جزءاً من منظومة الدفاع الامني للولاية. اضافة الى

استحداث نمط جديد من الاستيعاب، وذلك بان دخل ابناء المنطقة القوات المسلحة نظاميا لمدة ثلاث سنوات، مع ممارسة حياتهم اليومية المدنية. ففي منطقة البرام وحدها استوعبت القوات المسلحة ألفين منهم، وذلك في اطار عودة الحياة الى تلك القرى مع حمايتها بواسطة اهلها ، والجدير بالذكر ان سريتين من ابناء البرام الذين استوعبوا على نحو ما ذكرنا طالبت بالتوجه الى شرق السودان للدفاع عن تلك الناحية عند سقوط مدينة يابوس في ايدي قوات حركة التمرد . اضافة الى ان العائدين يتم استيعابهم في أعمال ومهن مدينة اخرى في اطار دمجهم داخل المجتمع المحلي من جديد .

٩ ـ في اطار العمل السياسي خارج الولاية والداعي الى محاصرة التمرد بالتنسيق مع الولايات المجاورة قامت ولاية جنوب كردفان بتمتين علاقاتها مع الولايات المجاورة من خلال رابطة التآخي والمحبة والسلام فيما عُرف بمجموعة(نيما) التي تهدف الى التعاون على بسط الامن والتعايش السلمي فيما بينها والاستفادة من الامكانيات والخبرات من خلال التوأمة والتنسيق في المجالات الامنية والاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية ، وكان من أهم نتائج هذه العلاقات تأمين ظهر الولاية جنوباً بالتنسيق مع ولاية الوحدة وشرقا مع ولاية اعالي النيل بالاضافة الى عزل وقطع الصلة عن مصادر التمويل والامداد لحركة التمرد .

كما خلقت الولاية علاقات مع بعض الولايات التي هاجر اليها أبناء جبال النوبا بسبب ظروف الحرب مثل ولاية البحر الاحمر وولاية الخرطوم والقضارف والجزيرة، وذلك لتسهيل أمر العودة الطوعية لابناء الولاية والمساهمة التي يمكن ان تقدمها الولايات التي آوت اولئك المهاجرين .

ثانياً : محور إعادة التعمير وتأهيل المناطق المتأثرة بالحرب :

تزامن التوقيع على إعلان مبادئ حل قضية جبال النوبا بنيروبي مع زراعة مليون وخمسمائة الف فدان بمناطق الزراعة الآلية بالولاية اضافة الى تخريج اول دفعة من

طلاب وطالبات جامعة الدلنج (١٥٥ طالباً وطالبة) وترفيع معهد اعداد المعلمين بالدلنج الى كلية للتربية اضافة الى عودة خمسة آلاف من ابناء كتلا من حركة التمرد ومعهم ١٠ آلاف راس من الابقار والاغنام ، و غيرها من الاعمال التي تمحورت حول تحقيق السلام من الداخل و اقامة قرى السلام وتأمينها وفتح الطرق وتأمين المشاريع الزراعية والمراعي وتوسيع الدائرة الامنية لمزيد من الاستقرار والانتاج. وذلك بالدعم المباشر وغير المباشر من القوات المسلحة والدفاع الشعبي والشرطة الموحدة والادارة الاهلية وتمكينهم من القيام بدورهم كاملاً ، اضافة الى مشاركة ابناء المناطق المتأثرة بالحرب فى تخليص أهليهم وذويهم من قبضة التمرد واستقرارهم في قراهم الاصلية تحت حماية ابنائهم ، والاتصال بأبناء الولاية في حركة التمرد عبر الاجهزة الاتحادية والولاية ، حيث تحققت النجاحات التي أوردناها من قبل عندما تبنت الحكومة الاتحادية والولائية تطلعات وأمنيات ابناء المنطقة من خلال أطروحات النظام الفيدرالي والقسمة العادلة للسلطة والثروة والمشاركة دون حجر لاحد أو عزل لاسباب سياسية أو حزبية أو جهوية أو قبلية أو عقدية، كل هذا العمل قادته حكومة الولاية عبر الدعم الاتحادي مما أدى في نهاية الامر الى عودة الآلاف من المواطنين واستقرارهم في قرى السلام وهي قراهم الاصلية ، مما جرد حركة التمرد من أهم اسلحتها وهو المواطن الذي كانت تحتجزه ويقوم بالنيابة عنها بالعمل الاستخباري وإمدادها بالمون وبالمقاتلين .

قرى السلام :

قامت حكومة الولاية ممثلة في إدارة السلام وإعادة التوطين ، باعادة تعمير القرى التي دمرتها الحرب والتي سميت بقرى السلام وبلغ عددها اكثر من خمسين قرية بولاية جنوب كردفان ، إذ تمت إعادة تعمير هذه القرى وتأمينها وتوفير الخدمات الضرورية للعائدين من كساء وغذاء ودواء وتعليم ومياه واندية

للمشاهدة مزودة بمحطات الاستقبال والارسال التلفزيونية (الاطباق الفضائية) (من ٥٠ قرية للسلام أوصل الارسال التلفزيوني عبر الاطباق الفضائية الى ٢٩ قرية منها) اضافة الى توفير وسائل الانتاج الزراعي ومدخلات الانتاج ، ونقل السلطات الادارية الى هذه القرى ممثلة في الادارة الاهلية ، من أمراء وعمد ومشائخ ، والسلطة السياسية ممثلة في المجالس المحلية واللجان الشعبية والمؤتمرات الاساسية ، بجانب الاجهزة العدلية . حيث بلغ عدد من استوعبتهم قرى السلام من العائدين من التمرد اضافة الى النازحين السابقين الى مدن وقرى الولاية ، حوالي ثلاثمائة الف نسمة . وقد صرفت حكومة ولاية جنوب كردفان مليارا و ٨٥٠ مليون جنيه سوداني على قضية السلام واعادة التوطين .. وبقدر ما أخذت قضية الحرب وتحرير المناطق وقتا وجهداً ومالاً ، فان عملية إعادة التعمير والتأهيل خاصة في مجالات البنيات الاساسية تشكل هماً كبيراً وعبئاً على موارد الولاية .

وفي المجال الزراعي بدأت الوزارة الولائية توسيع الرقعة الزراعية بالمنطقة لموسم ١٩٩٦م لتبلغ خمسة ملايين فدان، منها مليون وخمسمائة الف فدان بمناطق الزراعة الآلية، و ١٨٠ الف فدان (بالجباريك) وهي الزراعة التقليدية حول القرى، و ٨٠٠ الف فدان بالمشاريع خارج التخطيط، بالاضافة الى توزيع ١٠ آلاف قنطار بذرة قطن لصغار المزارعين في كل مناطق الولاية لإعادة القطن الى جبال النوبا مرة اخرى ، وعادت العمليات الزراعية الى مناطق الترتر وريفي الكوة وريفي رشاد وأبوجبيهة ومناطق الزراعة الآلية بهبيلا وكرتالا وغيرها من مناطق الولاية .(٤٠) ففي محافظة الدلنج يبين السيد عبدالله محمد علي مدير ادارة السلام وإعادة التوطين بالدلنج ان المحافظة توجد بها اثنتا عشرة قرية للسلام ، ثمانٍ في شرقها وهي : دلامي ، عبري، دري ،كوكاية ، المدرا ، الودي وام حيطان . وفي غربها أربع قرى هي :حجر الجواد ، انقاركو ، ماجدة

وكحورية . ويبلغ عدد العائدين بهـا حـوالي ١٣ الـف عـائد ، تقـدم لهـم الادارة بجانب الخدمات الصحية والتعليمية والمأكل والملبس والمياه ، مدخلات الانتاج التي تتمثل في الجرارات والدساكي والطواحين، حتى يتمكنـوا مـن الانتـاج والاعتمـاد على انفسهم، كما تقوم بتوفير المواد المحلية لبناء مساكن العائدين .(٤١)

ويمكننا ان نتعرف على ما تقدمه إدارة السلام وإعادة التعمير على وجـه التحديـد داخل قرى السلام من خلال استعراضنا للمعلومات التالية :(٤٢)

١ ـ بلغت جملـة العـائدين حتـى مطلـع ينـاير ١٩٩٥م حـوالي ١١٥,٠٨٩ عـائدًا وذلك بالتفصيل التالي :

- محافظة كادقلي ٨٩٫٧٣٦ عائدا .. بمناطق ريفـي البـرام ،ريفـي أم دوريـن وريفي هيبان.
- محافظة الدلنج ١٣٫٤٣٥ عائدا.
- محافظة الرشاد ١١٫٩١٨ عائدا.

فيما بلغت جملة العدد في منتصـف عـام ١٩٩٥م حـوالي ٢٦٠ الـف عـائد بكـل محافظات الولاية (لم نقف على تفاصيله) .

تولت ادارة السلام واعادة التعمير عبر الدعم الولائي والاتحادي توفير المسـتلزمات التالية لهؤلاء العائدين :

(أ) ـ الغذاء :

تحملت ادارة السلام توفير الغذاء لكل العائدين الى محافظة كادقلي بصـورة كاملة ، وبصورة جزئية في محافظات الرشاد والدلنـج، واكمـل البـاقي مـن الغـذاء الذي توفره المنظمات المسموح لها بالعمل في المنطقة اضافة الى المجالس المحلية .

(ب) ـ الكساء :

لابد من الاشارة الى ان العائدين يعودون وهم عرايا أو شـبه عرايـا.

وقد تولت ادارة السلام بالتعاون مع هيئة الاغاثة الاسـلامية العالميـة ولجنـة كسـاء

ضحايا الحرب بالمجلس الوطني الانتقالي وبما توفر لها من دعم اتحادي وولائي في هذا الاطار تقديم الكساء الى العائدين بالمنطقة .

(ج) - الصحة :

تم فتح عيادات صحية بكل قرى السلام بالتعاون مع المنظمات الطوعية مثل الوكالة الاسلامية الافريقية للاغاثة ومنظمة البر الدولية. وتولت منظمة اليونسيف توفير الدواء لتلك العيادات تحت إشراف ادارة السلام، اضافة الى ان ادارة السلام مولت حملات التطعيم والتحصين بتلك القرى بالتنسيق مع وزارة الصحة الولائية .

وأكدت وزارة الصحة الولائية بجنوب كردفان أنه تم تأهيل المرافق الصحية بقرى السلام ومناطق العائدين ، اضافة الى تدريب ٧٠ من الكوادر الصحية بالولاية في مجال الرعاية الصحية الاولية ، وتدريب ١٠٠ متطوع للعمل في مجال مكافحة الاسهالات والتثقيف الصحي والامومة والطفولة، بجانب تدريب ٣٥ داية ، وذلك لمقابلة أوضاع قرى السلام والعائدين من حركة التمرد. كما بلغت نسبة التحصين بالولاية ٧٩٫٦٪ .(٤٣)

(د) - المياه:

تم حفر مضخات المياه واعادة تأهيل (الدوانكي) بمناطق وقرى العائدين وتولت ذلك وزارة الشؤون الهندسية الولائية على النحو التالي:

* حفر ٩٤ مضخة مياه جديدة .
* إعادة تأهيل ٦ دوانكي .
* حفر بئري مياه جديدتين.

بتكلفة بلغت أكثر من ٥٠ مليون جنيه سوداني.. و بلغت جملة ما صُرف على خدمات التعليم والصحة والمياه والكهرباء حوالي ٤٠٠ مليون جنيه سوداني . (٤٤)

(هـ) ـ الطواحين :

وفرت إدارة السلام طواحين بكل مناطق تجمعات العائدين وقراهم. وقد بلغ عددها في مطلع يناير ١٩٩٥م،ثلاثا وعشرين طاحونة .

(و) ـ التعاونيات :

قامت إدارة السلام بالمشاركة مع الاتحاد التعاوني بمحافظة كادقلي بفتح متاجر تعاونية في قرى السلام بهدف توفير المواد الاستهلاكية للعائدين باسعارها الحقيقية وتجنباً لاستغلال التجار لهم، إضافة الى تعويدهم على عملية البيع والشراء بحيث يتم تخليصهم من الاعتماد على الاغاثة .

(ز) ـ دعم قطاع الزراعة والبيطرة :

ـ اضافة الى تراكتورات قرى السلام البالغ عددها ٨٥ تراكتور والتي تم توزيعها من قبل وساهمت في تثبيت القرى التي وزعت لها من قبل وجنبت اهل تلك القرى الهجرة ، تم أيضاً توزيع تقاوٍ مجانية لكل العائدين، مع تمليكهم وسائل الانتاج المصنعة محلياً (الادوات الزراعية المحلية) .

ـ تم تمويل عمليات تطعيم مواشي العائدين بكل قرى السلام المحررة .

ـ تم انشاء وتأسيس شركة خدمات زراعية لتوفير خدمات الحراثة وتحضير الارض مقابل نسبة من المحصول، وذلك للقيام بتحضير العمليات الزراعية بقرى العائدين وقد بدأت الشركة بأصول بلغت ٩ حرارات كبيرة و ١٥ حراراً صغيراً.

(ط) ـ دعم قطاع التعليم :

تولت وزارة التربية والتعليم الولائية إعادة فتح المدارس بكل القرى المحررة ، وأوضح د. محمد عثمان صالح وزير التربية والتوجيه السابق بالولاية انه تم افتتاح عدد من المدارس بمرحلة الاساس في المناطق المحررة من التمرد ، وعددها ٩ مدارس تم فيها إستيعاب أبناء العائدين ، اضافة الى إعادة تعمير ٣٠٠ مدرسة

على مستوى الولاية كانت قد تأثرت بالتمرد والحرب . كما ان جهوداً مضنية تُبذل لتعليم ابناء العائدين اضافة الى قيام فصول لمحو امية العائدين انفسهم، واشار الى انه لن يتقيد بسن القبول في حالات كثيرة مراعاة لظروف هذه المناطق ، وأبان ان لديهم خطة لافتتاح اكثر من ٣٥ مدرسة بمرحلة الاساس لتغطي كل قرى العائدين للعام الدراسي ١٩٩٦ . اما المرحلة الثانوية فمدن الولاية توجد بها ١١ مدرسة ثانوية موزعة على المناطق المختلفة قامت باستيعاب جميع الناجحين لعام ١٩٩٤م بنسبة ١٠٠٪. وتخطط حكومة الولاية لانشاء ٢٠ مدرسة ثانوية (اكاديمية، تجارية ومعاهد دينية وفنية) .(٤٥)

كما تقوم إدارة السلام بتحفيز المعلمين للعمل بمدارس قرى السلام وتتولى توفير الزي المدرسي والكتب والكراسات والوسائل التعليمية الاخرى لهذه المدراس، اضافة الى تمويل وادارة عدد من الخلاوى تم فتحها بقرى السلام .. وكمثال لقرى السلام وما تم فيها من تغيير ، نجد مثلاً قرية الريكة التى كان يسكنها قبل التمرد خمسة آلاف مواطن بها الآن حوالى ٢٠ الف مواطن ،وبها مساكن للجيش والبوليس والدفاع الشعبي ، و أفرع للعديد من المؤسسات بما فيها الغرفة التجارية، حيث تم تخطيط القرية بصورة نموذجية .

ثالثاً : محور المشروعات :(٤٦)

١ ـ مشروعات الخدمات الاساسية (الصحة / التعليم) :

في مجال تنفيذ المشروعات الخاصة بقطاع الخدمات فقد بدأ العمل في بناء عدد من الشفخانات والمدارس والمجالس المحلية بصورة كلية. وانتهت مراحل تنفيذ بعض المشروعات، واخرى جارٍ تنفيذها بنسب متفاوتة، وذلك في اطار تطوير وترقية الخدمات بمناطق العائدين وذلك على النحو التالي :

(أ) محافظة كادقلي :

المشروع	العدد
الشفخانات	٦
المدارس	٦
المجالس الريفية	٢
المساجد	١
نقاط الشرطة	١

شملت مناطق: ميري ، الحمرة ، الريكة ، البرام ، طروجي ، ام دورين ، العتمور ام سردبة و كحليات .

(ب) محافظة الدلنج :

تم تشييد مركز صحي الشهيد موسى علي سليمان بقرية حجر الجواد ، اضافة الى مدرسة وشفخانة دلامى ومدرسة كجورية .

(ج) محافظة السلام (لقاوة)

شملت المشروعات تأهيل قرية نمر شاغو ، مركز صحي لقاوة إضافة الى تشغيل كهرباء مدينة لقاوة .

٢) مشروعات الطرق :

بدأ العمل في تنفيذ طريق السلام (كادقلي - الحمرة) ، كما تم فتح الطريق الدائرى (طريق الهوى) ، وتشييد المزلقانات والكباري لعدد من طرق المنطقة .

رابعاً : محور تنسيق العمل الطوعي :

(نشاط المنظمات الوطنية والاجنبية) : (٤٧)

قامت حكومة ولاية جنوب كردفان ممثلة في ادارة السلام بمهمة الاشراف على عمل المنظمات الاجنبية والوطنية العاملة بالولاية ، وذلك بغرض تنسيق جهود

تلك المنظمات ووضع الاولوية للبرامج التي يراد تنفيذها من قبل حكومة الولاية، اضافة الى مراقبة اداء تلك المنظمات وعدم السماح لها باحداث أي خلل أمني أو سياسي بالمنطقة، وفي هذا الاطار اتجهت الى عدم السماح بدخول المنظمات الاجنبية لمناطق جنوب محافظة كادقلي (المناطق المقفولة سابقا) .. والسماح لها بقدر معقول وفق ضوابط مشددة بالعمل بمحافظتي الدلنج والرشاد وأرياف شمال كادقلي .

وعملت خطة ادارة السلام في تعاملها مع المنظمات على الزامها بتبني برامج التنمية الريفية وإعادة التعمير كأولوية سابقة لبرامج الاغاثة، لخلق نوع من التوازن بين النشاط التنموي وانشطة إعادة التعمير التي تتبناها الدولة في المناطق المحررة والمناطق المستقرة . وفى هذا الاطار يمكن أن نجمل المنظمات الاجنبية العاملة في هذه المجالات على النحو التالي :

١ ـ منظمة إنقاذ الطفولة الامريكية .

٢ ـ اليونسيف.

٣ ـ برنامج الغذاء العالمي .

٤ ـ منظمة كير.

اما المنظمات الوطنية الدولية فتشمل .

١ ـ منظمة الدعوة الاسلامية .

٢ ـ منظمة البر الدولية .

٣ ـ الوكالة الاسلامية الافريقية للاغاثة

٤ ـ الهلال الاحمر السوداني.

٥ ـ موفق الخيرية.

٦ ـ هيئة الاغاثة الاسلامية العالم

حيث تسهم كل واحدة من هـذه المنظمـات في مجـال مـن المجـالات سـواء، كـان صحيا أو تعليميا أو إغاثيا .

وفي ختام هذا الفصل يؤكد الاستاذ أحمد محمـد هـارون مدير عـام إدارة السلام ((ان الرعاية المباشرة التي وجدتها إدارته من اللجنة العليـا ممثلـة في رئيسـها السـيد النائب الاول لرئيس الجمهورية كان لها أثرها الكبير في دفع مسيرة العمل بصـورة واضحة .. كما ان تبني سلطات الولايـة ، وخاصـة السـيد الـوالي، لبرنـامج هـذه الادارة ومنحهـا أولويـة قصـوى قـد مكنـت الادارة مـــن العمــل بصـــورة ممتازة)) .(٤٨)

مما سبق يمكننا القول ان اطروحات الانقاذ الوطني التي حددتها لإيجاد حل جذري لقضية جبال النوبا ، قد خطت خطوات كبيرة في إتجاه التنفيذ ، وقد تبين لنا مـن ثنايا هذا الفصل ان العديد من تلك الاطروحات قـد وجـدت حظهـا مـن التنفيـذ والبعض الآخر قد قطع شوطاً بعيداً في هذا الاتجاه .

حيث توحدت رؤى الدولة تجاه مشكلة جنـوب كردفـان، وبالتـالي سـارت كـل مبادرات الاجهزة المختلفة السياسية والعسكرية والامنيـة باتسـاق تجـاه الحـل عـبر ادارة السلام ، كما تم توفير امكانيات لا بأس بها لهذا العمل والجهد ، اضافـة الى التكريس الواضح من خلال النظر والممارسة لمبدأ فصل قضية جنوب كردفان عـن قضية جنوب السودان ، فأصبحت لكل منطقة الآلية والموسسة المختصة بها اتحادياً وولائياً ، وبالتالي أزالت التداخـل وتضـارب الاختصاصـات اللذيـن جعـلا قضيـة جنوب كردفان تضيع في زحمة مشكلة الجنـوب. ويلاحـظ ان طـرح الدولـة تجـاه المشكلات الاساسية التي اثارتها حركة التمـرد كمـبرر لانتهـاج أسـلوب الحـرب (مثل قضية قسمة السلطة والتخلف التنموي والعدالة ...الخ) وغيرها مـن القضايـا التي أوردناها في ثنايا هذه الدراسة، هذا الطرح تجاه حـل هـذه المشـكلات وتبـني الدولة لتلـك السياسـات والشروع في حلهـا، جـرد الحركـة تمامـاً مـن أيـة مـادة

استقطابية أو دعائية، وأفقد الحركة مبرر الاستمرار في الحرب ، وهذا الامر سهل مهمة المفاوض الحكومي وجعله يتخذ استراتيجية غير تقليدية في ادارة حركة الحوار مع التمرد . اذ لم يعد هناك مجال لاسلوب الاتفاقيات، بل تنوير من جانب الحكومة وتبصير بما تم الوصول إليه من حلول تجاه المشكلات، ومن ثم المطالبة بالانخراط في مسيرة السلام . وهذا عينه ما تم مع عدد من ابناء النوبا الذين عادوا الى حضن الوطن . وهذا هو بيت القصيد من تبني الدولة لسياسة السلام من الداخل .

الفصل الثالث

المعالجات والآفاق المستقبلية

نعتقد ان ما تحقق من استقرار وامن وسلام بجنوب كردفان على نحو ما بينا في الدراسة ، وما هو مخطط لتنفيذه لاحكام السيطرة على ماتبقى ، يجعلنا نقرر أن المنطقة مقبلة دونما شك على مرحلة جديدة من تاريخها ، لها أدبياتها وأدواتها السياسية والامنية والادارية الجديدة ... وقبل الحديث عن المعالجات والآفاق المستقبلية التي خلصت اليها الدراسة، هنالك عدة أسئلة تطرح نفسها وتشكل الاجابة عليها من قبلنا أو من قبل الاخرين جزءاً من مستقبل المنطقة في المرحلة الجديدة .

والاسئلة التى تطرح نفسها الآن هي:

- إستعادت الدولة الارض من حركة التمرد واستقطبت المواطنين والمقاتلين.. كيف تؤمن ذلك السلام وكيف تحافظ عليه ؟.
- كيف تخلق الدولة القناعات الذهنية بالسلام ليصبح عقيدة راسخة بحيث لا يتعرض الى هزة أو نكسة كما حدث من قبل في الجنوب ؟.
- ما هي ملامح التغيير الاجتماعي الذي تنشده لتشكيل ذلك المجتمع ؟ وماهي أدواته ووسائله؟.
- العمل السياسي والتنفيذي الذي أعقب العمل العسكري من إنشاءات وإعادة تعمير والخدمات التي قدمت بالقرى المحررة خلق تركيزا على هذه المناطق من قبل الدولة ... فأصبح هذا العمل في نظر المواطن العادي في القرى الآخرى ، وكأن الدولة كافأت الذين تمردوا على تمردهم ، (رغم وضوح المقصد الذي يصعب في بعض الاحيان الافصاح عنه أو التبصير به علانية) على الرغم من أن أصحاب تلك القرى يعتقدون أنهم هم الذين ضحوا بأرواحهم أكثر من غيرهم وان السلام الذي تحقق كان مهره دماء ابنائهم ... وعلى الرغم من أنه كان من المؤمل ان

تنفذ الحكومة الولائية عبر ميزانية التنمية مشروعات تغطي تلك المناطق ، بيد ان عدم توفر التمويل والامكانيات الشحيحة وما تقتضيه من تحديد اسبقيات واولويات جعلت الصورة تبدو على ماهي عليه ... إذن كيف تحقق الدولة هذه المعادلة ؟.

ـ المواطنون من ابناء الولاية النازحون الى ولايات السودان الاخرى، وقد تسامعوا بالاستقرار، يطلبون العودة الى مناطقهم .. والاسئلة التى تطرح في هذا المجال :

* من اين تدفع النفقات المالية العالية لتلك العودة ؟.

* أين موقع دواعي التوحد القومي والانصهار من هذه الرغبة ؟

* الى متى يظل ابناء جنوب كردفان جاليات بالولايات الاخرى وما هو السبيل الى ان نجعلهم يعبرون عن مشكلات المناطق التي يعيشون فيها ؟

* العائدون العسكريون من حركة التمرد يتم حاليا توظيفهم كقوات خاصة أو دفاع شعبي. ويدفع الدولة دافع نقص القوات الى التعامل مع هذه الفئات.. أليست تجربة الاستيعاب في القوات المسلحة عقب إتفاقية أديس أبابا ماثلة في الاذهان؟

* هل تمت دراسة عميقة لعملية الاستيعاب الجارية حاليا، ومتى يتوقع لكل المجموعات ان تنصهر وتصبح قوة نظامية على الرغم من إختلاف وضع ابناء النوبا وانصهارهم في الاطار القومى؟ لكن تظل تلك الاسئلة مشروعة لقوة قاتلت في صفوف التمرد لاثنى عشر عاماً ..

* السلاح المنتشر بين افراد الدفاع الشعبي في المنطقة، ألا يمثل مشكلة مستقبلية ؟ وماهي رؤية الحكومة له ؟ وهل من خطة موضوعة لذلك ؟.

ـ * صحيح ان الحكومة حققت نجاحاً ملحوظاً في استقطاب ابناء جبال النوبا واستوعبت جزءاً من طاقاتهم نحو البناء. ولكن هل نستطيع القول ان ابناء النوبا خرجوا تماماً من دائرة الرصد الامني، أم ان الامر يحتاج الى مجهودات اضافية

تشمل قطاعات اخرى لم تصلها حركة الاستيعاب، خاصة المجموعات التي ما تزال بدول المهجر ؟

* بما ان السودان قطر متعدد الاعراق ، متعدد الثقافات ، فلا بد من مراعاة هذه الخصوصية ، وإلا كيف يمكن التعايش والتواصل بين هذه الاعراق والثقافات اذا لم تستحدث لها الدولة المنابر اللازمة؟ وكيف يمكن إستيعاب قادة الحركة دون الاجتهاد في اظهار صيغة تبرز واقع التنوع في اطار عبقرية الوحدة؟

* هل هناك تفكير في إقامة آليات منذ الآن تنطق باسم مناطق التداخل الحضاري؟

أعتقد ان الدولة بحاجة الى وقفة بغرض المراجعة ورسم ملامح المرحلة الجديدة... وفيما يلي بعض السمات التي برزت لنا من خلال الدراسة كمعالجات مستقبلية وملامح لهذه المرحلة، نرجو ان تساهم مع مجهودات الآخرين من المعنيين بالقضية في إيجاد حل دائم لمشكلة الصراع في جبال النوبا .

اولاً : المجال السياسي :

أ ـ إن قضية الحكم في السودان هي قضية المشاركة في صنع القرار والمشاركة الفاعلة في إدارة شؤون الحكم بالعدل والقسط ، سواء في المناصب أو الادارة أو الاستثمار أو التنمية . كما ان الشورى الدائمة يجب ان تكون ديدن الحكام في اصدار القرارات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية. لان الشورى تعبد الطريق لقبول القرار وتقطع شأفة الشك والريب والظن .

ب ـ بعد إختيار الحكم الفيدرالي كخيار أمثل للسودان ، اضافة الى كونه مطلبا لاهل الجنوب وجبال النوبا، يبقى جوهر الفيدرالية هو الأهم ... بحيث يشعر المواطن انه يشارك مشاركة حقيقية ؛ لان ذلك من شأنه ان ينمي وعيه ويؤكد حقه في ممارسة السلطة وإبداء رأيه بحرية كاملة دون عزل سياسي، حتى تتحقق المشاركة الفعلية لابناء الاقاليم المختلفة فى حكم انفسهم وتولى مسؤولية الادارة

في مناطقهم باعتبار أنهم الأقدر على تنميتها وتفهم مشاكل أهلها ، بجانب المشاركة القومية ، مع مراعاة التوازن الذي يهدف الى تماسك الامة السودانية والتدرج في بنائها والتمازج بين أهلها في جو من الامن والاستقرار والتعاون، خاصة وان تاريخ السودان القديم والوسيط قد شهد قيام ممالك إقليمية في الشمال والغرب والوسط .

وفي اطار الممارسة الحالية وفقا للنظام الفيدرالي ، يأتي الحديث عن المرسوم الدستوري الثالث عشر لسنة ١٩٩٥م والذي تناول (اجهزة الحكم الاتحادية) وحدد كيفية انتخاب رئيس الجمهورية والنظم والمؤسسات والهيئات الاتحادية والقومية ..والذي حدد في بابه الخامس كيفية اختيار الولاة وتعيين وزراء الولايات والمحافظين، وهو ما نود تناوله في اطار الحديث عن الآفاق المستقبلية وتأكيد المشاركة الحقيقية في صنع القرار داخل الولايات ، حيث كان ينبغي ان تعكس الصورة في عملية إختيار الولاة حتى تستقيم: ففي رأيي ((أن الوضع الأمثل الذي يحقق أكبر قدر من مساهمة ابناء الولايات في حكم انفسهم هو ان يتم إختيار ثلاثة مرشحين للمنصب اولاً من داخل مجلس الولاية، ثم يختار بعدها رئيس الجمهورية واحداً منهم ... أما الصورة الحالية، وان كانت تحقق قدراً من تطلعات ابناء الولايات، الا ان الامر يبدو وكأن المركز هو المتحكم الاول في إختيار الوالي، وهو الشخصية الرئيسية ومحور العمل في الولاية)).

ج ـ الاهتمام بأمر الحكم المحلي داخل الولايات ، أداةً لمشاركة الجماهير في السلطة والوصول بها الى القاعدة العريضة .

ﻫ ـ التمثيل العادل لابناء جنوب كردفان في المناصب السياسية القومية والاقليمية دون إغفال لمعيار الكفاءة والقدرة على شغل المنصب حتى تصب المشاركة في الاطار الايجابي للاقليم والدولة بصفة عامة .

ثانيا : في مجال التعايش السلمي :

لقد أدى الصراع في منطقة جنوب كردفان كما اوضحنا الى زعزعة الثقه بين العناصر والمجموعات السكانية التي تعايشت لسنوات طويلة، والمطلوب ليس فقط إعادة الثقة بين تلك العناصر حتى يستمر التعايش السلمي، وانما فوق ذلك الاسراع بتذويب الفوارق وصولاً الى مرحلة الانصهار وفق رؤية حضارية. ولئن كانت الحكومة قد بدأت بالفعل في برامج إعادة الثقة بين الاطراف عن طريق مؤتمرات الصلح وإحياء المعاهدات والاحلاف القديمة، فالمطلوب الآن تعزيز هذه المجهودات وصولاً الى الهدف الذي اشرنا اليه. وفي هذا الصدد نطرح بعض النقاط كما يلي :

(أ) ـ الاستمرار في برنامج إحياء الاحلاف والمواثيق القديمة حتى يعم كل أجزاء المنطقة المختلفة .

(ب) ـ وضع حلول جذرية للمشاكل التي كانت تؤدي الى نزاعات بين الاطراف القبلية كمشكلة المراحيل ومشاكل الادارة الاهلية في داخل البيت الواحد (المجموعة الواحدة)، وذلك في المناطق التي توجد بها تنازع بين الاطراف كمنطقة لقاوة مثلاً ، مع العمل تدريجيا على أن تؤسس الادارة الاهلية مستقبلاً على اساس المنطقة وليس القبيلة .

(ج) ـ ربط المجموعات النوباوية والعربية بمصالح إقتصادية مشتركة ضمن البرامج التنموية المقترحة ، وتشجيع قيام التعاونيات والشركات التي تجمع هذه المجموعات في مصير مشترك .

(د) ـ مواجهة الانغلاق الجغرافي والاجتماعي الذي تعيشه المنطقة بربط المنطقة بشبكة من الطرق وتيسير الاتصال وتطوير وسائل الاعلام والتعليم وتطوير نمط التواصل الاجتماعي عن طريق التصاهر والهجرة والسكن .

(ه) - تشجيع عملية التزاوج بين هذه المجموعات بأن يقود أولو الامر هذا الموضوع ويكونوا قدوة لغيرهم فيه، خاصة وان المنطقة لها إرث تاريخي ضخم في هذا المجال يمكن البناء عليه .

(و) - القضاء على النعرة العنصرية امر لا بد من إنفاذه ومقصد لا بد من تحقيقه ، وهو يتحقق سلبا بإضعاف السلطان العرقي على الناس ، وإيجابا ببذر ووضع سياسات لم الشمل والتعايش وترسيخ الدين في الناس ليكونوا أمة واحدة وان يتمثلوا ((إن أكرمكم عند الله اتقاكم)).

ثالثاً : في مجال التنمية الاقتصادية :

التنمية قضية جوهرية في النزاع القائم في جنوب السودان وجبال النوبا ، وفي تدهور الاوضاع في مختلف أنحاء القطر ، ولكنها لم تحظ بالعناية اللازمة ولا بالاطار الفلسفي الذي ينزلها منزلتها المحورية في منهاج الفكر الوطني حتى الآن . ولم تستطع الحكومات الوطنية المتعاقبة معالجتها بالقدر الذي يرضى طموحات أبناء المناطق المختلفة . وإن كان نظام الحكم الفيدرالي الذي اختطته الانقاذ الوطني الداعي الى الاعتماد على الذت وعلى الجهد المحلي لتحقيق التنمية تفادياً لنقمة المظالم الاقليمية، اضافة لما يُضمن في خطط التنمية القومية لمصلحة الاقاليم ، وخاصة الاقل نمواً منها .. ربما يحدث توازناً في المستقبل لصالح تماسك البناء القومي للسودان .. ولكن ثمة بعض النقاط نوردها حول جنوب كردفان :

(أ) - المضي قدماً في خطط الاصلاح الزراعي وإعادة توزيع الاراضي في مشاريع الزراعة الآلية بما يحقق العدالة، وقد بدأت الحكومة في ذلك بالفعل، على ان يصاحب ذلك تغطية اعلامية كافية لاحداث الاثر السياسي المطلوب الى جانب الاثر الاقتصادي، كون هذه العملية إحدى مسببات التمرد .

(ب) - ضرورة مساهمة المشاريع الموجودة بالمنطقة فى تنمية المجتمع المحلي وان تتخذ الحكومة التدابير اللازمة لهذا الغرض، كأن تخصص نسبة من الضرائب

المفروضة على هذه المشاريع لهذا الغرض أو تفرض رسوما معينة على الانتاج لمثل هذه التنمية، حتى لا يشعر المواطن العادي بأن موارده المحلية يذهب ريعها الى مناطق أخرى من البلاد .

(ج) - نظراً لضعف الامكانات المالية لمعظم سكان المنطقة فالمطلوب ايضا اتخاذ تدابير مالية تمكن المواطنين من استغلال مواردهم ، ويعتبر الصندوق المخصص لضمان الاستثمار الزراعي في بعض المناطق الذي ورد في البرنامج الثلاثي للانقاذ الاقتصادي خطوة هامة في هذا الطريق . كما تجب زيادة رأس مال البنك الزراعي وأفرعه الموجودة بالمنطقة مع تسهيل احراءات الاقتراض لصغار المزارعين وبأيسر الضمانات حتى تعم الفائدة أكبر قطاع ممكن .

(د) - إعطاء المنطقة الاولوية اللازمة في خطط التنمية القومية فى كافة المجالات. علماً بان المنطقة زاخرة بالموارد الزراعية والرعوية وغيرها مما يمكن ان تقوم عليه تلك المشروعات .

رابعاً : في مجال معالجة آثار النزوح واصابات الحرب :

من أهم الافرازات المدمرة للحرب ظاهرة النزوح، وعلى الرغم من الاهتمام الذي وجدته الظاهرة من قبل الدولة والمنظمات الدولية ، الا ان الامر يتطلب عناية أكثر في الاطر التالية بعد مرحلة السلام :

(أ) - شكلت أحزمة النازحين من الجنوب وجنوب كردفان بعداً جديداً لقضية الصراع هذه المرة بسبب النزوح نحو الشمال. وكان المواطنون ينزحون في السابق باتجاه دول الجوار . وقد إندمجت هذه الملايين جزئياً في المجتمع الشمالي واخذت تتعلم في مدارسه وتتزين بزيه وتتمثل بفنه ، فهي بذلك رصيد مؤتمن لحركة الوحدة. ولكن مهما يكن فهذا الرصيد المتاح في اطراف العاصمة ومدن السودان المختلفة يحتاج الى مزيد من التواصل والتفاعل، وقد برزت جماعات مختلفة بمسميات مختلفة إستجابة لهذا التحدي ، مثل الدعوة الشاملة وهيئة الدعوة

الاسلامية وجمعيات القرآن الكريم وأمانة العقيدة والدعوة بوزارة التخطيط الاجتماعي وصندوق دعم الشريعة والتكامل الاجتماعي ، بالاضافة الى المنظمات العريقة العاملة فى هذا الميدان ، إلا ان أداء هذه التنظيمات ما يزال يحتاج الى المراجعة ، ولم تستطع كل هذه الواجهات النفاذ الى العمق الاجتماعي لغير المسلمين الذين باتوا يشكلون قرابة الـ ٣٠٪ من سكان العاصمة القومية. وخطاب مثل هذه المجتمعات إنما يكون ذا جدوى اذا ما تركز في مجال التعليم ومحو الامية والاتصال الفردي والرعاية الاجتماعية وفي اوساط النساء. (٤٩)

ب ـ العمل على إعادة الراغبين في العودة الىمناطقهم مع توفير اسباب الاستقرار واستمرار الحياة حين العودة .

ج ـ مراقبة نشاط المنظمات والهيئات الدولية العاملة في مجال الاغاثة التي تعمل وسط النازحي،ن مع تنسيق عمل المنظمات الطوعية المحلية وتحديد برامج واولويات لها مع متابعة التنفيذ مع الجهات الرسمية .

د ـ العناية بمصابي الحرب والعمل على إعادة تأهيل المعوقين بسبب الحرب بالتعاون مع المنظمات المتخصصة في مجالات إعادة تأهيل المعوقين ، وخلق المشاريع والصناعات التي تساعدهم وتستوعب طاقاتهم ليعودوا الى ممارسة حياتهم العادية .

هـ ـ الاهتمام بأسر الشهداء والعناية بهم بصورة منظمة ومنتظمة وانشاء المؤسسات اللازمة لخدمة ورعاية الارامل والايتام من ابناء اولئك الشهداء .

خامساً : في مجال الأمن :

قلنا إن من أهم اسباب التمرد في منطقة جبال النوبا ضعف الوجود الأمني للاجهزة الحكومية، الامر الذي مكن الخوارج من فرض الامر الواقع على المواطنين عن طريق الارهاب .

ويضاف الى ذلك انتشار السلاح غير المقنن بالاقليم وما صاحب ذلك من اعمال العدوان المسلح، الامر الذي دفع الكثيرين الى صفوف التمرد للدفاع عن أنفسهم أو الانتقام . ويأتى على رأس الاولويات في هذا المجال :

١ ـ دعم الاجهزة الامنية من قوات مسلحة وشرطة موحدة بالعدة والعتاد اللازمين لكبح جماح كل من تسول له نفسه جر المنطقة الى مواصلة الصراع مع حسم الجيوب المتبقية من افراد الحركة المعتصمين الآن برؤوس الجبال .

٢ ـ تقويةالاجهزة الامنية المتخصصة لاحكام الرقابة والمتابعة والانذار المبكر .

٣ ـ بالنسبة للدفاع الشعبي إنتقاء العناصر المتجردة لقيادته، على ان تعمل كل قوة في نطاق منطقتها الى حين إستتاب الأمن بصورة شاملة .

٤ ـ بعد الاستتباب الكامل للأمن لا بد من نزع سلاح الدفاع الشعبي وترك القدر الذي يحقق الردع لكل من يفكر في اعادة الصراع، على ان يكون السلاح إما لدى بعض القيادات أو في مخازن الاجهزة الامنية حتى لا يصبح سلاح الدفاع الشعبي مشجبا يعلق عليه الآخرون دعاوى جديدة من شأنها تأجيج الصراع مرة اخرى .

سادساً : البعد الاعلامي والثقافي :

(أ) ان الاعلام المتوازن والدارس لخصائص المجتمع السوداني بكافة اشكاله والتعبير الصادق عن هذه الخصائص تعبيرًا اميناً ومستمراً ، من أهم الركائز لتحقيق الانصهار ووقف أوجاع السنين الطويلة و يجاد نسيج متجانس لامة متحضرة .. كما أن الاهتمام بتطوير الثقافات المحلية وتطوير اللهجات واللغات والاهتمام بخلق جسور التواصل والتفاهم عبر هذه الا[illegible]ية الوطنية أو المحلية وعن طريق هذه اللغات والثقافات هو من أهم هموم الوطن.

(ب) ان قضية الجنوب الآن ليست كقضية الجنوب بالامس. ذلك أن قضية الحرب اليوم ليست داخلية فقط. وانما اصبحت ذات أبعاد دولية على نحو ما

ذكرناه وذلك بانتقال أدوات الصراع فيها الى الايدولوجيات الاجنبية والموسسات الاستخبارية ، وهو دور تقوم به الحركة في وضوح تام ، ولا بد في محاصرة هذه التوجهات باعلام نافذ وسياسة خارجية تحاصر هذه الموسسات ، ووفود شعبية ورسمية توضح التدخلات الاجنبية وتكشف زيف إعلام الحركة .

(ج) على مستوى إعلامنا الداخلي لابد من تمكين الاقاليم ذات الثقافة المتميزة من التعبير عن ثقافتها وإتاحة الفرصة لتنمية الثقافات المتنوعة وتفاعلها حتى تتكامل وتتجانس في اطار الدولة الواحدة .

(د) توثيق آثار الحرب في المناطق التي دارت فيها وتسجيل حجم الدمار الذي أحدثته عبر فرق فنية متخصصة في هذا المجال للاستفادة منه حاضراً ومستقبلاً في التبصير بمآسي الحرب ومآلاتها .

سابعاً : في مجال الدعوة :

١ ـ لقد كان الدين وما يزال وسيظل منبع الخير والتسامح والمحبة والتوحيد بين الافراد والجماعات ، وأما الذي يفرق ويهدم ويحيل الاديان أدوات تخريب واضرار فهو التعصب وضيق الافق، سواء كان من جانب المسلمين أو جانب المسيحين أو غيرهم، لان التعصب عمىً يحجب الحق وصمم لا تسمع بسببه الحكمة .

٢ ـ إيجاد معادلة مقبولة تمكن الاغلبية من التعبير عن معتقداتها وإتباع تشريعات دينها دون محاولة فرض رأيها على القلة أو المساس بحقوقهم الاساسية بوصفهم مواطنين في دولة واحدة .

٣ ـ على مستوى جبال النوبا يجب الاهتمام بالدعوة الاسلامية بإعتبارها قضية مركزية للقضاء على جيوب الوثنية وترسيخ إسلام المجموعات النوباوية التي لا يزال إسلامها هشاً ، إضافة الى المجموعات العربية التي تشاركها نفس الصفة.

وفي هذا الاطار يجب :

(أ) أن تدعم المنظمات العاملة في هذا المجال مالياً وبشرياً ..

(ب) ان يضطلع ابناء المنطقة بدور أكبر في ايصال رسالة الاسلام الى أهليهم، ذلك لسهولة التواصل ومعرفتهم للمداخل في هذا المجال .

(ج) تركيز الدعوة في المنطقة الجنوبية التي كانت سابقاً من المناطق المقفولة .

(د) خلق مؤسسات دعوية فاعلة تتخصص في تقديم أساليب متطورة للدعوة وفقا للتقنيات الحديثة ، إضافة الى ترجمة مضامين الدعوة الى اللهجات المحلية دون إغفال للبعد الاساسي لعملية نشر الثقافة الاسلامية والعربية .

ثامناً : مسألة الهوية الحضارية :

هذه المسألة وان لم تكن مطروحة بشدة في منطقة جبال النوبا الا انها احد عناصر المشكلة في السودان ، ولما كانت القضية المطروحة هي: الى أيهما ينتمي السودان: العروبة أم الافريقية؟ واذا كانت مسألة العروبة تجد المنابر الغالبة للتعبير عنها ، وبما أننا لا نجد تناقضا بين الانتماء للامة العربية أو افريقيا فاننا نطرح بعض النقاط التالية :

(أ) لا بد من تعزيز علاقات السودان الافريقية والاهتمام الرسمى والشعبى بالقضايا الافريقية بما يشعر المواطن بالفعل بأن للسودان انتماءا افريقيا .

(ب) التركيز فى الخطاب الاعلامي على أن السودان يمثل جسراً للتواصل بين افريقيا والامة العربية ، وانه لا تناقض في هذا الانتماء وهذه القنطرة بل هي ميزة للسودان تعطيه بعداً يخدم مصالحه القومية .

(ج) انشاء تنظيمات شعبية وطلابية لنصرة القضايا الافريقية والتعبير عنها باقامة المهرجات والاسابيع الثقافية ، أسوة بما يحدث مع القضايا العربية والاسلامية .

هذه بعض المقترحات التي نرجو أن نكون قد أسهمنا بها في وضع حل جذري لمشكلة الصراع في جبال النوبا. ونعلم أنها تحتاج الى التفصيل فى بعض جوانبها

حتى تصبح مقترحات عملية، إضافة الى كونها تحتاج الى جهد الآخرين وآرائهم حتى تكتمل الصورة بكل جوانبها وأبعادها لوضع الحل النهائي الدائم لقضية الصراع بالمنطقة ونصل بالمنطقة الى حيث تكون أنموذجا للتمازج والانصهار القومي الذي أرسى قواعده أجدادنا من قبل .

١ ـ كتاب وثائقي ـ مؤتمر الحوار الوطني حول قضايا السلام في السودان ط ١ ، الخرطوم ١٩٩٠م ، ص ١١٢.

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢٣ ، ١٢٤.

٣ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢٧.

٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣٠.

٥ ـ قام الباحث بتغطية خطاب رئيس الوزراء كمراسل برلماني لصحيفة (الراية) لسان حال الجبهة الاسلامية القومية آنذاك .

٦ ـ د. عبد الملك عودة ، مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة أو الانفصال ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩.

٧ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٠.

٨ ـ مشكلة الجنوب والجهود نحو السلام ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ .

٩ ـ د. عبد الملك عودة مستقبل جنوب السودان، مصدر سبق ذكره ص ٢١ - ٢٤ .

١٠ ـ سراج الدين عبد الغفار مصدر سبق ذكره ، ص ٩٥ ، ٩٨.

١١ ـ د. عبد الملك عودة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤.

١٢ ـ الانقاذ والانجاز (١٩٨٩ ـ ١٩٩٥) كتاب اصدرته وكالة السودان للانباء ، ص ٩.

١٣ ـ السودان الآن ـ كتيب اصدرته وكالة السودان للابناء (بدون تاريخ) ، ص ١٥.

١٤ ـ الانقاذ والانجاز ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١ .

١٥ ـ المصدر نفسه ، ص ١١.

١٦ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢.

١٧ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣.

١٨ ـ مشكلة الجنوب والجهود نحو السلام ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠.

١٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٣١ .

٢٠ ـ مشكلة الجنوب والجهود نحو السلام ، مصدر سبق ذكره ص ٣٢ ـ ٣٥.

٢١ ـ الانقاذ والانجاز ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤.

٢٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٦.

٢٣ ـ السودان الآن ، مصدر سبق ذكره ص ٢٢.

٢٤ ـ قام الباحث بحضور هذه المباحثات كمندوب صحفي لصحيفة المستقلة (اللندنية) عندما كان مديراً لمكتبها بالخرطوم في تلك الفترة .

٢٥ ـ الانقاذ والانجاز ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧.

٢٦ ـ لقاء مع موسى سيد احمد مدير ادارة السلام ـ الخرطوم ـ مايو ١٩٩٦م.

٢٧ ـ كان الباحث أحد أفراد لجنة كُلفت بالاتصالات بأبناء النوبا لايجاد حل للقضية في الفترة من أبريل ١٩٩٢ وحتى مايو ١٩٩٥ تاريخ توجهه الى الجمهورية اليمنية للعمل بمكتب منظمة البر الدولية بصنعاء .

٢٨ ـ لقاء مع المقدم ركن محمد الطيب فضل محافظ محافظة كادقلي بمكتبه برئاسة المحافظة ، ابريل ١٩٩٢م .

٢٩ ـ الباحث كان أحد أعضاء المؤتمر من جانب الحكومة السودانية .

٣٠ ـ صحيفة السودان الحديث، العدد رقم (٢٣٨٠) بتاريخ ١٨/٨/١٩٩٦م .

٣١ ـ مصدر رسمي ، مشكلة جنوب كردفان ، مرحلة عمل جديدة ، إدارة السلام إعادة التوطين بجنوب كردفان ، ١٥/١١/١٩٩٥م .

٣٢ ـ دليل الحكم ـ ديوان الحكم الاتحادي ط ٢ ، ديسمبر ١٩٩٥م، ص ٦٠ .

٣٣ ـ الانقاذ والانجاز مصدر سبق ذكره ، ص ٧ .

٣٤ ـ دليل الحكم الاتحادي ،مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٥ - ١٦٦.

٣٥ ـ مصدر رسمي : مشكلة جنوب كردفان مرحلة عمل جديدة – مصدر سبق ذكره ، ص ٢.

٣٦ ـ صحيفة الانقاذ الوطني العدد (١٨٧٩) بتاريخ الاربعاء ١٩٩٥/٤/٥م .

٣٧ ـ صحيفة الانقاذ الوطني العدد (١٩٩٠) بتاريخ ٤ يوليو ١٩٩٥م .

٣٨ ـ صحيفة السودان الحديث العدد (١٧٩٩) بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٩٤م.

٣٩ ـ مصدر رسمي : التقرير نصف السنوي لادارة السلام بجنوب كردفان مصدر سبق ذكره ، ص ٣.

٤٠ ـ صحيفة السودان الحديث العدد (٢٣٩٤) بتاريخ ٢٢ اغسطس ١٩٩٦م .

٤١ ـ صحيفة الانقاذ الوطني العدد (١٨٨٣) بتاريخ ٩ ابريل ١٩٩٥م .

٤٢ ـ مصدر رسمي : التقرير نصف السنوي لادارة السلام ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥.

٤٣ ـ صحيفة الانقاذ الوطني العدد (٢٣٨٩) بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩٩٦م.

٤٤ ـ صحيفة السودان الحديث العدد (٢٣٩٤) بتاريخ ٢٢ اغسطس ١٩٩٦م.

٤٥ ـ صحيفة الانقاذ الوطني (١٩٤٨) بتاريخ ٥ مارس ١٩٩٥م .

٤٦ ـ مصدر رسمي : التقرير نصف السنوي لادارة السلام ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦.

٤٧ ـ المصدر نفسه ، ص ٨ .

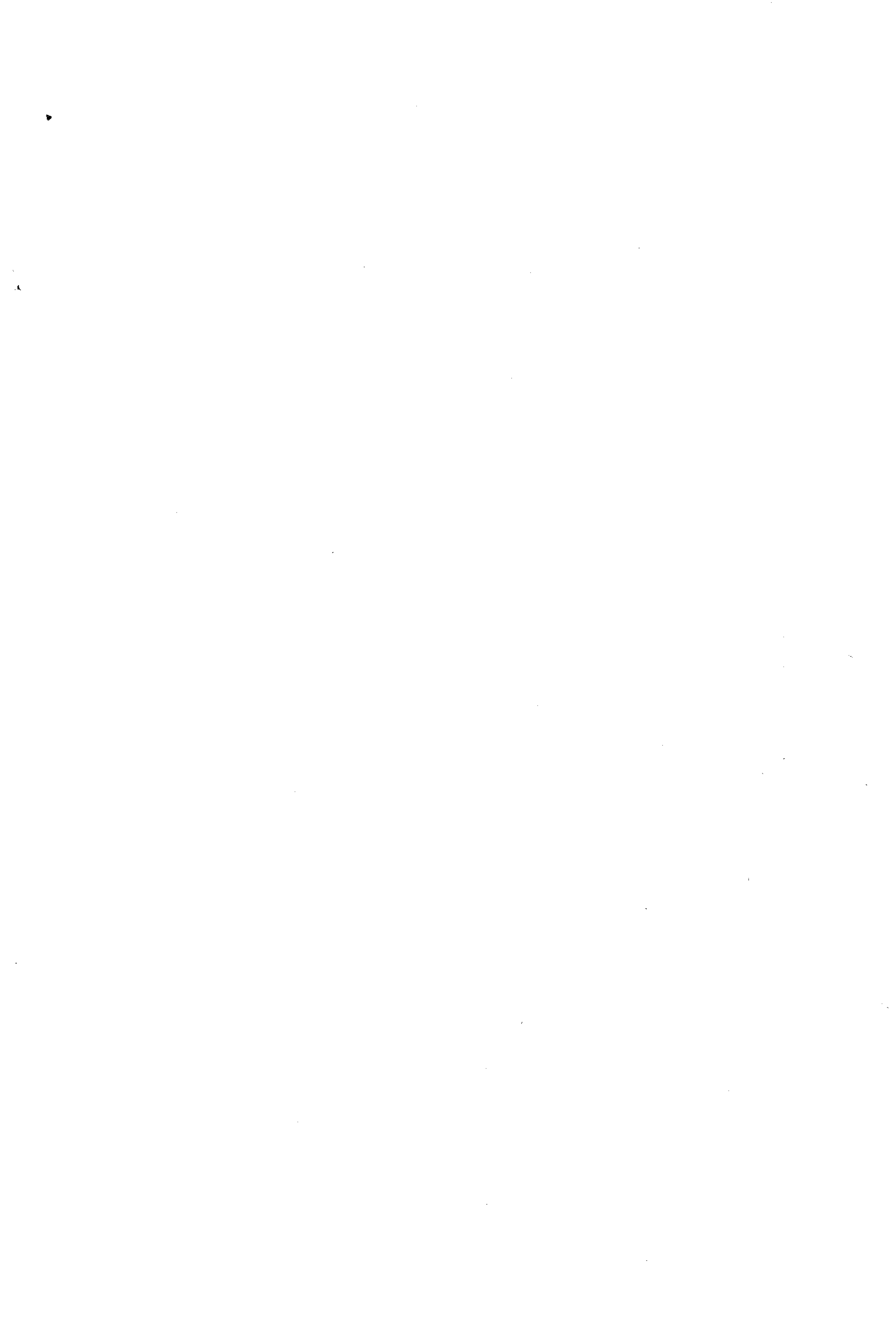
٤٨ ـ المصدر نفسه ، ص ١٠.

٤٩ ـ مقال للدكتور حسن مكي محمد احمد بصحيفة المستقلة (اللندنية) العدد (٩٩) بتاريخ ١ أبريل ١٩٩٦م .

الخاتمة

نستطيع القول أن التمرد الذى قاده بعض من أبناء النوبا فى منطقة جنوب كردفان ، و شكل تطوراً جديداً فى حركة الصراع المسلح بالسودان بنقله لهذا الصراع من جنوب السودان إلى شماله ، كانت له مسبباته التى تضافرت حتى أدخلت المنطقة في دوامة الحرب و إستنزفت مواردها المحدودة . شكل نظام الانقاذ درعاً واقياً أعاد للمنطقة جزءاً مما إفتقدته بسبب الحرب ، إذ تم إسترداد المناطق و المدن التى إحتلتها الحركة الشعبية لتحرير السودان و عاد السلام إلى ربوعها و بدأت العلاقات و الأحلاف القديمة بين المجموعات السكانية التى يضمها الإقليم تأخذ وضعها الطبيعى قبل دخول التمرد إلى المنطقة ، و قد قدم أبناء جنوب كردفان تضحيات جسيمة فى سبيل عودة الحياة الطبيعية إلى ربوع المنطقة مرة أخرى ، و كان لوقفتهم الصلبة خلف القوات المسلحة دوراً بارزاً فى هذا الاطار .

و نظام الانقاذ بتبنيه للمطالب العادلة لأبناء جنوب كردفان و السعى فى تطبيقها وضع القضية في إطارها الصحيح الذى يرسى الحل الجذرى للمشكلة حتى لا تظهر من جديد .



المصادر و المراجع

(أ) بحوث غير منشورة :-

١. عطا محمد أحمد كنتول - الاسلام و التبشير المسيحي فى جبال النوبا (١٩٣٢م - ١٩٥٦م) ، رسالة لنيل الماجستير فى التاريخ و الحضارة الاسلامية ، جامعة أم درمان الاسلامية ، كلية الآداب ١٩٩١م ، مودع لدى جامعة أفريقيا العالمية .

٢. صديق عطا المنان التوم ، التعليم الدينى فى جبال النوبا ، بحث تكميلى لنيل درجة الماجستير ، جامعة أم درمان الاسلامية، مكتبة المركز الاسلامي الأفريقي .

٣. لواء ركن رمضان زايد كوكو ، التمرد بجنوب كردفان و أثره على الأمن القومى ، الأكاديمية العسكرية العليا ، كلية الدفاع الوطنى ، دورة رقم (٧) ، ١٩٩٠م ، مودع لدى مكتبة الأكاديمية العسكرية .

٤. العميد الركن مدنى عبد الوهاب محمد ، الأوضاع الأمنية فى جبال النوبا و أثرها على التنمية ، الأكاديمية العسكرية العليا ، كلية الدفاع الوطنى ، دورة رقم (١١) ، (١٩٩٤م - ١٩٩٥م) ، مودع لدى مكتبة الأكاديمية العسكرية العليا .

٥. عواطف طه عبد السيد ، مقاومة جبال النوبا للحكم الثنائى ، حركة الفكى على و السلطان عجبنا ، ١٩١٧م ، دبلوم الدراسات الأفريقية و الأسيوية ، معهد الدراسات الأفريقية و الأسيوية جامعة الخرطوم ، أبريل ١٩٧٥م .

٦. سراج الدين عبد الغفار عمر ، تجربة الدفاع الشعبى و حرب الجنوب ، بحث تكميلى مقدم لنيل درجة الدبلوم فى الدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، مركز البحوث و الترجمة ، مودع لدى مكتبة جامعة أفريقيا العالمية .

٧. اللواء مساعد النويرى أحمد ، تجربة القوات المسلحة فى حربها ضد الجيش الشعبى لتحرير السودان ، كلية الدفاع الوطنى ، دورة (١٩٨٦م - ١٩٨٧م) ، مودع لدى مكتبة الأكاديمية العسكرية العليا .

٨. الشيخ سعد حامد آدم إمام مسجد كادقلى الكبير ، السيرة الذاتية ، أعده الشيخ سعد حامد بنفسه .

٩. العميد ركن العباس عبد الرحمن الخليفة ، الدفاع الشعبى فى السودان ، الأكاديمية العسكرية العليا ، دورة رقم (١١) ، (١٩٩٤م - ١٩٩٥م) مودع لدى مكتبة الأكاديمية العسكرية العليا .

(ب) اللقاءات :-

١. لقاء مع حماد على أحمد ، أمير قبائل كنانة و وزير الصحة بولاية جنوب كردفان ، الخرطوم ١٩٩٣م .

٢. لقاء مع الأستاذ عبد الفتاح تيه كافى ، معلم سابق و أحد مثقفى النوبا من منطقة ميرى ، كادقلى يناير ١٩٩٤م .

٣. لقاء مع عبد السلام تيه ، احد مثقفى النوبا و قادة العمل السياسى بريفى البرام و رئيس محلية البرام ، الخرطوم يناير ١٩٩٥م .

٤. لقاء مع الشيخ سعد حامد آدم ، إمام مسجد كادقلى الكبير ، الخرطوم مكتب منظمة البر الدولية ، ١٩٩٤م .

٥. لقاء مع حافظ سوار ، إدارة السلام بجنوب كردفان ، كادقلى يناير ١٩٩٢م .

٦. لقاء مع صالح الياس ، عضو تنظيم أبناء النوبة ، الموظف بمحكمة الرهد ، و أخيراً إدارة السلام بولاية جنوب كردفان ، كادقلى أبريل ١٩٩٢م .

٧. لقاء مع مقدم شرطة آدم (أدروب) مدير شرطة محافظة كادقلى ، بمكتبه برئاسة الشرطة كادقلى ، ١٨ يناير ١٩٩٥م .

٨. لقاء مع الأستاذ عمر سليمان ، مساعد والى كردفان للسلام و نائب وزير النقل الحالى ، بمكتبه بالأبيض أغسطس ١٩٩٣م .

٩. لقاء مع المقدم ركن محمد الطيب فضل ، محافظ محافظة كادقلى ، كادقلى فى : ٧ يناير ١٩٩٢م ، ١ أبريل ١٩٩٢م ، ٢٧ أبريل ١٩٩٢م .

١٠. لقاء مع الملازم كمال يوسف ، قائد الدفاع الشعبى منطقة لقاوة ، مكتب تنسيق الدفاع الشعبى بلقاوة ، ٢٢ نوفمبر ١٩٩٤م .

١١. لقاء مع حامد كوكو حريكة ، منسق الدفاع الشعبى لقاوة ، لقاوة ٢٢ نوفمبر ١٩٩٤م .

١٢. لقاء مع الأستاذ عبد السلام سليمان سعد ، المدير التنفيذى لمنظمة الدعوة الاسلامية و أحد الشهود على أحداث المنطقة إبان توليه رئاسة مكتب المنظمة بكادقلى عند إندلاع التمرد ، الخرطوم فبراير ١٩٩٣م .

١٣. لقاء مع وفد الاتصال المكون من صالح الياس و عز الدين كوكو و إبراهيم بلندية و عبد الرسول كجور و آخرين ، الذي كان يتولى نقل الرسائل من وفد الحكومة المتواجد بكادقلى لقادة التمرد فى الفترة من ١٥ - ٢٥ يونيو ١٩٩٢م .

١٤. لقاء مع محمد أحمد الشفيع ، أحد مؤسسى الدفاع الشعبى بجنوب كردفان ، مكتب تنسيق الدفاع الشعبى بكادقلى ، نوفمبر ١٩٩٤م .

١٥. لقاء مع سليمان على الصادق ، أحد قادة الدفاع الشعبى قطاع كادقلى ، كادقلى نوفمبر ١٩٩٤م .

١٦. لقاء مع الأستاذ محمد أبكر محمد أحمد ، قائد كتيبة سيف النصر التابعة للمجموعة الأولى كادقلى ، كادقلى نوفمبر ١٩٩٤م .

١٧. لقاء مع المقدم عوض أحمد عبد الله ، قائد الدفاع الشعبى منطقة الدلنج ، بمكتبه بقيادة الدفاع الشعبى بالدلنج ، ٦ يناير ١٩٩٢م .

١٨. لقاء مع لجنة أمن محافظة كادقلي ، في مساء ٧ يناير ١٩٩٢م ، مكتب محافظ كادقلي .

١٩. لقاء مع المقدم عبد الإله ، قائد الدفاع الشعبي منطقة لقاوة ، منطقة نمر شاقو بجبال تلشي ، ٩ يناير ١٩٩٢م .

٢٠. لقاء مع العقيد إسماعيل ، قائد الدفاع الشعبي قطاع كردفان ، بمكتبه برئاسة القطاع بالأبيض ، ٣١ مايو ١٩٩٢م .

٢١. لقاء مع هدى عمر و جواهر عبد الله و إلهام أحمد صالح من إدارة تنسيق المرأة بالدفاع الشعبي ، وحدة الرعاية الاجتماعية ، الخرطوم اكتوبر ١٩٩٣م .

٢٢. لقاء مع موسى سيد أحمد المطيب ، مدير إدارة السلام بالمجلس الأعلى للسلام ، الخرطوم مايو ١٩٩٦م .

(ج) التقارير و الوثائق :-

١. إستراتيجية العمل بجبال النوبا ، مؤسسة السلام و التنمية ، ورقة عمل ، مارس ١٩٩٢م .

٢. ورقة التعايش السلمي ، مؤتمر أبناء ريفي أم دورين للسلام و التنمية ، ١٢ ديسمبر ١٩٩٤م .

٣. دار الوثائق المركزية (عُدة ملفات) .

٤. أوراق غير مطبوعة ، مودعة لدى كنيسة كادقلي الكاثوليكية ، تحت عنوان (ذكرى مرور مائة عام على تأسيس كنيسة الأبيض) ، ٢٨ ديسمبر ١٩٧٢م .

٥. وثيقة من وثائق الحركة الشعبية لتحرير السودان ، الحل النموزجي لأحد الإمتحانات التي تجريها الحركة لعضويتها ، معسكر بول ، شرق مدينة إريات ، ١٧ مارس ١٩٩١م .

٦. مشكلة جنوب كردفان – مرحلة عمل جديدة ، ورقة مقدمة من إدارة السلام و إعادة التوطين بجنوب كردفان ، ١٥ نوفمبر ١٩٩٥م .

٧. خطة السلام بجنوب كردفان ، مؤسسة السلام و التنمية ، ١٩٩٢م .
٨. دراسة عن جذور مشكلة التمرد بجبال النوبا ، محافظة كادقلي ، الملف الأمني الخاص ، فبراير ١٩٩٢م .
٩. حسن محمد طه المدير التنفيذي لمحافظة كادقلي ، ورقة حول الأوضاع الأمنية بجنوب كردفان قدمت في مؤتمر السلام المنعقد بالخرطوم ، مارس ١٩٩١م .
١٠. ورقة حول السلام في جبال النوبا ، أعدتها اللجنة التمهيدية لهيئة السلام و التنمية بجبال النوبا ، الخرطوم ١٩٩٣م .
١١. ورقة عن النشاط الكنسي بجبال النوبا ، و علاقته بالتمرد ، إدارة السلام بولاية كردفان ، ١٩٩٢م .
١٢. جنوب كردفان (التمرد و المعالجات) ، إدارة السلام بولاية جنوب كردفان .
١٣. مصدر رسمي ، أوضاع أبناء جبال النوبا داخل حركة التمرد ، تقرير خاص نيروبي .
١٤. الصراع القبلي بين النوبا و عرب المسيرية الرحل ، في منطقة الجبال الغربية (لقاوة) جنوب كردفان ، ورقة أعدها أبناء النوبا بالمملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٩٩٠م .
١٥. مصدر رسمي ، تحليل الموقف الأمني بجنوب كردفان ، كادقلي ٢٥ مارس ١٩٩٢م .
١٦. مصدر رسمي ، إلتقاط لاسلكي بتاريخ ٢٣ أبريل ١٩٩٢م .
١٧. ورقة عن خطة السلام بجنوب كردفان ، إدارة السلام بولاية كردفان ، ١٩٩٣م .
١٨. مصدر رسمي ، تقرير عن عمليات (أمل كردفان) ، ١٥ يناير ١٩٩٥م .

١٩. تقرير إدارة مكتب التدريب و العمليات ، إدارة تنسيق الدفاع الشعبى بولاية جنوب كردفان ، ١٧ اكتوبر ١٩٩٤م .

٢٠. مصدر رسمى ، نشاط القوات الخاصة خلال شهر سبتمبر ، تقرير خاص .

٢١. تقرير حول الزراعة ، مكتب الزراعة الآلية ولاية جنوب كردفان ، الدلنج ١ أبريل ١٩٩٥م .

٢٢. تقرير محافظ جنوب كردفان ، مؤتمر السلام و التنمية بالأبيض ، من ٣ - ٧ مارس ١٩٩٠م .

٢٣. د.حامد البشير ، ورقة حول نشأت و تطور الحركة السياسية فى جبال النوبا ، مؤتمر السلام و التنمية ، كادقلى يونيو ١٩٩٥م .

٢٤. ورقة عمل قدمها المقدم ركن محمد الطيب فضل محافظ محافظة كادقلى أمام مؤتمر المحافظين التداولى الأول ، الخرطوم من ١٠ - ١٣ أبريل ١٩٩٢م .

٢٥. تقرير زيارة المقرر الخاص للأمم المتحدة كاسبر بيرو لجبال النوبا فى الفترة من ١٧ - ٢٠ سبتمبر ١٩٩٣م .

٢٦. التقرير نصف السنوى لإدارة السلام و إعادة التعمير بجنوب كردفان فى الفترة من ٣٠ يونيو ١٩٩٤م و حتى مطلع يناير ١٩٩٥م .

(د) المجلات و الصُحف السودانية :-

١. صحيفة الانقاذ الوطنى التى تصدرها دار الاعلام للطباعة و النشر .

٢. صحيفة السودانى التى ترأس تحريرها الأستاذ محجوب عروة .

٣. صحيفة الراية الناطقة باسم الجبهة الاسلامية القومية .

٤. صحيفة الهدف الناطقة باسم حزب البعث العربى الاشتراكى بالسودان .

٥. صحيفة السودان الحديث التى تصدرها دار الثقافة للطباعة و النشر .

٦. صحيفة المخبر التى يترأس تحريرها الأستاذ أحمد كمال الدين .

٧. صحيفة السودان الدولية التى يترأس تحريرها الأستاذ محمد عوض البارودى .

(هـ) المجلات و الصُحف الأجنبية :-

١. مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٠٩) بتاريخ يوليو ١٩٩٢م ، السنة الثامنة و العشرون .

٢. مجلة الوسط ، العدد (٢٣٣) ، بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٩٦م .

٣. صحيفة المستقلة ، العدد (٩٩) بتاريخ ١ ابريل ١٩٩٦م .

(و) الكُتب العربية :-

١. د.يوسف فضل حسن ، مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية - فى السودان الشرقى - (١٤٥٠ - ١٨٢١م) ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ط ٢ .

٢. نعوم شقير - جغرافية و تاريخ السودان - بيروت ط ٢ ، ١٩٧٢م .

٣. أحمد على سبيل ، الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، المركز الاسلامى الأفريقي فى الخرطوم ، إصدارات شعبة البحوث و النشر ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٤. تعليم اللغة العربية فى جبال النوبا ، المعهد الدولى للغة العربية ، سلسلة الدراسات الميدانية (٢) ، إعداد الدارسون بمعهد الخرطوم الدولى للغة العربية .

٥. السودان : الولايات ، المحافظات ، المحليات - رئاسة الجمهورية - ديوان الحكم الاتحادى - نوفمبر ١٩٩٥م .

٦. محمد عوض - السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٦م

٧. مكى شبيكة ، السودان عبر القرون ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ط ١ ١٩٦٤م .

٨. دكتور زاهر رياض ، السودان المعاصر (منذ الفتح المصرى و حتى الاستقلال ١٨٢١ - ١٩٥٣م) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦م .

٩. عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، ط ٢ ، ١٩٦٧م .

١٠. ود ضيف الله ، كتاب الطبقات ، تحقيق د.يوسف فضل حسن ، ١٩٧١م

١١. الدكتور احمد عبد الرحيم نصر - الإدارة البريطانية و التبشير الاسلامى و المسيحى فى السودان - دراسة أولية ، الخرطوم ، وزارة التربية و التوجيه (الشئون الدينية و الأوقاف) ، (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

١٢. د.حسن مكى محمد أحمد - السياسة التعليمية و الثقافة العربية فى جنوب السودان ، الخرطوم ، معامل التصوير الملون ، ١٩٨٣م .

١٣. د.حسن مكى محمد أحمد - المشروع التنصيرى فى السودان (١٨٤٣ - ١٩٨٦م) ، المركز الاسلامى الأفريقي ، شعبة البحوث و النشر ، إصدار رقم (١١) ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

١٤. مشكلة الجنوب و الجهود نحو الحل ، الهيئة القومية للإعلام و الانتاج الفنى ، ١٢ مايو ١٩٩٤م ، الخرطوم .

١٥. أحمد خير المحامى - كفاح جيل ، تاريخ حركة الخريجين و تطورها فى السودان ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ط ٣ ، ١٩٩١م .

١٦. اميرة مختار بابكر - صور من جهاد المرأة ، شعبة الاعلام بالدفاع الشعبى ، كتاب رقم (٦) .

١٧. مؤتمر الحوار الوطنى حول قضايا السلام فى السودان - كتاب وثائقى ، ط ١ ، ١٩٩٠م .

١٨. الانقاذ و الانجاز (١٩٨٩ - ١٩٩٥م) وكالة السودان للأنباء .

١٩. السودان الآن - أحد إصدارات وكالة السودان للأنباء ، بدون تاريخ .

٢٠. دليل الحكم الاتحادى - ديوان الحكم الاتحادى ، ط ٢ ، ديسمبر ١٩٩٥م .

(ز) المصادر الأجنبية :-

1. Nadel , S.F. : The Nuba : an Anthrobological Study of the hil Tribes in Kordofan - Oxford - U.London , 1947

2. Stevenson , R.C. : The Nuba . People of Kordofan Province - 1965 .

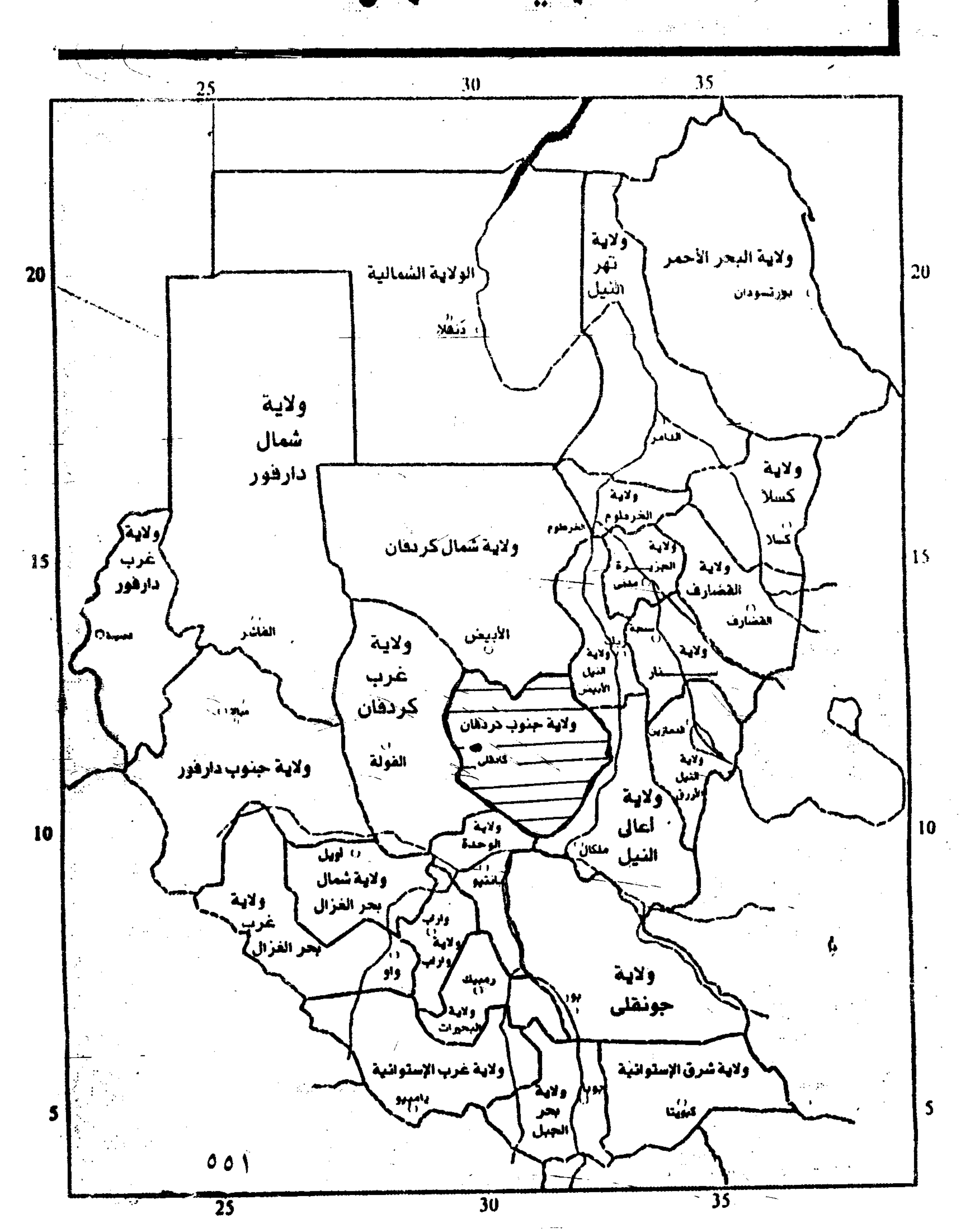
3. Stevenson , R.C. : Some Aspect of the Spread of Islam in the Nuba Mountan .
4. Dr. Kamal- Eddin Osman Salih , The British Administration in the Nuba Mountan Region of the Sudan (1900 - 1956) P H D . thesis (unpublished) U.K , 1980 .
5. Vantini . G. Christianty in the Sudan , Italy , 1881 .
6. Kordofan State Goverment : Peace Adminstrate and Resetllemate Present :- SPLA Violation of Human Right in South Kordofan - August - 1993 .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولايات السودان.. وفقا للتقسيم الفيدرالي لسنة ١٩٩٤
وموقع ولاية جنوب كردفان

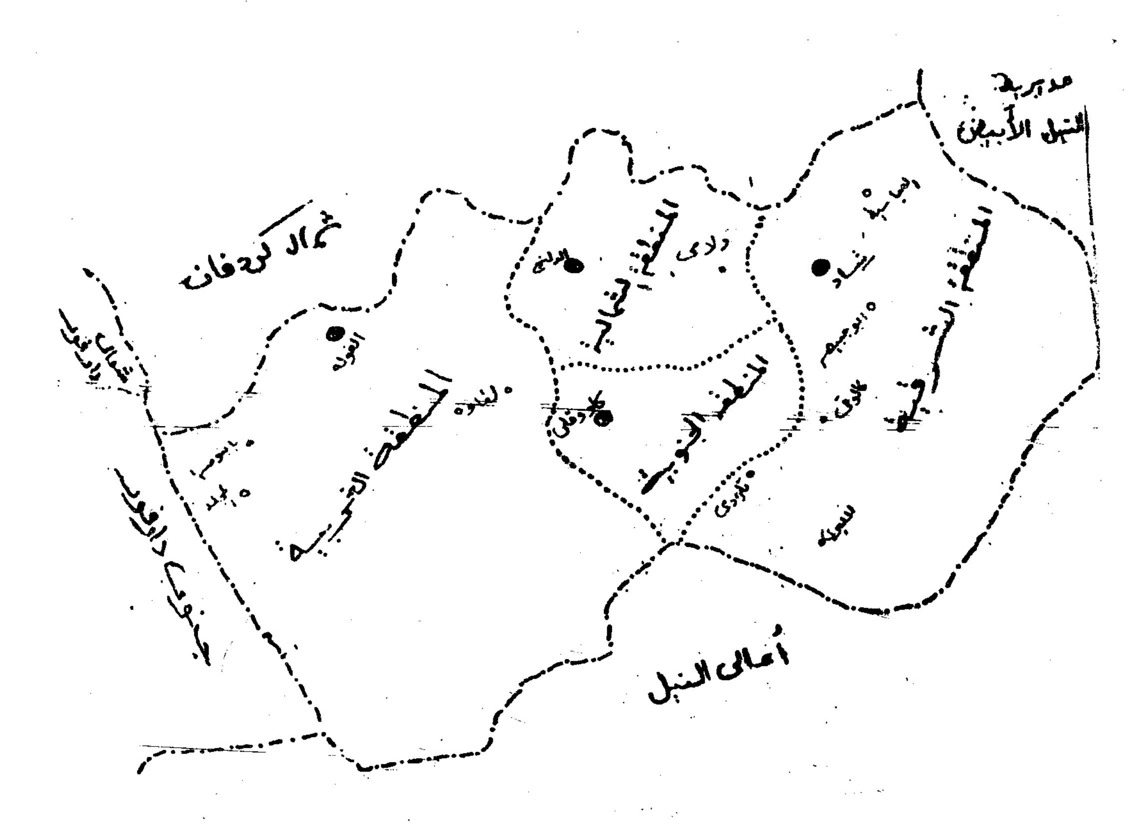
ملحق رقم (١)

ولايات السودان

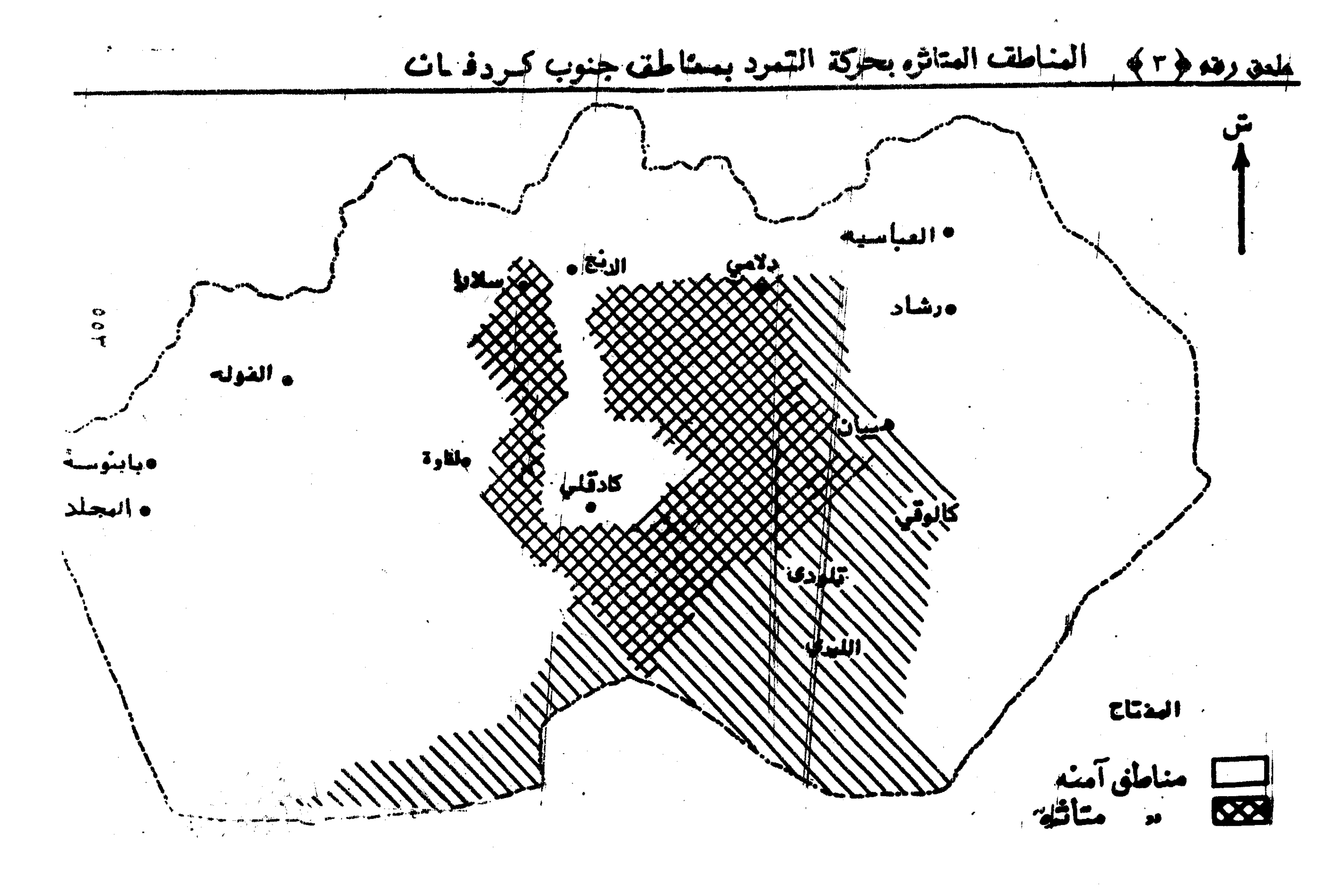


ملحق رقم (٢)

المناطق الاداريه لجنوب كردفان وفقا لتقسيم
قانون الحكم الاقليمي لسنة ١٩٨٠م



ملحق رقم (٣) المناطق المتأثرة بحركة التمرد بمناطق جنوب كردفان



بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق رقم (٤)

إعلان مبادئ حل قضية جبال النوبة

إيماناً منا بأن الحوار السلمي والسياسي هو الوسيلة المثلى لحل كافة مشكلات وقضايا الوطن ، وإعترافاً منا بقضية جبال النوبة كقضية من قضايا الوطن التاريخية التي يتعين حلها عبر الحوار الموضوعي من أجل تكريس واقع تعايش سلمي وإنجاز مستقبل مزدهر للمنطقة .

إدراكاً من الأطراف بعلاقة ومدى ترابط حل مشكلة جبال النوبة عن مشكلة أي إقليم آخر.

وإعتزازاً منا بالمجهودات التي بذلها أبناء المنطقة في الداخل والخارج يعلن الأطراف إلتزامهم بالمبادئ التالية كوسيلة لوضع حل نهائي للمشكلة :-

١- الإعتراف بوجود قضية في جبال النوبة ولفترة طويلة وهذه القضية هي التي أدت الي دخول النزاع المسلح بالمنطقة منذ عام ١٩٨٤م .

٢- يؤكد الأطراف إلتزامهم بالحل السياسي السلمي عبر الحوار البناء وسيلة مُثلى لحل كافة مشاكل الوطن .

٣- يتمسك الطرفان بوحدة السودان بحدوده الجغرافية والسياسية منذ عام ١٩٥٦م.

٤- يؤكد الأطراف على ضرورة إتخاذ ولغة إقليمية وطرح إقليمي في إطار السودان الموحّد كوسيلة مُثلى لحل مشكلة الجبال بعيداً عن طرح الحركة الشعبية لتحرير السودان (فصيل جون قرنق) .

٥- وافق الأطراف على إعتبار الميثاق السياسي للسلام إطاراً عاماً لحل ومعالجة كافة المشاكل والقضايا ذات الطابع القومي .

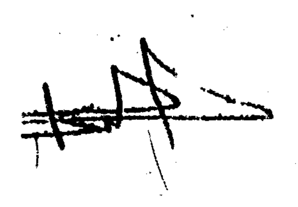
٦- الشريعة والعُرف هما مصدرا التشريع ويجوز للولاية سن تشريعات مكملة للقانون الفيدرالي في المسائل ذات الخصوصية في تلك الولاية.

٧- المواطنة هي الأساس في الحقوق والواجبات والتي تتضمن الحرية والمساواة والعدل وحقوق الإنسان .

٨- يلتزم الجميع بحرية التدين والإعتقاد ويُهيأ المناخ المناسب لممارسة التعبد ونشر الدعوة والتبشير والوعظ ولا يجوز إكراه أي مواطن بإعتناق أي دين أو عقيدة .

٩- يؤكد الأطراف على الطرح الفيدرالي بإعتباره وسيلة حكم من شأنها أن توفر لأبناء المنطقة حقهم في المشاركة في إدارة شئون منطقتهم وتنميتها علاوةً على مشاركتهم في السلطة الفيدرالية بشكل متوازن .

١٠- توزع السلطات والموارد بعدالة ما بين الولاية والمركز ويقوم الأطراف بوضع التفاصيل لذلك .





١١- إزالة كافة أنواع المظالم والغبن الإجتماعي والإقتصادي والثقافي ويشمل ذلك أي أراضي زراعية أو غيرها تم بشأنها تخصيص غير عادل وعلى رأس ذلك إعادة توزيع المشاريع الزراعية بما يراعي حُرمة القرى وحقوق السكان المحليين وإتاحة فرصة أكبر وأولوية لأبناء المنطقة في إستثمار وتنمية أرضهم.

١٢- العمل على إنهاء كافة أشكال التخلف والأمية والجهل التي كانت سبباً" نتج عنه الظلم والغبن ، مع تطبيق برنامج تنمية خاص بالمنطقة بما يحقق أغراض التنمية المتوازنة بين هذه المنطقة ورصيفاتها من مناطق السودان الأخرى وبما يحقق رفاهية شعب هذه المنطقة .

١٣- تلتزم الحكومة بتطبيق برنامج خاص لإعادة التعمير والتوطين لمعالجة كافة الإفرازات والآثار السلبية الناجمة عن الحرب علاوة" على برنامج طوارئ إسعافي لمواجهة القضايا الإنسانية الطارئة مثل الإغاثة وغيرها حسب ما يقتضيه ظرف وجودها .

١٤- الإعتراف بالثقافات المحلية وتطويرها وإتاحة فرص متوازنة لإظهارها والتعبير عنها ضمن الثقافات الأخرى للشعب السوداني في كافة منابر التعبير الجماهيرية الولائية منها والفيدرالية .

١٥- أضرت الحرب بحقوق الإنسان والبيئة في منطقة جبال النوبة بشكل بالغ ويلتزم الأطراف بمعالجة الآثار السلبية الناجمة عن الحرب طيلة الإثنى عشرة عاماً" الماضية .

١٦- أمّن الأطراف على وحدة السودان والتنديد بالإنفصال والنعرات القبلية ويلتزم الأطراف بتأمين حق مواطني جبال النوبة الديمقراطي لنيل حقهم الإقليمي العادل والوطني المتساوي والمتوازن في إطار السودان الموحد دونما تأثير أو ضغوط داخلية أو خارجية في ظل أي متغيرات سياسية .

١٧- هناك قضايا خارج دائرة الإختلاف والنزاع المسلح وهي موضع إتفاق بين الطرفين ، تم معالجتها بوثيقة منفصلة خارج إطار هذا الإعلان .

١٨- يعمل الأطراف سويا" على وضع برنامج تفصيلي لوضع المبادئ العامة الواردة في هذا الإعلان موضع التنفيذ بما يقتضيه ذلك من جهد مشترك للتعبئة لهذه المبادئ وقفا" للحرب ووصولا" الى السلام الشامل والإستقرار .

نيروبي في ١٩٩٦/٧/٣١م

التوقيع :

عميد ركن (م)
محمد عبد الكريم السيد
وزير مالية ولاية جنوب كردفان
رئيس وفد الحكومة

القائد/ يونس دومي كالو
رئيس هيئة القيادة السياسية لقوة السودان الجديد للسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذ وفد الحكومة أثناء مباحثاته مع وفد اللجنة المركزية للحركة والجيش الشعبي لتحرير السودان - قطاع جبال النوبة علماً" بالتقرير الذي أعده الدكتور عبدالعاطي بدُر سليمان نائب رئيس قطاع الإنتاج هيئة المواد النووية والتقرير المعد باللغة الإنجليزية من ذات الهيئة (مرفقين) عن وجود إشعاع نووي بمنطقة بحيرة ميري وإمتداداتها بمنطقة كادوقلي .

وفد الحكومة إذ يُعلن التزامه بالعمل مع الجهات المختصة بما في ذلك اللجنة المركزية للتقصي ووضع المعالجات اللازمة لذلك التقرير ، يُثمّن غالياً" الجهد الذي بذله الإخوة في اللجنة المركزية للحركة الشعبية والجيش لتحرير السودان - قطاع جبال النوبة في الحصول على هذا التقرير .

مرفقات :

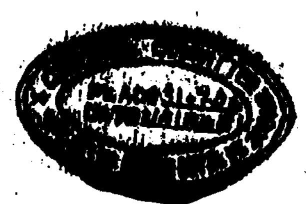
النسخة بالعربية والإنجليزية من التقرير المذكور أعلاه .

التوقيع :

مهندس رزق الله بخات خميس
سكرتير الزراعة والموارد الطبيعية والبيئة
باللجنة المركزية للحركة الشعبية والجيش
الشعبي لتحرير السودان - قطاع جبال
النوبة .

احمد موسى حارك
عضو المجلس الوطني وعضو
وفد الحكومة السودانيـــة

نيروبي ٣١/٧/١٩٩٦م



شهد الله...

وفد الحكومة السودانية	وفد اللجنة المركزية للحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان – قطاع جبال النوبة
١/ السيد/إسماعيل دقليس ا/٨ نائب أمين عام حكومة ولاية جنوب كردفان	١/ السيد/ المهندس عبدالباقي عثمان كبير سكرتير الشئون الخارجية والناطق الرسمي
٢/ السيد/ موسى موسى رحمة الله رئيس لجنة السلام والتعبئة والشئون السياسية بمجلس ولاية جنوب كردفان.	٢/ السيد/ المهندس رزق الله ثلاث خميس سكرتير الزراعة والموارد الطبيعية والبيئة
٣/ السيد/ أحمد موسى حارن عضو المجلس الوطني	٣/ السيد/ د. عمار جاد الكريم عمسوه سكرتير الشئون الصحية .
٤/ السيد/ حسن كنده تربة عضو المجلس الأعلى للسلام	٤/ القائد : عكاشة السيد عكاشة سكرتير الإغاثة والعبور
٥/ السيد/ القس يوناثان حماد كوكو عضو المجلس الأعلى للسلام	٥/ قائد مناوب/ التاج التيجاني أرواة
	٦/ قائد مناوب / نصرالدين هارون كافي

CENTRAL COMMITTEE
PLACE: [illegible]
DATE: [illegible]
SPLA NUBA MTS. [illegible]

الإعتماد :

عميد ركن (م)
محمد عبدالكريم السيد
وزير مالية ولاية جنوب كردفان
رئيس وفد الحكومة السودانية

القائد/ محمد هارون كافي أبوراس
رئيس اللجنة المركزية للحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان – قطاع جبال النوبة

بدا إنتشار الثقافة الإسلامية وسط النوبا في أعين المتعصبين والمهوسين كأنّه يمثل انقراضاً ونهاية لجهود الكنيسة والاستعمار ونهاية لجرثومة التمدن الغربي ، وانكماش التمدن الغربي في أي مجتمع يعني بالنسبة لهم انقراض وتلاشي هذا المجتمع ، لأنّ أى مجتمع كي يكون موجودا حسب رؤية المركزية الغربية ، ينبغي أن يأخذ بأساليب الغرب وتراث الغرب وبهذه النظرة الضيقة فإنّ الثقافة الإسلامية ثقافة متخلفة وأنّ اتجاه النوبا نحو الإسلام يعني التلاشي والانحطاط بل والأنقراض .

ومالبثت الحرب أن اصبحت غاية في حد ذاتها وأصبحت الحرب هي آلية التغيير المنشودة وسط بعض فصائل النوبا والجنوب . واعتماد الحرب كآلية للتغيير يكشف عن ضعف المواعين الثقافية والفكرية لهذه الجماعات ، مما جعلهم يغطون عجزهم عن قيادة التطور الفكري والسياسي باللجوء إلي آلية الحرب ولكن قيام الحرب علي غير مقومات فكرية وروحية لايقود إلا إلي الخراب والدمار وضياع الأنفس والثمرات

وبين يدي القاريء ، هذه الدراسة الجادة التي تكشف عن قصة الصراع في جبال النوبا وكيف تطور هذا الصراع وآثار هذا الصراع علي المنطقه وعلي البلاد والعباد .

من مقدمة د. حسن مكي

سراج الدين عبد الغفار

- مواليد ١٩٥٩م مدينة الدبة - الأقليم الشمالي بالسودان .
- تنتمي أسرته لعشائر البديرية بالمنطقة
- تلقي جزءا من تعليمه بكلية الزراعة بجامعة الخرطوم ثم كلية أصول الدين والتربية بجامعة امدرمان الإسلامية .
- نال درجة الدبلوم والماجستير في الدراسات الإفريقية من جامعة إفريقيا العالمية .
- احترف العمل الصحفي حيث عمل بصحيفة الراية ثم صحيفة الانقاذ الوطني فمديرا لمكتب المستقلة (اللندنية) بالخرطوم
- عمل مديرا لمكتب منظمة البر الدولية باليمن ويشغل الآن منصب مدير عام منظمة البر بالسودان .

الاصدارة رقم (٢٤)
٩٧/٤٨٣

الطبعة الاولي ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ

تصميم الغلاف : غادة مبارك

دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة